

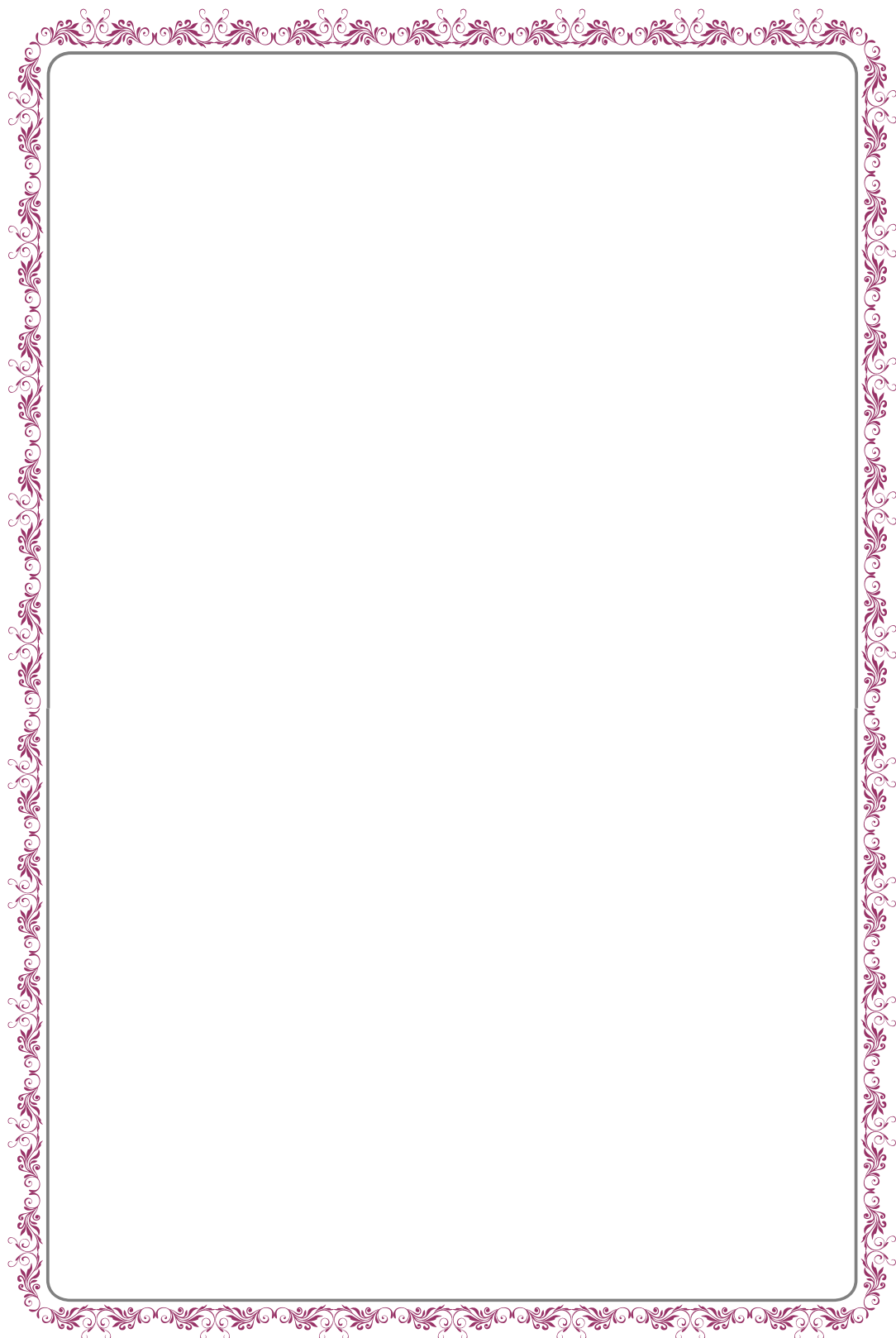
الْجَوْمُ الدَّارِي
فِي شَرْحِ السُّنَنِ لِلْبَرْهَانِي

لِلشَّيْخِ الْقَاضِي
أَبِي بَكْرٍ بَنِي عَجْرَةَ الدَّارِي

الْجَوْمُ الدَّارِي فِي شَرْحِ السُّنَنِ لِلْبَرْهَانِي

أَبِي بَكْرٍ بَنِي عَجْرَةَ الدَّارِي
لِلشَّيْخِ الْقَاضِي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
فِي شَرْحِ السُّنَنِ لِلْبَرْهَانِي



الْجُؤْمُورُ الدَّارِي فِي شَرْحِ السُّنَنِ لِلْبَرْهَانِي

لِلشَّيْخِ الْفَاضِلِ

لَا بُرْهَانَ بَعْدَهُ لَا حَاشِيَ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م







المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، أهل الحمد والثناء، عظيم الفضل والعطاء، الذي هدى من شاء من خلقه بعد العماء، والتخبط في الظلماء، وأنزل كتبه للاهتداء، وختمها بالقرآن وهو خير ما نزل من السماء وهو كلامه والله يتكلم بحرف وصوت متى شاء، وأرسل رسله وختمهم بمحمد خير الرسل والأنبياء، صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء، وأيده بنصره وبالصحب الفضلاء.

ومنَّ على هذه الأمة بالعلماء وجعلهم ورثة الأنبياء فأحيوا ما اندرس من السنة البيضاء التي ليلها ونهارها سواء، فأحيوا السنن وأماتوا الأهواء.

أما بعد: فهذا شرح من الله به علينا لكتاب السنة للإمام البرهاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** وكان أصله دروساً ألقيتها في مسجد التوحيد في مدينة إرب، وقد قام بعض إخواننا بتفريغها بطلب من أخينا الفاضل أبي الحسن علي بن حسن بن محروس وفقه الله وكتب أجره. وبعد تفريغها أرسلت إليها فقامت بمراجعتها على حسب ما تيسر لي، فأسأل الله عز وجل أن ينفع به وأن يختم لنا بالحسنى.

و كتاب السنة؛ هو للإمام أبي محمد الحسن بن علي البرهاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وهذا الإمام من أئمة السنة، ومن الثابتين على السنة، وكان شديداً على أهل البدع والأهواء، وهذا الكتاب يدل على ذلك، فيدل على شدة تمسكه بالسنة، وصفاء منهجه رحمة الله عليه، وهو من الكتب النافعة المباركة في شرح سنة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.



والسنة المراد بها الطريقة، طريقة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** التي كان عليها، وهي أيضًا طريقة الصحابة الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين، وهي أيضًا طريق من جاء بعدهم، من التابعين ومن أتباع التابعين، ومن سار بسيرهم إلى يوم الدين.

كتبه: أبو بكر بن عبده بن عبد الله بن حامد الحمادي في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الأول لعام ثمان وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية.

وكان كتابة هذه المقدمة في العزيزية من حرم الله في مكة المكرمة حرسها الله.



مقدمة المؤلف

□ يقول هذا الإمام **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي فَاتِحَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ النِّافِعَةِ الْمُبَارَكَةِ:**

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ عَلَيْنَا بِهِ، وَأَخْرَجَنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ، فَسَأَلُهُ
التَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَالْحِفْظَ مِمَّا يَكْرَهُ وَيَسْخَطُ.

الشرح:

حمد المؤلف ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، على أن هداه للإسلام.

والحمد، كما هو معلوم: هو ذكر المحمود، بصفات الكمال، على وجه المحبة والتعظيم.

ومن قال: إن الحمد: هو الثناء، فهذا التعريف فيه قصور، فإن الثناء هو الحمد المكرر.

والثناء قيل له: ثناء: من الثني وهو التكرار. يقول القائل: مددت الحبل ثم ثنيته، فإذا ثني الحبل تكرر.

فالثناء هو الحمد المكرر، وليس المعنى أن يقول: الحمد لله، الحمد لله فيكرر ذلك.

وإنما إذا وصف ربه بصفة الكمال وكرر الوصف، فهذا تكرار للحمد، وهو داخل في مسمى الثناء.

يقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كما في صحيح مسلم وغيره: **«إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي».**



وهذا تكرار للحمد.

إذاً تكرار الحمد ليس المراد بذلك تكرار لفظ الحمد، وإنما وصف المحمود بصفات كثيرة، فإذا وصف المحمود بصفات كثيرة، صار ثناء، فهنا قال: الحمد لله رب العالمين، فلما حصل منه التكرار صار ثناء، فكل جملة من الجمل داخلة في مسمى الحمد، فإذا ما تكررت صارت ثناء.

فلهذا إذا قيل الحمد: هو الثناء كان مؤدى هذا القول الحمد: هو الحمد المكرر، والتكرار ليس هو بشرط في الحمد، بل يكفي أن يذكر المحمود بصفة واحدة من صفات الكمال، فيكون ذلك من قبيل الحمد، فلا يشترط في الحمد التكرار، فلهذا لا يقال: الحمد: هو الثناء، ولكن يُقال الحمد: ذكر المحمود بصفات الكمال على وجه المحبة والتعظيم.

ومما ينبه عليه في هذا الموطن من الأخطاء؛ قول من يقول: إن الحمد يكون باللسان، وأن الشكر يكون باللسان وبالقلب وبالجوارح، صحيح أن الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، فهذا كلام صحيح، وإنما الخطأ أن يُقال: إن الحمد يكون في اللسان فقط، والصواب كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه أن الحمد يكون باللسان وبالقلب.

فما كان باللسان مما لا أساس له في القلب لا يُعتبر حمداً، فالذي يذكر ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بصفات الكمال وهو يُضمّر خلاف ذلك في قلبه، هذا كاذب فيما يقول؛ فضلاً عن أن يكون حامداً لله **عَزَّ وَجَلَّ**، فهذا كاذب، وليس هو بحامد لربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فلا يُعتبر العبد حامداً لله **عَزَّ وَجَلَّ** حتى يكون ما في لسانه له وجود في قلبه، وله أساس في قلبه.

فحمد المؤلف ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن اهداه للإسلام، وهذه نعمة عظيمة، أن يهدي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** العبد للإسلام.

قال: **(ومنّ علينا به، وأخرجنا في خير أمة)**: كل هذه من المنن، فلو تأمل الإنسان في من حوله من الخلق، فإنه يجد أن هنالك من ولد في بلاد المجوس، فصار مجوسياً ومن ولد في بلاد اليهود وصار يهودياً، ومن ولد في بلاد النصارى وصار نصرانياً، ومن ولد في بلاد ملحدة، فصام ملحدًا وأنت من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليك أن وُلدت في بلاد المسلمين ومن أبوين مسلمين، فهذه نعمة من الله **عَزَّوَجَلَّ**، فما هي بحولك ولا بقوتك، بل من الله **عَزَّوَجَلَّ** عليك بها. أولئك الذين ولدوا في بلاد الكفر وماتوا على الكفر، فإنّ مآلهم إلى السعير والعياذ بالله، خسروا الدنيا والآخرة.

ولو كنت من هؤلاء لكنت من الخاسرين، فمن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليك بهذه المنّة لا بحولك ولا بقوتك، ولا بشجاعتك ولا بعلمك، وإنما هو فضل من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيجب عليك أن تشكر ربك على هذه النعمة، فهذا الشكر، من الشكر الواجب، فإن هذه أعظم النعم، أن يهديك الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإسلام.

والنعمة الأخرى: أن جعلك الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في خير أمة، وهذه نعمة عظيمة، أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعلك في خير أمة، وهذه الأمة هي خير الأمم، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعلك فيها وما هو بحولك ولا بقوتك، وإنما هو فضل من الله **عَزَّوَجَلَّ** عليك، يجب عليك أن تشكر الله **عَزَّوَجَلَّ** على مثل هذه الفضائل العظيمة وهذه المكرمات العظيمة، ونعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يجب أن تشكر.

فالإنسان لو تأمل في هاتين النعمتين، فإن ذلك يدعوه إلى شكر الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويعرف فضل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه، وعظيم منته عليه سبحانه.



قوله: (فنسأله التوفيق لما يحب ويرضى): فيلتجأ العبد إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ويسأله التوفيق وهو السداد، السداد لكل خير، فإن هذا الأمر بيده وحده لا شريك له، فما هو بعلم الإنسان ولا بحنكته، العلم سبب من أسباب التوفيق والهداية، لكن الأمر لله من قبل ومن بعد.

فكم ممن كثر علمه، ما وُفق لأنه اتكل على نفسه، واتكل على علمه، وما توكل على ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أو أعجب بنفسه، فَضَّلَ مع سعة علمه، وهناك من هداه الله **عَزَّ وَجَلَّ** مع قلة علمه، فالأمر لله **عَزَّ وَجَلَّ**، فيجد الإنسان ربما رجلاً عامياً من عوام أهل السنة، وتأتي الفتن العظام وهو عامي من عوام أهل السنة؛ فيثبته الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كل فتنة من الفتن، وهو من عوام أهل السنة.

وشخص ربما يكون عنده كذا وكذا من العلم؛ فيزل في كذا وكذا من الفتن، فالأمر ما هو بكثرة العلم، الأمر بيد الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فالإنسان يسأل التوفيق من الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ويسأل الهداية من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولهذا كان أوجب الأدعية: "اللهم اهدنا الصراط المستقيم".

هذا أوجب الأدعية؛ يدعو الإنسان ربه أن يهديه إلى الصراط المستقيم، وهو دعاء لا تصح الصلاة إلا به: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

فالإنسان يتوكل على الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ويسأل الله الهداية والتوفيق والسداد، فالأمر بيده وحده لا شريك له.

وإذا اعتمدنا على علمنا فنحن من الجاهلين، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، من اعتمد على علمه زل، ومن اعتمد على ذكائه ضل.

فيعتمد الإنسان على ربه، ويسأل ربه والهداية ويسأل ربه الثبات، فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، لكن الإنسان يأخذ بالأسباب، فالعلم النافع من أسباب الهداية والتوفيق، لكن لا يتكل على علمه، فيأخذ بأسباب الهداية، ويتكل على ربه، ويعتمد على ربه، ويصدق مع الله **عَزَّوَجَلَّ**، ظاهرًا وباطنًا، ويكون ظاهره كباطنه، ومن كان كذلك وفقه الله **عَزَّوَجَلَّ** وسدده.

ومن كان في ظاهره خلاف ما في باطنه، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يفضحه، ولا يبقى إلا من كان صادقًا، ولا يثبت إلا من كان صادقًا.

فنسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يثبتنا وإياكم على الخير، وأن يهدينا وإياكم إلى الصراط المستقيم.





السنة والإسلام



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

اغْلَمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَلَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ.
الشَّرْح:

فالإسلام هو السنة، والسنة المراد بها طريقة رسول الله ﷺ، وطريقة النبي ﷺ، تشمل جميع الإسلام، فالنبي ﷺ أخذ بالإسلام من أوله إلى آخره، والإسلام لا يخرج عن طريقة رسول الله ﷺ قيد أنملة، فالإسلام من أوله إلى آخره، هو طريقة رسول الله ﷺ.

وما في شيء من الإسلام خارج عن طريقة رسول الله ﷺ.

فما جاء به النبي ﷺ من قول أو فعل أو اعتقاد، هو الإسلام.

فالإسلام من أوله إلى آخره هو السنة. أي: هو طريقة رسول الله ﷺ التي كان عليها، وليس المراد بالسنة، قسيمة القرآن.

فإن السنة تأتي والمراد بها: ما كان قسيماً للقرآن، فيقال الكتاب والسنة، فليس المراد بالسنة قسيمة القرآن، وهي الأحاديث النبوية، وليس المراد بالسنة: الأمر المستحب، الذي حث عليه نبينا ﷺ.

فإن هذا معنى اصطلاحى، فهناك من العلماء، من اصطلاح على تسمية المستحب بالسنة.

فيقولون: هذا واجب وهذا سنة، كما يقولون: هذا واجب وهذا مستحب.

وإنما المراد بالسنة: الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ.

فالطريقة التي كان عليها النبي ﷺ هي الإسلام.

فقال: (ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر): فهما كالشيء الواحد لا يفترقان، ولا

يتضادان، فالإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام.

ومن خرج من السنة بالكلية، فهو خارج عن الإسلام.

فالذي يترك السنة بالكلية، فهو خارج عن الإسلام، والذي يريد أن يدخل في

الإسلام من غير السنة، فإنما يدخل في الكفر، ولا يدخل في الإسلام، فإن الإسلام هو

السنة والسنة هي الإسلام.





وجوب لزوم طريقة الجماعة



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

فَمِنَ السُّنَّةِ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ غَيْرَ الْجَمَاعَةِ وَفَارَقَهَا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ
الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، وَكَانَ ضَالًّا مُضِلًّا.

الشرح:

قال: (فَمِنَ السُّنَّةِ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ): فإن السنة التي أمر بها نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في
أحاديث متعددة، كحديث الحارث الأشعري الذي عند الترمذي وعند غيره.
قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ
وَالْجِهَادُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ
مِنْ عُنُقِهِ...».

والأحاديث عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في لزوم الجماعة متعددة، فلزوم
الجماعة من السنة، والجماعة إذا ما أطلقت فالمراد بها الجماعة الأولى، القرن
الأول، وهم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهم أصل الجماعة، وهم أساس الجماعة،
وسياقي بيان ذلك في كلام المؤلف رحمة الله عليه. فهو لاء هم الجماعة، فليتمسك
الإنسان بالجماعة، أي: ل يتمسك بما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهم أصل
الجماعة.

وهم أساس الجماعة، ومن كان على هداهم فهو منهم داخل في الجماعة، كما
قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ مِنَ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.

فمن اتَّبَعَ الصحابة بإحسان لا بإساءة، واتَّبَعَهُم بإحسان، أحسن العمل، فهو داخل في رضا الله **عَزَّوَجَلَّ**، فرضي الله عن المهاجرين، ورضي الله عن الأنصار، ورضي الله **عَزَّوَجَلَّ** عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ورضي الله عمن كان متبعا لهم بإحسان لا بإساءة العمل. فمن كان على نهج الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين، فهو داخل في الجماعة إلى أن تقوم الساعة. فليس المراد بالجماعة كثرة الناس، ولا جمهور الناس، ولا أغلبية الناس، وإنما المراد بالجماعة: أصحاب النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ومن كان على نهجهم إلى يوم الساعة. ولو كان الشخص واحدا متمسكا بما كان عليه الصحابة، فهو داخل في الجماعة؛ لتمسكه بما كان عليه الصحابة، فهو منضم إلى جماعة الصحابة.

ومن كان متبعا لهم بإحسان ولو كان مفردا، - فربما يكون في قريته منفردا والناس على خلاف الجماعة، على خلاف السنة - ويكون جماعة بمفرده؛ لأنه على منهج الجماعة، ما خرج عن الجماعة الأولى، فما أحدث في دين الله **عَزَّوَجَلَّ**، وما ضل وما غوى، بل ما زال مستقيما على ما كان عليه الصحابة الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال المؤلف: (فمن رغب عن الجماعة وفارقها، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه).

كما ذكرنا في حديث الحارث الأشعري: (فإنه من فارق الجماعة قيد شبر، فقد

خلع ربة الإسلام من عنقه).



والريقة: هي الرباط الذي يُربط به الشياه حتى لا تفر. فإذا أزال الشاة ذلك الرباط، فإنها تخرج عن أخواتها وعن موضع حفظها وعن موضع قوتها، وتفر إلى الذئاب. فإذا فرت وهربت، فإنما تفر إلى الهلاك، تفر إلى الذئاب.

وهكذا من فارق الجماعة، من فارق أهل الحق، فإنما يفارقهم إلى الذئاب: إما الذئاب من أهل الشبهات، أو الذئاب من أهل الشهوات، أو من يجمع بينهما. والجمع بينهما من أخطر الأمور، وهو أن يكون الشخص صاحب شبهة وصاحب شهوة، فيُغري الناس بماله ويفتنهم بماله، ويُضلهم بشبهاته.

فهؤلاء هم أضل الخلق الذين يفتنون الناس بالباين: باب الشهوات المحرمة، وباب الشبهات المضلة.

فنسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يعصمنا بالكتاب والسنة، وأن يرحمنا برحمته.



أَسَاسُ الْجَمَاعَةِ هُم أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ.

الشرح:

والأساس الذي بُنِيَ عليه الجماعة، هم أصحاب محمد ﷺ. فإذا قيل: الجماعة، فأساسها الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ فَهُوَ مُلْحَقٌ بِهِمْ. وكذلك إذا قيل: أهل السنة والجماعة، فأساس ذلكم الصحابة الكرام. وإذا قيل: هذا مذهب السلف، فأساس السلف هم الصحابة. فهم أساس أهل السنة والجماعة، وأساس السلف. ولا شك أن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو الأصل، فإن الدين جاءنا من جهته.

فعلى كل: فالصحابه يدخلون دخولاً أولياً في مسمى الجماعة، وفي مسمى أهل السنة. فلهذا يحتاج المسلم أن ينظر إلى آثار الصحابة، وإلى أحوالهم، وإلى ما كانوا عليه من الدين، وأنه لا تفهم سنة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا على فهمهم؛ فهم الذين عاشروا التنزيل، وهم أعلمُ بمراد رسول الله ﷺ ممن جاء بعدهم. ولا يخرج الإنسان عن هدي الصحابة الكرام، لا في مسائل العقيدة ولا في مسائل الفقه.



فإذا اتَّفَقَ الصحابةُ على شيءٍ فهو الحقُّ الذي يجب التمسُّكُ به. وإن اختلفوا ولم يكن هناك دليلٌ ظاهرٌ لأحد القولين، فيُنظَرُ في مذهبِ الخلفاءِ الراشدين؛ فمذهبُهم أرجحُ من مذهبِ سائرِ الصحابة؛ لقوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كما عند أبي داود وغيره: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ»**.

وإذا حصل التنازعُ بين الخلفاءِ الراشدين، فيُنظَرُ إلى مذهبِ أبي بكرٍ وعمرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**؛ فهما أعلمُ الصحابة، وأعلمُ الخلفاءِ الراشدين. وإذا حصل النزاعُ بينهما، فيُقَدَّمُ قولُ الصديق؛ فإنه أعلمُ الصحابة على الإطلاق باتفاقِ العلماء.

وأما قولُ عبد الله بن مسعودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: "لو وُضِعَ عِلْمُ هذه الأمةِ في كِفَّةٍ وَعِلْمُ عُمَرَ في كِفَّةٍ لَرَجَحَ عِلْمُ عُمَرَ"، إنما قاله في خلافةِ عُمَرَ بعد موتِ الصديق، فهو يتحدثُ عمن هو موجودٌ في ذلك الزمنِ بعد موتِ رسولِ الله **ﷺ** وبعد موتِ الصديق. وإلا فإنَّ رسولَ الله **ﷺ** أعلمُ هذه الأمة، وكذلك الصديق هو أعلمُها بعد رسولِ الله.

فليس المرادُ بقولِ القائل: "أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ" فرقةٌ محدثةٌ فرَّقَتِ المسلمين كما يظنُّ بعضُ جهالِ الناسِ، بل هم الصحابةُ الكرامُ، وكلُّ من سارَ بسيرتهم فهو داخلٌ في هذا المسمَّى. **﴿وَالصَّادِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]**.

فهذا هو أصلُ الدين: ما كان عليه الصحابة. فمن تمسَّكَ بهديهم فهو متمسِّكٌ بالأصل، ومن خرج عن ذلك فهو المفرِّقُ لجماعةِ المسلمين. والفرقةُ إنما حصلتُ ممن خالفَ ذلك. فالخوارجُ لما خرجوا فرَّقوا جماعةَ المسلمين، وكذلك المرجئةُ والقدريةُ والأشاعرةُ، وقبلهم الجهميةُ والمعتزلةُ؛ لأنهم خرجوا عن الأصلِ وأحدثوا البدعَ والأهواءَ.

فمن انتسب إلى السُّنَّة والجماعة فهو باقٍ على الأصل، وليس مُفَرِّقًا. والنبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَثَّ على لزوم الجماعة، وهم الصحابةُ وَمَنْ كان على سبيلهم، وقال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ». فمن تَمَسَّكَ بسُنَّةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكان صادقًا، قيل فيه: "أهلُ السُّنَّة".

والتمسُّكُ بما كان عليه الصحابةُ وهم الجماعة، يقال فيه: "أهلُ السُّنَّة والجماعة". والتمسُّكُ بما كان عليه السَّلَفُ وهم الصحابةُ، يقال فيه: "سَلَفِي". فالمرادُ بالسَّلَفِيّ: المنسوبُ إلى السَّلَفِ، وإلى الجماعة، إلى الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

فالأدلةُ جاءت بالتمسُّكِ بالجماعة، والاهتداءِ بهديِ الصحابةِ، والأخذِ بسُنَّة الخلفاء الراشدين، والتمسُّكِ بالسُّنَّة. فمن استقام على الأدلة فهو الفائزُ الناجي. ومن انتسب إلى غيرِ السُّنَّة والجماعة فإنما ينتسب إلى البدع والأهواء، كنسبةِ المرجئة والقدرية والمعتزلة، فهم إما ينتسبون إلى مؤسسٍ أو إلى بدعة. والنسبةُ الشرعيةُ إنما هي إلى السُّنَّة والجماعة وإلى مذهبِ السلف.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْأَسَاسُ الَّذِي تَبْنَى عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ، وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ):

وفي حديثِ العِرباضِ بنِ سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». وهذا من بابِ التنبيه على ما قد يجهله بعضُ الجاهلين. فبعضُ الناسِ يسمعُ قولَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، فيقول: الضلالةُ في النارِ، أما صاحبُها ففي



الجنة! وكذلك قوله: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»، فيقول: الإزار هو في النار، وصاحب الإزار في الجنة. وكلُّ هذه أفهامٌ خاطئةٌ.

ولهذا أزال المؤلفُ هذا الفهمَ الخاطيءَ بقوله: (والضلالةُ وأهلُها في النار): فمرادُ النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ» هو صاحبُ الإزار الذي يُعَذَّبُ في النار، وليس المرادُ أنَّ ذلك الموضعَ من الإزار يُقَطَّعُ وَيُوضَعُ في نارِ جهنمَ. وكذلك قوله: «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، ليس المقصودُ أنَّ الضلالةَ في النارِ وصاحبها في الجنة، بل كما قال المؤلفُ: (والضلالةُ وأهلُها في النار).



العدر بالجهل

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسْبَهَا هُدًى، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسْبُهُ ضَلَالَةٌ، فَقَدْ بَيَّنَّتِ الْأُمُورُ، وَثَبَّتِ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَ الْعُذْرُ.

الشرح:

وهذا الأثر عن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإن لم يثبت غير أن معناه حسنٌ. يقول في هذا الأثر: (لا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسْبَهَا هُدًى، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسْبُهُ ضَلَالَةٌ، فَقَدْ بَيَّنَّتِ الْأُمُورُ).

والمعنى: أنه أُوتِيَ من جهله، أُوتِيَ من إِعْرَاضِهِ عن الْبَحْثِ عن دينه، وإِلَّا فَإِنَّ الْأُمُورَ قَدْ بَيَّنَّتْ. يقول: (وَبَيَّنَّتِ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَ الْعُذْرُ)؟

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابَهُ تَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ. وما مات النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَّا وَقَدْ أَوْضَحَ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ. فطريقُ الْهُدَى معلومٌ، وطريقُ الضَّلَالِ معلومٌ. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. فبين الله عَزَّوَجَلَّ طريقَ الْجَنَّةِ وطريقَ النَّارِ. وقال سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، أي: طريقَ الْخَيْرِ وطريقَ الشَّرِّ. فَالْكُلُّ قَدْ وُضِّحَ وَبَيَّنَّ. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وقد بعث الله عَزَّوَجَلَّ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ، وَتَرَكَنَا عَلَى الْبَيضَاءِ، عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيضَاءِ. فليس في الأمرِ ما يَلْتَبَسُ وَلَا أَمْرٌ خَفِيَ، بَلْ أَوْضَحَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السَّبِيلَ وَأَبَانَ الطَّرِيقَ. فَالَّذِي يَقَعُ فِي الضَّلَالَةِ وَيَتْرُكُ الْهُدَى بَعْدَ الْبَيَانِ فَإِنَّمَا أُوتِيَ مِنْ



إِعْرَاضِهِ. ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]. وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ قَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ. وَقَدْ أَتَمَّ حُجَّتَهُ بِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ» [رواه مسلم].

فقد أُقيمتِ الحجةُ على الثَّقَلَيْنِ بِإرسالِ خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين. فإذا وقعَ الإنسانُ في ضلالةٍ، وكان السببُ في ذلك هو التقصيرُ من جهته، فهذا لا عذرَ له. فَإِنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]. فالإِعْرَاضُ حصلَ منهم ولم يكن نافعاً لهم، ولم يكن عذراً لهم. وهذه حالُ كثيرٍ من الخلقِ الذين وقعوا في أنواعِ الضلالِ والبدعِ والأهواءِ، إنما أَتَوْا من تقصيرِهم؛ فما سألوا عن دينهم. وأخذوا دينهم ممن وجدوه. فبعضُ الناسِ يسألُ عن دينه من لَقِيَهُ، سواءً كان من العلماءِ أو من الجاهلين. ربما كان إمامَ مسجدٍ، فيذهبُ ويستفتيه، وقد يكونُ ذلك الرجلُ من أهلِ الجَهْلِ - كما يُقال: أَضَلُّ من حمارِ أهله - فهو في ضلالٍ في نفسه، فكيف تحصلُ منه الهدايةُ لغيره؟ فيسألُ عن دينه الجُهَّالَ، ويأخذُ دينه من كلِّ جاهلٍ. وأمَّا في أمرِ دُنياه فإنه يتحرَّى حتى في الأمورِ التافهةِ، فإذا أراد أن يشتري شيئاً تحرَّى غايةَ التحري فيه، وما سألَ الجاهلين، بل يتنقَّى أصحابَ الخبرةِ ويبحثُ عنهم. وإذا أراد أن يدخلَ في تجارةٍ من التجاراتِ، سألَ أصحابَ الخبرةِ، ويتحرَّى غايةَ التحري، ويمكثُ الفترةَ الطويلةَ في السؤالِ والبحثِ وتقليبِ الأمورِ حتى تطمئنَّ نفسه إلى أن الصوابَ في حقِّه المضيُّ أو التركُّ. ففي أمرِ الدنيا يتأنَّى ويتحرَّى، وأمَّا في أمرِ دينه فما هو مُبالٍ به. فربما يستفتي نفسه وهواه، فيمشي مع هوى نفسه، وربما يسألُ الجاهلين عن أمرِ دينه.

فالغالبُ في الناسِ الذين وقعوا في الضلالِ والانحرافِ إنما أتوا من جهةِ التقصيرِ. فمن تحرَّى الحقَّ هذه الله **عَزَّجَلَّ** إليه. لكن إذا حصلَ شيءٌ من الخطأ بعد التحري والنظرِ والسؤالِ، ولم يكن من جهته تفریطٌ، فهو معذورٌ عند ربِّه. لكن الغالبُ أن الأمورَ مُبَيَّنَّةٌ مُوَضَّحَةٌ، وإنما يُؤْتَى الإنسانُ من جهةِ نفسه، من جهةِ تفریطه وعدمِ بحثه وسؤاله العلماء، والإعراضِ عن الدين، وعدمِ المُبالاةِ به. وهذا هو الغالبُ على الناسِ: إعراضٌ عن العلم، وإقبالٌ على الدنيا وبحث عنها، وإعراضٌ كبيرٌ عن التعلُّمِ والتَّفَقُّهِ في الدين.

فكلامُ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** محمولٌ على مثلِ هذا المعنى: **(لا عُدْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسِبَهَا هُدًى، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسِبَهُ ضَلَالَةً، فَقَدْ بَيَّنَّتِ الْأُمُورُ، وَثَبَّتِ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَ الْعُدْرُ)**؛ والغالبُ فيمن يقعُ في الضلالةِ أنه يقعُ فيها بعد أن كان عالماً بها، فيُعاقبه الله **عَزَّجَلَّ** لأنه تَمَادَى فيها ولم يرجعْ إلى الحقِّ أولَ ما عَرَفَهُ. هذا حالُ كثيرٍ من الناسِ: يكونُ في أولِ الأمرِ عارفاً بالحقِّ والباطلِ، فيهديه الله **عَزَّجَلَّ** هدايةَ إرشادٍ وبيانٍ، فيعرفُ الحقَّ والباطلَ، ثم يتبعُ هواه، فيتمادى في الباطلِ فيُثَلِّبُ الله سبحانه قلبه. ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وبعد ذلك يصيرُ في عَمَى، فينظرُ إلى ذلك الباطلِ بأنه عينُ الحقِّ؛ لأن الله قد قَلَبَ قلبه وطمَسَ على بصيرته؛ لأنه اختار العَمَى على الهدى. نسأل الله العافية.





بيان النبي ﷺ الدين للناس وطرق ذلك ووجوب الاتباع



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلَّهُ وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَى النَّاسِ
الْإِتِّبَاعُ.

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى: (وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ)..
فَالدِّينُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ لَا يَخْرُجُ عَنِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُمُ
الْمُتَمَسِّكُونَ بِجَمِيعِ الدِّينِ. وَأَصْلُ الْجَمَاعَةِ كَمَا عَرَفْنَا هُمُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَالدِّينُ جَاءَنَا مِنْهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.
وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا ذَكَرَ افْتِرَاقَ الْأُمَّةِ فِي حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أَمَرَ
بِالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَقَالَ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ
بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ». فَأَمَرَ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ. وَالْخُلَفَاءُ هُمُ
الْجَمَاعَةُ، فَهُمْ عَلَى الْحَقِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ هُمُ
الْجَمَاعَةُ، وَمَنْ سَارَ بِسِيرَتِهِمْ فَهُوَ مِنَ الْجَمَاعَةِ.

فَمَنْ تَمَسَّكَ بِالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَقَدْ تَمَسَّكَ بِجَمِيعِ الدِّينِ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَسَّكَ
بِالسُّنَّةِ وَيَتْرَكَ الْجَمَاعَةَ فَهُوَ فِي ضَلَالٍ. فَإِنَّ السُّنَّةَ شَرَحَهَا وَبَيَّنَّهَا وَوَضَّحَهَا صَحَابَةُ النَّبِيِّ
عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُمْ الَّذِينَ نَقَلُوهَا إِلَيْنَا، وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمَرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَا
تُفْهَمُ السُّنَّةُ إِلَّا بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ. وَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْهَمَ السُّنَّةَ بِفَهْمِهِ
الْمُخَالَفِ لِفَهْمِ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُ يَضِلُّ. وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْهَمَ الْقُرْآنَ بِفَهْمِهِ دُونَ فَهْمِ

الصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين فإنه يَضَلُّ. وما ضَلَّ الخوارِجُ إلا بهذا. فإنَّ الخوارِجَ انفردوا بأفهامهم عن صحابه رسولِ الله ﷺ، فتأَوَّلُوا القرآنَ على غيرِ مرادِ الله، وأدَّى بهم الحالُ إلى تكفيرِ الصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وإلى قتالهم واستباحةِ دماءهم. وكذلك سائرُ الفرقِ المبتدعةِ إنما أتوا من سوءِ فهمهم لنصوصِ الكتابِ والسُّنةِ، فلم يفهموا ما فهمه الصحابه من نصوصِ الكتابِ والسُّنةِ، وإنما فهموا تلك النصوصَ بأفهامهم القاصرة، سواء كانوا من القدريةِ أو الجهميةِ أو المعتزلةِ أو الأشاعرةِ أو الكلايةِ أو الماتريديةِ أو المرجئةِ أو غيرِ هؤلاء.

فكلُّ هؤلاء يحتجُّون بأدلةٍ من كتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد يحتجُّون بشيءٍ من السُّنةِ، لكنَّهم يفهمون الأدلةَ على أفهامهم القاصرة، ولا يفهمونها على فهمِ الصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وفهمِ التابعينِ وعلماءِ الدين. وإنما يفهمون النصوصَ بأفهامهم القاصرة، فوقعوا فيما وقعوا فيه من البدعِ والضلالِ. فلا يَنجو الشخصُ من البدعِ والأهواءِ إلا إذا تمسَّكَ بالسُّنةِ والجماعةِ، ولم يفارقِ الجماعةَ، فهنا يُنَجِّيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أنواعِ البدعِ والضلالِ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلَّهُ، وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَى النَّاسِ الْإِتِّبَاعُ)**: والمعنى: أنَّ من ضَلَّ عن الهدى فإنما أُتِيَ من جهةِ نفسه، لا لأنَّ الدينَ فيه غموضٌ. فالدينُ واضحٌ، والقرآنُ جعله الله عَزَّ وَجَلَّ تبيانًا لكلِّ شيءٍ. فالقرآنُ واضحٌ والسُّنةُ واضحةٌ، وزادتِ السُّنةُ إيضاحًا وزادَ القرآنُ إيضاحًا بتفسيراتِ الصحابه الكرام. فإنهم شرحوا الدينَ وأوضحوه غايةَ الإيضاح. فإذا ما زَلَّ الإنسانُ أو أخطأ، فلا لقصورٍ في الدليلِ، وإنما لتفريطٍ من العبد. وإلا فادَّلةُ الشرعِ أدلَّةٌ ظاهرةٌ بيَّنةٌ، من التمسَ الهدى من كتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ ومن سُنَّةِ النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنه يجِدُه، وهذا إذا كان صادقًا مع الله عَزَّ وَجَلَّ. وإنما يُؤْتَى الإنسانُ من تفريطه في بحثه



عن الهداية؛ فهذا مراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ
الدِّينِ كُلَّهُ، وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَى النَّاسِ الْإِتِّبَاعُ)؛ فلو حصل منهم هذا الأمر واتبعوا
السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، فإنه يحصلُ لهم الهدايةُ. لكن كما عرفنا، السببُ في الضلالِ هو
الغوايةُ والتفريطُ من جهةِ الناسِ أو من جهةِ بعضِ الناسِ.



مجيء الدين من عند الله عز وجل وبيان فساد الرأي

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

أَعْلَمُ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَمْ يُوضَعْ عَلَى عُقُولِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ.

الشرح:

وهذا كلام صحيح، فالدين أنزله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهو الكتاب والسنة. فالدين هو الكتاب والسنة، وكل ذلك من عند الله، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فالذي شرع الدين هو رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولم يُوضَعْ على عقول الرجال. فعقول الرجال، ما هي الحَكَمَ على الدين؟! وهذا فيه ردٌّ على أهل البدع والأهواء من جهمية ومعتزلة وأشاعرة، ومن غير هؤلاء، الذين قدَّموا عقولهم على شرع ربهم، وجعلوا العقل هو الحَكَمَ على الشرع. فإذا ما تعارض العقل والشرع، قدَّموا العقل على الشرع، وحجتهم في ذلك أن العقل هو الذي دلَّ على الشرع، فإذا ما تعارض بعد ذلك العقل والشرع، قالوا: نُقدِّم العقل؛ لأنه هو الذي دلَّنَا على الشرع. وكل هذا من فساد عقولهم.



وشبيه بذلك: ما إذا جاء رجلٌ إلى عاميٍّ وقد أراد أن يستفتي عالمًا، فقال له: عندي مسألة أريد أن أستفتي فيها عالمًا، فإذا بذاك العاميُّ يده على عالم، فذهب ذلك الرجل إلى العالم وسأله عن تلك المسألة فأفتاه. فرجع إلى ذلك العاميِّ.

فقال له العاميُّ: بم أفتاك؟ قال: أفتاني بكذا وكذا. فقال له هذا العاميُّ: هذه فتوى غير صحيحة، الصواب كذا وكذا. فقال ذلك المستفتي: أنا سألتُ العالم، والعالم هو الذي أفتاني بذلك، كيف أردُّ قولَ العالم وأخذَ بقولك وأنت جاهل؟ فقال هذا العاميُّ: من الذي دَلَّكَ على العالم؟ أنا الذي دللتُكَ على العالم. فإذا تعارض قولُ العالم وقولي، فالواجب عليك أن تأخذَ بقولي؛ لأنِّي أنا الذي دللتُكَ على العالم. أيَّعدُّ هذا الكلام صحيحًا أم باطلاً؟ فالجواب: هذا باطل لا شك في بطلانه.

وهكذا قولٌ من يقول: إن العقل هو الذي دَلَّ على الشرع، فإذا تعارض العقل والشرع نُقِدمَ العقل؛ لأنه دَلَّ على الشرع. هو من هذا القبيل. وقد أحسن من قال:

عِلْمُ الْعَلِيمِ وَعَقْلُ الْعَاقِلِ اخْتَلَفَا	مَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُمَا قَدْ أَحْرَزَ الشَّرَفَا
فَالْعِلْمُ قَالَ: أَنَا أَحْرَزْتُ غَايَتَهُ	وَالْعَقْلُ قَالَ: أَنَا الرَّحْمَنُ بِي عُرِفَا
فَأَفْصَحَ الْعِلْمُ إِفْصَاحًا وَقَالَ لَهُ	بِأَيِّنَا اللَّهُ فِي فُرْقَانِهِ اتَّصَفَا
هَلْ اتَّصَفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ عَالِمٌ أَمْ عَاقِلٌ؟! الجواب: اتصف بالعلم.	

فَبَانَ لِلْعَقْلِ أَنَّ الْعِلْمَ سَيِّدُهُ	فَقَبَّلَ الْعَقْلُ رَأْسَ الْعِلْمِ وَانْصَرَفَا

وقول المؤلف: (واعلم - رحمك الله - أن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى،

لم يُوضَعَ على عقول الرجال وآرائهم): تقدم فيما سبق أن مثل العقل مع الشرع كمثل العين مع النور.

فإذا أراد الإنسان أن يستقل بعقله عن شرع ربه، فهو كمن يريد أن يستقل بنظره عن النور، فيمشي في الظلمات، ولا يأخذ نورًا يستضيء به، فإنما يتخبط ولا يهتدي في

طريقه. وكذلك من أراد أن يسير بعقله من غير أن يهتدي بشرع ربه، فإنما هو يتخبط في الظلمات. ﴿ظُلِمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَهَا﴾ [النور: ٤٠].
والشرع كما عرفنا نوراً. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فلا بد من نور الوحي، وإلا تخبط الإنسان في ظلمات الباطل.
قوله: (وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ) علم الدين عند الله (وَعِنْدَ رَسُولِهِ)، أي: لا نتجاوز الكتاب والسنة في مسائل الدين. لا ندخل بعقولنا فنحل ما نشاء ونُحرِّم ما نشاء، ونستحب ما نشاء، ونكره ما نشاء. وإنما الواجب هو الانقياد لله ولرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣].



النهي عن اتباع الهوى

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَا تَتَّبِعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ فَتَمُرُقَ مِنَ الدِّينِ فَتَخْرُجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ، فَقَدْ
بَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ الْجَمَاعَةُ، وَهُمْ السَّوَادُ
الْأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ الْحَقُّ وَأَهْلُهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ

الشَّرْحُ:

قال المؤلف: رَحِمَهُ اللهُ (فَلَا تَتَّبِعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ، فَتَمُرُقَ مِنَ الدِّينِ): أي: يكون هذا هو
مآلك. وليس المعنى أن من اتبع هواه خرج من الدين مباشرة، لكن المراد أن هذا
سبيل إلى الخروج من الدين. فمن جعل إلهه هواه، فإنه يخرج من الدين شيئاً فشيئاً
حتى يمرق من الدين بالكلية.

فلا تتبع شيئاً بهواك فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام.

فمن انقاد لهواه فهذا هو مآله إن لم يتب إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإن الهوى يجر إلى
الهوى، حتى يخرج الإنسان من الدين. فالأهواء تهوي بأصحابها إلى نار جهنم إن لم
يتوبوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. والبدع هي بريد الكفر، فهي الطريق الموصل إلى الكفر
والعياذ بالله.

قال: (فَتَمُرُقَ مِنَ الدِّينِ، فَتَخْرُجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ): أي: في اتباع
هواك، فقد نهى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن اتباع الهوى، وحذر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من ذلك،

فقال: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. وهو نبي كريم عند الله عزَّ وجلَّ، ومع هذا يحذره ربه سبحانه عن اتباع الهوى.

قال: (فَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ الْجَمَاعَةُ): أي: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الجماعة. فإذا قيل: الجماعة، فأصل الجماعة كما عرفنا هم الصحابة.

قال: (وَهُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ): السواد الأعظم أيضًا هم الصحابة، والجماعة هم الصحابة، ومن كان على طريقهم. فصاحب الحق هو الجماعة، ولا يكون صاحب حق إلا إذا كان منقادًا لكتاب الله وسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعلى هدي الصحابة الكرام. فصاحب الحق هو الجماعة وهو السواد الأعظم. وأصل الجماعة: الصحابة، وأصل السواد الأعظم: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وقد سبق أن ذكرنا أثر عبد الله بن مسعود حين قال: "إن جمهور الجماعة هم من فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك".

وكذلك لما سئل إسحاق بن راهويه عن السواد الأعظم، قال: محمد بن أسلم الطوسي.

وذكر عن عبد الله بن المبارك أنه سئل عن السواد الأعظم، فقال: أبو حمزة السكري. فقال إسحاق بن راهويه: ولو قيل للجها: من الجماعة أو من السواد الأعظم؟ لقالوا: جماعة الناس، وما علموا أن الجماعة هو العالم بالحق المتبع له، فهو المتبع لأثار النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فهذا هو المراد بكلام العلماء في السواد الأعظم والجماعة.



فإذا قالوا: السواد الأعظم، وإذا قالوا: الجماعة، يريدون صاحب الحق. فصاحب الحق هو الجماعة ولو كان واحداً. والسواد الأعظم هم الجماعة، ولو كان الشخص منفرداً في زمنه، فهو منفرد لكنه على الأصل، فهو مع رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ومع الصحابة الكرام، ومع من اهتدى من التابعين ممن لم يزل في البدع والأهواء.

وقد يكون في ذلك العصر منفرداً، لكنه منضم إلى من سلف من الصحابة الكرام ومن كان تابِعاً لهم بإحسان. فهذا هو المراد بالجماعة، وهذا هو المراد بالسواد الأعظم. وليس المراد بذلك الأكثرية، فإن الله يقول: ﴿وإن تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وذكر **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن عبد الله بن المبارك سئل عن السواد الأعظم، فقال: أبو حمزة السكري، أي: من كان على منهاجه، ومناهجه منهاج السنة، منهاج الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

قال إسحاق بن راهويه: ولو سألت جهال الناس عن السواد الأعظم، لقالوا: عامة الناس أو جماعة الناس، بمعنى: أكثر الناس. قال: وما علموا أن الجماعة عالم متبع لرسول الله **ﷺ** ولأثره.

فجهال الناس إذا سمعوا الجماعة ظنوا أن المراد بذلك أكثر الناس، وإذا سمعوا السواد الأعظم ظنوا أنهم أكثر الناس في زمنهم. والمراد بذلك كما عرفنا: صاحب الحق. وعرفنا أن صاحب الحق جماعة لانضمامه إلى جماعة الحق؛ فإنه على منهاج رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وعلى منهاج الصحابة، وعلى منهاج التابعين، وعلى منهاج أصحاب الحق ممن جاء بعدهم. فهو قد انضم إلى جماعة كبيرة من أهل الحق، فأهل الحق كثروا منذ زمن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** إلى هذه الأزمان، فهم أناس كثير. فهو ينضم إلى تلك الجماعة، وينضم إلى ذلك السواد الأعظم، وينضم إلى

الصحابة وإلى التابعين لهم بإحسان ومن جاء بعدهم. ولو كان في عصره هو الوحيد على السنة، فهو الجماعة بهذا الاعتبار، وهو جماعة أيضًا من باب تعظيم الحق، وأن صاحب الحق عظيم ولو كان منفردًا، كما قال سبحانه عن إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]. فسماه الله سبحانه أمة وهو مفرد.

ومن أهل العلم من قال: هو أمة، أي: أمام يُقتدى به. وقال بعض العلماء: أمة، أي: لأنه اجتمعت فيه صفات أمة، أو من باب التعظيم. فعلى كل، صاحب الحق عظيم، فهو الجماعة، وهو السواد الأعظم.

وقد ذكر العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "إعلام الموقعين" كلامًا نحو هذا في بيان السواد الأعظم وبيان الجماعة، وأن الجهل بهذا الأمر هو الذي فُتن به من مضى في زمن الإمام أحمد. فُتِنُوا السلطان، فكانوا يقولون للسلطان: أنت ومن معك من العلماء والقضاة على خلاف الحق، والإمام أحمد على الحق. فأصروا على ما هم فيه من الباطل، وما علموا أن الإمام أحمد هو الجماعة وهو السواد الأعظم، وأن الخليفة ومن معه من العلماء والقضاة هم الشاذون مع كثرتهم. يقول: هم الشاذون. وأما الجماعة والسواد الأعظم: الإمام أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ** ومن كان على طريقته. فجهاال الناس ما يعرفون مثل هذه الأمور، وإذا سمعوا الأدلة وكلام السلف في الجماعة ولزوم الجماعة، قالوا: نبقى مع أكثر الناس. وهذا خطأ بَيِّن.

وقوله: **(وَهُمُ الْجَمَاعَةُ وَهُمْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ: الْحَقُّ وَأَهْلُهُ)**: إذن هذا هو السواد الأعظم. فالسواد كما هو معلوم يُطلق على الجماعة من الناس: على الكثرة، باعتبار المعنى اللغوي؛ فإذا شاهد الإنسان جماعة من الناس من بُعد، فإنه يُشاهد سوادًا عظيمًا، كما شاهد النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** سوادًا عظيمًا في الأفق، فقال:



هذه أمتي، قيل له: هذا موسى وقومه، ثم رأى سوادًا عظيمًا، فقيل له: هذه أمتك، كما في الصحيحين.

فالناس الكثير عن بُعد يُشاهد فيهم السواد، فلا يعرف الإنسان ملامحهم، وإنما يشاهد سوادًا عظيمًا. لكن المراد بها هنا ما سبق: أنه صاحب الحق. صاحب الحق هو السواد الأعظم، وهو الجماعة على ما سبق إيضاحه.

قال: (فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ): هذه العبارة من عبارات المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مُشْكِلَةٌ، لكن يمكن أن تُتَأَوَّلَ على معنى: الكفر الأصغر، فقوله: (فَقَدْ كَفَرَ): إما على معنى الكفر الأصغر، أو على معنى: أن ذلك سبيل إلى الكفر، أي: أن المخالفة للصحابة سبيل وطريق إلى الكفر، أي: مآل من خالف الصحابة أن تعظم في حقه المخالفة وتكثر حتى يخرج من الدين بالكلية، كما هو معلوم في شأن البدع وأنها بريد الكفر.

فقوله: (فَقَدْ كَفَرَ): إما أن يكون مآله إلى الكفر، أو يُخشى عليه أن يؤول به الحال إلى الكفر. أو المراد بذلك: أنه وقع في الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، إلا إذا كانت المخالفة في كفر أكبر، فالأمر ظاهر. فإذا كانت المخالفة في كفر أكبر، فهذا أمر ظاهر. لكن إذا كانت المخالفة فيما ليس من قبيل الكفر الأكبر، فيكون المراد بقوله: (فَقَدْ كَفَرَ): الكفر الأصغر، كفر دون كفر، أو أن مآل من يخالف الصحابة إلى الكفر، أي: يُخشى عليه أن يؤول به الحال إلى الكفر؛ فإن البدع والأهواء وسيلة إلى الكفر وطريق إلى الكفر.



ترك السنة ظهور للبدعة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا بِدْعَةً قَطُّ حَتَّى تَرَكَوا مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَهَا؛ فَاحْذَرِ
الْمُحَدَّثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا
فِي النَّارِ.

الشَّرْح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَاعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا بِدْعَةً قَطُّ حَتَّى تَرَكَوا مِنَ السُّنَّةِ
مِثْلَهَا). والأمر كذلك، فإن السنة لا تجتمع مع البدعة. وكما قال حسان بن عطية
رَحِمَهُ اللهُ: "ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم
القيامة".

فهكذا ذكر غير واحد من أهل العلم مثل هذا القول، ومنهم شيخ الإسلام ابن
تيمية رَحِمَهُ اللهُ، ذكر أنك لا تجد أحداً ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل
بها إلا وقع في بدعة. وهذه عقوبة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أن من ترك شيئاً من السنة التي
يجب أن يُصدق بها ويعمل بها، إلا عُوقِبَ بأن يقع في بدعة. فهذه من العقوبات التي
يقع فيها من ترك شيئاً من السنة التي يجب عليه أن يصدق بها ويعمل بها.

وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن النصارى: ﴿فَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾ فَأَعْرَبْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿[المائدة: ١٤]﴾، أغرى الله عَزَّوَجَلَّ بينهم
العداوة والبغضاء. ومن إغراء العداوة والبغضاء: البدع والأهواء؛ فإن البدع إذا



حصلت في الناس كثرت العداوات في أوساطهم، وحصل البغضاء في أوساطهم. فالنصارى لما نسوا حظاً مما ذكروا به، عاقبهم الله **عَزَّجَلَّ** بالعداوة والبغضاء. فهم أمة البدع: فالنصارى أمة البدع، فهم يتجهون إلى البدع اتجاهاً سريعاً، ودينهم مبني على البدع؛ لأنهم أصحاب جهل. وأمّا اليهود فعندهم علم لكن تركوا العمل به، والنصارى عندهم جهل، فالبدع فيهم كثيرة، والأهواء فيهم كثيرة، والعداوات فيهم مشتتة. وهكذا العبد إذا ترك بعض ما وجب عليه من السنة، إما ترك التصديق وإما ترك العمل، فقد يعاقب بهذه العقوبة، فيعاقب بشيء من البدع، فتنتشر العداوة والبغضاء بسبب أن الناس تركوا شيئاً من الدين.

فترك السنن من أسباب انتشار البدع؛ لأنه يحصل بها العقوبة من الله **عَزَّجَلَّ** للناس بأن تكثر فيهم العداوة والبغضاء؛ بسبب أنهم تركوا شيئاً من السنن التي أمروا بها. وليس المراد بذلك الأمور المستحبة، وإنما المراد بذلك الأمور الواجبة. وأمّا الأمر المستحب، فلا تحصل بتركه العقوبات.

قال: **(وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا بِدْعَةً قَطُّ حَتَّى تَرَكَوْا مِنَ السُّنَنِ مِثْلَهَا، فَاحْذَرِ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْأُمُورِ)**: الأمر ما هو سهل. **(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ)** [المائدة: ١٤]. فليست عداوة منحصرة في زمن من الأزمان، بل عداوة وبغضاء إلى يوم القيامة، فهذا الأمر في غاية الخطورة.

قوله: **(فَاحْذَرِ الْمُحَدَّثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ)**: وهذا كما عرفنا نص حديث رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **(وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)**، كما جاء في حديث جابر المشهور في صحيح الإمام مسلم، وفي حديث العرياض بن سارية وغيرهما من الأحاديث.

قال المؤلف: **(وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ)**: وفي رواية النسائي من حديث جابر، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

وسبق الكلام على هذه الجملة، وأن هذا من باب إزالة ما قد يتوهمه الشخص من أن الضلالات في النار دون أصحابها. هذا قد يتوهمه بعض الجاهلين، فنص **رَحِمَهُ اللَّهُ** على أن هذا ليس هو المراد، فقال: **(وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ)**. على كل، هذه المسألة مرت معنا، فلا نكرر الكلام حولها.





الحذر من صغار المحدثات



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاحْذَرْ صِغَارَ الْمُحَدَّثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ صَغِيرَ الْبِدْعِ يَعُودُ حَتَّى يَصِيرَ كَبِيرًا، وَكَذَلِكَ كُلُّ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشَبِّهُ الْحَقَّ، فَاعْتَرَّ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَخْرَجَ مِنْهَا فَعَظُمَتْ وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهَا فَخَالَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَخَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ

الشَّرْحُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَاحْذَرْ صِغَارَ الْمُحَدَّثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ): وهذا تحذير من إمام خبير بالبدع، فلا يستهين العبد بالبدع الصغار، فإن البدعة الصغيرة تكبر مع مرور الأيام. والبدعة تدعو أختها، كما أن الحسنة تدعو أختها، وكذلك السيئة تدعو أختها. فجزاء الحسنة الحسنة بعدها، وجزاء السيئة سيئة بعدها. وهكذا البدع، فمن دخل في البدعة فإنه ينتقل إلى ما هو أكبر منها، حتى ربما يخرج من الإسلام والعياذ بالله. فإن البدع بريد الكفر، فهي الطريق الموصل إلى الكفر.

قال: (فَإِنَّ صِغَارَ الْبِدْعِ تَعُودُ حَتَّى تَصِيرَ كِبَارًا): والبدع في أول الأمر تكون شبرًا، ثم تصير ذراعًا، ثم تصير باعًا، ثم تصير ميلًا، ثم تصير فرسخًا وبريدًا، فتتوسع شيئًا فشيئًا. والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث ابن مسعود المشهور، لما خَطَّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا، وَخَطَّ بِجَانِبِ ذَلِكَ الْخَطِّ الْمُسْتَقِيمِ خَطُوطًا، قَالَ: «هَذَا صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمُ، وَهَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا». ومعلوم أن الخط في أوله يكون قريبًا من

الصراط المستقيم؛ فالخط المتفرع عن الصراط المستقيم يكون في أوله قريباً من الصراط المستقيم. وهكذا البدعة في أولها تكون قريبة من الحق، ولهذا يحصل فيها الالتباس لقربها من الحق. لكن كلما مَدَّ الإنسان ذلك الخط، فإنه يبتعد عن الصراط المستقيم، إلى أن يكون بينهما كما بين المشرق والمغرب.

وهكذا شأن البدع: في أول أمرها تكون قريبة من الحق، وكلما سار الإنسان في تلك البدعة، كلما ابتعد عن الصراط. وإذا نظر الإنسان إلى طرف الخط المتفرع عن الصراط المستقيم بعد أن مُدَّ مع الصراط، وجد المسافة بعيدة. وكلما اتجه إلى جهة الصراط، فإنه يرى المسافة قريبة بينه وبين الصراط المستقيم.

وهكذا شأن البدع، فلا يستهين العبد بالبدع الصغار فيقول: هذه بدعة صغيرة. ولو كانت هذه البدعة الصغيرة من قبيل الأذكار المحدثه، فلنا العبرة بالأثر المشهور الذي رواه الدارمي، في قصة عبد الله بن مسعود مع أصحاب الحِلَق. وكانت البدعة التي وقعوا فيها بدعة في الأذكار، وليست بدعة من بدع العقائد، وإنما بدعة عملية من بدع الأذكار.

فما كان مآل هؤلاء الذين وقعوا في هذه البدعة الصغيرة؟
كان مآلهم أن صاروا من الخوارج، كما قال عمرو بن سلمة: "فرايت عامة أصحاب أولئك الحِلَق يطاعنوننا يوم النهر اوان مع الخوارج".
فقاتلوا الصحابة الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ومن معهم من التابعين، واستحلوا الدماء، ووقعوا في بدعة من البدع العظمى، وهي بدعة الخوارج الذين وصفهم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بأنهم **«كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ»**.

وقال فيهم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»**، وقال فيهم: **«شِرَارُ الْخَلْقِ»**. وقال: **«لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهِنَّ قَتْلَ عَادٍ»**.



وفي لفظ أيضاً في الصحيحين: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّاهُمْ قَتَلَ ثُمُودَ»، أي: أنه يستأصلهم.

وقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيهِمْ: «طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتْلُوهُ».

وقال: «فَأَيْنَمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقال: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

وقد تنازع العلماء في كفرهم، فمن أهل العلم من حكم عليهم بالكفر؛ لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»، وشر الخلق هم الكفار، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال في الخوارج: «شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ».

وقال فيهم: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّاهُمْ قَتَلَ عَادٍ» و«قَتَلَ ثُمُودَ» على الرواية الأخرى.

وقال: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، فمن أهل العلم من ذهب إلى كفرهم بناء على هذه الأحاديث، والمسألة فيها نزاع بين العلماء. فهو لاء وقعوا في بدعة من بدع العقائد وهي من البدع الكبرى. وما الذي أوقعهم في هذه البدعة الكبرى؟

الجواب: تلك البدعة الصغيرة، بدعة الذكر، فلا يستهين العبد بالمحدثات ويقول: هذا شيء يسير، فإذا تمادى وأصر على البدعة، فإنه ينتقل إلى أختها، ثم إلى أختها. وتأملوا في شأن أهل البدع والأهواء، كيف كانوا في أول بدعهم فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَبْتَدِعُونَ الشَّيْءَ الْيَسِيرَ، ثم يجد الإنسان منهم الزندقة والعياذ بالله، فيجد بعد مرور الأيام زندقة وكلاماً فيه خروج عن الإسلام، وعبارات شنيعة شديدة تصدر من بعض

أهل البدع والأهواء مع تماديهم في بدعهم وأهوائهم. فالواجب الحذر، الحذر من البدع.

قال: (وَكَذَلِكَ كُلُّ بَدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشَبِّهُ الْحَقَّ...):

فهذا هو منشأ البدع، ولهذا يقع في البدعة من يقع من الناس؛ لأن البدعة في أول أمرها فيها شبه بالحق، فيها نوع التباس، فينظر الشخص إليها من وجه فيرى خيرًا، وينظر من وجه آخر فيرى شرًا، فيلتبس عليه الأمر. مثل بدعة أصحاب الحلق التي تكلمنا عليها فيما سبق: قوم اجتمعوا في المسجد يذكرون الله **عَزَّوَجَلَّ**. إذا نظر الإنسان إلى هذه البدعة من وجه، قال: هؤلاء قوم يذكرون الله **عَزَّوَجَلَّ**، وذكر الله شيء حسن.

وإذا نظر إليها من وجه آخر، وهو أنهم يجتمعون على هذا الذكر ولهم إمام يؤمهم، ويعدون الذكر بالحصى، فيجد شيئًا لا أساس له من هدي رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وهذا شر؛ لأنه مخالف لهدي رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فقد يحصل الالتباس للشخص في البدعة في أول أمرها، ويلتبس عليه حال هؤلاء في أول الأمر.

لكن ما الذي صاروا إليه؟

صاروا مع الخوارج، لو كان هذا المآل حاصل في أول الأمر، فهل يحصل اللبس؟ الجواب: ما يحصل اللبس، فإنهم لو استحلوا الدماء وخرجوا عن جماعة المسلمين من أول أمرهم، لكانت بدعتهم بدعة ظاهرة بينة ما فيها لبس.

لكن البدعة في أولها تكون قريبة من الحق، ولها شبه بالحق، ولهذا تحصل الفتنة ويحصل الالتباس فيها بسبب قربها من الحق.

قال: (وَكَذَلِكَ كُلُّ بَدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشَبِّهُ الْحَقَّ، فَاغْتَرَّ

بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا): وهذا هو الواقع، حتى في الفتنة القريبة، فتن أصحاب الفتنة.



أول ما يبدأ الشخص بالبدعة فإنه تظهر منه الأشياء المخالفة ملتبسة على كثير من الناس، كما حصل من أبي الحسن في فتنته، في أول أمره كانت تحصل منه أشياء ويحصل الالتباس على كثير من الناس، فيحصل الالتباس ويحصل التأويل له، وأنه قصد كذا وما أراد كذا. هذا في أول الأمر.

لكن بعد ذلك صار إلى ما صار إليه مما هو معلوم، وأخرج من اتبعه من السنة، ورمى بهم في أحضان أهل البدع والأهواء. كثير من أهل البدع ربما يخرجون الشخص من السنة ويضمونه إليهم إلى بدعتهم، فيتكثرون من أخرجهم من السنة. أما هذا الرجل فإنه أخرج من أخرج من السنة، ورمى بهم في أحضان أهل البدع والأهواء، فمنهم من صار إخوانياً، ومنهم من صار من التكفيريين، ومنهم من صار من الترائيين، ومنهم من صار من السروريين.

فجذبهم من السنة ورمى بهم في أحضان أهل البدع والأهواء. فالفتنة في أول أمرها والبدعة في أول أمرها تكون فيها نوع التباس بالحق، ومن أجل هذا الالتباس يضل من يضل من الناس، ويزل من يزل منهم. ثم بعد ذلك تظهر وتعظم المخالفة وتكثر، وتتضح حتى للجهال. فهذا هو شأن البدع، فلهذا الإنسان يحتاج أن يحذر البدعة من أول أمرها. وإذا وجد شيئاً فيه ريب، فإنه يحذر من ذلك الشيء الذي فيه ريب غاية الحذر، حتى يسلم له دينه من الوقوع في البدع والأهواء.

وقوله: **(فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا)**: وهذه هي المصيبة العظمى في البدع: أن من دخل في البدعة لا يتمكن من الخروج منها إلا أن يشاء الله **عَزَّوَجَلَّ**.

من دخل في البدع لا يتمكن من الخروج منها؛ ولهذا قال من قال من السلف: إن أهل البدع لا يتوبون، وينتقلون إلى ما هو أشد مما كانوا فيه. فالبدع في غاية الخطورة. الإنسان إذا وقع في معصية فربما يتوب، وتؤنبه نفسه فيتوب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**. لكن إذا

وقع في بدعة فإنه يصبر عليها ويعانده، ويطمس الله **عَزَّجَلَّ** على قلبه بعد ذلك، فيرى الباطل حقًا. وبعد ذلك كيف يتوب من الحق؟

فهو يعتقد أنه على حق، فكيف يتوب مما يعتقد أنه حق؟ فلهذا يتمادى أهل البدع في بدعهم. وأمّا في أول الأمر فإنّ حجة الله **عَزَّجَلَّ** قائمة على خلقه؛ فإن من وقع في البدعة أول الأمر غالبًا يعلم أنه على خطأ، لكن تجره الشهوات والأطماع، وربما الكبر، وغير ذلك من الأمراض، إلى أن يتمادى في البدعة، فيعاقبه الله **عَزَّجَلَّ** بأن يطمس بصيرته، فيرى بعد ذلك تلك البدعة أنها من السنن وأنها من الحق، ويصر على ذلك غاية الإصرار، كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَقُلُوبٌ أَفْضَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. عاقبهم الله **عَزَّجَلَّ** بتقليب القلوب والأبصار، فرأوا الباطل حقًا ورأوا الحق باطلاً. وما السبب؟

السبب هو أنهم ما آمنوا به من أول الأمر. فأول الأمر كانوا يعرفون أن هذا من الحق، لكنهم أصرّوا على الباطل، فقلّب الله **عَزَّجَلَّ** قلوبهم وقلب أبصارهم، فانقلبت عليهم الأمور بعد ذلك، فصاروا يرون الباطل حقًا ويرون الحق باطلاً. وهذه عقوبة من الله **عَزَّجَلَّ**. فلهذا الإنسان قد يعجب من أناس يقعون في البدع، كيف يكابرون ويعاندون، وكيف يصرون، وربما يقتل وهو ما زال مصرًّا على بدعته، فيضحى بنفسه وما زال مصرًّا على بدعته، وربما يُعذب ويُهان وهو ما زال مصرًّا على ذلك؛ لأنه يرى أنه من المجاهدين في سبيل الله، لأن الله **عَزَّجَلَّ** قد قلب قلبه وزين له سوء عمله. ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]. فهذا كيف يتوب إلى الله **عَزَّجَلَّ** وهو يرى القبيح حسنًا؟ فلهذا كانت البدع من الأمور الخطيرة، فلا يغتر الإنسان بها، ويحذر منها غاية التحذير، فإنها الهلاك بعينه. البدع والأهواء هي الهلاك بعينه.





عرض الأمور على طريقة الصحابة رضوان الله عليهم



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

فَانْظُرْ - رَحِمَكَ اللهُ - كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً، فَلَا تَعْجَلَنَّ وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ هَلْ تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَإِنْ وَجَدْتَ فِيهِ أَثَرًا عَنْهُمْ فَتَمَسَّكَ بِهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ لَشَيْءٍ وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ

الشَّرْح:

وهذه نصيحة نافعة من هذا الإمام رَحِمَهُ اللهُ، فإذا أخذ الناس بها، نجاهم الله عزَّ وجلَّ من البدع والمحدثات، فإذا أخذوا بهذه النصيحة، حصل لهم النجاة من البدع والمحدثات. فلا يكون الشخص صاحب عجلة، إذا سمع شيئاً تعجل في قبوله وأخذ به، واعتقد ذلك الشيء الذي سمعه. وإنما عليه أن يتأنى في الأمور الغريبة التي يحصل فيها اضطراب في النفس، ويحصل فيها شيء من الشك، فلا يبادر إلى قبول تلك الأمور الغريبة. وعليه أن ينظر ويتحرى في دينه، ويسأل عن ذلك الشيء: هل عليه دليل من كتاب الله، أو من سنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو جاءت به الآثار عن الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين أو لا؟ فإن وجد لذلك مستنداً أخذ به، وإلا ابتعد عنه.

وفي أثر معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي جاء عند أبي داود وعند غيره، قال رَحِمَهُ اللهُ: "اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهَرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: مَا هَذِهِ؟"

وفي لفظ: "المُشَبَّهَاتِ" مكان "المُشْتَهَرَاتِ".

وهذا أثر صحيح عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أثر طويل، لكن هذا محل الشاهد منه.

قال العلماء في معنى هذه الرواية: أي: المشتهرات بالباطل، الشيء الذي هو مشهور بأنه باطل، فيبتعد الإنسان عنه. وعلى الرواية الأخرى: "المشبهات"، أي: الأمر الذي يشبهه على الشخص. يتكلم الحكيم، أي: العالم، بكلام فيحصل شيء من الاشتباه: هل هذا الكلام حق أم باطل؟ هل هذا الكلام عليه دليل من كتاب الله، ومن سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن آثار الصحابة الكرام، أم ليس عليه دليل؟ فإذا وجد الإنسان الكلام المشتبه، فإنه لا يتقبله، وينظر في هذا الكلام المشتبه: هل له أساس أو ليس له أساس؟ فإن وجد له أصلاً من كتاب الله، أو من سنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو من هدي الصحابة، أخذ به وإلا تركه. فلا يتعجل الإنسان في قبول الأشياء الغريبة، وإنما يتأنى في أمر دينه؛ فإن أمر الدين من أخطر الأمور.

فقال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً، فَلَا تَعْجَلَنَّ): أي: بقبوله.

ثم قال: (وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ...): وصاحب العجلة يقع في البدع والأهواء والعياذ بالله. وصاحب العجلة ربما يكون معظماً لشخص، فيقبل منه كل غريب، ولا يبحث عن دينه. وبهذا زل من زل في الفتن، وزل من زل في البدع، وزل من زل في الأهواء، كل ذلك بسبب العجلة في الأمور، وقبول الأمر المشتبه مباشرة، وعدم النظر في ذلك الأمر: هل له مستند من كتاب الله، ومن سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن آثار الصحابة أو لا؟ فهذا الذي أوقع من أوقع الناس في الفتن منذ الأزمان القديمة.



والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ عصره قريب من عصر الإمام أحمد، أعني بينهما فترة من الزمن لكنها ليست كبيرة، فهو في زمن العلم وزمن الخير وزمن السنة، ومع هذا يقول مثل هذا الكلام.

قال: (وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ: هَلْ تَكَلَّمَ بِهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَوْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ؟): أي: من أئمة السلف ممن علم منهم المنهج السوي المستقيم، من أئمة التابعين ومن أتباع التابعين، ومن كان على نهجهم من الذين عُرفوا بالعلم والسنة والاستقامة: هل موجود من أئمة السلف من قال ذلك أو لا؟

قال: (فَإِنْ أَصَبْتَ فِيهِ أَثْرًا عَنْهُمْ فَتَمَسَّكَ بِهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ لِشَيْءٍ، وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ): وذلك أن مخالفة سبيل المؤمنين من أسباب دخول النار، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فلا يتعجل الإنسان في الدخول في الشيء وإن زُين له؛ فإن أصحاب الباطل يزخرفون الباطل، ويظهرون الباطل بمظهر الحق. وعلى الإنسان البحث عن دينه، والتأني في الأمور، حتى لا يقع في الخطأ والزلل.



أنواع الخروج عن الطريق

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الطَّرِيقِ عَلَى وَجْهَيْنِ:
أَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَجُلٌ قَدْ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ، فَلَا يُقْتَدَى بِزَلِّهِ؛
فَإِنَّهُ هَالِكٌ.

وَأَخْرَ عَانَدَ الْحَقِّ وَخَالَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ شَيْطَانٌ
مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، حَقِيقٌ عَلَى مَنْ يَعْرِفُهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ قِصَّتَهُ لِئَلَّا
يَقَعَ فِي بَدْعَتِهِ أَحَدٌ فَيَهْلِكَ

الشرح:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْخُرُوجَ عَنِ الطَّرِيقِ): أي: عن الصراط
المستقيم، (عَنِ الطَّرِيقِ)، وهو طريق الحق، وهو الصراط المستقيم.
(أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَجُلٌ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ). حصلت له المخالفة
وزل عن الطريق، وانحرف عن الصراط المستقيم، وهو لا يريد إلا الخير، ما يريد
مخالفة الحق، يريد الخير. لكن كم من مرید للخير لم يصبه. ولا يكفي أن الإنسان
يريد الخير، فلا بد أن يكون سائرًا على الصراط المستقيم في قوله وفعله وفي عقيدته.
أما إرادة الخير فما هي كافية.



والنية الحسنة هل تصحح العمل الفاسد؟

النية الحسنة لا تصحح العمل الفاسد. فالذي يريد الخير لا بد أن يسلك طريق الحق وطريق الخير. وإلا كما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأثر المشهور حين أنكر على أصحاب الحِلَق، قالوا: يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، فقال: "كَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبهْ". فلا بد أن يسلك الإنسان طريق الحق.

فلا يكفي أن الإنسان يكون عنده نية حسنة، فيريد أن يعبد الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم يخترع البدع والمحدثات، ويأتي بالأذكار المخترعة من جهة نفسه على نية الخير، ويريد التقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك. فلا بد أن ينظر الإنسان في عمله: هل هو موافق لكتاب الله وسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو مخالف؟ ولا تكفي النية الحسنة.

قال: **(فَلَا يُقْتَدَى بِزَلَّتِهِ، فَإِنَّهُ هَالِكٌ)**: إن حملنا كلامه على ذلك الرجل الذي زل عن الطريق بأنه هالك، فهذا باعتبار أنه أراد الخير لكنه لم يسع في العلم النافع، ولم ينظر في عمله: هل هو موافق لكتاب الله وسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

فهذا لا تفيدته نيته، كما لم تفد أصحاب الحِلَق تلك النية التي أرادوها: "والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير"، ما عذرهم، بل قال: "كَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبهْ".

وفي آخر الأمر ما كان حالهم؟ النجاة أم الهلاك؟

الجواب: كان حالهم: الهلاك؛ فإن البدعة تجر إلى البدعة وإلى ما هو أعظم منها، فصاروا بعد ذلك من الخوارج، فحصل لهم الهلاك؛ فقلوه: **(فَإِنَّهُ هَالِكٌ)** محمول على هذا المعنى.

وإذا قلنا: إن هذا الذي يريد الخير أخطأ من غير قصد، وهو يريد أن يلتمس الحق، ويلتمس الخير، لكنه أخطأ من غير قصد ولا تفريط، فنحمل قوله: **(فَإِنَّهُ هَالِكٌ)** أي: المقتدي به.

فإذا حملنا العبارة على من له العذر، وهو الذي بذل وسعه في معرفة الحق، وفعل ما يستطيع أن يفعله لكنه لم يتوصل إليه ولم يهتد له، مع أنه حرص على ذلك، ولم يكن من جهته تفريط، وهو يريد الخير، فهل يهلك هذا أم يهلك من اتبعه؟ الجواب: يهلك من اتبعه.

فالكلام فيه احتمالان: الأول: أن قوله: **(فَإِنَّهُ هَالِكٌ)** يرجع إلى الرجل، والآخر: **(فَإِنَّهُ هَالِكٌ)** أي: من اتبع ذلك الرجل على زلته.

إذن قوله: **(فَإِنَّهُ هَالِكٌ)**. أي: من اقتدى بزلته، أو **(فَإِنَّهُ هَالِكٌ)** ذلك الذي أراد الخير لكنه فرط، فحصل له تفريط، وما سأل العلماء عن ذلك العمل: هل هو من السنة أو هو من البدعة؟

فحصل منه تقصير وتفريط، فهذا مآله إلى الهلاك، كأصحاب أولئك الحلق الذين ما سألوا أصحاب النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهم متوافرون بين أظهرهم، فاستحسنوا شيئاً بعقولهم وساروا عليه، وما سألوا العلماء. فهؤلاء وإن أرادوا الخير، فإن سبيلهم سبيل الهلاك، وقد حصل ذلك، فإنهم صاروا بعد ذلك من الخوارج والعياذ بالله.

قال: **(وَرَجُلٌ عَانَدَ الْحَقِّ وَخَالَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، شَيْطَانٌ مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ)**: أما هذا فشأنه شديد، فالذي يعاند الحق، فيؤتى له بالحق بأدلتة وبراهينه ويعاند الحق، ويخالف من كان قبله من المتقين.

قال: **(فَهُوَ ضَالٌّ)** أي: في نفسه. **(مُضِلٌّ)** أي: لغيره. **(شَيْطَانٌ مَرِيدٌ)** لأن هذا يصير من رؤوس الضلال. والنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لما خط خطوطاً على جانبي الصراط المستقيم، قال: **«عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»**. فهذا من شياطين الإنس، وقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»**.



قال: (شَيْطَانٌ مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، حَقِيقٌ عَلَى مَنْ عَرَفَهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ). وفيه التحذير من أهل البدع والأهواء، حتى لا يقع الناس في البدع والأهواء، ويسلموا من شر أهل البدع والأهواء، وفيه منفعة لأهل البدع، حتى يقل أتباعهم، وإذا قل أتباعهم قلت أوزارهم. ولهذا كان علماء السنة أرحم بأهل البدع من أنفسهم؛ فهم يسعون في هلاك أنفسهم وأهل السنة يسعون في نجاتهم، فالواحد منهم يريد أن يتبعه أمة من الناس، وأهل السنة يحذرون الناس، فإذا حذروا الناس سلموا، وقلّت ذنوبهم؛ لأنه كلما كثر أتباعهم على الباطل، كلما كثرت أوزارهم.

قال: (وَيُبَيِّنُ لَهُمْ قِصَّتَهُ؛ لِئَلَّا يَقَعَ أَحَدٌ فِي بِدْعَتِهِ فَيُهْلِكَ): فإن كان لا بد أن يهلك واحد، فذاك المبتدع هو الذي ينفرد بالهلاك دون غيره.

فأما أن يهلك أمة، فهذه هي المصيبة. فأقل ما يكون أن الإنسان ينجي الناس من بدعة أهل البدع والأهواء، فإن هلك، هلك المبتدع بمفرده، لا يهلك معه أمة من الناس.



وجوب الاستسلام والانقياد

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدَّقًا مُسْلِمًا.

الشرح:

فلا بد من ذلك، فالإسلام هو الاتباع. ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

فالإسلام هو: الاتباع، لما جاء عن الله عزَّ وجلَّ، ولما جاء عن رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فمن لم يكن متبعًا للوحيين، وإنما كان متبعًا لهواه، فهذا ليس بمسلم. فليس بمسلم إذا ترك اتباع الوحيين بالكلية، فلا يكون مسلمًا حتى يكون متبعًا للوحيين، متبعًا لكتاب الله ولسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما إذا ترك الكتاب والسنة وأراد أن يمشي على هواه، فهذا ليس بمسلم، فالإسلام هو الاتباع، فلا يكون مسلمًا حتى يكون متبعًا مصدقًا لله ولرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فمن لم يكن مصدقًا لله أو لرسوله فهو من الكافرين.

(مسلمًا) أي: مستسلمًا منقادًا، وهذا هو حقيقة الإسلام، فإن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، هذا أصل الإسلام، الاستسلام لله بالتوحيد هذا هو أصل الإسلام، وشرائع الإسلام تابعة لذلك.





تبليغ السلف لجميع الدين



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكْفُونَاهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ
الله ﷺ، فَقَدْ كَذَّبَهُمْ، وَكَفَى بِهِ فُرْقَةً وَطَعْنَا عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُحْدِثٌ
فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ فِيهِ.

الشرح:

والأمر كذلك، فإن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين بلغوا جميع الإسلام، وهم الذين
بلغوا القرآن، وإنما عرفنا القرآن من جهة الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، وهم
الذين بلغوا سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.
فكل الإسلام قد بلغه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، وما كنتموا شيئاً من أمر
الإسلام، فمن زعم أن الصحابة كنتموا شيئاً من أمر الإسلام، فهذا مفتر على الصحابة
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، وهذا هو باب البدع، فباب البدع أن يقول الشخص: إن الصحابة
ما بلغوا جميع الإسلام، بقى شيء من أمر الإسلام ما بلغه الصحابة، فيستحسن العبد
شيئاً من عند نفسه، ويقول: هذا من الدين الذي ما بلغه الصحابة، وهذه العبادة من
الخير، وهي عبادة حسنة، وما بلغها الصحابة؛ لأن الصحابة ما بلغوا جميع الدين،
فالذي يقول مثل هذا القول فهو المفتر، وهو الكذاب وهو المبتدع وهو الضال
المضل، وهو المُحْدِث في الإسلام ما ليس منه، فهذا هو باب الإحداث.

فباب الإحداث في الإسلام: اتهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين أنهم ما بلغوا جميع الدين، وإنما بلغوا شيئاً وتركوا شيئاً، فهذا هو الافتراء العظيم، فالصحابة بلغوا كل ما يُحتاج إليه، فبلغوا القرآن، وما تركوا آية من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ما بلغوها، بل ولا حرفاً، وهكذا بلغوا أحاديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ودواوين الإسلام شاهدة بذلك، من كتب الصحاح وكتب المسانيد والسنن والجوامع والمعاجم والأجزاء، وكتب الفوائد إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة؛ فهي تدل على أنهم بلغوا بلاغاً عظيماً، وما كتموا شيئاً من أمر الدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، لكن الذي يريد الحدث في الدين؛ يسلك هذا المسلك، والعياذ بالله.

قال: (وكفى بهذا فرقة وطعناً عليهم، وهو مبتدع ضال) أي: في نفسه، (مضل) أي: لغيره، (محدث في الإسلام ما ليس منه).





القول في القياس

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا يُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ، وَلَا تُتَّبَعُ فِيهَا الْأَهْوَاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ التَّصَدِيقُ بِأَثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِلَا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ؟، وَلَا كَيْفَ؟.

الشَّرْحُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ): أي: أن السنة لا يحتاج في إثباتها إلى القياس، فالسنة أصل بذاتها، فلا نحتاج في إثبات السنة إلى القياس، فهي أصل بذاتها. القياس هو الذي يحتاج إلى السنة؛ فإن القياس لا بد فيه من أصل، فما هو الأصل؟ هو الدليل من كتاب الله أو من سنة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فالأقيسة هي التي تحتاج إلى السنة، أما السنة فهي أصل بنفسها، فلا تحتاج إلى القياس.

هذا مراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ومراد أئمة السلف في مثل هذا الكلام، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "درء تعارض العقل والنقل"، أن هذا هو المراد: وهو أن السنة هي أصل بذاتها، لا تحتاج إلى قياس في إثباتها. يعني: ما يأتي الشخص إلى سنة من السنن ويشك في هذه السنة، وينظر: هل هي موافقة للقياس أو لا؟ فإن وجد لها نظيراً أثبتها، وإن لم يجد لها نظيراً نفاه.

هذا كلام فاسد غير صحيح.

السنة أصل بذاتها، تُثبت عن طريق الوحي، والقياس هو الذي يحتاج إلى السنة، أما السنة فما تحتاج في إثباتها إلى القياس.

قال: **(وَاعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ فَلَا تُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ):** والمعنى: أن السنة لا تُدفع بالعقول، والواجب الاستسلام للسنة. فلا تُدفع السنة بالعقول بأن يقال: الحديث الفلاني مخالف للعقل.

قال: **(فَلَا تُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ):** أي: لا تُدفع السنة بالعقول، بل الواجب هو الاستسلام للسنة. ودفع السنة بالعقول من ضلال علماء الكلام، وكذلك من ضلال كثير من الضالين الذين يجعلون عقولهم ميزاناً للسنة، فيقول: هذا الحديث ما دخل عقلي؛ وذلك لأن عقله خارب، فلهذا ما دخلت السنة إلى عقله.

وهذا حال كثير من الناس الذين رق دينهم، فربما حصل لهم المرض من جهة أعداء الله **عَزَّوَجَلَّ** وشبهات الكفار. يفتحون أسماعهم لشبهات الكفار عبر هذه الشبكات ووسائل التواصل، فتمتلئ القلوب بالشبهات والشكوك والتشكيك في أحاديث رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ويبقى الإنسان يجعل عقله هو الحكم على السنة: هذا الشيء ما هو معقول، وهذا لا يدخل في العقل. وتُرد أحاديث السنة بالعقول الفاسدة، وهذا لا يجوز.

والواجب هو: الاستسلام والتصديق لكل ما جاء عن الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكل ما جاء عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وأن نتهم عقولنا ولا نتهم وحي ربنا. نتهم عقولنا بأنها لضعفها وقلة علمها ما فهمت أو استشكلت السنة، وذلك باعتبار قلة العلم والجهل وغلبة الشبهات في القلوب.

وإلا فما جاء عن الله **عَزَّوَجَلَّ** فهو حق، وما جاء عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فهو حق. وذلك كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "النص الصحيح لا يُعارض العقل الصريح".



لكن قد يحصل تعارض مع العقل الفاسد.

أما العقل الصريح الذي ما دخله الفساد، فإنه لا تعارض بينه وبين النص الصحيح.

ومن أجل ذلك ألف **رَحْمَةُ اللَّهِ** كتابه المشهور "درء تعارض العقل والنقل"، وهو من أحسن الكتب المؤلفة في هذا الموضوع. لكن قد يحصل التعارض كما قلنا بسبب الجهل وانحراف العقول بالشبهات.

قال: **(وَلَا تُتَّبَعُ فِيهَا الْأَهْوَاءُ)**: يعني: الواجب الانقياد، لا يتبع الإنسان هواه ويترك شرع ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال: **(بَلْ هُوَ التَّصْدِيقُ بِأَثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلَا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ)**: أي: بلا تحريف. **(بِلَا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ)** أي: أننا لا نشرح السنة بأهوائنا، أي: لا نُحرف دلالات النصوص بأهوائنا. نترك السنة على ظاهرها، ولا نصرف النص عن ظاهره بغير دليل شرعي. فالمراد بالشرح: الشرح المخالف لظاهر الأدلة، فهذا هو الشرح المذموم. وكذلك إذا قال العلماء: من غير تأويل، يريدون بهذا التأويل المخالف لظاهر النصوص الذي هو حقيقته التحريف.

وكذلك إذا قال العلماء: بلا شرح، ليس المعنى أن نصوص السنة ما تُشرح، فكم قد شرح العلماء من نصوص السنة، وألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة. إذن المقصود هو: الشرح الذي عليه أهل الباطل، الشرح الذي عليه أهل البدع، وهو صرف معاني الأحاديث عن ظاهرها إلى خلاف الظاهر بغير حجة شرعية. هذا هو مراد العلماء بنفي الشرح.

قال: **(وَلَا يُقَالُ: لِمَ وَلَا كَيْفَ؟)**: أي: لا تُعترض النصوص بالعقل، والواجب هو الاستسلام والانقياد لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.



بدعة علم الكلام والخصومة والجدال

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْكَلَامُ وَالْخُصُومَةُ وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ مُحَدَّثٌ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَإِنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الْحَقَّ وَالسُّنَّةَ.

الشرح:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْكَلَامُ وَالْخُصُومَةُ وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ مُحَدَّثٌ): وكل هذا مما ذمه السلف، وقد ذمه قبل ذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما جاء عند الترمذي وعند غيره من حديث أبي أمامة، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجِدَالَ».

ومجادلة أهل البدع والأهواء مما ذمه أئمة السلف؛ لأن ذلك يقدح الشك، كما قال المؤلف: يقدح الشك في القلب. فمجادلة أهل البدع والأهواء تَقْدَحُ الشك في القلب، وهي من أسباب وقوع الناس في البدع والأهواء، على ما سبق إيضاحه في بعض الدروس الماضية. وذلك أن المبتدع في مجلس الجدال والمراء يريد أن يخرج أقوى ما عنده من الشبهات، ويستعد لذلك ويتجهز لهذا الأمر. فإذا جاء من يجادله، فإذا به يخرج أقوى ما عنده من الشبهات.

والشبهات تعلق في القلب، وتؤثر على القلوب، فيما أن يقع الإنسان في البدعة بسبب تلك الشبهات، وإما أن تورثه الشك. فأقل ما في الأمر أن تلك الشبهات تورثه الشك. ولهذا حذر أئمة السلف من مجادلة أهل البدعة والأهواء من أجل هذه المفسدة. وإنما حصل الجدال من أئمة السلف عندما تدعو الضرورة، كما عرفنا،



كالمجادلة بين يدي السلطان، كما حصل في فتنة خلق القرآن حين فُتن السلطان، فاضطر أئمة الإسلام إلى مجادلة أهل البدع والأهواء بين يدي السلطان، من أجل أن يزيلوا هذه البدعة من قلب السلطان، فإن بقاءها في قلب السلطان مفسدة عظيمة على الإسلام والمسلمين.

فلا يتجه أئمة السنة للجدال إلا إذا دعت الضرورة. وإذا دعت الضرورة واستعانوا بالله **عَزَّوَجَلَّ**، فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُزهِق الباطل ويُحِق الحق، ويحمي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ويحفظ قلوب أهل السنة في ردهم للشبهات؛ لأنهم ما اتجهوا إليها إلا ضرورة، وما نظروا فيها إلا لضرورة، فيعينهم الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لأنهم في مقام الجهاد في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ**. فأما أن يأتي الإنسان ابتداءً ويفتح سمعه لأهل الشبهات، ويجادل أهل البدع والأهواء، فإنه يدخل على نفسه المرض، وقد يُوكَل إلى نفسه فيهلك. وكم هلك من أناس بسبب مجادلة أهل البدع والأهواء، لأنهم ما أخذوا بنصيحة السلف في الابتعاد عنهم. والشبهات خَطَافَةٌ، والقلوب ضعيفة.

وأما إذا اضطر الإنسان إلى ذلك اضطرارًا، فهو مجاهد في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويعينه الله على ذلك بفضله. كأن تكون الشبهات قد انتشرت في الناس، فيسعى في ردها، فهذا مجاهد في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويعينه الله **عَزَّوَجَلَّ** إن توكل عليه، ويسر له ردها. وكذلك لو نظرت في المسائل التي اضطر فيها السلف إلى مجادلة أهل البدع والأهواء، وجدت أن الظهور كان لأئمة السلف، وقُمعت حجج أهل البدع بسبب ذلك.

وفيما سوى ذلك، فالمعروف عن أئمة السلف أنهم يتعدون عن الشبهات، ولا يسمحون لمبتدع أن يلقي شبهة في أسماعهم، ولا يقبلون منه حديثًا، ولا يقبلون منه

أن يتلو عليهم ولو شيئاً من القرآن؛ خشية أن يُدخلوا شيئاً من بدعهم في تأويل القرآن، فيحتجون ببعض الآيات على بدعهم، ويريدون أن يتأولوا القرآن على بدعهم.

فمن أجل هذا كان بعض السلف يتعد حتى عن هذا، يريد السلامة لقلبه، لا لضعف علومهم. فقد كانوا علماء كباراً وحفاظاً، وعندهم من العلم الشيء الكثير.

لكن هل قلوبهم بأيديهم؟ وهل الهداية بأيديهم؟ وهل الثبات بأيديهم؟

ما هو بأيديهم، الأمر بيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، والله هو الذي يقلب القلوب. وكان النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يدعو الله **عَزَّوَجَلَّ** بذلك: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، وهو رسول كريم، فقلب الإنسان ما هو في يده. والعبد ربما يصبح وهو مؤمن ويمسي وهو كافر، فالأمر بيد الله **عَزَّوَجَلَّ**. وكم من عالم انتكس، وكم من عامي ثبت، فالأمر بيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، والهداية بيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، والثبات بيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، لا بعلم ولا بخبرة ولا ذكاء.

وإنما العلم سبب، لكن الإنسان لا يتكل على علمه ولا على ذكائه، وإنما يعتمد على ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويتضرع إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إذا حلت الفتن، ولا يغتر بنفسه ولا بمعرفته ولا بذكائه.

وكما قلنا: كم من عالم ضل، وكم من عامي ثبت في الفتن. فالأمر لله **عَزَّوَجَلَّ**، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن.

فعلى كل: الجدل والخصومة كما قال المؤلف: **(يَقْدَحُ الشَّكُّ فِي الْقَلْبِ)**.

قوله: **(وَإِنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الْحَقَّ وَالسُّنَّةَ)**: حتى ولو أصاب الحق والسنة، لكنه ما سلك المسلك الصحيح، فإن هذا مما حذر منه السلف. وكذلك الجدل والخصومة بعلم الكلام الذي أحدثه علماء الكلام، هو داخل في هذا النقد.

فإن أهل الكلام هم أهل الخصومة، يقال في حقهم: أهل الخصومة وأهل الجدل.



وهم وإن أثبتوا الحق بما أوتوه من علم الكلام الفاسد، فهم مخطئون وهم مأزورون؛ لأنهم ما سلكوا المسلك الصحيح في إثبات الحق.

والحق بماذا يثبت؟

يُثبت بكتاب الله وبسنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ولا يُثبت الحق بعلم الكلام. والذي يريد أن يتوصل إلى الحق بعلم الكلام، فهو وإن توصل إليه فهو مخطئ، وإن أصاب الحق فهو مخطئ، باعتبار الخطأ في الطريقة التي سلكها في إثبات الحق. فلا يكون المرء صاحب سنة حتى يثبت السنة من كتاب الله ومن سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، لا من علم الكلام وعلم المنطق والفلسفة، وعلم الجدل والخصومة والمرء. فكل هذا يدخل في كلام المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**. فهذا الذي يجب: وهو أن يتعد الإنسان عن مجادلة أهل البدع والأهواء، من أجل أن يسلم ولا يزل فيقع في البدع والأهواء.

قال: **(الخصومات)**: أي: جادلوا أهل البدع والأهواء فدخلوا في البدع والأهواء، تخطفتهم الشبهات. وهذا هو الواقع في حال كثير من الناس: يبقى يجادل هذا ويجادل هذا، وينظر فلاناً وفلاناً، ويظن أن به القوة على مجادلة أهل البدع والأهواء، فتأتيه شبهة من هنا وشبهة من هنا وشبهة من هنا، فيتشكك في دينه، ثم بعد ذلك ينحرف والعياذ بالله عن الحق، ويصير من أهل البدع والأهواء.



الإيمان بصفات الله سبحانه وأفعاله بدون تكييف ولا تمثيل

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَعْلَمُ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ تَعَالَى مُحَدَّثٌ، وَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ،
وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ عَزَّجَلَّ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللهِ
ﷺ لِأَصْحَابِهِ.

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ مُحَدَّثٌ): ومراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بالكلام
المحدث المتعلق برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو: الكلام الذي جاء به علماء الكلام.
وإذا ذم علماء السنة الكلام، فإنما يريدون الكلام الذي أحدثه علماء الكلام، وسارت
عليه الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية والكرامية وغير هؤلاء.
فهذا هو الكلام المحدث. وليس المراد بذلك الكلام المأخوذ من كتاب الله
عَزَّجَلَّ ومن سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فهذا هو مراد أئمة السلف في ذم الكلام وذم علم الكلام.

كقولهم: من تعلم علم الكلام تزندق.

وقولهم: حكمي في أهل الكلام أو في أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد
والنعال، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة
وانتقل إلى علم الكلام، كما ذكر ذلك عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، وغير ذلك من
الكلام الكثير الذي يذكره العلماء في الكلام وفي ذمه، فإنما يريدون بذلك الكلام



المحدث، كلام الفلاسفة، وكلام أصحاب المنطق، الكلام الذي أحدثته الجهمية وسارت عليه المعتزلة والكلابية والكرامية والأشاعرة والماتريدية وغير هؤلاء. فهذا هو المراد.

قال: (وَاعْلَم - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ مُحَدَّثٌ): وذلك أنهم دخلوا وخاضوا في باب الأسماء والصفات بعقولهم الفاسدة، وحكموا عقولهم على كتاب الله **عَزَّجَلَّ**، وقعدوا القواعد المحدثه، وجاءوا بالقياسات المحدثه، وخاضوا في رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خوضًا ما خاضه السلف. فخاضوا في ذات الله **عَزَّجَلَّ** بعقولهم الفاسدة، فنفوا ما نفوا من أسماء الله وصفاته بعقولهم الفاسدة، وأثبتوا ما أثبتوه بعقولهم الفاسدة، واضطربوا اضطرابًا كثيرًا. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فلما حكموا عقولهم، وما حكموا شرع ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، اختلفوا وضلوا. فالجهمية نفوا الأسماء والصفات إلا الشيء اليسير. فالجهمية يثبتون أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قادر فيثبتون القدرة لله **عَزَّجَلَّ**، وذلك لأنهم أئمة الجبرية، فالجهمية هم أئمة الجبرية، والجبرية ينفون القدرة عن العبد ويثبتونها لله **عَزَّجَلَّ**؛ وهذا الإثبات عندهم لا يقتضي التمثيل لأنه لا قدرة للعبد أصلاً.

وأما العلم فنفوه عن الله **عَزَّجَلَّ**؛ لأنه يماثل صفة العلم في المخلوق. وكذلك السمع نفوه؛ لأنه يماثل - على حد زعمهم - صفة السمع في المخلوق، وكذلك في سائر الصفات، وكذلك سائر الأسماء.

لكن لما جاءوا إلى القدرة، فإنهم لما نفوها في حق المخلوق، أثبتوها في حق الله **عَزَّجَلَّ**، لأن إثباتها لا يقتضي التمثيل على حد زعمهم.

فعلى كل: هذا مذهب الجهمية، خاضوا في الله **عَزَّجَلَّ** بعقولهم الفاسدة. وكذلك جاءت المعتزلة فأثبتوا الأسماء ونفوا الصفات بعقولهم الفاسدة، وتناقضوا تناقضًا بينًا، فإن من أثبت شيئًا ونفى شيئًا، لزمه فيما أثبتته ما نفاه، وفيما نفاه ما أثبتته، وإلا حصل التناقض البين، كما هو مبين في كتب العلماء. وجاءت بعد ذلك الأشاعرة فأثبتوا الصفات العقلية على حد زعمهم، وهي المجموعة في قول القائل:

لَهُ الْحَيَاةُ وَالْكَلَامُ وَالْبَصَرُ سَمِعُ إِرَادَةَ عِلْمٍ وَاقْتَدَرَ
فأثبتوا هذه الصفات، وقالوا: العقل أثبت هذه الصفات. ونفوا سائر الصفات، وقالوا: العقل ما أثبت تلك الصفات. وتناقضوا تناقضًا بينًا، كما هو مبسوط في كتب العقيدة؛ فإن من أثبت شيئًا ونفى شيئًا لا بد أن يقع في التناقض.

وما أثبتوه من الصفات لم يوافقوا أهل السنة في كثير منه. فما أثبتوه من الصفات العقلية على حد زعمهم، ما وافقوا أهل السنة في أكثر ذلك: **(لَهُ الْحَيَاةُ وَالْكَلَامُ وَالْبَصَرُ)**. أثبتوا الكلام لله **عَزَّجَلَّ**.

وهل أثبتوا الكلام كما أثبتته أهل السنة؟ أم أثبتوا الكلام النفسي؟ الجواب: أثبتوا الكلام النفسي، وأثبتوا كلامًا واحدًا لا يتجزأ ولا يتبعض، وليس متعلقًا بمشيئة الله ولا قدرته.

وما أثبتوا كلامًا بحرف وصوت، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة في إثبات صفة الكلام.

وكذلك في السمع والبصر، ما أثبتوا السمع والبصر كما أثبتته أهل السنة والجماعة. بل قالوا: إن الله **عَزَّجَلَّ** أبصر كل شيء في الأزل، وسمع كل شيء في الأزل.



فقولهم: أبصر كل شيء في الأزل، يعني: أبصر الشيء قبل وجوده، فأثبتوا بصرًا أزليًا لجميع المبصرات، وسمعاً أزليًا لجميع المسموعات. فكل الأصوات قد سمعها الله في الأزل، وكل المشاهدات والمرئيات قد أبصرها الله **عَزَّجَلَّ** في الأزل. وهذا في الحقيقة نفي لصفة السمع والبصر، وحملهما على معنى صفة العلم. فإن الله **عَزَّجَلَّ** يعلم ما سيكون، وقد علم كل شيء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الأزل. لكن هل يقال: شاهد كل شيء في الأزل؟ أم الشيء يشاهد بعد وجوده؟ الجواب: يُشاهد بعد وجوده.

والله **عَزَّجَلَّ** موصوف بالسمع والبصر أزلاً وأبداً. لكن هل يُقال: إنه شاهد الأشياء قبل وجودها أم علم بها؟

الجواب: يُقال: علم بها، لكن المشاهدة تكون بعد الوجود. فالأشياء تشاهد بعد وجودها، والأصوات تُسمع بعد وجودها. فهم وإن أثبتوا السمع والبصر، لكن أثبتوه على خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة.

وكذلك لما أثبتوا الإرادة أيضاً أثبتوها على خلاف مذهب أهل السنة والجماعة. فأهل السنة يرون أن الله **عَزَّجَلَّ** إذا أراد شيئاً أوجده، وكل شيء له إرادة فيه.

والأشاعرة يقولون: أراد كل شيء في الأزل. وهي الإرادة التي تقتضي حدوث المراد، وليس المراد بالإرادة العزيمة على إحداث الشيء في وقته فتلك متقدمة ولا إشكال فيها.

قال العلماء في الرد عليهم: لو كانت هذه الإرادة أزلية لكانت المخلوقات كلها أزلية. فإن الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ولا تتخلف الإرادة عن المراد إلا في حق العاجز. فالعاجز هو الذي تتخلف إرادته عن مراده. يعني: إنسان قد يريد الزواج، وربما ما يتيسر له الزواج إلا بعد سنة أو بعد سنتين. لماذا تأخر المراد عن الإرادة؟

الجواب: بسبب العجز. لكن الله **عَزَّوَجَلَّ** على كل شيء قدير، إذا أراد شيئاً كان. فلو قلنا: إن الله **عَزَّوَجَلَّ** أراد حدوث الأشياء في الأزل إرادة أزلية، لزم من ذلك وجود جميع الأشياء في الأزل، وهذا كلام باطل.

فلما خاضوا في الإرادة خاضوا فيها على خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة. وكذلك في غير ذلك من الصفات. حتى في صفة الاستواء، فمن أثبتها من الأشاعرة فما أثبتها كما أثبتها أهل السنة والجماعة. فالاستواء عند أهل السنة والجماعة فعل لله **عَزَّوَجَلَّ**، فهو الذي استوى أي: على وارتفع، والاستواء من أفعاله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وهم لا يشبِّهون الأفعال لله **عَزَّوَجَلَّ**، وإنما يقولون: فعل حصل في العرش، كتقريب العرش إليه. فالفعل حصل للعرش: قرب من الله **عَزَّوَجَلَّ** لا أن الله تعالى على عليه.

فالأشاعرة لما كانوا نفاة لأفعال الله **عَزَّوَجَلَّ**. فإنهم أثبتوا ما أثبتوه من الصفات مخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة.

وما الذي أفسدهم في هذا الإثبات الذي أثبتوه؟

هو علم الكلام.

فعلم الكلام المحدث هو الذي أوقع من أوقع من أهل البدع في النفي، في نفي الأسماء أو في نفي الأسماء والصفات. وكذلك أوقع الأشاعرة فيما وقعوا فيه من نفي أكثر الصفات، وأيضاً هو الذي أوقعهم فيما أوقعهم من الباطل في معنى هذه الصفات التي أثبتوها، فخاضوا الخوض الباطل في الله **عَزَّوَجَلَّ** في أسمائه وصفاته وأفعاله.



والسبب في ذلك هو علم الكلام المحدث، ومن أجل هذا حذر أئمة السلف عن هذا العلم غاية التحذير؛ لأنه من أفسد العلوم وأضرها.

يقول الإمام البرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ مُحَدَّثٌ، وَهُوَ بَدْعٌ وَضَلَالَةٌ):** وقد عرفنا المراد بذلك، وأنه الكلام الذي خاض فيه علماء الكلام. فهذا هو المحدث، وهو البدعة والضلالة. وأما الكلام المبني على أدلة الشرع، على أدلة الكتاب والسنة، فهذا لا يدخل في البدع والضلال، بل هذا من الحق الذي يُتكلم به ويعتقد.

قال: **(وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ):** فلا يتجاوز الإنسان القرآن والسنة فيما يتعلق بالله **عَزَّوَجَلَّ**. ولا يدخل في ذلك العقل. فإنَّ ما يتعلق بالله **عَزَّوَجَلَّ** من الأمور الغيبية، سواء ما يتعلق بأسماء الله أو ما يتعلق بصفاته، فهذه لا مجال للعقل فيها، وإنما مرد ذلك إلى الخبر عن الله **عَزَّوَجَلَّ**، إما في كتابه وإما في سنة رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

وأما العقل فما له مدخل. ولو أن شخصاً أراد أن يتوصل إلى أسماء الناس بعقله، أيسطيع أم لا يستطيع؟

الجواب: لا يستطيع ذلك، فلو نظر إلى شخص وتأمل فيه وقال: اسمك محمد، والآخر يقول له: اسمك علي، هل يمكن هذا بعقله؟ الجواب: ما يمكن بعقله أن يتوصل إلى معرفة الأسماء. وكذلك ما يتعلق بأسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** وصفاته، فالأصل هو تحكيم الكتاب والسنة. وإن كان هناك من الصفات ما يُدرك عن طريق العقل، لكن ليست كل الصفات كذلك.

فهناك صفات يمكن أن تدرك عن طريق العقل: كأن يتأمل الإنسان في خلق الله **عَزَّوَجَلَّ** فيتوصل إلى بعض صفات الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، كأن يتوصل إلى أن الله **عَزَّوَجَلَّ** هو

الرزاق، بأن ينظر إلى رزق الله **عَزَّوَجَلَّ** للعباد، ويتوصل بعقله أن الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الرحيم، بأن ينظر إلى رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** بعباده ولطفه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالعباد، وآثار رحمة الله في الأرض كثيرة، قال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠]. فيمكن أن يتوصل بعقله إلى إثبات بعض الصفات. لكن جميع الصفات ما يمكن أن يدركها بالعقل، وجميع الأسماء أيضًا ما يمكن أن يدركها عن طريق العقل.

فالأصل هو الشرع: الكتاب والسنة، هذا هو الأصل. وليس المعنى أن العقل لا يمكن أن يتوصل إلى شيء من صفات الله **عَزَّوَجَلَّ** أو من أسمائه، لكن الأصل هو الشرع. العقل قد يدرك شيئاً وقد يخفى عليه أشياء. وإلا فالعقل يتوصل الإنسان به إلى أن الله هو الخالق، وأن الله هو الرزاق، وأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** رحيم بعباده، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** قوي، وأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليم.

فهذه يعرفها الإنسان إذا نظر في السماوات والأرض، وإلى خلق الله **عَزَّوَجَلَّ**، فيعلم أن هذا لا يكون إلا من عليم قدير، ولا يمكن أن يوجد الخلق بغير علم ولا قدرة، قال تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

لما ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** خلق السماوات والأرض، قال: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فلا يوجد الخلق إلا بعلم وقدرة. فالذي ما عنده علم كيف يخلق؟ والذي عنده علم وما عنده قدرة ما يمكن أن يحصل منه الخلق. لكن أن يدخل عقله في كل شيء، فهذا ما هو صحيح.

فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، فالأصل هو اتباع الكتاب والسنة. هذا هو الواجب.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَاحِدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿﴾.

الشرح:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. فهو المتفرد بالربوبية، وهو المتفرد بالألوهية، وهو المتفرد بالأسماء والصفات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿﴾. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. رد على المعطلة، كما يقول ذلك أهل العلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَبُّنَا أَوَّلُ بِلَا مَتَى، وَآخِرُ بِلَا مُنْتَهَى

الشرح:

(أَوَّلُ بِلَا مَتَى) أي: ليس له ابتداء. (وَأَخِرُ بِلَا مُنْتَهَى). أي: ليس له فناء، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس له ابتداء، وليس يلحقه فناء، هو الأول والآخر، وكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ». فالله عَزَّوَجَلَّ الأول بلا متى، أي: ليس له ابتداء، (وَأَخِرُ بِلَا مُنْتَهَى): أي لا يلحقه الفناء، فالخلق يفنون وهو لا يفنى، من في الأرض يفنى، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾.

وهناك مخلوقات لا تفنى، جعلها الله عَزَّوَجَلَّ باقية بقدرته، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما هو معلوم.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى.

الشرح:

يقول تعالى: ﴿وَأِنْ تَجَهَّرَ بِأَقْوَلٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

السر معلوم، لكن ما هو الذي هو أخفى من السر؟
هو: ما سوف يُسر به الإنسان في المستقبل.

فالسر الذي في النفس هذا معلوم لله، لكن هناك أخفى من هذا السر، وهو ما سوف يسر به الإنسان في المستقبل، فيعلم الله عَزَّجَلَّ السر أي: ما يسر به الإنسان في نفسه الآن، ويعلم ما هو أخفى من هذا الذي يسر به الإنسان الآن، وهو ما سوف يسر به في المستقبل.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ.

الشرح:

(وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى): قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ في آيات كثيرة.

قال: (وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ): فهو بكل شيء عليم.



قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَقُولُ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى كَيْفَ وَلَمْ إِلَّا شَاكَ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

الشَّرْح:

وذلك أنَّ المؤمن الموقن بخبر الله وخبر رسوله إذا جاءت له الآية أو الحديث اعتقد ما فيهما واطمأنت نفسه لذلك ووجد في قلبه برد اليقين، لكن أهل الكلام المحدث الذين حكموا عقولهم على شرع ربهم تجدهم يتشككون من أدلة الصفات فيكثرون عليها من الاعتراضات لدفعها لما في قلوبهم من الريب.



القرآن كلام الله غير مخلوق

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَتَنْزِيلُهُ وَنُورُهُ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهَكَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْفُقَهَاءُ قَبْلَهُمَا وَبَعْدَهُمَا، وَالْمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ.

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ وَنُورُهُ). فالقرآن كلام الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. فهو كلام الله وتنزيله. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]. ونوره: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. (وَلَيْسَ مَخْلُوقًا)؛ لأنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وكلام الله عَزَّوَجَلَّ من الله، صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وصفات الله ليست مخلوقة.

قال: (وَلَيْسَ مَخْلُوقًا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ): قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]. فقال: (مِنِّي). والقول هو الكلام، فكلام الله عَزَّوَجَلَّ منه.



(وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ): فما في شيء من الله مخلوق، تعالى الله عن ذلك. فالله هو الخالق، وليس شيء من الله **عَزَّجَلَّ** مخلوقاً، فلا يدخل في الخلق ذات الله **عَزَّجَلَّ**، ولا شيء من صفاته وأسمائه.

قال: (لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهَكَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ): رحمهم الله، بل هذا بإجماع السلف. وقد أجمع السلف على كفر من قال بخلق القرآن.

يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

"وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبِلْدَانِ وَاللَّالِكَائِي الْإِمَامَ حَكَاهُ عَنْهُمْ بَلْ قَدْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِيُّ أَي: خمسمائة عالم كفروا الجهمية بسبب قولهم بخلق القرآن. فالقول بخلق القرآن كفر بالله **عَزَّجَلَّ**.

قال: (وَالْمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ): أي: والجدال فيه كفر. جاء عند أبي داود وعند غيره من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ». والمرء بمعنى: الجدال.

وحمل شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** الحديث على الجدال للتشكيك أو للتكذيب. فالجدال من أجل التشكيك أو من أجل التكذيب كفر، فإذا جادل في القرآن جدالاً يريد به أن يشكك في بعض آيات القرآن، فهذا كفر.

وإذا جادل في القرآن وأراد بهذا الجدال أن يكذب شيئاً من كلام الله **عَزَّجَلَّ**، فهذا كفر. لكن إذا كان الجدال ليس من قبيل التشكيك ولا من قبيل التكذيب، قد يكون جدالاً في تفسير آية، فيتجادل مع غيره في تفسير آية، وكل شخص يريد الغلبة، فماذا يكون هذا؟ كفر أم معصية من المعاصي؟

الجواب: معصية من المعاصي، ولا يكون من قبيل الكفر.

وإذا كان المراد بالجدال إقامة الحجة على المخالف، كإقامة الحجة على المشركين وعلى العاصين، فهذا من الدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**. قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فإذا كان من باب إقامة الحجة على الخلق، فإن هذا من الدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**. وتقدم أن القرآن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. فالقرآن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** وليس بمخلوق. هذه عقيدة السلف.

والقول بأن القرآن مخلوق كفر بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد أخذنا هذه المسألة، ومرت معنا في شرح أصول السنة للإمام أحمد، وتكلمنا بما فيه الكفاية حول هذه المسألة، وحول فروعها من بدعة اللفظية ومن بدعة الواقعة وغير ذلك من المسائل المتعددة المتعلقة بهذه المسألة. وقد أخذنا الأدلة الظاهرة الدالة على أن القرآن غير مخلوق فمن ذلك:

قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فله **عَزَّوَجَلَّ** الخلق وله الأمر، وأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من كلامه، والأمر غير الخلق؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** فرق بينهما، فقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، وغاير بينهما.

فالأمر غير الخلق؛ فإن الواو تقتضي المغايرة. فالأمر غير الخلق. والخلق يكون بالأمر، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وإذا جئنا إلى القرآن، ونظرنا في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، فهل نجد أن القرآن من خلق الله **عَزَّوَجَلَّ** أم من أمره؟



الجواب: من أمره. وما الدليل على ذلك؟

الجواب: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ولم يقل الله عز وجل: من خلقنا، والله سبحانه وتعالى قد ذكر أن له الخلق وله الأمر، فالقرآن هو من أمره، وليس من خلقه، فهذا دليل صريح ظاهر في أن القرآن ليس بمخلوق. والقول بخلق القرآن أو بخلق كلام الله عز وجل مقتضاه إبطال رسالة الرسل. فإن الرسول هو الذي يبلغ كلام مرسله. فالقول بخلق القرآن أو بخلق كلام الله عز وجل مؤداه إبطال رسالة الرسل.

ومؤدى هذه المقولة الاستهانة بكتاب الله عز وجل، وأن من داس القرآن ليس عليه شيء؛ لأنه داس مخلوقاً. ومن رمى القرآن في القمام في الأماكن القذرة، فليس عليه شيء؛ لأنه رمى بمخلوق من المخلوقات. وهذا يقوله بعض من يرى هذه المقولة، ويصرح بذلك، وهو أن الشخص إذا داس القرآن ليس عليه شيء، وأنه إذا رمى بالقرآن في القمام ليس عليه شيء؛ هو كمن يدوس الأرض، أو يدوس الحجر والمدر والشجر والورق والعشب، والقرآن مخلوق من المخلوقات، فدوسه شبيه بمن يدوس هذه الأشياء، فيقول هذا بعض من يعتقد هذه العقيدة. فهذه العقيدة من العقائد الكفرية، وفيها ما فيها من اللوازم الباطلة.

والذين ذهبوا إلى أن القرآن مخلوق، كما هو معلوم، هم الجهمية، فهم الذين أحدثوا هذه المقالة. والجهم تلقى هذه البدعة من شيخه الجعد بن درهم.

وأخذ هذه البدعة الكفرية عنهم المعتزلة، فالمعتزلة ذهبوا إلى هذا المذهب، وهم يصرحون بأن القرآن مخلوق من مخلوقات الله، وليس هو كلامه أو صفة من صفاته سبحانه وتعالى. والكلابية والأشاعرة لهم تفصيل في هذه المسألة، فهم يفرقون بين المعنى وبين القرآن المكتوب في المصاحف والمقروء والمحفوظ في الصدور،

فالمعنى الذي في ذات الله **عَزَّوَجَلَّ** يقولون: كلام الله غير مخلوق. فيقسمون القرآن إلى معنى وإلى غير معنى، فالمعنى يحكمون عليه بأنه كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** ليس بمخلوق. لكن المكتوب والمقروء والمحفوظ في الصدور، هذا عندهم من جملة المخلوقات. هذا في مذهب الكلاية ومذهب الأشاعرة.

ولهذا لو قال الأشعري: القرآن كلام الله غير مخلوق، فهل يفرح بقوله وأنه وافق السنة في ذلك؟ الجواب: لا يفرح به؛ لأنه ماذا يريد؟

الجواب: أنه يريد المعنى، وإلا فإنَّ مذهبه في القرآن الذي بين أيدينا الذي نقرأه كمذهب الجهمية والمعتزلة. فالمؤدى واحد، وإنما تفلسفوا بتلك الفلسفة، ففرقوا بين المعنى الذي في ذات الله **عَزَّوَجَلَّ** وبين المقروء والمكتوب في المصاحف. فهذا مذهب الكلاية والأشاعرة.

والكلاية يقولون في هذا القرآن الذي بين أيدينا: حكاية عن كلام الله.

والأشاعرة يقولون: عبارة عن كلام الله.

فالأشاعرة أبوا أن يقولوا حكاية؛ لأنهم يقولون: إن الحكاية تدل على المحاكاة، أي: المماثلة. وفلان يحاكي فلاناً في قوله، أي: يماثله في القول أو الفعل.

قالوا: والمخلوق لا يستطيع أن يماثل الله **عَزَّوَجَلَّ** بشيء من صفاته، وما في نفس الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يستطيع المخلوق أن يحاكيه، بأن يأتي بمثله.

فالأشاعرة يقولون: هذا القرآن عبارة عما في نفس الله **عَزَّوَجَلَّ**، أي: مجرد تعبير، وأبوا أن يقولوا ما قالته الكلاية من أجل هذا المعنى.

والكل فاسد، كلام الكلاية وكلام الأشاعرة كله فاسد.

فالقرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، والله **عَزَّوَجَلَّ** تكلم به بحرف وصوت، بمشيئته وقدرته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.



فهذا الذي عليه السلف في كلام الله **عَزَّجَلَّ** وفي القرآن.
فالقرآن كلام الله **عَزَّجَلَّ**، تكلم الله به بحرف وصوت، والقرآن الذي بين أيدينا
الذي نقرأه، والمكتوب في المصاحف، والمحفوظ في الصدور، هو كلام الله **عَزَّجَلَّ**.
هذا الذي عليه السلف في هذه المسألة.
على كل، هذه المسألة بابها واسع، وقد تكلمنا عليها في أصول السنة، فلا نطيل
الكلام حولها.



رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الآخرة حق

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ بِأَبْصَارِ رُءُوسِهِمْ، وَهُوَ يُحَاسِبُهُمْ
بِلَا حِجَابٍ، وَلَا تَرْجُمانٍ.

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللهُ: (والإيمان بالرؤية يوم القيامة).

والإيمان بالرؤية يوم القيامة من الإيمان الواجب، والرؤية يوم القيامة ثابتة بالأدلة المتكاثرة من كتاب الله عَزَّجَلَّ ومن سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٤﴾﴾ وهذه الآية تدل على النظر بالأبصار بقرائن فيها منها: أن النظر عدي بآلى والنظر إذا عدي بآلى فالمراد به المشاهدة بالأبصار، وإذا عدي بفي، فالمراد به التفكير والاعتبار، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي: أو لم يتفكروا، وإذا لم يعد بشيء فالمراد به: التوقف والانتظار، ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَّبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ بمعنى: انتظرونا، فهذه قرينة تدل على أن المراد بالنظر المشاهدة بالأبصار، والقرينة الأخرى في الآية، هو إضافة النظر إلى الوجوه، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ والنظر المضاف إلى الوجوه، المراد به المشاهدة بالأبصار.

وهناك آية أخرى تدل على الرؤية وهي قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ

وَزِيَادَةٌ﴾.



وفسر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الزيادة؛ بالنظر إلى وجه الله **عَزَّوَجَلَّ**، كما روى ذلك مسلم من حديث صهيب، وفي معنى هذه الآية: **﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾**.
ومن ذلك الله **عَزَّوَجَلَّ**: **﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾**.
فإذا حُجب الكفار في العذاب، فلازم ذلك أن المؤمنين يرون ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، إذا لو حُجب الكل لما خص الله **عَزَّوَجَلَّ** الكفار بالحجب، فهذه يدل على أنهم اختصوا بالحجب دون غيرهم، وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمة الله عليه، أن هذا أشد العذاب على الكافرين، وكما أن من أعظم نعيم أهل الجنة: النظر إلى وجه الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ فإن من أعظم عذاب الكافرين احتجاب رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عنهم، والعذاب كما هو معلوم، قد يكون من قبيل العذاب الحسي، وقد يكون من قبيل العذاب المعنوي، وكثير من العذاب المعنوي، أشد من العذاب الحسي، فالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في يوم أحد، قُتل سبعون من أصحابه، وفيهم عمه، حمزة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وحصل للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ما حصل من الشدة والبلاء في جسده، وفي أقربائه في ذلك اليوم، لكن لما سأله عائشة عن أشد ما وجده من قومه فما ذكر، هذا الأمر، وهو ما وجده في يوم أحد، وإنما ذكر ما حصل له يوم الطائف، فقد كان يؤمل النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيهم النصر والاستجابة، وإذا هم بخلاف ذلك فكذبوه، وسلطوا عليه الصبيان والسفهاء، فرجع النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهو في غاية الغم، فالإنسان قد يتألم بشيء معنوي، أشد من الألم الحسي، وربما الألم الحسي يبقى فترة من الزمن ويزول ويُنسى، وما في القلوب من الآلام، ربما تبقى الأوقات الطويلة، فعذاب أهل النار منه ما هو حسي ومنه ما هو معنوي، وكون الله **عَزَّوَجَلَّ** احتجب عنهم فهذا من العذاب المعنوي، وهو من أشد العذاب عليهم، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رحمة الله عليه في مفتاح دار السعادة.

وهناك دليل آخر على الرؤية من كتاب الله وهو قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَمَلَكِيهِ﴾. فهناك جماعة من أهل العلم من جاءوا إلى أدلة اللقاء، وقال أدلة اللقاء، تدل على الرؤية، فإن اللقاء يقولون: فيه حركة وانتقال ومشاهدة، والعبد يتحرك وينتقل من هذه الدار إلى الدار الآخرة ويُشاهد ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويُقال التقى فلان بفلان، إذا تحرك إليه وشاهده ببصره، فهناك جماعة من العلماء احتجوا بآيات اللقاء على الرؤية، ومنهم من خص ذلك باللقاء المقرون بالسلام في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَقُولُهُ سَلَامٌ﴾.

والعلامة ابن القيم رحمة الله عليه، في كتابه "حادي الأرواح"، نقل عن أهل اللسان - وهم أهل اللغة - الاتفاق على أنَّ اللقاء الذي لم يمنع من المشاهدة منه مانع، أن المراد به المشاهدة بالأبصار، أن اللقاء إذا لم يوجد مانع يمنع من الرؤية فالمراد به المشاهدة بالأبصار، ونقل شيخه شيخ الإسلام رحمة الله عليه عن ثعلب من أئمة اللغة أن هذا في اللقاء المقرون بالتحية، ونقل عن عامة أهل اللغة هذا المعنى أن المراد بذلك اللقاء المقرون بالتحية، في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَقُولُهُ سَلَامٌ﴾. فاللقاء إذا ما قرُن بالتحية فهو بمعنى: الرؤية باتفاق أهل اللغة، فنقل الاتفاق عن ذلك ثعلب، فيما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه، والعلامة ابن القيم رحمة الله عليه، عَمَّ الكلام ونقل اتفاق أهل اللغة على أن اللقاء، إذا لم يمنع مانع من الرؤية فالمراد به: المشاهدة بالأبصار.

على كل: هناك جماعة من العلماء احتجوا بأدلة اللقاء على إثبات الرؤية. وكذلك من أدلة إثبات الرؤية من كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ ولم يقل لا أرى هذا، ففيه أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يرى، لكنك لن تراني في الدنيا لضعفك.



ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ فينظرون إلى ما حُجب عنه أولئك، فإن الله عزَّجَلَّ ذكر عن الكفار فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

وذكر عن المؤمنين فقال: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينظرون إلى ما حُجب عنه أولئك، فهي أيضًا من أدلة إثبات الرؤية.

على كل، أدلة إثبات الرؤية من كتاب الله عزَّجَلَّ وسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كثيرة، وأدلة السنة متواترة، وقد جمع العلماء عدة مصنفات في إثبات الرؤية. والمؤلف يقول: **(الإيمان بالرؤية يوم القيامة).**

خص الرؤية بيوم القيامة وذلك أن الرؤية في الدنيا متتفية.

قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»؛ كما في حديث الدجال، في صحيح الإمام مسلم، فبين النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الرؤية في الدنيا منفية، وأن العبد لا يرى ربه حتى يموت، وسبق أن تكلمنا على رؤية النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لربه، وعرفنا أن الرؤية البصرية لم تثبت، وأطلقنا الكلام حول هذه المسألة في شرح أصول السنة، فلا نطيل حولها في هذا الموضع، وعرفنا أن الرؤية المنامية لله عزَّجَلَّ في المنام ثابتة باتفاق أهل السنة، فرؤية الله عزَّجَلَّ في المنام؛ ثابتة باتفاق أهل السنة، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الجهمية.

قال: (والإيمان بالرؤية يوم القيامة، يرون الله بأعين رؤوسهم): هذا فيه رد على

المعتزلة، المعتزلة فإنَّهم أثبتوا نوعًا من أنواع الرؤية، وهي الرؤية القلبية، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، ما المراد بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟

الجواب: هي بمعنى: العلم، فهذه الرؤية التي أثبتها المعتزلة، ولم يشتبوا الرؤية البصرية وهي رؤية العين، ولهذا المؤلف قال: **(يرون الله بأعين رؤوسهم)** وأما

الأشاعرة فقالوا إن الله **عَزَّجَلَّ** يُرى من غير مواجهة، وهذا أمر لا يتصور، فإن من أراد أن يرى شيئاً لا بد أن يواجهه حتى يراه، فحقيقة مذهب الأشاعرة نفي الرؤية.

والمؤلف في أول الكلام يقول: **(والإيمان بالرؤية)** ، ولم يقل: والإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فلم يخص الرؤية بالمؤمنين، وإنما أنه يذهب إلى أن الرؤية تعم المؤمنين والكافرين، أي: في أرض المحشر، أو أنه أراد بالرؤية: المشهورة المعروفة وهي رؤية المؤمنين لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فأطلق وهو يريد هذا المعنى، فإن المعروف من كلام المتقدمين، أنهم يرون الرؤية للمؤمنين، فإذا تكلموا في الرؤية فإنهم يقيدونها بالمؤمنين، فهذا هو المشهور عن مضي من السلف، فالظاهر أن المؤلف أنه يريد هذا المعنى، فهو يريد بالرؤية التي يتكلم عنها من مضي من أهل العلم وهي رؤية المؤمنين لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يوم القيامة، وفي رؤية الكفار لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في أرض المحشر، نزاع كبير بين المتأخرين، وظاهر كلام السلف، هو تقييد ذلك بالمؤمنين، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه.

وابن خزيمة أثبت الرؤية أيضاً للمنافقين، كما دل على ذلك حديث أبي سعيد وأبي هريرة في الصحيحين، وهي مسألة كما عرفنا من مسائل الاجتهاد، فما يتعلق برؤية الكفار لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في أرض المحشر، هذه المسألة فيها نزاع بين أهل العلم فمنهم من أثبت ومن أهل العلم من نفى، ومن أثبت رؤية الكفار لربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** احتج بأدلة اللقاء، وأدلة اللقاء كما عرفنا تشمل الكفار والمؤمنين، فالكل يلاقي ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وقد قالوا: إنَّ اللقى يلزم منه الرؤية على ما سبق ذكره.

وهكذا في حديث أبي هريرة في صحيح الإمام مسلم لما سئل النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ،

لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ، أَلَمْ أَكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأَزْوَجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبُعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي».

قالوا: وهذا تفسير للرؤية، فإن النبي ﷺ أخبر عن الرؤية في أول الحديث، ثم ذكر ما يتعلق بالكفار، وأنهم يلقون ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فقالوا: فلقاء الكفار لربهم فيه إثبات لرؤيتهم لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لكنها ليست رؤية سرور ونعيم، وإنما رؤية عذاب وشدة، فأما رؤية المؤمنين لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فهي رؤية سرور ونعيم.

وإذا قال قائل: الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

فأخبر الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن الكفار يُحجبون عن ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؟

فالجواب: عن ذلك أن هناك من أهل العلم من يقول: إن الحجب لا يستلزم نفي تقدم الرؤية، فإنه يُقال: احتجبت الجارية، وكانت قبل ذلك تُرى، ويُقال: احتجبت الشمس وكانت قبل ذلك تُرى، فهكذا يقولون: إن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يحتجب عن الكافرين بعد أن رأوه، فتحصل لهم الرؤية في موقف الحساب، ثم بعد ذلك يكون الاحتجاب، وهذا من باب العذاب عليهم، فقالوا: الاحتجاب لا يلزم منه نفي الرؤية المتقدمة، فهم يرونه ثم يحصل الاحتجاب بعد ذلك.

على كل: هذه المسألة، حصل ما حصل فيها من النزاع بين العلماء.

وقوله: **(وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان)**: جاء في حديث عدي بن حاتم في الصحيحين، قال النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيَّكَلُمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ».

وفي رواية: «لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ».

ونفي الحجاب يدل على الرؤية فإن النبي ﷺ يقول: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

فالحجاب يُزال يوم القيامة، وهذا يدل على حصول الرؤية لهم، فيحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان، والمترجم هو الذي يعبر عن لغة بلغة أخرى، فالله عز وجل لا يحتاج إلى ذلك، فليس هناك حجاب بينه وبين العبد، بل يراه العبد في وقت الحساب، وليس هنالك ترجمان، وإذا قلنا إنَّ هذه الأحاديث تعم الكافر والمسلم، فهي أيضًا من أدلة إثبات الرؤية للكافرين في موقف الحساب، والأمر في ذلك مُحتمَل.

وتنازع العلماء في محاسبة الكفار، فهل الكفار يحاسبون أو لا يحاسبون، فمن أهل العلم من منع، ومن أهل العلم من أثبت.

والصواب في ذلك التفصيل، وهو أن يُنظر إلى معنى المحاسبة، فإن كان المقصود بالمحاسبة، هو عرض الأعمال على الكفار، فيعرض الله عز وجل أعمال الكفار عليهم، ويقرعهم بها، ويوبخهم عليها، فهذا حساب ثابت، على هذا المعنى، فتُجمع أعمالهم، وتُعرض عليهم، ويوبخون عليها، فهذا حساب ثابت، وهكذا إن أريد بالحساب، أن سيئات الكفار تُوضع في الميزان، حتى يُعرف قدرها، فإن الكافر يُعذب على قدر ذنوبه، وهم في العذاب على منازل، ما هم على حد سواء، فتُوضع أعمالهم السيئة في الميزان، حتى يعرف قدرها، فيكون العذاب على قدر الذنب.

فهذا حساب وارد.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.



فأثبت لهم الخلود في نار جهنم، وأثبت لهم خفة الموازين.
فإن كان الحساب على هذا المعنى فهو حساب صحيح وارد، وإن فُسِّر الحساب
بوضع الحسنات والسيئات في الميزان، فهذا غير وارد، فإن الكفار لا حسنات لهم
توضع في الميزان.
إذن هذا هو المعنى المنفي في محاسبة الكفار، وهو وضع الحسنات والسيئات في
الميزان، فالكفار ليس لهم حسنات.
إذن هذه المسألة التي حصل فيها النزاع، وهي محاسبة الكفار هل يحاسبون أو لا
يحاسبون، تحتاج إلى مثل هذا التفصيل، الذي حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه
الله عليه.



الإيمان بالميزان يوم القيامة والأدلة على ذلك

قال الإمام البرهاري رحمه الله:

وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُوزَنُ فِيهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، لَهُ كِفَتَانِ، وَلَهُ لِسَانٌ.

الشرح:

قال المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ):** من العقيدة الواجبة: الإيمان بالميزان؛ لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد أخبر عن ذلك في كتابه الكريم، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]**.

وكذلك يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨]** وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وقال الله **عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٣]** وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وجاءت الأدلة المتكاثرة في إثبات الميزان، كقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»**. وكقوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَسْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»**.

والأدلة في إثبات الميزان كثيرة، من كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** ومن سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وقد أنكر الميزان طائفة من أهل البدع ومنهم:

المعتزلة؛ فالمعتزلة أنكروا الميزان بعقولهم الفاسدة، وقالوا: الميزان لا يحتاج إليه إلا البقال والجزار، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.



وتأولوا الميزان على معنى العدل، وهذا تحريف للنص عن ظاهره. والعدل يحصل بالميزان، لا أن الميزان هو العدل، بل العدل يحصل بالميزان. وقد جاءت الأدلة الدالة على أن الميزان ليس هو العدل، بل يراد به إقامة العدل. فإن النبي ﷺ ذكر في الميزان بعض الصفات التي لا تكون إلا في الميزان الحقيقي، فله كِفَتَانِ، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -حديث البطاقة المشهور-: «فَتَوَضَّعُ السَّحِلَاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّحِلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ». فالميزان له كفتان، كما قال المؤلف هاهنا: (لَهُ كِفَتَانِ وَلَهُ لِسَانٌ). وما المراد باللسان؟ هل هو اللسان الناطق أم اللسان الذي يتبين به الوزن؟

الجواب: المراد به اللسان الذي يتبين به الوزن، فاللسان هو الذي يتبين به تساوي الكفتين أو رجحان إحدى الكفتين على الأخرى، فهذا هو المراد باللسان، وليس المراد بذلك اللسان الناطق.

فالمأمل في الأحاديث الواردة في الميزان يجد أنه ميزان حقيقي، وليس المراد به العدل كما تقوله المعتزلة.

قال: (وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ): وهو ميزان عظيم، لو وضعت فيه السماوات والأرض لوسعتهن. كما يقول ذلك سلمان الفارسي، جاء الحديث مرفوعاً وموقوفاً، والصحيح فيه الوقف على سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله حكم الرفع: «لَوْ وُضِعَتْ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْهُنَّ»، أي: كفة الميزان. فهو ميزان عظيم.

قال: (وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُوزَنُ فِيهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ). جاءت الأدلة على وزن الأعمال الصالحة في الميزان، وكذلك الأعمال السيئة. وكما سبق في الحديث:

«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَسْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ». و«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ».

فالأعمال الصالحة تُوزن، وكذلك الأعمال السيئة تُوزن.

وقد توزن أيضًا الصحائف، كما في حديث البطاقة: «فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبَطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ».

وقد يُوزن أيضًا العامل، كما في حديث ابن مسعود: «مِمَّ تَضَحَّكُونَ؟» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه. فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ».

وكذلك في قوله عزَّجَلَّ: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، أَقْرَأُوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾»، فقد يُوزن العامل، وقد توزن الصحائف، وقد يُوزن العمل. الأدلة جاءت بجميع ذلك. والثقل والخفة باعتبار العمل. حتى لو وُزن العامل، فإن الثقل فيه باعتبار العمل، وثقل الصحائف باعتبار العمل. فالأصل هو العمل.

وهل الميزان واحد أم متعدد؟ جاءت الأدلة بهذا وبهذا. قال الله عزَّجَلَّ: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٩]، بصيغة الجمع.

وقال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] بصيغة الجمع. وفي حديث سلمان ما يدل على أنه ميزان واحد يسع السماوات والأرض.

وكذلك في حديث أبي مالك الأشعري: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ».

وكذلك حديث أبي هريرة في الصحيحين: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ...».



والظاهر: أن الميزان واحد. وكذلك في حديث أنس عند الترمذي، قال له النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**». قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ...**». فهذا يدل على أنه ميزان واحد، ليست موازين متعددة. لكن الجمع باعتبار ماذا؟ باعتبار الموزون، أو باعتبار آلات الوزن، أو أجزاء الميزان؟

الجواب: باعتبار أجزاء الميزان: فالميزان له كفتان وله لسان، فأجزاء الميزان متعددة، أو باعتبار الموزون.

وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أن الجمع إما باعتبار الأعمال **(باعتبار الموزون)**، أو باعتبار أجزاء الميزان، فجمع باعتبار أجزائه، أو جمع باعتبار ما يوضع فيه من الأعمال المتنوعة الكثيرة.



من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير

يقول الإمام البرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.

الشرح:

فمن الإيمان الواجب: الإيمان بعذاب القبر، وأيضاً الإيمان بنعيم القبر. فالإيمان بعذاب القبر ونعيم القبر كل هذا من الإيمان الواجب؛ فإن الأدلة قد دلت على ذلك من كتاب الله **عَزَّجَلَّ** ومن سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وقد أنكر عذاب القبر بعض المعتزلة، كما هو معلوم. والأدلة متكاثرة على إثبات عذاب القبر من كتاب الله **عَزَّجَلَّ** ومن سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ومن أدلة القرآن الدالة على عذاب القبر، قول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في شأن فرعون وآل فرعون: ﴿الَّتَارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. فهم يُعرضون عليها في الغدو والعشي في قبورهم، ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. فدل ذلك على أن ذلك العرض وهم في قبورهم، فيُعذبون وهم في قبورهم.

وكذلك قول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]. ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: المرة الأولى في الدنيا، والثانية في القبر. والعذاب العظيم في نار جهنم.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، أين عذاب القبر من هذه الآية؟



الجواب: أن بعض العذاب الأدنى يكون في الدنيا، والبعض الآخر في قبورهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فالعذاب الذي حصل لهم في الدنيا هو بعض الأدنى من أجل أن يرجعوا إليه سبحانه. لكن البعض الآخر يكون في قبورهم. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. فالعذاب الأكبر في نار جهنم، وبعض العذاب الأدنى في الدنيا، وبقية العذاب الأدنى في القبور. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ باعتبار بعض العذاب الأدنى الذي يكون لهم في الدنيا.

وكذلك قول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]. ما المراد بـ "اليوم"؟ يوم ماذا؟

الجواب: يوم موتهم، والآية وردت في شأن الاحتضار، والملائكة تقول لهم: ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: يوم الاحتضار. ما الذي يكون في يوم الاحتضار؟ عذاب جهنم أم عذاب القبر؟

الجواب: عذاب القبر.

وكذلك في قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكَذِبِينَ الضَّالِّينَ ۖ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ ۖ﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٣]، والآية وردت في شأن المحتضرين. ﴿فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: عند موتهم، يكون لهم النزل من حميم، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤].

وكذلك يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كتابه الكريم: ﴿الْهَنُكُمُ الشَّكَاثُرُ ۖ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ۖ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ۖ﴾ [التكاثر: ١-٤]، وهذا الوعيد يستلزم العذاب، والآية واردة في شأن القبور.

وقد احتج بها جماعة من السلف على إثبات عذاب القبر. ﴿الْهَنُكُمُ الشَّكَاثُرُ ۖ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ۖ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ۖ﴾ أي: إذا صرتم من أهل القبور، فالوعيد عليكم،

وهذا الوعيد يستلزم العذاب. ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمَوْنَ﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَوْنَ ﴿٢﴾. فهذه جملة من أدلة القرآن في إثبات عذاب القبر، وهناك غير هذه الأدلة من كتاب الله عز وجل. وأما سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فالأدلة في ذلك متكاثرة جدًا.

قال الإمام البرهاري رحمه الله: **(وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)**: سبق أن تكلمنا على جملة من الأدلة الدالة على إثبات عذاب القبر فيما مضى، وعذاب القبر في مذهب أهل السنة والجماعة: يكون على الروح أم على البدن أم على الروح والبدن؟ الجواب: على الروح والبدن، فهذا الذي عليه أهل السنة، وهو أن عذاب القبر يكون على الروح والبدن، وبهذا جاءت الأدلة. ومنها حديث البراء عند أبي داود وعند الطيالسي في شأن الفاجر قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكُمْ، مَعَهُ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا»**. قال: **«فَيُضْرَبُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا»**. قال: **«ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»**. ويفعل به مرة أخرى.

فدل ذلك على أن عذابه كان على الروح والبدن؛ لأنه عذب في قبره والروح موجودة، ولهذا تعاد إليه الروح مرة أخرى من أجل العذاب. ويضرب تلك الضربة الشديدة التي لو ضرب بها جبل لصار ترابًا.

وما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام من الوصف في غاية المبالغة والشدة والتخويف: **«لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا»**. والجبل رميت عليه أقوى الصواريخ فما تؤثر فيه الأثر البالغ. فأشد أنواع القذائف والصواريخ ما تؤثر على الجبل إلا الشيء اليسير. وهذه ضربة من ملك، لو ضرب بها الجبل لصار ترابًا.

ويصيح منها الفاجر صيحة يسمعها ما بين المشرق والمغرب. وهذه مبالغة شديدة. فالإنسان لو صاح بأعلى صوته، ربما لا يتجاوز إلا مسافة قريبة، والعلماء



يبالغون في قضية صوت المؤذن، فيقولون: إن صوت المؤذن يبلغ في الأماكن المستوية الهادئة إلى ثلاثة أميال، يعني إلى خمسة كيلوات تقريباً. وهذا في تلك الأزمان مع هدوء الجو والمؤذن صيت، فيبلغ صوته إلى هذه المسافة.

وهذا الفاجر يصيح صيحة يسمعها ما بين المشرق والمغرب. وهذا يدل على شدة العذاب. فعذاب القبور من العذاب الشديد.

عذاب الدنيا بالنسبة لعذاب القبر كلا شيء. فعذاب الدنيا مهما بلغ لا يصل إلى هذا الحد. ومهما عذب الكافر في الدنيا فما يصل عذابه إلى هذا الحد: فيضرب في قبره ضربة لو ضرب بها الجبل لصار تراباً، ويصيح صيحة من شدة الألم، ويبلغ هذا الصوت إلى ما بين المشرق والمغرب، فهذا شيء مهول، ويسمع صوته كل شيء غير الثقلين، ولو سمعوا لصعقوا. كيف لا يصعقون! وإذا كان الصوت بهذه القوة فيبلغ ما بين المشرق والمغرب. فالأمر عظيم، والإنسان ما بينه وبين الدار الآخرة إلا الموت، وما يدري متى يأتيه الموت. فليستعد الإنسان لذلك الموضع بالعمل الصالح والتوبة إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فالأمر شديد، والأهوال عظيمة.

وكان عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إذا وقف على القبور يبكي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ويقول: «**الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**». فمن نجا من عذاب القبر، نجاه الله **عَزَّ وَجَلَّ** من الشرور. ومن هلك في هذا الموضع فهم من الهالكين، إلا أن يتغمده الله **عَزَّ وَجَلَّ** برحمته. وليس بين الإنسان وبين ذلك الموضع إلا أن يموت، ولا يدري متى يأتيه الموت، في أي ساعة من ليل أو من نهار. وقد كان النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يحث على تذكر الموت، تذكر هادم اللذات. فكفى بالموت

واعظاً لمن يتعظ، فهو أبلغ الواعظين، فمن اتعظ بذلك انزجر عن الذنوب والمعاصي، وأقبل على ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وضائق عليه الدنيا بما وسعت. وإذا ذكر الإنسان الموت والقبور ضاقت عليه الدنيا بما وسعت، ولم يبال بها، وحرص على الدار الآخرة.

على كل: عذاب القبر على الروح والبدن، هذا الذي عليه أئمة السنة. وهناك من أهل الأهواء من قال: إن عذاب القبر يكون على البدن دون الروح، كالأشاعرة وغيرهم، يرون أن عذاب القبر يكون على البدن دون الروح؛ لأن الروح عندهم - كما عرفنا - من جملة الأعراض فلا تبقى، كالحياة، فما عندهم شيء باقٍ يقال له روح، فلهذا يرون أن العذاب على البدن دون الروح. وابن حزم وابن ميسرة ذهبوا إلى العكس، وهو أن عذاب القبر يكون على الروح دون البدن؛ لأن البدن يفنى، فلا تبقى إلا الروح، فهي المعذبة والمنعمة. والصحيح ما عليه أئمة السلف، وهو الذي تدل عليه الأدلة، أن عذاب القبر يكون على الروح والبدن.

قال: **(وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)**: وهما ملكان، وكلهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** لفتنة أهل القبور. وقد جاء ذكرهما في حديث أبي هريرة عند الترمذي، يُقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فنؤمن بهذين الملكين، وإن كانت المعتزلة أنكروا هذه التسمية بعقولهم الفاسدة، ولا عبرة بأقوال المعتزلة ولا بعقولهم الفاسدة؛ فإن الحديث في ذلك قد ثبت؛ ولهذا نص العلماء على هذه المسألة في كتب العقيدة، وأرادوا بذلك الرد على المعتزلة، قالوا: منكر ونكير، اللذان وكلهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** بفتنة أهل القبور.

والعباد يفتنون في قبورهم، ويسألون بثلاثة أسئلة كما هو معلوم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ولا يثبت الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلا من ثبته، ولا يثبت في ذلك الموضع إلا من ثبته الله **عَزَّ وَجَلَّ**. الشخص ربما في الدنيا يقول: الجواب سهل، هذا باعتبار الدنيا. وأمر



الآخرة ليس كأمر الدنيا، فلا يثبت في ذلك الموضع إلا من ثبته الله **عَزَّوَجَلَّ**. فإن الفتنة من ملكين، وصفهم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقال: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ»، يعني هيئة مخيفة. «يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ».

فالأمور عظيمة، فلا يثبت إلا من ثبته الله **عَزَّوَجَلَّ**. الإنسان ربما عند شدة المخاوف ينسى اسمه، وينسى أقرب الناس إليه من شدة الخوف، فلا يثبت القلب إلا بتثبيت الله **عَزَّوَجَلَّ**. ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].



الإيمان بحوض النبي ﷺ يوم القيامة

قال الإمام البرهاري رحمه الله:

وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ إِلَّا صَالِحَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَإِنْ حَوْضُهُ ضَرَعُ نَاقَتِهِ

الشرح:

قد تواترت الأدلة بإثبات الحوض للنبي ﷺ وبيان لصفته، فمن ذلك ما رواه مسلم عن أبي ذرٍّ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا آيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِحَةِ، آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

وروى مسلم عن ثوبان، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لِبُعْقَرٍ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرَضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِزَابَانِ يُمَدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ».

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِبْرَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا».



وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

والأظهر أَنَّ الحوض في أرض المحشر قبل الصراط، ويدل على ذلك أدلة الذود عن الصراط، وذلك أَنَّهُ لو كان بعد الصراط لما زيد عنه أحد، وذلك أَنَّ من تجاوز الصراط فهو من الناجين المفلحين ومثل هؤلاء لا يذاذون.

وَأَمَّا ما رواه أحمد والترمذي عن أنس بن مالك، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصَّرَاطِ». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصَّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبُنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبُنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ».

فهذا الحديث محل لا يثبت وقد قال الحافظ الدارقطني في تعليقه على المجروحين لابن حبان في ترجمة حرب بن ميمون: يحدث عن النضر بن أنس بنسخة لا يتابع عليها اهـ.

وفي الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يكون عند الميزان بعد الصراط، ومعلوم قطعاً أَنَّ الميزان لا يكون بعد الصراط.

فإن قيل: لعل النبي ﷺ على الصراط قبل مرور الناس عليه.

فالجواب: أَنَّ الصراط إنما يؤتى به في آخر الأمر من أجل المرور عليه.

كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري في البخاري ومسلم ولفظ البخاري عن النبي ﷺ قال: «فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ

يَسْجُدُ لِلَّهِ رِبَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ». الحديث.

لكن بقي ما رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وفي السنة، وابن أبي عاصم في السنة، والحاكم في المستدرک، وابن خزيمة في التوحيد من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه في حديثه الطويل عن النبي ﷺ قال: «أَلَا تَمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ ﷺ وَيَفْتَرِقُ عَلَى إِثْرِهِ الصَّالِحُونَ، فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ، فَيَطَّأُ أَحَدُكُمْ الْجَمْرَ، فَيَقُولُ: حَسَّ يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ: أَوَانُهُ، أَلَا فَتَطْلَعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَى أَظْمَأْ، وَاللَّهُ نَاهِلَةٌ عَلَيْهَا قَطُّ، مَا رَأَيْتُهَا، فَلَعَمْرُ إِلَهَكَ مَا يَسْطُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَدُهُ، إِلَّا وَقَعَ عَلَيْهَا فَدَحَّ يَطْهَرُهُ مِنَ الطَّوْفِ، وَالْبَوْلِ، وَالْأَذَى». وفيه أن الحوض بعد الصراط.

وقد أجاب العلامة ابن القيم رحمه الله عن هذا الإشكال فقال في "زاد المعاد":
ظَاهِرُ هَذَا أَنَّ الْحَوْضَ مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ فَكَأَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْطَعُوا الْجِسْرَ، وَلِلْسَلَفِ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ حَكَاهُمَا الْقُرْطُبِيُّ فِي "تَذَكُّرَتِهِ" وَالْغَزَالِيُّ وَغَلَطَا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ بَعْدَ الْجِسْرِ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ النَّعَمَ».

قَالَ: فَهَذَا الْحَدِيثُ مَعَ صِحَّتِهِ أَذِلُّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ فِي الْمَوْقِفِ قَبْلَ الصِّرَاطِ؛ لِأَنَّ الصِّرَاطَ إِنَّمَا هُوَ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى جَهَنَّمَ، فَمَنْ جَازَهُ سَلِمَ مِنَ النَّارِ. قُلْتُ: وَلَيْسَ بَيْنَ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَعَارُضٌ وَلَا تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ وَحَدِيثُهُ كُلُّهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ إِنْ أَرَادُوا أَنَّ الْحَوْضَ لَا يَرَى وَلَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ قَطْعِ الصِّرَاطِ، فَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا وَغَيْرُهُ يَرُدُّ قَوْلَهُمْ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا جَازُوا الصِّرَاطَ وَقَطَعُوهُ بَدَأَ لَهُمُ الْحَوْضُ فَشَرِبُوا مِنْهُ، فَهَذَا يَدُلُّ



عَلَيْهِ حَدِيثٌ لَقِيطٌ هَذَا، وَهُوَ لَا يُنَاقِضُ كَوْنَهُ قَبْلَ الصَّرَاطِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ طَوْلُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، فَإِذَا كَانَ بِهَذَا الطُّوْلِ وَالسَّعَةِ، فَمَا الَّذِي يُحِيلُ امْتِدَادَهُ إِلَى وَرَاءِ الْجِسْرِ، فَيَرِدُّهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبْلَ الصَّرَاطِ وَبَعْدَهُ، فَهَذَا فِي حَيْزِ الْإِمْكَانِ، وَوُقُوعُهُ مَوْقُوفٌ عَلَى خَبَرِ الصَّادِقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ اهـ.

قلت: مما يرد تأويل ابن القيم رحمه الله تعالى أَنَّ فِي أَحَادِيثِ الْحَوْضِ مِنْ شَرَبِ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، وَفِي مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو وَأَبِي ذَرٍّ، وَفِي حَدِيثِ لَقِيطٍ أَنَّهُمْ يَمْرُونَ عَلَى الْحَوْضِ بَعْدَ الصَّرَاطِ وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْعَطَشِ فَمَنْ أَيْنَ جَاءَهُمُ الْعَطَشُ وَقَدْ شَرَبُوا مِنَ الْحَوْضِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَالصَّحِيحُ وَالْمَعْتَمَدُ فِي ذَلِكَ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةُ فِي الصَّحِيحِ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ قَبْلَ الصَّرَاطِ، وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَا يَظْمَأُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قلت: وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ فَجَاءَ ذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةٍ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً». وَرَجَّحَ التِّرْمِذِيُّ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ مَرَسَلَاتِ الْحَسَنِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ سَمُرَةَ.

وَلِلْحَدِيثِ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعُوفِ بْنِ مَالِكٍ يَتَقَوَّى بِهَا.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ حَوْضَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ صَالِحٌ هُوَ ضَرَعٌ نَاقَتُهُ فَهَذَا مِمَّا لَا يَثْبُتُ بِهِ حَدِيثٌ، وَجَاءَتْ أَحَادِيثُ وَاهِيَةٌ فِي الْبَابِ.

الإيمان بالشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيْمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِلْمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَلَى الصَّرَاطِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهَنَّمَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ شَفَاعَةٌ، وَكَذَلِكَ الصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَلِلَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ تَفْضُلٌ كَثِيرٌ فِيمَنْ يَشَاءُ، وَالْخُرُوجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا.

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (الإيمان بشفاعة رسول الله ﷺ للمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ): والشفاعة مأخوذة من الشفع، والشفع ضد الوتر بالفتح، ويُقال أيضًا الوتر بالكسر. وهي من حيث المعنى اللغوي: التوسط للغير في جلب منفعة أو في دفع مضرة. وقيل لها شفاعَة؛ لأن الإنسان بمفرده وتراً، فإذا انضم إليه صوت غيره صار شفعا. فالإنسان إذا طلب من صاحب له أن يشفع له عند ملك من ملوك الدنيا، فإنه يضم صوته مع صوت ذلك الشفيع فيصير به شفعا، وقد كان بمفرده وتراً. وكلام العلماء في هذا الموضوع فيما يتعلق بالشفاعة عند رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. والشفاعة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تكون إلا بإذنه ورضاه، كما قال الله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].



وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ ﴿٦٦﴾ [النجم: ٢٦]، فهذه الشفاعة التي أثبتها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وأثبتها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صحيح سنته، وهي الشفاعة بعد إذن الله ورضاه. وأمَّا الشفاعة المنفية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فهي الشفاعة الشركية، التي يعتقدونها المشركون فيمن يعبدونه من دون الله، قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وقال عنهم أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. وهم يعتقدون في من يعبدونه من دون الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يليق في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أن ما يعبدونه من دون الله عَزَّوَجَلَّ يشفع لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ بغير إذنه ولا رضاه.

فهذا الذي يعتقدونه المشركون. وقد جعلوا شفاعة من يعبدونه عند الله عَزَّوَجَلَّ كشفاعة الشخص عند ملك من ملوك الدنيا.

والشخص عند ملك من ملوك الدنيا يشفع من غير إذن الملك ولا رضاه. فيأتي الشخص كالوزير أو غيره إلى الملك ويشفع عنده بغير إذن الملك ولا رضاه، فلا يأذن له الملك بالشفاعة، وإنما يبتدئها من جهة نفسه ابتداءً، ويشفع في أناس لا يريد الملك أن يحسن إليهم، بل يريد أن ينزل عليهم أشد العقوبة، فيشفع الواحد منهم في الدنيا عند الملك بغير إذنه ولا رضاه.

وما الذي يدعو الملك إلى قبول هذه الشفاعة؟

الجواب: إما الرغبة وإما الرهبة. إما أن يرغب في زيادة طاعة ذلك الشخص الذي شفّع عنده، فيقبل شفاعته؛ لأنه يرغب في طاعته وأن يستمر في طاعته. وقد يكون أيضًا الدافع هو الرهبة؛ لأنه يخشى إذا لم يقبل شفاعة ذلك الشخص أن يخرج عليه أو يسعى في الإضرار به، فيقبل شفاعة الشافع من غير إذن منه ولا رضاه، إما لرغبة وإما

لرهبة. وهذا أمر تنزهه الله عنه. فالله **عَزَّوَجَلَّ** على كل شيء قدير، والله غني عن خلقه، وهو القهار **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فلا تكون الشفاعة عنده إلا بإذنه ورضاه. فهو الملك القهار وحده لا شريك له. فتلك الشفاعة هي التي نفاها الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه، وهي التي يعتقدونها المشركون في من يعبدونه من دون الله **عَزَّوَجَلَّ**. والمتأمل فيها يجد أن تلك الشفاعة فيها غاية النقص، وجعلها الله **عَزَّوَجَلَّ** من قبيل وصف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بما لا يليق به.

وأما الشفاعة التي أثبتها الله **عَزَّوَجَلَّ** لنفسه، فهي تدل على عظم ملك الله **عَزَّوَجَلَّ** وقهره وسلطانه. ففرق ما بين الشفاعتين.

إذن هذا هو الفرق بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ولا تكون الشفاعة إلا بإذن الله ورضاه. لا بد من الإذن والرضا.

والدليل على الإذن قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

والدليل على الرضا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾. ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمٰوٰتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

والشفاعة في حق الكافرين نفاها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في آيات كثيرة، وقد أخبر عن

الكافرين يوم القيامة أنهم يقولون: ﴿فَمَا لَنَا مِن شٰفِعِينَ﴾ ﴿وَلَا صٰدِقِ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء:

١٠٠-١٠١]. إلى غير ذلك من الآيات.

وإن قيل: قد نفى الله **عَزَّوَجَلَّ** الشفاعة عن الكافرين، مع أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**

يشفع لعمه أبي طالب. فما الجمع بين الأمرين، بين نفي الله **عَزَّوَجَلَّ** للشفاعة وبين

شفاعة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لعمه أبي طالب؟



فالجواب: إما أن يُقال: إن هذه خصوصية للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فيكون من قبيل العام والخاص. فالعام هو أن الشفاعة لا تكون في حق الكافرين، وهذا العموم يُخص في شأن أبي طالب، أي في شفاعته النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لعمه أبي طالب.

أو يُقال: شفاعته النبي **ﷺ** لعمه أبي طالب شفاعته تخفيف للعذاب، وليست شفاعته خروج أو نجاة من عذاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**. فالشفاعة المنفية للكافرين هي الشفاعات التي فيها نجاة الكافرين من عذاب الله أو خروج الكفار من نار جهنم. وأما شفاعته التخفيف فقد وردت في شأن شفاعته النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لعمه أبي طالب.

قال المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ):** جاء في حديث أنس بن مالك عند الترمذي وعند غيره، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»**.

وجاء في حديث أبي موسى الأشعري عند ابن ماجه وعند غيره، وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتَرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَايَا الْمُتَلَوِّثِينَ»**.

ولهذا يقول المؤلف: الإيمان بشفاعة رسول الله **ﷺ** للمذنبين الخاطئين في يوم القيامة. فالشفاعة تكون للمذنبين الخاطئين المتلوثين، كما قال ذلك النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وإن كان الحديث فيه شيء من التأويل لبعض العلماء، باعتبار أن العلماء يذكرون أن الشفاعات أيضًا تكون في رفع درجات أهل الجنة. فالشفاعة تكون في رفع درجات أهل الجنة لمن هو من أهل الجنة، كما تكون الشفاعات للإخراج من نار جهنم، وتكون الشفاعات أيضًا في عدم دخول النار، وتكون الشفاعات أيضًا في فتح أبواب الجنة، وتكون الشفاعات أيضًا في أرض الموقف لفصل القضاء وهي: الشفاعات

العظمى. وهذه الشفاعة العظمى يدخل فيها جميع من في الموقف، فيدخل فيها الأنبياء وغيرهم، فينتفع بها الأنبياء والرسل، وينتفع بها سائر الخلق من المؤمنين ومن الكافرين. فقوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**أَتَرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ**».

قال بعض العلماء: أي ليست خاصة بالمتقين. ولم يرد النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** نفي شفاعته عن المتقين، وإنما أراد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنها ليست خاصة بالمتقين، بل تشمل هؤلاء.

فمن أهل العلم من تأول الحديث على هذا المعنى. فقال: «**أَتَرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ**» أي: أتظنونها أنها للمتقين خاصة؟ «**لا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ**» أيضًا. فمن أهل العلم من تأول الحديث على هذا المعنى من أجل ما ذكرنا.

وقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال لما سألته: "مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" قال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**».

وهذا يدل على أن شفاعته النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لكل موحد، فيدخل في ذلك من كان من المتقين ومن كان من غيرهم.

وبعض العلماء يقول: قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**أَتَرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ**» هذا خاص بالشفاعة التي خُير النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بينها وبين أن يدخل نصف أمته الجنة، أي أن الحديث وارد في نوع من أنواع الشفاعة، وهي الشفاعة للمذنبين الخاطئين. فهذه الشفاعة التي خُير النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بينها وبين أن يدخل نصف أمته الجنة، فاختر الشفاعة للمذنبين الخاطئين، وأن هذا يكون أعظم من دخول نصف أمته الجنة. لا أن الشفاعة في حق النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لا تكون إلا للمذنبين. وكل هذا من الأجوبة المحتملة.



قال: (وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ):
والخاطئ هو الذي يقع في الذنب عن عمد. وأما المخطئ فهو الذي يقع في الذنب عن
غير عمد.

قال: (وَعَلَى الصَّرَاطِ): أيضًا تكون شفاعاة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الصراط، كما
جاء ذلك في أحاديث متعددة وذلك عند مرور هذه الأمة على الصراط، كما جاء في
حديث أبي سعيد وجاء في حديث أبي هريرة وجاء في حديث حذيفة بن اليمان، وكلها
في الصحيح. حديث أبي هريرة متفق عليه، وحديث أبي سعيد جاء في مسلم، وكذلك
حديث حذيفة في صحيح مسلم.

وفيهما أَنَّ النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الصراط يقول: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». وهذه
شفاعة أم لا؟

الجواب: هذه شفاعاة؛ لأنَّ الدعاء يوم القيامة داخل في مسمى الشفاعاة.
والدعاء عمومًا يدخل في مسمى الشفاعاة. فدعاء النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لربه في ذلك
الموضع يدخل في مسمى الشفاعاة.

والنبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ له شفاعات اختص بها، وشفاعات لم يختص بها. فما هي
الشفاعات التي اختص بها النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

الجواب: الشفاعاة لعنه أبي طالب، وأعظم من ذلك الشفاعاة العظمى لأهل
الموقف، فهذه من أعظم الشفاعات، وكذلك مما اختص بها: الشفاعاة في دخول أهل
الجنة الجنة، وما سوى ذلك من الشفاعات فله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولغيره من الأنبياء
والرسل ومن الملائكة والصديقين والشهداء والصالحين.

قال: **(وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهَنَّمَ)**: أي: الذين وقعوا في نار جهنم ودخلوها بسبب ذنوبهم، فهناك شفاعات في إخراجهم، وهي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة. فالشفاعة في أهل الكبائر ينكرها الخوارج والمعتزلة.

وذلك أن مذهب الخوارج في أهل الكبائر أنهم كفار مخلدون في نار جهنم. والمعتزلة يقولون فيهم: أنهم في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، لكن باعتبار الآخرة يُحكم لهم بالخلود كمذهب الخوارج، فلهذا أنكروا الشفاعة في أهل الكبائر. مع أن الأدلة في ذلك متواترة. وقد جمع في ذلك الشيخ مقبل **رَحِمَهُ اللَّهُ** في رسالته الطيبة النافعة "الشفاعة" وهو من الكتب النفيسة.

فجمع فيها من الأدلة المتكاثرة، وتكلم ما في بعضها من العلل، وأدلة الشفاعة متواترة، وقد ذكر في كتابه ما صح سنده، وما كان فيه شيء من الضعف الذي ينجر، وذكر ما كان فيها من الضعف الذي لا ينجر من باب التنبيه. فألف كتاباً نفيساً في ذلك **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

قال: **(وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ شَفَاعَةٌ)**: والأدلة في ذلك متواترة.

قال: **(وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ شَفَاعَةٌ، وَكَذَلِكَ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَلِلَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ تَفْضُلٌ كَثِيرٌ عَلَى مَنْ يَشَاءُ)**: وفي حديث أبي سعيد الخدري في مسلم عن النبي **ﷺ** قال: **(يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأُخْيَضَرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ**



الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ)، فهؤلاء عتقاء الله، يخرجهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بفضله وكرمه، ولم يعملوا خيراً قط، لكنهم من أهل التوحيد.

وأما من لم يكن من الموحدين، فإنه من المخلدين في نار جهنم والعياذ بالله، كما دلت على ذلك الأدلة. وإنما هؤلاء من أهل التوحيد، لكنهم لم يعملوا خيراً قط. ولا يحتاج بذلك على أن تارك الصلاة لا يكفر؛ لأن هؤلاء ربما ما بلغتهم الصلاة، ربما كانوا في آخر الزمان ممن لم تبلغهم الصلاة، ولهم ذنوب استحقوا أن يدخلوا بسببها في نار جهنم، فيفضل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم بذلك. فليس الحديث بصريح في أن هؤلاء ممن بلغتهم الصلاة وتركوها عمداً.

قال: **(وَالْخُرُوجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا)**. كما جاءت بذلك الأدلة المتكاثرة كحديث أبي سعيد الخدري وغيره من أدلة الباب.



الإيمان بالصراط وما جاء فيه

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ عَلَى جَهَنَّمَ، يَأْخُذُ الصِّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ اللهُ،
وَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدَرِ إِيمَانِهِمْ.

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (الإيمان بالصِّرَاطِ عَلَى جَهَنَّمَ). وهذا مما يجب الإيمان به، كما دلت عليه الأدلة. وخالف في ذلك المعتزلة، فإنهم أنكروا الصراط بعقولهم الفاسدة، فإنَّهم نظروا إلى ما فيه من الأمور العظيمة وما فيه من الأوصاف المهولة، وقالوا: تكليف الناس بالمرور على ذلك الصراط مع تلك الأوصاف من تكليف العباد ما لا يطيقون. فنفوا المرور على الصراط بهذه الحجة الضعيفة الهزيلة. على أنَّ العباد يمرون على الصراط بسبب أعمالهم مع معونة الله عَزَّجَلَّ لهم، وليس بحولهم ولا بقوتهم، يقول لهم الله عَزَّجَلَّ: "انجوا بأعمالكم"، فمن الناس من يمشي على الصراط كالبرق، أو كأجاويد الخيل، أو كالريح، هل هذه قوة بشرية أم من الله عَزَّجَلَّ؟ هذه معونة من الله عَزَّجَلَّ. وإنما يُجرى العبد على الصراط بعمله، لا بقوته. فيجري على حسب عمله، وليس له حول ولا قوة بذلك، وإنما الأمر من الله عَزَّجَلَّ، فيجري الله عَزَّجَلَّ العباد على قدر أعمالهم فيقول: "انجوا بأعمالكم"، هكذا جاء في الأحاديث.

والصراط هو الجسر الممدود على ظهر جهنم، وهو المراد بقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَلَنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُذِجِي الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَذِرُ



الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ [مریم: ٧١-٧٢]، فالمراد بذلك المرور على الصراط، كما جاء في حديث جابر الذي في صحيح الإمام مسلم، عن أم مبشر أنها كانت عند النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعند النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا». قالت: بلى يا رَسُولَ اللَّهِ. فانتَهَرَهَا، فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. فقال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾». فالنبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نفى أن يدخل أحد النار ممن بايع تحت الشجرة، إذن لا يدخلونها.

ومع هذا أثبت الله ﷻ عَزَّوَجَلَّ الورود: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فإذا كان من بايع تحت الشجرة لا يدخل النار، والورود يعم أصحاب الشجرة وغير أصحاب الشجرة، إذن الدخول غير الورود. فليس المراد بالورود للمؤمنين هو الدخول في نار جهنم، وإنما المراد بذلك المرور على الصراط. هذا هو المراد بالورود في الآية: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، لو كان المراد بذلك الدخول، لما قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِّمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، إذن ليس المراد بالورود: الدخول، وإنما المراد به: المرور على الجسر، على الصراط المنصوب على ظهراني جهنم.

والصراط جاءت فيه أدلة متكاثرة، والكلام حول الصراط مما يطول. لكن من أوصافه العظيمة: أنه أحد من السيف، وأدق من الشعر.

جاء ذلك في حديث أبي سعيد الخدري في مسلم، قال: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ».

وجاء أيضًا في حديث عائشة في المسند مرفوعًا إلى النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن في الإسناد ابن لهيعة وفيه ضعف، والحديث ينجبر بشواهد.

وجاء أيضًا من حديث أبي هريرة عند الدارقطني في كتاب الرؤية وفيه: «أنه كحد موسى».

وجاء أيضًا في أثر لسلمان الفارسي رواه ابن أبي شيبة والأجري في الشريعة، وجاء موقوفًا عليه. فالأدلة الواردة في الباب -الأحاديث المرفوعة والموقوفة- تدل على هذا المعنى: أنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة. وفيه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، وفيه شوكة عقيفاء مفلطحة عظيمة. ففيه أهوال عظيمة. وهو كما وصفه النبي ﷺ: «دَحْضٌ مَرَلَةٌ» أي: لا تثبت عليه الأقدام، مزلقة.

ففيه أوصاف مهولة، ويكفي أنه على ظهري جهنم، وحتى ولو كان فيه سعة، فكيف وهو أحد من السيف وأدق من الشعر، وهو ممدود على ظهر جهنم إلى ما يعلم الله عز وجل من المسافات البعيدة؟ فإنه ممدود من أرض المحشر إلى الجنة. فمن تجاوز الصراط فإنه يصل إلى الجنة.

والجنة كما هو معلوم في السماء السابعة، فالجنة ما هي في الأرض، فالله أعلم كم امتداد الصراط، وهذا الامتداد الشاسع على ظهري جهنم، وهو «دَحْضٌ مَرَلَةٌ» للأقدام، وفيه كلاليب تخطف الناس على أعمالهم، وفيه شوكة عظيمة، وهو أحد من السيف وأدق من الشعر، أمور مهولة، وإنما ينجي الله عز وجل من شاء من عباده بعمله، فيقول الله عز وجل لهم: «انجوا بأعمالكم»، فمن كان في الدنيا مسرعًا في طاعة الله عز وجل في صراط الدنيا، أسرع في صراط الآخرة. ومن أبطأ في صراط الدنيا أبطأ في صراط الآخرة. ومن انتكس في صراط الدنيا انتكس في صراط الآخرة.

ومن كان يقوم وينتكس، فهو في صراط الآخرة هكذا: يقوم وينتكس. فهناك من يمشي كالبرق، وهناك كالريح، وهناك كأجاويد الخيل، وهناك من يمشي على الصراط تارة ويكبو أخرى، وهناك من يحبو حبواً ويتعلق تعلقاً. تارة تزل قدمه فيتعلق



بيده، وتارة تزل يده فيتعلق بقدمه، وهو في تلك المساقات المهولة والمساقات الشاسعة. والله أعلم كم يبقى هذا الذي يحبو حبواً في تلك الأهوال العظيمة على ظهراني جهنم، فجهنم تحته وهو يكاد يسقط في كل لحظة، فتارة يتعلق بيده وتارة بقدمه، في أمور مهولة، وخطاطيف تخطف الناس على أعمالهم السيئة، فيكاد يسقط من تلك الخطاطيف، وتلك الشوكة العظيمة التي على الصراط يريد أن يتحاشاها في سيره.

فأمور في غاية الهول. فالتأمل في أخبار الصراط يكفيه ذلك واعظاً، والمتأمل فيما في الصراط من الأهوال والأمور العظيمة يدعوه ذلك إلى المبادرة إلى العمل الصالح والاستقامة على طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**. والمسلم كلما تذكر الصراط أصابه الخوف والهلع من هذه الأمور العظيمة.

ولو كلف الإنسان أن يمشي بين جبلين مرتفعين بجسر عرضه، لا مزلقة فيه ولا شيء مما هو على الصراط فربما مات خوفاً. فكيف بهذه الأمور العظيمة؟ فلا نجاة للعبد إلا بطاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** والمصارعة في مرضاته والعمل الصالح. وإلا فهي أمور مهولة، وهي كما يُقال: ساعة الصفر: إما نجاة وإما هلاك.

فإن نجا من ذاك الموضع فهو من المفلحين، وبعدها الجنة.

وإن سقط فهو من الهالكين، كما قال رسول الله **ﷺ**: «فَنَاجٍ مُّسْلِمٌ، وَنَاجٍ مَّخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». فهذه أحوال الناس على الصراط. فهناك من يسلمه الله **عَزَّوَجَلَّ** ولا يصاب بشيء، لا من تلك الشوك ولا من تلك الكلايب. وهناك من يسلمه الله **عَزَّوَجَلَّ** من السقوط في نار جهنم، لكنه مخدوش بالكلايب ومخدوش بتلك الشوك في طريقه. وهناك من هو مكردس في نار جهنم والعياذ بالله.





الإيمان بالصراط المنصوب على متن جهنم



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالصَّرَاطِ عَلَى جَهَنَّمَ، يَأْخُذُ الصَّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ اللهُ،
وَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِمْ).

الشرح:

وقد عرفنا أن الإيمان بالصراط من الإيمان الواجب، وعرفنا من خالف في ذلك وهم المعتزلة. وما هي حجتهم في هذه المخالفة؟ قالوا للناس: إن هذا من تكليف ما لا يُطاق.

فأدخلوا عقولهم في شأن الصراط، وقالوا: هذا من التكليف بما لا يُطاق. فقد عرفنا أن الصراط وصف بأوصاف عظيمة، فقالوا: المرور على الصراط مع تلك الأوصاف العظيمة من تكليف العباد ما لا يطيقون. وهذا كلام باطل كما عرفنا؛ فإن العباد يسيرون على الصراط بأعمالهم، لا بقوتهم، والله عَزَّجَلَّ هو الذي ييسر لهم ذلك، كل على قدر عمله.

عرفنا فيما مضى بعض أوصاف الصراط فهو:

أحد من السيف، وأدق من الشعر.

جاء هذا كما عرفنا في حديث أبي سعيد الخدري في صحيح الإمام مسلم موقوفاً عليه، قال: «بلغني أن الصراط أحد من السيف وأدق من الشعر».

وجاء ذلك أيضاً في حديث عائشة مرفوعاً في المسند من طريق ابن لهيعة، وفيه ضعف، لكن يتقوى بأحاديث الباب.



وجاء من حديث أبي هريرة عن الدارقطني في "كتاب الرؤية" أنه أحد من الموسى.

وجاء أيضًا في حديث سلمان الفارسي موقوفًا عليه، إلى غير ذلك من الأحاديث المرفوعة والموقوفة التي تثبت هذه المسألة، أدلة متعددة منها ما هو من قبيل الموقوف ومنها ما هو من قبيل المرفوع، وهي تدل على هذا المعنى.

وعرفنا من أوصافه: أنَّ عليه كلاليب وخطاطيف تخطف الناس بأعمالهم، وفيه شوكة عظيمة عقيفاء، يقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيها: «تشبه السعدان».

وكذلك فيه حسكة تمسك الناس. والحسكة هي التي تمسك على بدن وثوب من يمر بها ويلامسها.

ولا يعلم قدرها إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، التي في الصراط، لا يعلم قدرها إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**. ومن أوصاف الصراط أنه «مَدْحَضَةٌ مَرَلَةٌ»، لا تثبت عليه الأقدام إلا من ثبته الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ويكفي أنه كما عرفنا منصوب على ظهрани جهنم. فأوصافه أوصاف مهولة على ما سبق. وكيف يمشي الشخص على صراط أحد من السيف وأدق من الشعر إلا بتوفيق الله **عَزَّوَجَلَّ**؟ ومع هذا كما عرفنا فيه شوكة عظيمة مفلطحة عقيفاء، وفيه حسكة، وفيه خطاطيف تخطف الناس، كلاليب وخطاطيف تخطف الناس على قدر أعمالهم. فهناك من ينجو ويسلم، وهناك من يسلم ويُخدش، وهناك من هو مكردس في نار جهنم، كل على قدر عمله. وهناك من يمشي كالطرف، وهناك من يمشي كالبرق، وهناك من يمشي كالريح، كأجاويد الخيل، وهناك من يمشي مشيًا، وهناك من يحبو حبوًا، وهناك من يمشي ويكبو، يسقط في أثناء مشيه ويصاب بتلك الشوك وتلك الخطاطيف، وهو يمشي على ظهрани جهنم في صراط ممتد من أرض الموقف إلى الجنة.

والجنة كما عرفنا في السماء السابعة، فهي مسافات شاسعة طويلة. فالذي يحبو حبواً فكم يحتاج إلى زمن؟ يحتاج أن يقطع مسافات طويلة؟ وهو في ذاك الموضع المهول المخوف، فتحت نار جهنم، والصراط على هذه الصفة المخيفة، وهناك من يكاد يسقط ويتعلق بيده، وتلفحه نار جهنم.

فعلى كل: هذه أمور مهولة. فنظر المعتزلة إلى هذا الأمر، قالوا: هذا من تكليف ما لا يطاق. لكن كما قلنا: الله **عَزَّجَلَّ** هو الذي يعين المؤمن على ذلك. ولهذا جاء في الحديث، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «انجوا بأعمالكم».

وفي حديث عبد الله بن مسعود عند الدارقطني في الرؤية: «انجوا على قدر **أنواركم**». فلهذا يحتاج الإنسان إلى العمل الصالح. فإن من أسرع في صراط الدنيا أسرع في صراط الآخرة.

ومن أبطأ هنا أبطأ هناك، ومن كان يستقيم ويتكس فهناك أيضاً يمشي ويتكس. ومن انحرف عن الصراط في الدنيا انحرف عن صراط الآخرة، فصراط الآخرة مبني على صراط الدنيا، وهذا الموقف من أعظم الأهوال، ويكون في آخر الأمر.

وهل يمر الكفار على الصراط؟ في ذلك شيء من النظر والتأمل. فإنه في حديث أبي سعيد الخدري: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ إِلَهَةٍ مَعَ إِلَهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرًا ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيَقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَسْقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟



فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيَقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ». ثم ذكر في الحديث أن الله **عَزَّجَلَّ** «يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ». قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ...» إلى آخر الحديث.

فذكر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الجسر بعد تساقط الكفار في نار جهنم، فإنه تتمثل لهم جهنم كأنها سراب، ويتساقط اليهود فيها، ويتساقط النصارى فيها، ويتبع كل من كان يعبد غير الله، وتبقى هذه الأمة ومن فيها من البر والفاجر، ثم يؤتى بالجسر. فظاهر الحديث أن المرور على الجسر يكون في حق هؤلاء. فهذا ظاهر حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين، والله تعالى أعلم.

على كل: هذه أهوال عظيمة. ويوم القيامة فيه ما فيه من الأهوال. ولهذا يصف الله **عَزَّجَلَّ** ذلك اليوم باليوم الثقيل: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]. فهو أثقل الأيام وأشد الأيام، بما فيه من الأهوال العظيمة والشديدة والأمور المفزعة.

ويؤمن الله **عَزَّجَلَّ** من شاء من عباده، ويخوف من شاء من عباده. فنسأل الله **عَزَّجَلَّ** السلامة والعافية.

قال المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِمْ): كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرُكُهمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٢. يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ﴿[الحديد: ١٢-١٣]. إلى آخر الآية.

فهذا يدل على أن أهل الإيمان لهم نور، يعطيهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** النور، وهذا النور على قدر الإيمان. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرَ لَنَا إِنَّا نَكَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨]، وهذا مما يدل على أن الصراط في ظلمة شديدة. وكل هذا من أهوال الصراط، فمع الأوصاف السابقة وهي: مدحضة مزلة، فيه كلاليب وخطاطيف تخطف الناس بأعمالهم، وفيه حسكة وشوكة عقيفاء، وأحد من السيف وأدق من الشعر، وهو مضروب على ظهراي جهنم.

ويضاف إلى كل هذه الأوصاف المهولة: الظلمة الشديدة، فالصراط في ظلمة شديدة. فيُعطي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المؤمنين النور على قدر إيمانهم. ومن كان منافقا فإنه لا نور له، فلا يجعل الله له نورًا. فيريد المنافقون أن يستضيئوا بأنوار المؤمنين، فيخاطبهم المؤمنون بأن يرجعوا إلى الدنيا؛ فإن النور الذي حصلوه في الآخرة كان سببه من الدنيا. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. ولا رجوع، فما في رجوع إلى الدنيا، فالنور الذي في الآخرة سببه في الدنيا، ويحصله المسلم في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح. والمؤمن كلما عمل صالحًا ازداد نورًا.

وهذا النور يظهر في الآخرة على قدر العمل الصالح. فمنهم من له نور عظيم، ومنهم من له نور يسير، ومنهم من نوره تارة يضيء وتارة ينطفئ على قدر إيمانه. فيمرون على ذلك الصراط في ظلمة شديدة. ومن كان له نور، فيمر على قدر نوره.

من عظم نوره سهل عليه السير في الصراط، ومن نقص نوره فيسير على قدر نوره. ولهذا جاء في حديث عبد الله بن مسعود في كتاب الرؤية للدارقطني بإسناد حسن، أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول للناس: «انْجُوا عَلَى قَدَرِ نُورِكُمْ»، فيحصل النجاة في الصراط على قدر النور الذي يعطيه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المؤمنين، وكل على قدر عمله الصالح. فالدنيا هي مزرعة الآخرة.



أما الآخرة فإنما هي جزاء لما عمل الإنسان في الدنيا.

فليحرص الإنسان على النور في الآخرة من هنا، من الدنيا، بالإكثار من العمل الصالح، يستقم على توحيد الله وعلى سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ويسارع في الخيرات، ويتوب إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من السيئات، ويدعو الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يتم له نوره، يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

والمؤلف يقول **رَحِمَهُ اللَّهُ**: **(وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِمْ)**: والأعمال الصالحة كما عرفنا هي أنوار. وكتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** هو من أعظم النور.

قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. فكتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** نور في الدنيا ونور في الآخرة.

نور في الدنيا: إذ فيه نور الهداية، فيهدي الإنسان به إلى الحق، ويعرف الإنسان الحق من الباطل، فيعرف به التوحيد من الشرك، والهدى من الضلال، ومن تمسك به كان له نور يوم القيامة، وكذلك الصلاة نور، كما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»، فالصلاة نور للمؤمن في الدنيا، يستنير وجه المصلي، قال تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، والمراد بذلك البهاء الذي في الوجوه. فوجوه المصلين مستنيرة.

ومن كان قاطعاً للصلاة ففي وجهه ظلمة، ولو كان أبيض الوجه، فإن في وجهه ظلمة المعصية. فالصلاة نور في الدنيا، ونور أيضاً في الآخرة. فيحصل في الصلاة نور الهداية في الدنيا، ونور حسي في الآخرة، والصلاة قال الله **عَزَّوَجَلَّ** فيها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فهذا نور هداية، فكون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، هذا نور هداية.



واستنارة الوجوه أيضًا من النور الحسي، والنور في الآخرة على الصراط أيضًا من النور الحسي. فالأعمال الصالحة نور، فليحرص العبد على العمل الصالح.





وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ

يقول الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ.

الشرح:

والإيمان بالأنبياء والملائكة، وهذا من الإيمان الواجب، وهو داخل في أركان الإيمان. وفي حديث جبريل الطويل حين سأل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الإيمان، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». فالإيمان بالأنبياء والملائكة من الإيمان الواجب.

ومن كفر بنبي فهو كافر بسائر الأنبياء. ومن كذب رسولاً من الرسل، فهو مكذب لسائر الرسل كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. وكم أرسل الله عَزَّجَلَّ إليهم؟

الجواب: أرسل الله عَزَّجَلَّ رسولاً واحداً وهو نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومع هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ وذلك أن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل؛ فإنه لا فرق بين نوح وبين غيره، فدين الأنبياء واحد، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَاتٍ»، أي: إخوة لأب، أمهاتهم شتى وأبوهم واحد.

فالأنبياء وإن اختلفت شرائعهم، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. فالدين واحد وهو التوحيد. ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

[الشورى: ١٣]. فدين جميع الأنبياء والرسل واحد، وهو دين الإسلام، وهو توحيد الله

عَزَّوَجَلَّ. وإنما الشرائع تختلف: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فالذي يكذب رسولا من الرسل فهو مكذب لسائر الرسل. ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]. الذي يريد أن يفرق بين الرسل، يفرق بين الله ورسله، فيؤمن

ببعض الرسل ويكذب بعض الرسل، فهذا هو الكافر على الحق والحقيقة.

فعلى كل: الإيمان بالأنبياء من الإيمان الواجب، ومن كذب نبيا من الأنبياء فهو من الكافرين.

والنبي قيل: إنه مأخوذ من النبأ، وسمي بذلك لأنه يُنبأ أي: يوحى إليه، أو من النبوة وهي المكان المرتفع، وذلك لارتفاع شأنهم ومنزلتهم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

واختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول. فذهب كثير من العلماء إلى أن الرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه. ففرقوا بين النبي والرسول بأن الرسول أمر بالتبليغ والنبي لم يؤمر بالتبليغ. وهذا تفريق ضعيف. فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا

نَبِيِّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ۖ﴾ [الحج: ٥٢]. فذكر الله عَزَّوَجَلَّ الإرسال لهما: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيِّ﴾. فالرسول أرسل، والنبي أرسل. ﴿إِلَّا إِذَا تَمَعَّى﴾ أي: قرأ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يِعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا

أَمَانًا﴾ [البقرة: ٧٨]، أي: إلا قراءة، أي: لا يفهمون ما في التوراة، وإنما معهم مجرد القراءة. ﴿إِلَّا إِذَا تَمَعَّى﴾ أي: إذا قرأ، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي: في قراءته.

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ يزيله، ﴿ثُمَّ يُخَيِّرُ اللَّهُ عَبْدَهُ﴾.



فالشاهد من الآية: أنها تدل على أن الرسول مُرسل، والنبى مُرسل. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾. فالصحيح: أن الرسول أمر بالتبليغ، وأن النبى أيضاً أمر بالتبليغ. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذم الذين يكتمون ما آتاهم من البينات، فكيف يؤتى الله **عَزَّوَجَلَّ** الأنبياء البينات ثم يكتمون ذلك ولا يؤمرون بالتبليغ؟ فهذا ليس بصحيح. فإن هؤلاء ذمهم الله **عَزَّوَجَلَّ**، والأنبياء لا يدخلون فيما ذمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فالكل مبلغ عن الله **عَزَّوَجَلَّ**. فالرسول يبلغ عن الله ولا يكتم شيئاً، والنبى يبلغ عن الله ولا يكتم شيئاً. وأحسن ما يفرق به بين النبى والرسول ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه "النبوات".

فذهب **رَحِمَهُ اللَّهُ** إلى أن الرسول مُرسل، وأن النبى مُرسل، لكن هناك فرق بين الرسالتين. فرسالة الرسول عامة، تكون إلى قوم مخالفين وموافقين. ورسالة الأنبياء خاصة بالموافقين. فالأنبياء بعثهم الله **عَزَّوَجَلَّ** في دين الرسل، كأنبىاء بني إسرائيل فهم الذين يجددون دين الرسل، ويشبههم العلماء في هذه الأمة. فالعلماء في هذه الأمة فإنهم يجددون دين رسول الله **ﷺ**. والأنبياء يجددون دين الرسل.

ولهذا قال النبى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في شأن العلماء كحديث أبي الدرداء المشهور: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»، ولم يقل: ورثة الرسل. فهم يقومون في هذه الأمة مقام الأنبياء في الأمم السابقة. فالعلماء في هذه الأمة يجددون دين رسول الله **ﷺ**، كما أن الأنبياء يجددون دين الرسل. فالكل أمر بالتبليغ، لكن رسالة الرسول عامة. فالرسول أرسل إلى قوم مخالفين، أي: مكذبين، إلى كفار، فيرسل الله **عَزَّوَجَلَّ** إليهم الرسول. فرسالة الرسول تشمل أولئك المخالفين، وتشمل من اتبعهم من المؤمنين. لكن رسالة إرسال الأنبياء تكون في أتباع الرسل، كأن يحصل في دين الرسل شيء من التغيير والتبديل، وشيء من التحريف، وشيء من الكتمان، فيرسل

الله **عَزَّوَجَلَّ** الأنبياء ليجددوا دين الرسل. فهذا هو الفرق بين الرسول والنبى على ما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**، وهو أحسن ما قيل.

وقول من قال: إن الرسول يأتي بشرع جديد، وأن النبى لا يأتي بشرع جديد، وإنما يأتي بشرع من قبله، أيضًا فيه شيء من النظر. فإن هناك من الرسل من لم يأت بشرع جديد. ومنهم على سبيل المثال يوسف **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فقد جاء بشريعة إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وما جاء بدين جديد ولا بشريعة جديدة، وإنما كان على ملة إبراهيم وعلى شريعة أبيه إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. ويوسف من الرسل أم من الأنبياء؟

الجواب: من الرسل. والدليل على أنه رسول قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَكَكَ قُلْتُ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤]، وذلك في قول المؤمن من آل فرعون وهو يحتاج قومه في شأن يوسف **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. فيوسف **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كان من الرسل، ومع هذا -كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**- كان على دين إبراهيم، وما جاء بشرع جديد.

وكذلك كثير من رسل بني إسرائيل كانوا على شريعة موسى، ولم يأتوا بشرع جديد. فلا يشترط في الرسول أن يأتي بشرع جديد، بل قد يكون الرسول على شريعة من مضى من الرسل.

إذن هذا تفريق لا يستقيم، أن يقال: الرسول جاء بشرع جديد، والنبى لم يأت بشرع جديد. فأحسن ما يُقال في التفريق بين الرسول والنبى ما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ** في كتاب "النبوات".

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ): والأنبياء لا يكونون من الإناث، فالنبوة والرسالة مختصة بالرجال دون الإناث. والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا



أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴿يوسف: ١٠٩﴾. فالنبوة مختصة بالرجال ولا تكون في الإناث.

والنبوة لا تكون في الجن على الصحيح من أقوال العلماء، والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ومعلوم أن الجن ليسوا من ذرية نوح ولا من ذرية إبراهيم. وليس هناك نبوة إلا من ذرية نوح وإبراهيم، أي: بعد نوح وإبراهيم فما في نبوة إلا من ذريتهما: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.

والجن ما هم من ذرية نوح ولا من ذرية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. وإذا قال قائل: الجن يدخلون في مسمى الرجال، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا﴾، كما في قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَهُ كَانَ رَجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]. فما هو الجواب؟

فالجواب: أن الرجل إذا أطلق فيراد به الإنس، وأما من الجن فلا بد أن يقيد لكلام بما يدل عليهم، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**. فلا يقال في الجن رجال إلا مع القيد، فيقال: رجال من الجن، فلا يدخلون في مسمى الرجال عند الإطلاق، ويدخلون في مسمى الرجال عند التقييد، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

قال: **(وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ)**: كذلك من الإيمان الواجب: الإيمان بالملائكة. والملائكة هم رسل الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. فهم رسل الله **عَزَّوَجَلَّ**، والله **عَزَّوَجَلَّ** يصطفي منهم الرسل.

وهم عباد مكرمون، طائعون لله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، طائعون لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يعصونه. فنؤمن بالملائكة على سبيل العموم وعلى سبيل

التفصيل، فنؤمن بكل أخبارهم، ونؤمن بكثرة عددهم، قال النبي ﷺ: «أُطِّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ»، فنؤمن بكثرتهم.

والملائكة في الأرض في ليلة القدر أكثر من عدد الحصى، وهذا يدل على كثرتهم. ويدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، أي: لا يعودون إليه مرة أخرى لكثرتهم. وفيهم ما فيهم من الجمال والبهاء والعظمة.

وقد رأى النبي ﷺ جبريل وهو جالس على كرسي، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق. وخر النبي ﷺ مغشياً عليه.

والبشر لا يطيقون رؤية الملك، ولهذا لما رأى نبينا ﷺ جبريل خر مغشياً عليه، فما استطاع أن يثبت لرؤية جبريل، بل غشي عليه ﷺ. ولهذا لم ير النبي ﷺ جبريل على صورته غير مرتين: مرة في ليلة الإسراء والمعراج عند سدره المنتهى، ومرة في أول الرسالة في الأرض. قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ﴾ [النجم: ١٣-١٤]. أي: رأى جبريل على صورته مرة أخرى.

المرة الأولى كانت في الأرض، والمرة الثانية كانت في السماء.

وفي غير هاتين المرتين لم ير النبي ﷺ جبريل على صورته، وإنما يأتي إليه متمثلاً ببعض البشر، أو يسمع صوتاً ولا يرى شيئاً.

فقد يسمع صوت جبريل ﷺ ولا يرى شيئاً، وقد يأتيه متمثلاً ببعض البشر، وذلك لما في الملائكة من النور والهيبة والعظمة، فلا يستطيع الإنسان ولا يطيق في الدنيا أن يرى ملكاً من الملائكة. ونبينا ﷺ مع قوته وثبات قلبه، إلا أنه لما رأى جبريل خر مغشياً عليه.



فنؤمن بالملائكة، ونؤمن بأعمالهم. فهناك من وكل بالقطر، وهناك من وكل بقبض الأرواح، وهناك من وكل بالوحي، وغير ذلك من أعمالهم الكثيرة، كالملائكة الذين وكلهم الله **عَزَّجَلَّ** فيما يتعلق بالأجنة، وغير ذلك كثير. فنؤمن بأعمالهم، ونؤمن بأسماء من علمنا أسماءهم، كجبريل وميكائيل وإسرافيل. فنؤمن بأسماء هؤلاء وبغيرهم، كمالك خازن النار: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. فنؤمن. وهل ثبت أن رضوان خازن الجنة؟

الجواب: لم يثبت أن رضوان خازن الجنة.

وهل ثبت أن ملك اليمين واليسار يقال لأحدهما رقيب وللآخر عتيد؟

الجواب: لا يثبت هذا من باب الاسم، وإنما جاء من باب الوصف: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. رقيب من المراقبة، أي: أنه لا يخفى عليه شيء من عمل العبد. وعتيد بمعنى: حاضر. فالملك المأمور بكتب الحسنات والسيئات وصفه الله **عَزَّجَلَّ** بهذين الوصفين: أنه رقيب لا يغفل عن بعض الأعمال، وعتيد بمعنى حاضر، أي: أنه ليس غائباً، حاضر مع الإنسان. فهذا من باب الوصف، ليس من باب الاسم.

وكذلك من أسماء الملائكة: منكر ونكير، وهما صاحبا الفتنة في القبر، كما جاء في حديث الترمذي المشهور، حديث أبي هريرة وفيه: يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، إلى غير هؤلاء ممن جاءت الأدلة بأسمائهم. فنؤمن بأسمائهم، ومما هو معلوم فإنه لا يصح تسمية ملك الموت بعزرائيل، فلم يثبت به حديث عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.



الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان لا تفتيان أبدًا ولا تبیدان

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيْمَانُ بِأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ، وَالنَّارُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، قَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى عَدَدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، وَعَدَدَ أَهْلِ النَّارِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، لَا تَفْتَيَانِ أَبَدًا، بَقَاؤُهُمَا مَعَ بَقَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَبَدَ الْأَبَدِينَ، فِي دَهْرِ الدَّاهِرِينَ، وَآدَمَ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَمَا عَصَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح:

قال رحمه الله: (والإيمان بأن الجنة حق والنار حق، وأنهما مخلوقتان):

أورد المؤلف هذه الجملة ردًا على المعتزلة، فإن المعتزلة دخلوا بعقولهم الفاسدة، وقالوا: الجنة لم تُخلق بعد، والنار لم تُخلق بعد، وإنما يخلقهما الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة. فهذا مذهب المعتزلة، ذهبوا إلى هذا المذهب الردي بعقولهم الفاسدة. لأنهم قاسوا الخالق على المخلوق. ولهذا يقول العلماء في المعتزلة: أنهم مُشَبَّهة في باب الأفعال، ومعطلة في باب الصفات؛ لأنهم نفوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ. وهم مُشَبَّهة في باب الأفعال؛ لأنهم شبهوا أفعال الخالق بأفعال المخلوق. فما وجب على المخلوق عندهم وجب على الخالق، وما حرم على المخلوق حرم على الخالق، وما امتنع امتنع.



فهكذا قاسوا الخالق على المخلوق، فكانوا مشبهة في باب الأفعال، مع كونهم معطلة في باب الصفات، فجمعوا بين البدعتين المتناقضتين: بدعة التعطيل وبدعة التشبيه.

فهنا قاسوا الخالق على المخلوق، وقالوا: لو أن ملكاً من الملوك بنى داراً وجعل فيها الموائد العظيمة التي فيها أنواع الأطعمة، وفيها ما فيها من التحف والهدايا وغير ذلك، وتركها معطلة آلاف السنين ما يدخل إليها أحد، فإن هذا سفه.

فهذا الملك إذا فعل هذا الفعل كان هذا من قبيل السفه. إذ كيف يجعل طعام الضيافة في ذلك البيت، مع أنواع الهدايا والتحف، وتبقى البيت معطلة ما يدخل إليها أحد آلاف السنين؟ فإن فعل ملك ملوك الدنيا هذا لعد هذا من السفه.

قالوا: وهذا لا يليق بالله **عَزَّوَجَلَّ**، أن يخلق داراً للمؤمنين وفيها ما فيها من أنواع النعيم، ثم تبقى معطلة ما يدخلها المؤمنون إلا بعد كذا وكذا من السنين.

فبناء على ذلك قالوا: إن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يخلق الجنة والنار إلا يوم القيامة، وذلك حتى ينزهوا الله **عَزَّوَجَلَّ** عن هذا الأمر. والذي أوقعهم في هذا أنهم قاسوا الخالق على المخلوق.

وهذه الضلالة هي التي أوقعتهم في كثير من الأمور المنحرفة في مسائل العقيدة، وهو أنهم قاسوا الخالق على المخلوق.

وما قالته المعتزلة هو من الكلام الفاسد. فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق الجنة قبل ذلك، وخلق النار قبل ذلك. والله **عَزَّوَجَلَّ** في ذلك الحكمة البالغة. وإن علمنا شيئاً من حكم الله **عَزَّوَجَلَّ**، فما نجعله أكثر.

ومن جملة الحكم: ترغيب النفوس بالشيء الموجود. فالنفوس ترغب بالشيء الموجود، فإذا كانت الجنة موجودة مخلوقة، رغب الخلق فيها، واشتد نشاطهم، واشتدت رغبتهم وإقبالهم على الخير.

وهكذا كون النار موجودة مخلوقة، فإن هذا أدعى إلى الفرار منها والابتعاد عنها. وفي وجودهما غاية الترغيب في الخير، وغاية الترهيب من الشر، والله **عَزَّجَلَّ** الحكم العظيمة، لكن ما نعلمه من حكمة الله **عَزَّجَلَّ** الشيء اليسير، وما نجعله هو أكثر. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد أخبر بوجود الجنة، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في شأن الجنة: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ولم يقل: سوف تعد، وإنما قال: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقال في النار: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وكذلك يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ﴾ [النجم: ١٣-١٥]. فأخبر الله **عَزَّجَلَّ** عن نبيه محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، أنه رأى جبريل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في ليلة الإسراء والمعراج المرة الثانية - الأولى كانت في الأرض، والثانية في السماء - ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾. قال: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾. وهذا يدل على أن الجنة موجودة في ذاك الموضع الذي ذكره رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وأما أدلة السنة فهي أدلة متكاثرة جدًا بلغت مبلغ التواتر المعنوي. وإذا أراد الإنسان أن يحصي أدلة السنة، فربما عسر عليه لكثرتها. لكن من ذلك على سبيل الاختصار: رؤية النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** للجنة والنار وهو في صلاة الكسوف، والأحاديث في ذلك متكاثرة في الصحيحين وفي أحدهما، فرأى الجنة ورأى عنقودًا من عناقيد العنب فتقدم ليأخذه، ورأى النار ثم رجع القهقري، كما في الأحاديث المشهورة.



ووقع حجر، وسمع الصحابة وجبة، فأخبرهم النبي ﷺ أنه حجر سقط من شفير جهنم قبل سبعين خريفاً، الآن حين وصل إلى قعرها، وقد سمع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تلك الوجبة. والمؤمن إذا كان في قبره فإنه يرى مقعده في الغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار.

وكذلك يرى مقعده من الجنة والنار، كما في حديث البراء المشهور، فإن كان من أهل الجنة فيقال: «هذا مقعدك من النار» لو أنت عصيت الله، ثم يرى مقعده من الجنة. وأخبر النبي ﷺ بأن أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في الجنة. وأخبر النبي ﷺ أن أرواح المؤمنين طير في الجنة.

وهذا يدل على أن الجنة موجودة مخلوقة. وأخبر النبي ﷺ فقال: «وَأَشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِ». أي: أشد ما تجدونه من الزمهير وهو البرد، فمن نفسها الذي في الشتاء، وأشد ما تجدونه من الحر فمن نفسها الذي في الصيف. وقال: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ». فهذا يدل على أن جهنم موجودة مخلوقة، وأن ما يجده الإنسان من البرد الشديد فمن نفسها الذي في الشتاء، وما يجده من الحر الشديد فمن نفسها الذي في الصيف.

والأدلة في ذلك متكاثرة جداً في سنة النبي ﷺ، وكلها تدل على بطلان ما ذهب إليه المعتزلة من هذا المذهب المخالف لكتاب الله عز وجل والمخالف لسنة النبي ﷺ. وإنما أتوا من ذلك القياس الفاسد، حين قاسوا أفعال الخالق على أفعال خلقه.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ): عرفنا أن هذا القول هو الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسنة. فالجنة مخلوقة وهي الآن موجودة، والنار قد خلقها الله **عَزَّجَلَّ** وهي الآن موجودة ومخلوقة. هذا الذي عليه أئمة السلف، وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

وخالفت المعتزلة في ذلك كما سبق، وحجتهم في ذلك كما سبق أنهم قاسوا الخالق على المخلوق، وقد تقدم أن عرفنا أن المعتزلة في باب الأفعال مشبهة، وفي باب الصفات معطلة فجمعوا بين البدعتين: التعطيل في باب الصفات، والتشبيه في باب الأفعال؛ لأنهم قاسوا الخالق على المخلوق، وهذا القياس حصل لهم في مسائل متعددة فمنها ما سبق، ومنها تعويض الآلام -الذي يسمونه: العوض- فإنهم قاسوا الخالق على المخلوق، فنظروا إلى المعذبين من الصغار ومن الحيوان الذين لا ذنب لهم، فقالوا: يجب على الله **عَزَّجَلَّ** في حقهم العوض. وذلك لأن المخلوق إذا اعتدى على مخلوق بغير ذنب، فالواجب عليه العوض. فقاسوا الخالق على المخلوق، وأوجبوا على الله **عَزَّجَلَّ** عوض الآلام بعقولهم الفاسدة.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ، وَالنَّارُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ):** بين المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** موضع الجنة وموضع النار. فموضع الجنة قال: **(في السماء السابعة)**. وموضع النار: **(تحت الأرض السابعة)**. والأدلة تدل على ذلك. فإن الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ﴾ [النجم: ١٣-١٥]. والنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** إلى أين وصل؟

الجواب: إلى السماء السابعة. وسدرة المنتهى في السماء السابعة. فهذا يدل على أن الجنة في السماء السابعة.



وكذلك في حديث البراء المشهور: «اكتبوا كتاب عدي في عليين، في السماء السابعة»، فالجنة في السماء السابعة.

والأدلة في ذلك متكاثرة.

وأما النار فيقول: **(والنار تحت الأرض السابعة السفلى)**: فالنار في أسفل سافلين. ﴿تُرْجَرُ رُجْدَتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]. فهي في أسفل سافلين، أي: أسفل موضع. فالنار في أسفل موضع، والجنة في السماء السابعة في عليين.

وفي حديث البراء بن عازب المشهور، قال: يقول الله عز وجل: «اكتبوا كتاب عدي في سجين في الأرض السابعة».

فنار جهنم في الأرض السابعة، هذا الذي تدل عليه الأدلة.

ومن جملة الأدلة الدالة على ذلك قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في شأن مسجد الضرار: ﴿فَأَنهَارَ يَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]. فالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هدم مسجد الضرار، فانهدم مسجد الضرار وانهار في نار جهنم، كم قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَأَنهَارَ يَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، ومعلوم أن مسجد الضرار انهار في الأرض، والله عز وجل قال: ﴿فَأَنهَارَ يَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

وقد ذكر غير واحد من الصحابة كجابر بن عبد الله وغيره، أنهم شاهدوا خروج الدخان من مسجد الضرار بعد أن هدم. فجاء هذا جماعة فيما ذكره الطبري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في تفسيره، وغيره من أهل العلم، فوجدوا آثار الدخان أو تصاعد الدخان. فهذا من جملة الأدلة الدالة على أن نار جهنم في الأرض السابعة.

فنار جهنم ليست في السماء، وإنما هي في الأرض. ولو كانت نار جهنم في السماء للزم من هذا أن الكفار يصعدون ويعلون إليها، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أخبر أنهم في أسفل

سافلين. وروح الكافر إذا صعد بها من قبل الملائكة، فهل تفتح لها أبواب السماء أم لا تفتح؟

الجواب: لا تفتح لها أبواب السماء. قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فالسما لا تفتح لا لأرواحهم ولا لأجسادهم. فأرواحهم إذا صعدت واستأذنت الملائكة بصعودها، فلا تفتح لهم أبواب السماء، بل يُرمى بأرواحهم رميًا إلى الأرض حتى تصير إلى أجسادهم.

فالسما لا تفتح للكافرين، لا لأرواحهم ولا لأجسادهم. فلا يحصل لهم شيء من العلو، لا لأرواحهم ولا لأجسادهم. وإنما يحصل لهم السفلى. فهم في أسفل سافلين. فنار جهنم في أسفل سافلين، والجنة في عليين. فهذا الذي دلت عليه الأدلة.

وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] لا يدل على أن النار في السماء.

وقوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من أهل العلم من قال: المراد بذلك الجنة. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: من نعيم الجنة. أو أن ذلك من عند الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: الكل من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وليس المعنى أن نار جهنم في السماء، فإن هذا خلاف ما تدل عليه الأدلة المتكاثرة. وهذا الذي يقرره أهل العلم: وهو أن الجنة في عليين في السماء السابعة، وأن النار في أسفل سافلين كما ذكر المؤلف هاهنا. وذكر ذلك غير واحد من أهل العلم. فهذا القول هو الذي دلت عليه الأدلة.

قال المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (وَأَنْتَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا **الْعَرْشُ**): كما جاء في حديث أبي هريرة المشهور في الصحيح، قال النبي



عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ: فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ - وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». فالفردوس سقفها عرش الرحمن. والفردوس أعلى الجنة ووسط الجنة، كيف يكون الشيء أعلى ووسط في وقت واحد؟

الجواب: يمكن هذا في القبة أو الشيء المستدير، وذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، أن هذا يكون في الشيء المستدير أو المقبب، فيكون أعلى ووسط في آن واحد.

وهذا مما يدل على أن الجنة إما أن تكون كروية أو أنها مقببة، وعلى أقل تقدير فهي مقببة.

واحتج بهذا شيخ الإسلام في رسالته العرشية، وهي في مجموع الفتاوى، على أن العرش كذلك مقبب، وليس مستويًا، فإن العرش هو سقف الجنة، والجنة إما أن تكون مقببة أو مستديرة، وكذلك يكون سقفها على هذه الصورة.

فهذا الذي حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته المشهورة العرشية، وهي رسالة نافعة مفيدة، تكلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ على عدة مباحث ومسائل متعلقة بالعرش، وأجاب عن كثير من الإشكالات الواردة في الباب بكلام نفيس رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَدَدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، وَعَدَدَ أَهْلِ النَّارِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا): وفي الحديث الذي جاء عند الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المشهور، أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَرَجَ عَلَيْنَا وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَذَرُونِ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا. فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ،

ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا».

فكل قد علمه الله عَزَّوَجَلَّ. كل من في الجنة والنار قد علمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. علم الله عَزَّوَجَلَّ جميع ذلك، وكل ذلك مكتوب. ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤]. لا يخفى على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيء. ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾، فلا يفوت على الله أحد من الخلق، لا من أهل الجنة ولا من أهل النار.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكل شيء عليم، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قال: (لا تَفْتَيَانِ أَبَدًا): أي: الجنة والنار لا تفتيان أبدًا، فخلق الله عَزَّوَجَلَّ الجنة والنار للبقاء، لا للفناء. وهذا الذي عليه عامة العلماء. فعامة العلماء ذهبوا إلى أن الجنة والنار لا تفتيان أبدًا. فهذا الذي عليه عامة من مضى.

والذين ذهبوا إلى فناء الجنة والنار هم: الجهمية، فالجهمية هم الذين قالوا بفناء الجنة والنار، وذلك مبني على أصلهم الفاسد، وهو عدم تسلسل الحوادث لا في الماضي ولا في المستقبل.

فالجهمية ذهبوا إلى أن الحوادث لا تتسلسل لا في الماضي ولا في المستقبل. وبناء على هذا ذهب الجهمية إلى أن الجنة والنار تفتيان.

وذهب أبو الهذيل العلاف من أئمة المعتزلة إلى فناء حركات أهل الجنة والنار مع بقاء الجنة والنار، فالجنة باقية والنار باقية، والفناء للحركات. فيأتي يوم على أهل الجنة لا يتحركون، فمن كان قائمًا فيبقى على قيامه أبد الآبدين، ومن كان جالسًا فيبقى على جلوسه أبد الآبدين، ومن أخذ لقمة ومدّها إلى فمه فتقف حركاته قبل أن تدخل إلى فمه، فيبقى على هذه الهيئة فاتحًا لفمه أبد الآبدين، فتفنى الحركات في



وقت من الأوقات ويبقى الناس لا حركة لهم، وكلُّ يبقى على هيئته في ذلك الوقت: فالمضجع على اضطجاعه، والجالس على جلوسه، والأكَل على هيئته، وكذلك القول في أهل النار.

فهذا مذهب أبي الهذيل العلاف من أئمة المعتزلة، والذي عليه أئمة السنة ما دلت عليه الأدلة: وهو أن الجنة والنار لا تغنيان أبداً، وقد كفر أئمة السلف الجهمية بهذه المقولة حين قالوا بفناء الجنة؛ لأن الأدلة تدل على خلاف هذا. قال الله عز وجل: ﴿كُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]. فنعيمها مستمر، قال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۚ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣]. فلا تنقطع عنهم، بل هي مستمرة، ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ فما في مانع يمنعهم منها، ليس كحال ثمار الدنيا فالإنسان في الدنيا وإن وجدت الثمرة، لكن قد يوجد مانع: إما الفقر فلا يكون عنده ما يشتري به الثمرة، وإما أن تكون الثمرة عالية لا يتوصل إليها، وأما في الجنة قال الله: ﴿فُطُوفُهَا دَائِمَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]. فالقائم يتناولها في قيامه، والجالس في جلوسه، والمضطجع على حاله، فذلت لهم تذليلاً.

وقد يكون المانع للشخص في الدنيا من أكل بعض ثمارها أن تكون في ملك غيره، وقد يكون المانع مرض من الأمراض، كأن يصاب بمرض يمنع بسببه من بعض الفاكهة، وهذا لا وجود له في فاكهة الجنة، فلا هي مقطوعة ولا ممنوعة. ولا تنقطع في بعض الفصول أيضاً كفاكهة الدنيا، فإنها تأتي في بعض الفصول وتنقطع في بعض الفصول، بل هي مستمرة في جميع الأوقات، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، أي: ما له من انقطاع.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فالأدلة تدل على بقاء الجنة وبقاء ما فيها من النعيم، فما فيها من نعيم لا ينفد ولا ينقطع ولا يمنع،

وهو دائم مستمر. والله يقول: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]. ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] لا يخرجون منها ولا تفتنى.

فالقول بفناء الجنة من القول المخالف لأدلة الكتاب والسنة، ومخالف لإجماع الأمة، ولهذا كفر السلف الجهمية بسبب هذه المقولة وغيرها.

وهكذا ما يتعلق بفناء النار، فالقول فيها كالقول بفناء الجنة سواء، فالنار لا تفتنى. وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، ومنهم ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع".

وشيوخ الإسلام له تعليق على كتاب مراتب الإجماع لابن حزم، وما تعقب ابن حزم في هذا الإجماع، وإن كان تعقبه في بعض المسائل الأخرى، لكن في هذه المسألة ما تعقبه. بل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ممن ينقل الإجماع على أن النار لا تفتنى، وهذا موجود ومسطور في مجموع الفتاوى. فنقل الإجماع على أن النار لا تفتنى. وكذلك غير واحد من أهل العلم ينقل الإجماع على ذلك. غير أنه نُقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعن تلميذه العلامة ابن القيم ذكر النزاع في هذه المسألة.

فشيوخ الإسلام في موضع ينقل الإجماع، وفي موضع آخر ينقل النزاع. ونقل النزاع في رسالة له طُبعت فيما يتعلق بهذه المسألة وهيه رسالة مستقلة، فنقل فيها نزاع العلماء في فناء النار، وبَيَّن أن هناك من السلف من قال بفناء النار.

وكذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، فإنه سار كسير شيخه، ونقل أيضًا النزاع في هذه المسألة، وأن هناك من أئمة السنة من ذهب إلى القول بفناء النار.

والصواب في ذلك: هو الإجماع الذي سبق ذكره، الذي ذكره شيخ الإسلام بنفسه في بعض المواضع، وذكره ابن حزم وغير واحد من أئمة العلماء. فإن ما نُقل من



الخلاف في هذه المسألة مما لا يستقيم أن يعد خلافاً. فإنه يُنقل الخلاف عن عمر بن الخطاب، وعن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة، وعن عبد الله بن مسعود، وعن بعض الصحابة. والمتأمل في تلك النقول لا يرى أنه لا يستقيم أن ينقض الإجماع بمثل تلك النقول. فإن من تلك النقول ما لم يثبت عن أولئك الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، كالنقل المذكور عن عمر بن الخطاب: "لو مكث أهل النار على قدر رمال عالج؛ لكان لهم يوماً يخرجون منها". أي: من النار. فهذا الأثر منقطع من رواية الحسن البصري عن عمر بن الخطاب ولا يستقيم هذا الأثر، ولا يثبت.

وجاءت آثار أخرى عن الصحابة منها ما لم يثبت، ومنها ما ثبت. وما ثبت محمول على أهل الكبائر من أهل التوحيد، فهم يريدون أهل الكبائر من أهل التوحيد، ولا يريدون الكفار، فكلامهم محمول على خروج الموحدين الذين وقعوا في بعض الكبائر ودخلوا نار جهنم والعياذ بالله.

فإن هذا الذي تدل عليه الأدلة المتواترة المتكاثرة. فجميع تلك الآثار، ما ثبت منها وما لم يثبت، ليس فيها القول بفناء النار. فالقول بفناء النار قول ليس فيه سلف. إنما تلك الآثار فيها ما يدل على مسألة الخروج، وأنَّ هناك من يخرج. وأما القول بفناء النار، فهو قول ليس له مستند صحيح معتبر، لا من أدلة الكتاب والسنة، ولا من آثار الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وهناك بعض الاحتجاجات التي في الاحتجاج بها نظر، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧]. فاحتجوا بالاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْنَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].
والشاهد: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

وكذلك قوله سبحانه تعالى: ﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣] في شأن الكفار. فقالوا: إذا انقضت الأحقاب خرجوا من النار.

وهذا احتجاج فيه نظر؛ فإن الله عز وجل قال بعد ذلك بآيات: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ ٢٤ ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ ٢٥ ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ ٢٦ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ٢٧ ﴿وَكَذَبُوا بِعَايَتِنَا كَذَابًا﴾ ٢٨ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْتَهُ كِتَابًا﴾ ٢٩ ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ٣٠. أي: بعد انقضاء هذه الأحقاب، هل يكون الخروج والنجاة من

العذاب أم المزيد من العذاب؟ الجواب: ينالهم المزيد من العذاب.

وقد تقدم أن ما نُقل من الآثار التي تدل على فناء النار عن بعض الصحابة لا تدل على مسألة الفناء، وإنما تدل على مسألة الخروج، على أن كثيرًا من تلك الآثار لا تثبت، وما ثبت منها فهو محمول على خروج الموحدين. فمن كان من الكافرين فإنه مؤبد في نار جهنم. قال الله عز وجل: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩]. وقال سبحانه وتعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]. ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾. لا يخرجون منها، والعذاب مقيم لا ينقطع عنهم ولا يزول. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]. ما معنى غرامًا؟

أي: أنه ملازم لهم كملازمة الغريم لغريمه، الغريم يلزم غريمه ويطالب بحقه. فعذاب جهنم عذاب ملازم لهم لا ينفك عنهم، كملازمة الغريم لغريمه. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا



كَانَ غَرَامًا ﴿٣٦﴾. ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَؤُنَا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا﴾ [فاطر: ٣٦].

مجرد التخفيف نفاه الله **عَزَّجَلَّ** فضلاً عن فناء النار.

فنفى الله **عَزَّجَلَّ** مجرد تخفيف العذاب فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ [غافر: ٤٩-٥٠]. فما يخفف الله **عَزَّجَلَّ** عنهم يوماً واحداً من العذاب، فضلاً عن أن يقال: إِنَّ النَّارَ تَفْنَىٰ وتزول، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٥].

﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ ما يخفف عنهم العذاب، وهم مبلسون قانطون من رحمة الله **عَزَّجَلَّ**، وقانطون من الخروج من نار جهنم، فلا يخرجون منها ولا تفنى. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وهكذا يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. يعني: كلما أرادت أن تفنى النار، زادهم الله **عَزَّجَلَّ** سعيراً. وهذا يدل على التكرار. فإن ﴿كُلَّمَا﴾ تدل على تكرار الفعل بعدها، كلما تكرر تكرار الفعل، فكلما تريد النار أن تخبو لا تخبو، بل يزيدها الله **عَزَّجَلَّ** سعيراً. فالقول بأن النار تفنى مؤداه خلاف هذه الآية، وهو أن النار تفنى ولا يزيدها الله **عَزَّجَلَّ** سعيراً.

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** بين أنه كلما أرادت نار جهنم أن تخبو فما تترك أن تخبو حتى تفنى، بل يزيدها الله **عَزَّجَلَّ** سعيراً. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾. فهذه الآية من أظهر الأدلة الدالة على أن النار لا تفنى.

وقال سبحانه تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]. وهذا للاستمرار، فكلما حصل النضج أبدلهم الله عزَّجَلَّ جلودًا غيرها. فالأدلة الظاهرة تدل على أن أهل النار وهم الكفار مخلدون فيها أبدًا، وأن العذاب لا ينقطع عنهم، وأنهم لا يخرجون من نار جهنم، وأن نار جهنم لا تخبو ولا تفتنى. هذا الذي دلت عليه الأدلة.

وعرفنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ نقل في ذلك الإجماع، وهو أن النار لا تفتنى، وهذا موجود في مجموع الفتاوى، ونقل غيره ذلك أيضًا. وذكرنا أن ابن حزم نقل الإجماع في مراتب الإجماع، وما انتقده على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية مع أنه علق على مراتب الإجماع وانتقده على كثير من الإجماعات. غير أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ له رسالة طُبعت وينقل فيها النزاع. وكذلك العلامة ابن القيم ينقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أنه نقل النزاع في هذه المسألة. ففي موضع ينقل الإجماع، وفي موضع ينقل النزاع.

والعلامة ابن القيم في كتابه "حادي الأرواح" نقل النزاع فيها وبسط القول في هذه المسألة بسطًا واسعًا في الباب السابع والستين، فبسط القول وحشد من أدلة القائلين بفناء النار الشيء الكثير، وتوسع في ذلك، وأورد ما أورد من الحجج التي يحتج بها من يقول بفناء النار.

وبعد أن أطال النفس في هذه المسألة، أورد سؤالًا في نهاية البحث، فقال: فإن قيل: إلى أين انتهى إليه قدمك في هذه المسألة التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قال: انتهى قدمي إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. فما جزم فيها بشيء، ووكل الأمر إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



فالعلامة ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** لم يصرح بأنه يختار هذا المذهب - وهو القول بفناء النار - غير أنه حشد من الأدلة التي تدل على أنه يميل إلى هذا القول.

ولهذا لا يصح أن يعزى هذا إلى العلامة ابن القيم، فيقال: إن العلامة ابن القيم يذهب إلى فناء النار. وقد ذكر في مواطن أخرى من كتبه بعدم الفناء، ككتابه "النونية" وهو من أواخر ما قرئ عليه من مؤلفاته، فقرر فيه عدم فناء النار بالعبرة الصريحة. وكذلك في كتاب "الوابل الصيب" قرر فيه عدم فناء النار. وفي غير ذلك من كتبه.

فله عبارات صريحة بعدم فناء النار. وأما القول بالفناء فليس له عبارة صريحة في ذلك.

وكذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**، مذهبه كمذهب ابن القيم. فلم يصرح بأن النار تنفنى، وإنما لما سئل عن ذلك بين ما فيها من النزاع، وذكر بعض الحجج في ذلك، ولم يبين مذهبه وأنه يختار هذا القول. فكذلك فيما يظهر أنه لا يصلح أن يعزى هذا أيضًا إلى شيخ الإسلام ابن تيمية فلا يقال: إنه يختار هذا القول. لكن يُقال: إنه ذكر النزاع في هذه المسألة، وذكر حجج من قال هذا القول، ولم يصرح بمذهبه.

والقول المجزوم به المقطوع به أن النار لا تنفنى لقول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. والأدلة في ذلك متكاثرة. فهذا هو القول المجزوم به المقطوع به في هذه المسألة.

والمؤلف هنا يقول: **(لا تَفْنِيَانِ أَبَدًا)**. هذا هو القول المعروف عن أئمة السلف، وهو المشهور في كتب العقيدة.



آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في جنة الخلد ثم اهبط منها بمعصيته

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَمَا عَصَى اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح:

قوله: (وَأَدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ). وهذه المسألة مما تنازع فيها العلماء في شأن آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هل كان في الجنة الباقية المخلوقة، أي: في جنة الخلد، ثم اهبط منها إلى الأرض؟ أو أنه كان في جنة في الأرض، أو في جنة في السماء غير جنة الخلد؟ هذا مما تنازع فيه العلماء.

فهناك من أهل العلم من ذهب إلى أن آدم لم يكن في الجنة المخلوقة التي في السماء، وإنما في جنة من جنان الأرض. وذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم، كالمنذر بن سعيد البلوطي صاحب التفسير رَحِمَهُ اللهُ، وكذلك سفيان بن عيينة، وكذلك ابن قتيبة، وجماعة من العلماء. قالوا: المراد بها جنة في الأرض.

وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "النبات"، فذهب إلى أن آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يكن في جنة الخلد، وإنما كان في جنة في الأرض، فكان في جنة من جنان الأرض، والهبوط في قوله تعالى: ﴿أَهْبِطُا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨] لا يلزم أن يكون من السماء. كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]. فالهبوط قد يكون من موضع مرتفع في الأرض إلى موضع منخفض من



الأرض. فهؤلاء ذهبوا إلى أن آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان في جنة من جنات الأرض، ولم يكن في السماء. ويحتجون بعدة حجج.

ومن أقوى هذه الحجج ما يتعلق بشأن إبليس. فإن إبليس منعه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من سكنى السماء وطرده منها، وأهبطه الله **عَزَّجَلَّ** من السماء إلى الأرض، كما في الأدلة المتكاثرة في كتاب الله **عَزَّجَلَّ**. وذلك أن الله **عَزَّجَلَّ** لما خلق آدم. أمر الملائكة أن يسجدوا له، فخر الملائكة سجداً، وتكبر إبليس، فطرده الله **عَزَّجَلَّ** من رحمته، وأخرجه الله **عَزَّجَلَّ** من السماء إلى الأرض.

وبعد ذلك أسكن الله **عَزَّجَلَّ** آدم الجنة. ولما سكن آدم الجنة وبقي فيها ما بقي، فقالوا: فكيف يأتي إبليس ويوسوس لآدم وحواء؟ وقد أهبطه الله **عَزَّجَلَّ** من السماء إلى الأرض. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول في شأن الكافرين: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فالكفار لا تفتح لهم أبواب السماء، وإبليس هو رأس أهل الكفر، وهو أكفر الكافرين. فكيف بعد أن أهبط إلى الأرض تفتح له أبواب السماء، ويصعد إلى السماء، بل ويدخل الجنة، ويوسوس لآدم وقد طرده الله **عَزَّجَلَّ** وأخرجه الله **عَزَّجَلَّ** من السماء إلى الأرض، وقد بين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن السماء لا تفتح للكافرين، وإبليس من أكفر الكافرين؟

فهذه أقوى حجة عند هؤلاء، فقالوا: إذن آدم لم يكن في جنة الخلد، وإنما كان في جنة من جنات الأرض. فالجنة التي في الأرض يمكن لإبليس أن يدخل إليها؛ لأنه إنما طرد من السماء، ولم يطرد من الأرض.

ويحتجون أيضاً بحجج أخرى: وهي أن الجنة لا يدخلها من كان كافراً، وإبليس هو رأس الكفر، والله **عَزَّجَلَّ** حرمها على الكافرين، وأخبر الله **عَزَّجَلَّ** أنه ليس في الجنة

لغو ولا تأثيم، وما حصل من إبليس من الوسوسة هو من أعظم اللغو، وما حصل من آدم وحواء من المعصية هو من الإثم.

وأخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** عن جنة الخلد أن من دخلها لا يخرج منها، ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وآدم خرج منها. وأخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** أن الجنة هي دار القرار، وآدم لم يستقر فيها. وأخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** أن الجنة هي دار الخلد، وآدم لم يخلد فيها. فقالوا: إذا تأملنا في سائر الصفات التي وصف الله **عَزَّوَجَلَّ** بها جنة الخلد، لا نجد هذه الصفات موجودة في الجنة التي كان فيها آدم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

وقالوا: الجنة ما هي دار تكليف، وقد كُلف آدم بالامتناع من تلك الشجرة، إلى غير ذلك من الحجج.

فتأملوا ونظروا في الأدلة التي فيها ذكر أوصاف الجنة، فوجدوا أن تلك الأوصاف لا تنطبق على جنة الخلد. فلهذا ذهب هؤلاء إلى أن المراد بذلك جنة في الأرض، وهي جنة مباركة عظيمة في الأرض، منها أهبط آدم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وزوجه بعد أن أكلا من الشجرة.

وأما أكثر العلماء فقالوا: بل المراد بذلك جنة الخلد، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** قال لآدم وحواء: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. والجنة المعرفة بالألف واللام هي الجنة المعروفة المعهودة، وهي جنة الخلد.

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ** لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩]. قالوا: هذه أوصاف جنة الخلد، ولا تكون هذه الأوصاف في جنة من جنات الدنيا.

وقالوا: وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان، أن الناس يأتون إلى آدم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من أجل أن يستفتح لهم باب الجنة، فيقول لهم



آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ». يعني: كيف تريدون أن أدخلكم الجنة وبخطيئتي أخرجتم منها؟ والكلام في جنة الخلد. إلى غير ذلك من الأدلة المتكاثرة التي تدل على صحة هذا القول، وأن المراد بالجنة التي كان فيها آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هي جنة الخلد، وليست بستاناً من بساتين الأرض. وهذا الذي عليه أكثر من تقدم من أهل العلم.

وأما ما يتعلق بالأوصاف التي ذكرت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في جنة الخلد، فإنما تكون في وقت الجزاء. فتلك الأوصاف وهي كونها دار القرار، وأن من كان فيها مخلد، وأنه لا يسمع فيها اللغو ولا التأثيم وغير ذلك، هذا إنما يكون في دار الجزاء حين ينتقل المؤمنون إليها ويسكنون فيها، فحينئذ تكون فيها هذه الأوصاف المذكورة. وأما قبل ذلك فقد يدخل الشخص فيها دخولاً عارضاً ولا يستقر. والنبی عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الإسراء والمعراج دخل الجنة دخولاً عارضاً. وأرواح المؤمنين في الجنة. فإذا جاءت القيامة تخرج الأرواح من الجنة إلى الأجساد. فالمراد بالخلود وتلك الأوصاف إنما هو في وقت الجزاء، حين يدخل فيها المؤمنون ويسكنونها، وأما قبل ذلك فقد يحصل الدخول العارض، وقد يدخل فيها من ليس بمخلد، وقد يحصل فيها شيء من اللغو والتأثيم من باب الابتلاء والامتحان، كما حصل من آدم في قضية الأكل من الشجرة، وما حصل من إبليس من تلك الوسوسة الداخلة في اللغو. فتلك الأوصاف إنما تكون كما عرفنا في وقت الجزاء.

بقي ما يتعلق بدخول إبليس إلى الجنة بعد أن طرد من السماء. فهذا هو كما عرفنا هو أقوى حجة عند هؤلاء.

وقد أجابوا عن دخوله الجنة بأجوبة منها:

أن إبليس دخل في جوف حية، وهذا فيه ما فيه، وحكايته تغني عن رده، وهناك من يقول: لعل إبليس كان في الأرض وبلغت وسوسته إلى الجنة التي فيها آدم، وهذا فيه ما فيه، فإن إبليس يقول لآدم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿مَا نَهَكُكُمْ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٠]. وهذا يدل على أنه كان موجودًا، يشير إلى شيء قريب، وهو يدل على أنه كان مع آدم في ذلك الموضع، ويشير له إلى شجرة من أشجار الجنة، فالقول بأنه كان في الأرض والوسوسة بلغت إلى آدم في الجنة، أو القول بأنه دخل في جوف حية، كل هذه من الأقوال التي فيها ما فيها من البعد.

ولعل أحسن ما يُقال في ذلك: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** أذن له قدرًا أن يدخل دخولًا طارئًا؛ لحكمة أرادها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهي الابتلاء والامتحان، والأصل أنه ممنوع من دخولها، لكن أراد الله **عَزَّوَجَلَّ** شيئًا فأمضاه. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يفعل ما يشاء ويقضي ما يشاء.

وعلى كل: قد بسط القول حول هذه المسألة العلامة ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه "حادي الأرواح"، ولم يرجح شيئًا فيها، وبسطها أيضًا في كتابه "مفتاح دار السعادة" ومنشور ولاية العلم والإرادة، ولم يرجح شيئًا. وأما شيخه فاختار أنها جنة من جنات الأرض في كتابه "النبوات". والله تعالى أعلم.

والله **عَزَّوَجَلَّ** قال لآدم وحواء: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ۖ﴾ [البقرة: ٣٦]. وهل هذا يدل أنهما كانا في الأرض أم كانا في السماء؟

الجواب: هذا يدل على أنهما كانا في السماء. ولهذا لما خاطبه الله **عَزَّوَجَلَّ** فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ۖ﴾.



إذن: هذه المسألة التي حصل فيها النزاع بين العلماء، فإنَّ الصحيح فيها ما عليه أكثر العلماء، وهو الذي لا يكاد يعرف غيره وهو أن الجنة التي كان فيها آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هي جنة الخلد.

قال المؤلف: (وَأَدَمُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَ مَا عَصَى اللَّهَ)

فعصى الله في أكل الشجرة، ثم تاب، وتاب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه.

ولله **عَزَّجَلَّ** في ذلك الحكمة البالغة. فخلقه الله **عَزَّجَلَّ** وأسكنه الجنة، وهو يعلم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن مآله إلى الأرض، ولهذا الله **عَزَّجَلَّ** لما خاطب الملائكة، قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة: ٣٠]، ولم يقل في الجنة. وهذه من حجة من حجج من يقول إن آدم كان في جنة في الأرض، وأن الله **عَزَّجَلَّ** خلق آدم في الأرض وتركه في الأرض؛ لأن الله قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾، ولم يقل في الجنة. فاحتجوا بهذه الآية على أن آدم كان في جنة في الأرض. لكن الذي يظهر أن ذلك باعتبار المآل. وأن الله **عَزَّجَلَّ** وإن جعله في الجنة ابتداءً، فإنما أراد أن يكون بعد ذلك في الأرض للحكمة التي أرادها. ولهذا لما خاطب الملائكة خاطبهم باعتبار مآل آدم، وأنه وإن جعله في الجنة، لكنه أراد أن يكون في الأرض لحكمة أرادها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ومن حكمة الله **عَزَّجَلَّ** في نزول آدم إلى الأرض: ما حصل في الأرض من الأمور التي يحبها الله **عَزَّجَلَّ**، ومنها: ما حصل فيها من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وما حصل فيها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في مرضات الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وحصل فيها ما حصل من الطاعات والخيرات، وظهر فيها أولياء الله الصادقون في ولايتهم لله **عَزَّجَلَّ**، الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم وكل ما يملكون من أجل الله **عَزَّجَلَّ**. فكم حصلت من أمور أحبها الله في الأرض.

وكذلك العبد لا يعرف قدر النعمة إلا إذا أخرج منها وسلبها، فإنه بعد ذلك يعلم مقدار النعمة. ومن كان في نعمة فربما لا يعرف قيمتها، ولا يشكر الله على تلك النعمة حق الشكر. فإذا ما نزعت النعمة منه فإنه يعلم قدر النعمة. فكثير من الناس إذا أزيلت عنهم النعمة عرفوا قدرها، وإذا ما أعيدت لهم بعد ذلك قاموا بشكرها؛ لأنهم علموا مشقة زوال تلك النعمة عنهم. فهذا مما يؤدي إلى شكر النعمة. فعلى كل، **لله عَزَّوَجَلَّ** في ذلك الحكم البالغة. وقد تكلم العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** على شيء حسن جميل حول هذا الأمر في أوائل كتابه "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة".

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعل للمؤمنين الجنة، وهي من أعظم النعم. ولا يصل العبد إلى تلك النعمة إلا بعد الشدائد، وذلك حتى يعرف قيمتها. وهكذا هي سنة الله **عَزَّوَجَلَّ** في خلقه في النعم والمكرمات، فإن العبد لا يصل إلى المكرمات إلا بعد شدة التمحيص والابتلاءات. وهكذا لا يدخل المؤمن دار الكرامة إلا بعد شدة التمحيص والشدائد: فمن ذلك شدة الدنيا وما فيها من الهموم والغموم، وما فيها من مجاهدة النفس ومجاهدة الشيطان. وبعد ذلك شدة الموت، وشدة القبور وما فيها من الأهوال، وشدة البعث والنشور وما في ذلك من الأهوال العظام. ثم بعد ذلك المرور على الصراط فوق جهنم وما فيه من الأمور والأهوال العظام. فلا يدخل المؤمن بعد ذلك الجنة إلا ويعرف قدرها، فهذه سنة من سنن الله **عَزَّوَجَلَّ** في النعم والمكارم. فإذا وصل إليها المؤمن علم قدرها، وشكر ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليها.





الإيمان بالمسيح الدجال

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالْمَسِيحِ الدَّجَالِ.

الشَّرْحُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْإِيمَانُ بِالْمَسِيحِ الدَّجَالِ): والمسيح الدجال أطلق عليه المسيح؛ لأنه ممسوح العين اليمنى، وقد أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأنه أعور العين اليمنى.

وما جاء في بعض الأحاديث أنه أعور العين اليسرى، فمحمول على معنى المَعِيب، أي: عينه اليسرى معيبة. وأما العَوْر الذي هو ذهاب البصر فهو في العين اليمنى. فاليمنى ذهب بصرها، واليسرى معيبة.

ولو كان البصر غير موجود في اليمنى ولا في اليسرى لكان أعمى. والذي دلت عليه الأدلة بأنه أعور، لكن في بعضها أن العَوْر في اليمنى، وفي بعضها في اليسرى. والجمع بينها: أن اليمنى ذهب بصرها، واليسرى معيبة.

والمسيح الدجال قيل له ذلك؛ لأنه ممسوح العين، أو لأنه يمسح الأرض، أي: يطوف الأرض غير مكة والمدينة، فإنه يمنع من دخولهما. والدجال بمعنى: كثير الكذب. والدجل: كثرة الكذب. فهو كثير الكذب.

وقيل: الدجل التغطية، أي: أنه يغطي الحق بالباطل.

وقتة المسيح الدجال من أعظم الفتن.

فما من نبي من الأنبياء إلا حذر قومه الأعور الكذاب: «**أَلَا إِنَّهُ أَعُورٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعُورٍ**»، كما جاء في حديث أنس، وجاء أيضًا في حديث عبد الله بن عمر، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في الباب. وهذا يدل على خطورة هذه الفتنة.

وجميع الأنبياء حذروا من هذه الفتنة. وكل فتنة صغيرة أو كبيرة صنعت لفتنة المسيح الدجال، فهي ممهدة لفتنة المسيح الدجال، كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. فهي من الفتن العظيمة.

والمسيح الدجال يخرج من خلة بين الشام والعراق. وفي بعض الأحاديث أنه يخرج من المشرق من بلاد يقال لها خراسان، فيخرج من بلاد فارس. ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفًا.

وفتنه فتن عظيمة جمعت بين الشبهات والشهوات. فعنده شبهات وعنده شهوات. فيمر على القوم فيؤمنون به، فتتزل الأمطار، وتعظم ضروع الأنعام، ويحصل لهم الخير الدنيوي. ويمر بقوم ولا يؤمنون به، فيصبحون ممحلين، لا ضرع ولا زرع. فهذه فتنة في جانب الشهوات: ومعه جبل من خبز، ويمر بالخربة فتتبعه كيعاسيب النحل، أي تتبعه كنوزها مثل النحل. ومعه جنة ونار، فهذه فتن عظيمة في جانب الشهوات.

وعنده فتن في الشبهات. ولهذا قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فَلْيَنَأْ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**». فعنده شبهات.

ويأتي للرجل ويقول: "أرأيت إن أحيت لك أباك وأمك، أتؤمن بي؟" فيوافق على ذلك. فيأتي بعض الشياطين يتمثل بأبيه وأمه، ويخاطبونه أن هذا هو ربك، فأمن به. فتحصل بذلك فتنة لكثير من الناس من جهة الشياطين. فهي فتنة جمعت بين



الشبهات والشهوات. والفتنة إذا جمعت بين الشبهات والشهوات، فإنها من أخطر الفتن.

فهناك من الناس من ينجذب إلى الشبهات ويقع في الفتن، وهناك من يقوى قلبه في جانب الشبهات لما عنده من العلم، ويضعف في جانب الشهوات. وكم قد أميل من أناس إلى الفتن بسبب الشهوات. فكيف إذا اجتمعت الشبهات والشهوات معاً؟ فإن الفتنة تعظم وتعظم، وهذه هي حال فتنة المسيح الدجال.

وقد كذب بخروج المسيح الدجال أهل البدع من الخوارج ومن المعتزلة ومن الجهمية، كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "البداية والنهاية". فكذب بخروج المسيح الدجال طوائف من الخوارج والمعتزلة والجهمية. وبعض المتأخرين أيضاً يكذب به، كأبي زهرة صاحب الأصول، ومحمد عبده المصري، شيخ رشيد رضا، فإنه يرى أن المسيح الدجال رمز الخرافة، فما يرى أن هناك رجلاً حقيقاً يقال له المسيح الدجال وتحصل منه فتنة، وإنما يرى أنه من جملة الرموز، فهو رمز الخرافة. وجاء أبو الأعلى المودودي في بعض رسائله وتكلم على المسيح الدجال، وقال: إن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يظن في زمنه أن المسيح الدجال سوف يخرج أو في قرب زمنه. قال: ومرت كذا وكذا من السنين أكثر من ألف وثلاثمائة سنة، وما خرج المسيح الدجال، فعلم أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إنما ظن ظناً وأخطأ في ظنه. وكل هذا من الافتراءات.

فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكان يبحث ويتحرى في أمر ابن صياد، هل هو المسيح الدجال أو ليس هو المسيح الدجال؟

وأما المسيح الدجال فهذا أمر قد أخبر عنه جميع الأنبياء والرسل، «ما من نبي إلا حذر قومه الأعور الكذاب»، وأخبر بذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ولم يحصل من

النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** شيء من الشك والظن في خروج المسيح الدجال، بل هذا من الأمور المتيقنة المعلومة بالأدلة المتكاثرة.

فكل هؤلاء خاضوا في مسألة المسيح الدجال مثل هذا الخوض الباطل، فمنهم من كذب، ومنهم من تأول مثل هذه التأويلات التي حقيقتها التكذيب، وأن المراد به رمز الخرافة. وهناك من خطأ النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في ظنه كأبي الأعلى المودودي، فذكر أن النبي **ﷺ** كان يظن ظناً ثم تبين أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أخطأ في ظنه، وقد مر كذا وكذا من السنين ولم يخرج.

وكل هذا من الباطل. فالواجب هو الإيمان بخروج المسيح الدجال، كما أخبر بذلك نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وأخبر بذلك سائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وعلى كل: المسيح الدجال وصفه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بصفات ظاهرة لا تلبس. ومن أبرز هذه الصفات أنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور.

هكذا قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهو قصير القامة وجسيم، أي عظيم الجسم مع قصر القامة، وهو أفحج القدمين، أي: هناك تباعد بين الساقين أو بين الفخذين، أو غير ذلك مما ذكره العلماء في معنى الأفحج.

وهو جعد الشعر، وأحمر اللون.

ومن أبرز الصفات فيه صفة العور.

ومكتوب بين عينيه "كافر" يقرأ تلك الكتابة كل مسلم، قارئ وغير قارئ.

وهذه آية من آيات الله **عَزَّ وَجَلَّ**، يقرأ بين عينيه من كان مسلماً، سواء كان قارئاً أو غير قارئ، يقرأ "كافر". فهذه صفة ظاهرة بينة.



ومع ما فيه من العيوب، فهو يدعي الربوبية، ولا يستطيع أن يزيل تلك العيوب من نفسه، وهي عيوب ظاهرة تدل على أنه مربوب مخلوق من مخلوقات الله **عَزَّوَجَلَّ**، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فما استطاع أن يزيل العيب عن نفسه، فكيف يدعي الربوبية؟

وقد شبه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** المسيح الدجال بعبد العزى بن قطن، رجل هلك في الجاهلية. وأما ابن صياد، فكان النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يظن أنه هو، أو كان يتحرى في أمره، هل هو هو أو ليس هو، وهناك من الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين من كان يحلف بأن ابن صياد هو المسيح الدجال، ومنهم: جابر بن عبد الله.

وأما أبو سعيد فشككه ابن صياد في شأنه في أول الأمر، فروى مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ لِي: أَمَا قَدْ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ، يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَالُ، أَلَسْتُ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ**، يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُوَلَّدُ لَهُ» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ**، يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَا، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَوْلَدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ، قَالَ: فَلَبَسَنِي.

وفي رواية له عن أبي سعيد الخدري، قال: قَالَ لِي ابْنُ صَائِدٍ: وَأَخَذَنِي مِنْهُ دِمَامَةٌ: هَذَا عَذَرْتُ النَّاسَ، مَا لِي وَلَكُمْ؟ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللَّهِ **ﷺ**: «إِنَّهُ يَهُودِيٌّ» وَقَدْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: «وَلَا يُوَلَّدُ لَهُ» وَقَدْ وُلِدَ لِي، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ مَكَّةَ» وَقَدْ حَجَجْتُ، قَالَ: فَمَا زَالَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَأْخُذَ فِي قَوْلِهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: أَمَا، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ الْآنَ حَيْثُ هُوَ، وَأَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: وَقِيلَ لَهُ: أَيْسُرُكَ أَنَّكَ ذَاكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ فَقَالَ: لَوْ عَرِضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ.

وفي رواية له عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا، أَوْ عُمَرَاءَ، وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ، قَالَ: فَتَزَلْنَا مَنَزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ، فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَخَشَّةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ، قَالَ: فَرَفَعْتُ لَنَا غَنَمًا، فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ، فَقَالَ: اشْرَبْ، أَبَا سَعِيدٍ فَقُلْتُ إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ، مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ - أَوْ قَالَ آخَذَ عَنْ يَدِهِ - فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبَلًا فَأَعْلَقُهُ بِشَجَرَةٍ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ، يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ كَافِرٌ» وَأَنَا مُسْلِمٌ، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ عَقِيمٌ لَا يُوَلِّدُ لَهُ»، وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ» وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبَّا لَكَ، سَائِرَ الْيَوْمِ.

وفي حديث عبد الله بن عمر الذي في صحيح الإمام مسلم، جاء إلى عبد الله بن صياد وقد نتأت عينه، وهذه علامة من علامات المسيح الدجال، وقد نتأت عينه. فقال له عبد الله بن عمر: متى حصل هذا لعينك؟ فقال: لا أدري. فقال: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: لو شاء الله أن يجعل في عصاك هذه لجعلها. فقال عبد الله بن عمر: وقد أخبرني أصحابي أنني ضربته بعصا كانت في يدي حتى تكسرت، وأنا والله ما شعرت. فذهب إلى أخته حفصة، فقالت له: "رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضَبَةٍ يَغْضَبُهَا». وهذا من مفاصد



الغضب. فأعظم فتنة تحصل في الأرض سببها الغضب. وهي فتنة خروج المسيح الدجال فيخرج من غصبة يغضبها.

وابن عمر أغضب ابن صياد، فانتفخ حتى ملأ السكة، أي: ملأ الطريق، فكانت فيه بعض الدلال والعلامات التي تدل على أنه المسيح الدجال، ولأجل هذا كان جماعة من الصحابة يحلفون أنه المسيح الدجال.

ومن أهل العلم من ذهب إلى أن المسيح الدجال ليس هو ابن صياد، وأن المسيح الدجال هو المذكور في حديث الجساسة، هو ذلك الحيس في الدير المربوط بالسلاسل كما في حديث الجساسة المشهور الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وكم يبقى المسيح الدجال في الأرض؟

الجواب: أربعين يومًا: فيوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر الأيام كأيامنا. واليوم الذي مقداره سنة، لا تكفي فيه صلاة يوم واحدة؟ ولهذا قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ «اقْدُرُوا لَهَا»**؛ ففي ذلك اليوم يصلي الناس صلوات سنة، ويصومون شهر رمضان، ويحجون البيت، فلا تكفيهم صلاة يوم واحدة.



الإيمان بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيْمَانُ بِنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ، وَيَتَزَوَّجُ، وَيُصَلِّي خَلْفَ الْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَمُوتُ وَيَدْفِنُهُ الْمُسْلِمُونَ).

الشرح:

وهذا مما يجب أيضاً الإيمان به: وهو الإيمان بنزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر بذلك، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]. فهو من علامات الساعة؛ فنزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من علامات الساعة، والآية في سياق عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ قبله وبعده شأن عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهكذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]، أي: قبل موت عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يمت. وهناك من أهل الكتاب من سوف يؤمن به قبل موته حين ينزل في آخر الزمان. والوفاة التي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ما المراد بها؟

قيل: معناها القبض، والاستيفاء بمعنى القبض، يقال: استوفيت الدين أي: قبضته كاملاً.

هذا أحد أقوال أهل العلم، أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ قبضه بروحه وبدنه. هذا أحد الأقوال.



والقول الآخر: النوم، أي: أن الله **عَزَّجَلَّ** أنامه ثم رفعه، فالمراد بذلك النوم، أنامه الله **عَزَّجَلَّ** ثم رفعه بروحه وجسده.

وهناك من أهل العلم من ذكر أن هذا القبض الذي حصل لعيسى بن مريم أخرجه عن حاجة البشر الدنيوية، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**، أي: خرج عن حاجة الإنسان في الدنيا من المطعم والمشرب والبول والغائط ونحو ذلك، وكذلك من حيث السن والعمر، فإن السن والعمر يتوقف.

فعلى كل حال: نزول عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في آخر الزمان مما دلت عليه أدلة القرآن وأدلة السنة المتواترة الكثيرة، والحمد لله.

قال الإمام البرهاري **رَحِمَهُ اللهُ**: **(والإيمان بنزول عيسى ابن مريم، ينزل فيقتل الدجال):** فينزل عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ويقتل الدجال، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح، فيدركه عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بحرْبته فيقضي عليه قبل أن يتم ذوبانه، فيطعنه بحرْبته فيهلك، ويشاهد الناس هلاكه ويعرفون حقيقة أمره، وأنه دجال كذاب، وأن ما ادعاه من الربوبية والألوهية من الكذب المحض، فإن مآله إلى القتل. ويشاهد الناس هذه الآية كما شاهد بنو إسرائيل جسد فرعون، حتى ينجلي الأمر انجلاءً لا لبس فيه، أي: أنه كاذب في دعواه الألوهية والربوبية.

وقد قال الله **عَزَّجَلَّ** في شأن فرعون؟ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. فنجاه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ببدنه، لم ينجه بروحه وبدنه، وإنما نجاه ببدنه؛ حتى يحصل اليقين للناس، ويشاهدونه أنه قد مات، ويعرف ويتبين كذبه حين ادعى الألوهية والربوبية. وهذه الآية لمن خلفه، أي: من بني إسرائيل.

وليس المراد أن جسد فرعون يبقى إلى يوم القيامة، فهذا غير صحيح، ولا دليل عليه.

وكذلك بعض الأجساد التي قيل إنها جسد فرعون، كل هذا من الكذب والافتراء. والاحتجاج بهذه الآية والاستشهاد بها على أن ذلك الجسد هو جسد فرعون، كل هذا من الاحتجاج بما لا حجة فيه، ومن القول على الله بغير علم. فنجاة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** له ببدنه لتكون آية لمن خلفه من بني إسرائيل، والنجاة كما عرفنا نجاة بالبدن لا بالبدن والروح.

أما قول بعض الزنادقة: إن فرعون أسلم وكان من الناجين من عذاب الله **عَزَّجَلَّ**، فهذا كلام الزنادقة، ويحتجون بقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقالوا: إنما دخل آل فرعون أشد العذاب، وأما فرعون فإنه آمن قبل أن يموت وصرح بذلك: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]. قالوا: فقد آمن فرعون، وإنما يدخل نار جهنم آل فرعون من الكفار. وهذا الكلام في غاية الباطل، فإن الله **عَزَّجَلَّ** ما قبل إيمانه، قال: ﴿ءَاكَلْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. فما قبل الله **عَزَّجَلَّ** إيمانه في ذلك الموضع.

وقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٤٦]، فهل يدخل الشخص في آله أم لا؟

الجواب: نعم يدخل الشخص في آله، ومما يدل على ذلك ما جاء في بعض صيغ التشهد: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم» من غير ذكر إبراهيم، قال: "على آل إبراهيم". وهل يدخل إبراهيم في آله أم لا؟

الجواب: يدخل في آله.

وماذا قال الله **عَزَّجَلَّ** عن فرعون؟ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]. لكنهم يقولون: هو يُقَدِّمُهُمْ إلى نار جهنم، ولا يدخلها، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ



الْقِيَمَةِ ﴿﴾ قال بعدها: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، أي: أدخلهم النار ورجع، دلهم على الطريق فقط هكذا يزعمون.

ومما يبطل ما قالوه قول الله عز وجل: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥]. فهذا يدل على أنه في الآخرة من الهالكين.

على كل حال: هذا كلام الزنادقة، وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وبيّن ما في هذا القول من الباطل، وأنه ليس من أقوال المسلمين، وإنما هو من كلام الزنادقة الذين يريدون أن يحكموا بإسلام فرعون، كالآخر الذي قال: إبليس ما كفر، فذاك يقول: ما كفر إبليس، والآخر يقول ما كفر فرعون، فلا فرعون كافر ولا إبليس كافر، على زعم هؤلاء.

قال: (والإيمان بنزول عيسى ابن مريم، ينزل فيقتل الدجال ويتزوج): قال: (ويتزوج). فأما كونه يتزوج أو لا يتزوج، فالعلم عند الله عَزَّجَلَّ. وقد جاء في ذلك أثر عن عبد الله بن عباس رواه أبو نعيم في كتاب الفتن، إلا أنه لا يثبت عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فمثل هذا يحتاج فيه إلى دليل صريح صحيح. فالله أعلم هل يتزوج أو لا يتزوج، فهذا أمر مما غاب عنا، وعلمه عند الله عَزَّجَلَّ، ولا يتكلف الإنسان الكلام في أمر غيبي إلا بدليل صحيح، إما من كتاب الله أو من سنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال الإمام البرهاري: (ينزل فيقتل الدجال): ويقتله بباب "لد" كما جاء في الحديث، في بيت المقدس، ونزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يكون عند المنارة البيضاء شرقي دمشق كما رواه مسلم.

وقد جاء في بعض الأحاديث أنه يبقى أربعين سنة، كما جاء في مسلم من حديث أبي هريرة: «أنه يبقى أربعين سنة».

قال: **(ويصلي خلف القائم من آل محمد ﷺ):** والمراد به: المهدي المنتظر. وهذا جاء في مسلم من حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال في الحديث: **«فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»**. فيصلي عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** خلف أمير المسلمين في ذلك الزمن، كما جاء في حديث جابر في صحيح الإمام مسلم. واستظهر جماعة من أهل العلم أن المراد به المهدي، وإن لم يصرح به في الحديث، ولهذا قال المؤلف هنا: **(ويصلي خلف القائم من آل محمد ﷺ، ويموت).**

وما الدليل على أنه يموت بعد أن ينزل؟

الجواب: قوله تعالى: **﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلٍ أَلْكَتَبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾** [النساء: ١٥٩]، وهذا يدل على أنه يموت بعد ذلك، مع عموم قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾** [آل عمران: ١٨٥]، **﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ﴾** [الأنبياء: ٣٤].

قال: **(ويدفنه المسلمون):** وهذا جاء في حديث أبي هريرة في المسند: **«أنه يمكث أربعين سنة، ثم يموت، ويصلي عليه المسلمون»**.

فعلى كل حال: هذا ما يتعلق بعيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ونزوله في آخر الزمان، ويحصل للناس في ذلك الوقت من حسن العيش والأمن من الأمور العجيبة. فإن عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لا يقبل إلا الإسلام، فتوضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، فمن كان كافراً وأصر على كفره فإنه يُقتل، ومن أسلم ترك، فلا يبقى في الأرض إلا الإسلام، يزول الشرك والكفر من الأرض. فإذا زال شر الأعمال وبقي خير الأعمال، بقي التوحيد والعمل الصالح، وزال الشرك، حصلت البركة للأرض، فإن الذنوب والمعاصي هي المفسدة للأرزاق والأقوات.



قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَوْ لَا بَنُو إِسْرَائِيلَ، لَمْ يَخْبَثِ الطَّعَامُ، وَلَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ» أي: لم يتغير، «وَلَوْ لَا حَوَاءُ، لَمْ تَخُنْ أَنْتَى زَوْجَهَا الدَّهْرُ». فالتغير الذي حصل للطعام واللحم مع طول المكث، ما سببه؟ سببه الذنوب، ذنوب بني إسرائيل، فصار الطعام يتغير مع طول المكث، وكذلك اللحم يتغير مع طول المكث، وكان قبل ذلك الطعام يبقى على حاله إلى أن يؤكل، وكذلك اللحم يبقى على حاله، لا مواد حافظة ولا حاجة لثلاجة، فيبقى اللحم على حاله ولا يتغير، والطعام يبقى على حاله ولا يتغير. فالذنوب مفسدة للأقوات. فلما يزول الكفر من الأرض ولا يبقى إلا الإسلام، يأتي الخير، فيأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتخرج من بركاتها، ويحصل ما يحصل من النعيم الذي ذكره النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** مع الأمن العظيم، فيجمع لهم رب العالمين بين الأمن والعيش الطيب من حيث المطعم والمشرب، وبركة في الأقوات، وبركة في الثمار، وبركة في بهيمة الأنعام، وكل هذا بسبب الأعمال الصالحة وزوال الكفر. والكفر على العكس من ذلك، فإذا انتشر الكفر في الأرض ماذا يحصل؟

الجواب: يحصل الدمار.

وجاء في حديث أنس قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللهُ» رواه مسلم. فما يُعرف رب العالمين سبحانه، ولا يبقى إلا الكفر، فيدمر الله **عَزَّوَجَلَّ** الكون، وتقوم الساعة. فالكفر إن كان هو الموجود في الأرض، فلا بقاء للأرض ولا للكون، وأما إذا وجد الإيمان والكفر، فالكون لا يزال باقياً وإن حصل فيه ما حصل له من التغير والفساد.

وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِسْلَامُ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ الْعِيشُ الْهَنِي، كَمَا فِي زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَالْإِسْلَامُ الْمُحَضُّ بَرَكَةٌ، وَالْكَفَرُ الْمُحَضُّ شَوْمٌ وَدَمَارٌ لِلْكَوْنِ.

وَجَاءَ فِي مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابُ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرَّزُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِیَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِدِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُخْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيَبَارِكُ فِي الرُّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفَتَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ).



وروى أحمد عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون). وهو حديث حسن لغيره.



تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَقَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَإِصَابَةٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ.

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْإِيمَانُ بَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ). أي: يجب الإيمان بهذه المسألة من مسائل الإيمان، وهي: أن الإيمان قول وعمل. وهذا الذي عليه أئمة السلف وهو: أن الإيمان قول وعمل. والمؤلف قال: (ونية وإصابة)، وكلها عبارات يتلفظ بها السلف، فمن السلف من يقول: الإيمان قول وعمل.

ومرادهم بالقول في هذا الموضع: قول اللسان، وقول القلب وهو اعتقاده. فإذا قالوا: قول وعمل، فالقول: قول اللسان وقول القلب. وإذا قالوا: عمل، فالمراد بذلك: عمل القلب والجوارح. والقول داخل في مسمى العمل، ولا شك أن القول داخل في مسمى العمل. لكنهم قد يفرده بالذكر فيقولون: قول وعمل باعتبار أن عمل اللسان له اسم يخصه فذكره باسمه الأخص أنسب.

وهناك من أهل البدع من كان يقول: الإيمان قول وعمل، ويقول: إذا قال فقد عمل. أو يدخل العمل في مسمى الإيمان ويريد بالعمل: القول، وإذا عمل فقد قال. وهذا من مذاهب المرجئة.



وعلى كل حال: الإيمان: قول وعمل، هذا الذي عليه أئمة السلف، فهو قول باللسان، وقول بالقلب، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح. والمرجئة كما هو معلوم اتفقوا على إخراج عمل الجوارح عن مسمى الإيمان. ولهذا قيل لهم: مرجئة، والإرجاء هو التأخير. ﴿وَأَخْرُوجَهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ مَّا يُمْرُونَ لَهَا﴾ [التوبة: ١٠٦]، أي: مؤخرون. فهم آخروا العمل عن مسمى الإيمان فأخرجوه، فقليل لهم مرجئة من أجل ذلك، أو لأنهم غلبوا جانب أدلة الرجاء على أدلة الوعيد، فقليل لهم مرجئة.

وأما عمل القلب: فأكثر المرجئة يدخلونه في الإيمان وهناك من أخرجه.

إذن: المتفق عليه بين المرجئة إخراج عمل الجوارح عن مسمى الإيمان.

فالإيمان كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: قول وعمل. وأضاف (ونية) وذلك باعتبار أن القول والعمل لا يُقبلان إلا بالإخلاص. وقال: (وإصابة) أي: إصابة السنة، باعتبار أن الإخلاص والمتابعة شرطا قبول العمل. فلهذا من السلف من يقول: الإيمان قول وعمل، ويقتصر على هذه العبارة، ومنهم من يضيف النية والإصابة باعتبار أنهما شرطا قبول العمل، وكلها عبارات صحيحة. فيصح أن يُقال: الإيمان قول وعمل. ويصح أن يُقال: الإيمان قول وعمل واعتقاد. وإذا قلنا: واعتقاد، جعلنا القول قول اللسان لذكر الاعتقاد، وجعلنا العمل: عمل القلب وعمل الجوارح. لكن العبارة المشهورة يقولون: الإيمان قول وعمل. والمؤلف قال: (ونية وإصابة) أي: إصابة السنة.

وقد تكلمنا في شرح أصول السنة للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن فرق المرجئة، وتكلمنا أيضًا على أول من قال بالإرجاء، وهو ذر بن عبد الله المرهبي. وعرفنا مذهب الجهمية في الإرجاء وهم غلاة المرجئة. وما الذي يذهبون إليه؟ وهو أن الإيمان مجرد المعرفة. فمن عرف ربه فهو مؤمن عند الجهمية.

ولازم هذا القول؟ أن إبليس مؤمن، فإنَّ إبليس يعرف ربه فيعرف أن الله **عَزَّجَلَّ** هو الذي خلقه، ولهذا قال: ﴿فِعَزَّكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٢]، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٣٦] [الحجر: ٣٦]. فهو معترف أن الله **عَزَّجَلَّ** هو الذي خلقه ورزقه، وأن أمره بيد الله **عَزَّجَلَّ**. فلازم كلام الجهمية أولاً: القول بإيمان إبليس، وثانياً: القول بإيمان فرعون. وفرعون كان يعرف أن الله عز وجل هو الخالق، والدليل على أنه يعرف ربه قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، فهذا في فرعون وآل فرعون.

وثالثاً: يلزم أيضاً من هذا القول: إيمان اليهود والنصارى، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

ورابعٌ يلزم من هذا القول إيمان المشركين أيضاً قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَمْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

فهذه المقولة من أخبث المقولات، وهذا الإرجاء وهو إرجاء الجهمية هو أشد الإرجاء.

ومذهب الأشاعرة شبيه بمذهب الجهمية، فالإيمان عندهم هو مجرد التصديق، أي: تصديق القلب. ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إن مذهب الأشاعرة في الإيمان كمذهب الجهمية.

فالقرب موجود بين المذهبين: مذهب الجهمية ومذهب الأشاعرة. وأما الكرامية فيقولون: الإيمان: قول اللسان، فإذا قال بلسانه فهو مؤمن.



وحكموا على المنافقين بالإيمان، فالمنافق عندهم كامل الإيمان، ومآله إلى النار، فهو مؤمن كامل الإيمان ومخلد في نار جهنم. وهذا من العجائب التي عند الكرامية: فحكموا عليه بالإيمان الكامل وحكموا عليه بأنه في الدرك الأسفل من النار. ومن قال عن مذهب الكرامية إن المنافقين في الجنة، فقد أخطأ عليهم، كما يقول ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فهم ما يقولون هذه المقولة. وإنما حكموا عليهم بكمال الإيمان وحكموا عليهم بالخلود في النيران وأنهم في الدرك الأسفل من النار.

وما الذي يبطل مذهب الكرامية من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ؟

يبطله أول سورة البقرة قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨]، فأثبت لهم القول، ثم قال الله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]. فأثبت لهم القول ونفى عنهم الإيمان، فهذه الآية تبطل مذهب الكرامية، لأن الله أثبت لهم القول أي: للمنافقين، ونفى عنهم الإيمان: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وأما مرجئة الفقهاء: فأخرجوا عمل الجوارح عن مسمى الإيمان، وأدخلوا قول اللسان وقول القلب وعمله في مسمى الإيمان.

وعندهم أن الثواب معلق بالعمل، والعقاب معلق بترك العمل، وكذلك بسائر الذنوب والمعاصي، لكنهم لم يدخلوا أعمال الجوارح في مسمى الإيمان. وهذا هو أخف الإرجاء. وقد قع فيه كثير من أصحاب الكوفة كأبي حنيفة وشيخه حماد بن أبي سليمان، وكذلك كثير من أتباع أبي حنيفة من أهل الكوفة وقعوا في هذا الإرجاء، ولما وقع فيه كثير من فقهاء الكوفة سمي بإرجاء مرجئة الفقهاء. وهو أخف مراتب الإرجاء، وهو مع ذلك داخل في البدع، لكنه أخف من غيره؛ وذلك لأنهم ذهبوا إلى

أنه لا بد من العمل، فالثواب معلق بالعمل، والعقاب معلق بترك العمل ومعلق بالذنوب والمعاصي، لكن قالوا: لا نسمي العمل إيماناً، فلم يدخلوه في مسمى الإيمان، فضلوا حين لم يدخلوه في مسمى الإيمان وأحدثوا هذه البدعة. فالإرجاء بجميع أصنافه من جملة البدع، إلا أنه كما عرفنا يتفاوت، فأشد الإرجاء: إرجاء الجهمية، وأخف الإرجاء: إرجاء مرجئة الفقهاء.

قال: **(بأن الإيمان قول وعمل، وعمل وقول، ونية وإصابة).** والأدلة في ذلك متكاثرة في كون الإيمان قول وعمل، وفي دخول العمل في مسمى الإيمان، كقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]**، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس. والصلاة فيها القول والعمل، وفيها النية وفيها الإصابة. ومما يدل على أن الإيمان قول وعمل قول النبي ﷺ: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»** رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. فهذا يدل على أن الإيمان قول وعمل، فقوله: لا إله إلا الله، هذا القول. وإمطة الأذى عن الطريق، هذا عمل الجوارح. والحياء شعبة من الإيمان، هذا عمل القلب. والأدلة في ذلك متكاثرة.

قال: **(يزيد وينقص):** فالإيمان يزيد بالطاعة، سواء كانت الطاعة من قبيل الواجبات أو من قبيل المستحبات. فالإيمان يزيد بالطاعة عموماً. **﴿وَيَزِدَّكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]**، **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]**، **﴿يُكْمَرُ زَادَتُهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]**. فهذا مما يدل على زيادة الإيمان، فأدلة زيادة الإيمان صريحة في كتاب الله عز وجل.



وقال: **(يزيد وينقص)**: والإيمان هل ينقص؟ نعم ينقص ونقصان الإيمان يكون بالمعصية، ومن المعصية ترك الواجبات، فإن من ترك الواجب فقد عصى ربه. فيصح أن يُقال: وينقص بترك الواجب والوقوع في المعصية، فهذا كلام صحيح. ويصح أن يُقال: ينقص بالمعصية، باعتبار أن المعصية تشمل الأمرين: فترك الواجب معصية، والوقوع فيما نُهي عنه معصية. فإن عبر بهذا أو بهذا فالمعنى صحيح ومستقيم.

قال: **(يزيد وينقص)**. أدلة النقصان أخفى من أدلة الزيادة، ولهذا مما يُحكي عن الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ**، فيما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان أن الإيمان يزيد ولا ينقص، وذلك باعتبار أن أدلة الزيادة أدلة ظاهرة. وأما أدلة النقصان ففيها شيء من الخفاء. والحقيقة أن أدلة الزيادة تدل على النقصان، فإن الإيمان قبل أن يزيد كان ناقصًا.

وهكذا قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»** رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

وضعف الإيمان هو نقصانه. **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»** رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وهو ضعيف بإيمانه، وهذا يدل على نقصان الإيمان. والأدلة في ذلك متكاثرة.

فهذا الذي عليه أهل السنة وهو: أن الإيمان يزيد وينقص. وخالف في ذلك المرجئة، فالمرجئة عندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، هو شيء واحد، فإيمان أفجر الخلق من أهل الإسلام كإيمان أتقى الخلق. فإيمان أفجر الخلق من أهل الإسلام كإيمان جبريل عليه السلام، وإيمان محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

وهذا القول فيه ما فيه من الباطل، والأدلة تدل على أن الناس متفاوتون في الإيمان، وأنهم ليسوا على حد سواء. ويخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فينقص الإيمان حتى لا يبقى إلا مثقال ذرة من إيمان، وينقص إلى أن يزول بالكلية. كما قال المؤلف: **(وينقص حتى لا يبقى منه شيء)**، فالناس متفاوتون في الإيمان، وليسوا على حد سواء.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والإيمان بأن الإيمان قول وعمل، وعمل وقول، ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء): والإيمان: هناك من يعرفه في لغة العرب بأنه التصديق، وهذا التعريف، كما نبهنا عليه في درس من الدروس الماضية، أنه لا يستقيم، وممن انتقده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الإيمان قول من قال: الإيمان في اللغة هو: التصديق، وبين رَحِمَهُ اللَّهُ أن علماء اللغة الذين نقلوا اللغة عن العرب مباشرة، لم ينقلوا عن العرب الكلام في الإيمان، وأن هذه اللفظة إنما عُرِفَتْ بالأدلة الشرعية، فَعُرِفَتْ بأدلة القرآن والسنة. وأما الذين نقلوا لغة العرب عن العرب مباشرة ودونوها، فما خاضوا في هذه المسألة وما نقلوا عن العرب الكلام في الإيمان. وإنما تكلم في ذلك من تأخر من أهل اللغة، فتكلموا في مسألة الإيمان، وقالوا: الإيمان في اللغة التصديق، وإنما أُتِيَ كثير منهم من مذهبه، فقد يكون ذلك المؤلف في اللغة وقع في المذهب الأشعري، فيعرف الإيمان باعتبار عقيدته، فيقول: الإيمان في اللغة هو التصديق.

فعلى كل حال: من كان متقدماً من أهل اللغة الذين نقلوا لغة العرب عن العرب مباشرة كالخليل وغيره، فإنهم لم ينقلوا عن العرب الكلام في الإيمان، هذا الذي يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الإيمان.



وإنما عُرفت هذه اللفظة بأدلة الشرع. والإيمان الذي جاء في الشرع يشمل القول والعمل، كما دلت على ذلك الأدلة المتكاثرة، وسبق أن ذكرنا شيئاً من ذلك.

وكون الإيمان جاء في بعض الآيات على معنى التصديق، كقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، فلا يعني أنه في سائر مواردِه على هذا المعنى. فإن الإيمان مذكور في آيات كثيرة، هنا ذكر على معنى التصديق. وفي قول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، هل المراد بذلك: ليضيع تصديقكم، أو المراد بذلك الصلاة؟ الجواب: المراد بذلك الصلاة التي فيها القول والعمل.

وهكذا هنالك أدلة متكاثرة من كتاب ومن سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ذكر فيها الإيمان على معنى واسع، وليس مجرد التصديق، كقوله عليه الصلاة والسلام «**الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا - فَأَعْلَاهَا - قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**».

فإذا نظرنا في أدلة الشرع من الكتاب والسنة، نجد أن الإيمان أُطلق على التصديق، وأُطلق على قول اللسان، وأُطلق على قول القلب، وأُطلق على عمل القلب، وعلى عمل الجوارح.

فكونه جاء في موضع من المواضع على معنى التصديق، لا يعني أنه هكذا في جميع مواردِه، أو أنه في لغة العرب بمعنى التصديق، فإنه كما عرفنا لم يأت النقل عن العرب في الإيمان، وإنما جاء في أدلة الشرع، وأدلة الشرع جاءت على المعنى الذي ذكره السلف، وهو أن الإيمان قول وعمل، فهذا هو الإيمان.

على أن قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، لا يصح أن يُقال إنه في هذا الموضع يُراد به التصديق، أو أنه مرادف للتصديق. وإنما المراد به نوع من

أنواع التصديق، وهو التصديق بالأمور الخفية. فإن إخوة يوسف أخبروا أباهم بأمر خفي، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]. فإن الإيمان يدل على الائتمان، وإنما يؤتمن الشخص على الأخبار الخفية. ولهذا لو جاء شخص في وسط النهار وقال لآخر: الشمس طالعة، فهل يقول له: آمنتُ لك، أو يقول: صدقتُ بخبرك؟ الجواب: يقول له: صدقتُ بخبرك؛ لأن هذا شيء معلوم، ليس أمراً خفياً، فلا يستعمل الإيمان في أي نوع من أنواع التصديق، وإنما يستعمل في التصديق بالأمور الخفية. ولهذا استعملت هذه الكلمة فيما يتعلق بالإيمان بالأنبياء، كما الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦] فآمن له لوط في شأن إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** [الأنبياء: ٧٤]. فالرسل عليهم الصلاة والسلام أخبروا عن أمور خفية أوحاها إليهم ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فأخبروا عن الله **عَزَّ وَجَلَّ** بأمور تخفى على البشر، فلهذا استعمل في حقهم الإيمان. فالإيمان لا يرادف التصديق من كل وجه، وإنما في بعض المواضع جاء والمراد به التصديق بالأمور الخفية. على أنه جاء في مواضع أخرى من الكتاب والسنة ما يدل على أنه يُطلق على ما هو أشمل من التصديق.

ولو سلمنا أن الإيمان هو التصديق، فلا نسلم أن التصديق يكون بالقلب فقط، فإن التصديق يكون بالقلب ويكون أيضاً بالجوارح، كما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَكْذِبُهُ» متفق عليه من حديث أبي هريرة. فالتصديق يكون أيضاً بالجوارح. وإذا أثبتنا التصديق بالجوارح، فقد أبطالنا مذهب المرجئة.

فعلى كل حال، الأشاعرة تمسكوا بهذا، وقالوا: الإيمان في اللغة هو التصديق، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: مصدق لنا، وهو هكذا في الشرع. قالوا: الشرع جاء موافقاً للغة العرب، فهو في لغة العرب بمعنى التصديق،



وهكذا هو في الشرع بمعنى التصديق. وهذا الكلام كما عرفنا فيه ما فيه من الخطأ، باعتبار أن العرب ما تكلموا أو ما نُقل عنهم الكلام في الإيمان، هذا من وجه. ومن وجه آخر: أن الإيمان جاء في الشرع بما يشمل القول والعمل، ولو سلمنا أن الإيمان هو التصديق، فالتصديق لا يقتصر على القلب، فالتصديق يكون بالقلب ويكون بالجوارح.

وعلى كل حال، لشيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** كلام نفيس حول هذه المسألة، وقد رد على من قال: إن الإيمان في اللغة التصديق، وكلامه مُدَوَّن في كتابه الإيمان [كتاب الإيمان]، فله كلام نفيس، ناقش هذه المسألة نقاشاً علمياً نفيساً.

والصواب من كلام العلماء في مسألة الإيمان والإسلام، هو أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فإذا أُطلق الإيمان وأُفرد بالذكر شمل الإسلام، وإذا أُفرد الإسلام وأُفرد بالذكر شمل الإيمان. وإذا ذُكر الإيمان والإسلام في موطن واحد، فُرق بينهما، كما فرق النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بين الإيمان والإسلام في حديث جبريل، فذكر الإيمان فجعله الأمور الباطنة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. وذكر الإسلام وعرفه بالأمور الظاهرة: الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان.

فعرف النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الإسلام بالأمور الظاهرة والإيمان بالأمور الباطنة. هذا والصحيح في ذلك، وقد حرر القول في هذه المسألة تحريراً نفيساً شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتابه الإيمان، واحتج لذلك بالحجج الكثيرة، وبسط القول في ذلك بسطاً حسناً جميلاً **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

وكان هناك من السلف من لا يفرق بين الإيمان والإسلام، ويحتج بقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**

﴿الذاريات: ٣٥-٣٦﴾. فأطلق عليهم الإيمان وأطلق عليهم الإسلام، فدل ذلك على أن الإيمان هو الإسلام، وأن الإسلام هو الإيمان، وأنه لا فرق بينهما. والجواب: أنه أطلق عليهم الإسلام باعتبار وجود امرأة لوط، فإنها داخلة في الإسلام الظاهر، هي مبطنة للكفر، فلما لم تكن داخلة في الإيمان، ولم يوقر الإيمان في قلبها، وإنما كانت في حكم الإسلام الظاهر. قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦]. فأطلق على البيت الإسلام، باعتبار زوجة لوط، فإنها متظاهرة بالإسلام ولم يدخل الإيمان إلى قلبها.

لكن لما ذكر الإخراج ذكر إخراج أهل الإيمان، فالذين أخرجوا هم أهل الإيمان، فإنها لم تكن امرأة لوط مع الخارجين، فالذين أخرجوا هم أهل الإيمان الذين وقر الإيمان في قلوبهم: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]. فيكون التفريق بين الإسلام والإيمان في هذا الموضع بهذا الاعتبار، لا لأن الإسلام هو الإيمان وأن الإيمان هو الإسلام عند اجتماعهما، وإنما من أجل هذا الأمر. وهذا الذي حرره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وهو كلام حسن جميل.

إذن: الأصل التفريق بين الإيمان والإسلام عند اجتماعهما، وأما عند الافتراق، فالإسلام يشمل الإيمان، والإيمان يشمل الإسلام. وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧] في غير ما آية، يعطف الله **عَزَّجَلَّ** بين الإيمان والعمل الصالح.

فهل يدل هذا على أن العمل الصالح خارج عن الإيمان ومغاير للإيمان، فإن العطف يقتضي المغايرة؟



فهل يُقال: العمل الصالح غير الإيمان؛ لأن الله عطف بين الإيمان والعمل الصالح، أو لا يُقال هذا؟ وما المراد بالعطف؟

الجواب: أن هذا من قبيل ذكر الخاص بعد العام وليس من قبيل المغايرة في هذا الموضوع، وإنما هو من باب ذكر بعض أفراد العام. كقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، مع دخول جبريل وميكائيل في مسمى الملائكة. وهكذا ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والصلاة الوسطى داخلة في الصلوات. فهذا من باب ذكر الخاص بعد العام، وليس المراد أن العمل خارج عن مسمى الإيمان كما تقول المرجئة. كما أنه لا يُقال إن الصلاة الوسطى خارجة عن الصلوات التي أمر الله بالمحافظة عليها في قوله: ﴿حَفِظُوا﴾، ولا أن جبريل وميكال قد خرجا عن مسمى الملائكة لحصول العطف.

فهكذا لا يُقال في عطف العمل الصالح على الإيمان أن العمل الصالح خرج عن مسمى الإيمان. أو يُقال: إن اجتماع العمل الصالح مع الإيمان كاجتماع الإسلام مع الإيمان، فإذا اجتمع الإسلام مع الإيمان، فبماذا نفسر الإسلام؟

الجواب: بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأمور الباطنة. فهكذا إذا اجتمع الإيمان والعمل الصالح، نفسر العمل الصالح بعمل الجوارح، والإيمان يراد به ما في القلب. فإما أن يُقال هذا، وإما أن يُقال هذا. والعقيدة التي يجب أن تُعتقد هي أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

قال: **(يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء)**: يزيد ما شاء الله، وليس للزيادة حد معين تنتهي إليه، ولهذا قال: **(يزيد ما شاء الله)**.

والناس يتفاوتون في الإيمان تفاوتًا عظيمًا لا ضابط له من حيث الزيادة، فالإيمان يزيد ما شاء الله، فما يُقال إنه يزيد إلى حد معين ثم ينتهي، بل كما قال المؤلف: **(يزيد ما شاء الله)**.

فكلما قوي الإخلاص والتوكل والصدق، فإن الإيمان يزيد، ويزيد إلى ما شاء الله، وليس لذلك حد معين ينتهي إليه. لكن النقصان: هل له حد أم لا؟ النقصان له حد. قال: **(وينقص حتى لا يبقى منه شيء)**. فينقص حتى لا يبقى منه شيء. وإذا نقص ولم يبقَ منه شيء، يكون العبد من الكافرين، فإنه من لا إيمان له لا دين له، فيخرج من الدين بالكلية. وأما إذا زال كمال الإيمان الواجب أو المستحب وبقي أصل الإيمان، فإنه لا يكفر.

لكن إذا زال عنه الإيمان بالكلية فإنه يكفر، فلا إسلام لمن لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا إسلام له. فالذي لا إيمان له لا إسلام له، فلا بد للإسلام من إيمان يصححه، ولا بد للإيمان من إسلام يصححه. فالإسلام والإيمان متلازمان. فإذا زال الإيمان بالكلية فإن الإسلام يزول، وإذا زال الإسلام بالكلية فإن الإيمان يزول من باب أولى. فلا بد للإسلام من إيمان يصححه، فالإسلام والإيمان بينهما تلازم.

لكن كما قلنا: قد ينتفي كمال الإيمان الواجب ويبقى أصل الإيمان، كالإيمان الذي نفاه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في حق شارب الخمر، وفي حق الزاني، وفي حق المنتهب، وغير هؤلاء، فإن المراد بذلك نفي كمال الإيمان الواجب، وليس المراد نفي أصل الإيمان. فإذا انتفى كمال الإيمان الواجب وبقي الأصل، فإنه يخرج من الإيمان ويدخل في الإسلام، ولا يخرج من الإسلام بالكلية. إذا انتفى عنه كمال الإيمان الواجب، لكن إذا انتفى عنه أصل الإيمان فإن الإسلام يزول.



قال: **(وينقص حتى لا يبقى منه شيء)**. وفي حديث أبي سعيد في الصحيحين، وحديث أنس: **«أخرجوا من النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان»**. فينقص وينقص الإيمان ويبقى منه الشيء اليسير، حتى جاء في الحديث: **«أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان»**. وهؤلاء ينجيهم الله **عَزَّوَجَلَّ** من الخلود في نار جهنم، وإن كانوا يُعذبون على ذنوبهم، لكنهم ينجون من الخلود في نار جهنم. فلا يبقى في نار جهنم من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، فإذا كان في قلبه شيء من الإيمان ولو كان يسيراً فإنه لا يبقى في نار جهنم، ولا بد أن يخرج، وهذا من فضل الله **عَزَّوَجَلَّ** ورحمته. **﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾** [الحجر: ٢]. وذلك حين يشاهد الكفار ما يحصل لعصاة الموحدين من النجاة بما معهم من الإيمان، فيتمنى الكفار لو كانوا من أمثال هؤلاء، عندهم الإسلام، فينجيهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به من نار جهنم.

قال: **(وينقص حتى لا يبقى منه شيء)**. وهذا الذي عليه كما أئمة السنة، بخلاف الخوارج، فعندهم الإيمان يزول بالكلية، فما في نقصان له. وكذلك المرجئة: عندهم الإيمان لا ينقص، لكنهم لا يبتطلون الإيمان بكبائر الذنوب، فعندهم كبائر الذنوب لا تضر في الإيمان، فلا تنقص الإيمان كبائر الذنوب، كما أن الطاعات لا تزيد في الإيمان، فهذا عند المرجئة. فالخوارج والمرجئة في قضية الإيمان اتفقوا على أن الإيمان شيء واحد، غير أن المرجئة يرون أن الإيمان لا تؤثر فيه الكبائر ولا الصغائر، فالعبد مؤمن كامل الإيمان وإن وقع في كبائر الذنوب، وكذلك إذا وقع في صغائر الذنوب. لكن عند الخوارج يرون أنه يزول الإيمان بالكلية بالكبيرة من كبائر الذنوب. فاتفقت المرجئة مع الخوارج في قضية أن الإيمان شيء واحد لا ينقص، لكن الاختلاف في هذه القضية في فاعل الكبيرة. فالمرجئة يرون أن الكبائر لا تؤثر في الإيمان فلا تنقصه، والخوارج يرون أن الكبيرة تُذهب الإيمان بالكلية. فاتفقوا في



شيء واختلفوا في شيء، وأما زيادة الإيمان فالذي يظهر أنَّ الخوارج يقلون به بخلاف
المرجئة، فهذا بعض ما يتعلق بمسائل الإيمان.





فضائل الصحابة رضوان الله عليهم



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَحَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ. هَكَذَا رُوِيَ لَنَا عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَيَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَلَا يُنْكِرُهُ.

الشَّرح:

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَحَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ): فهو لاء الثلاثة هم من الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، أفضل هذه الأمة، بل أفضل من جميع الأمم السابقة، باستثناء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. فإن هذه الأمة أفضل من سائر الأمم، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فهي خير أمة، وأفضل أمة، وأكرم أمة على الله عزَّ وجلَّ، وهم أكثر أهل الجنة، ولهذه الأمة من الفضائل والخصائص الشيء الكثير. فهذه الأمة هي أفضل الأمم على الإطلاق، ونبيها هو أفضل الأنبياء على الإطلاق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكتابها هو أفضل الكتب على الإطلاق، وصحابة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هم أفضل من صحابة سائر الأنبياء رضي الله عن الصحابة أجمعين. وأبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو أفضل رجل بعد الأنبياء والرسل، وأفضل من وُجد على الأرض من الثقلين بعد الأنبياء والرسل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي المرتبة الثانية: عمر، وفي المرتبة الثالثة: عثمان، وفي المرتبة الرابعة: علي رضي الله عنهم.

وهؤلاء الثلاثة ذكرهم المؤلف هنا باعتبار حديث عبد الله بن عمر قال: «كُنَّا نُحَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُحَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» رواه البخاري. فإذا كان الصحابة في زمن النبي ﷺ يذكرون خير الناس، فيفضلون في المرتبة الأولى: الصديق، وفي المرتبة الثانية: عمر، وفي المرتبة الثالثة: عثمان، وهذا في عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُنكر عليهم ذلك! ولو كان هذا من الأمور المنكرة؛ لما أقرهم على ذلك النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!! وإن قيل: لعلهم تحدثوا ولم يسمع بذلك رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

فالجواب: أن الله قد سمع ذلك، والزمن زمن وحي، والله عَزَّوَجَلَّ لا يُقر هذه الأمة على الخطأ؛ فلو حصل من الصحابة خطأ في زمن الوحي، لأنكر الله عَزَّوَجَلَّ عليهم ذلك، حتى ولو لم يبلغ الخبر إلى النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من جهة أحد من البشر، فالخبر سيأتيه من رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فالله عَزَّوَجَلَّ لا يُقر الناس في زمن الوحي على ما لا يجوز، فلا بد أن يأتي دليل بالإنكار عليهم. فلما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين يخبرون بين الصحابة فيختارون الصديق، ثم عمر، ثم عثمان وذلك في زمن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو زمن الوحي، دل ذلك على أن هذا حق، وهو إقرار من رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإقرار من النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إن بلغه ذلك، ويكفي إقرار رب العالمين سبحانه، كما في حديث الذي في مسلم: «كُنَّا نَعَزِلُ وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ لَوْ كَانَ شَيْئًا يُنْهَى عَنْهُ لَنَهَانَا عَنْهُ الْقُرْآنُ». والجملة الأولى منه في البخاري أيضًا.



على أنه جاء في بعض ألفاظ الحديث في مسلم: «فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَنْهِنَا»، فثبت في ذلك إقرار من الله عز وجل وإقرار من النبي عليه الصلاة والسلام وهذا في مسألة العزل. لكن الشاهد من هذا، أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كُنَّا نَعَزُّلُ وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ» أي: في زمن الوحي، والله عز وجل لا يقرهم على الخطأ في زمن الوحي. فهذه حجة شرعية على تفضيل هؤلاء الثلاثة على غيرهم.

والذي عليه سائر أئمة السنة، أن في المرتبة الرابعة: علي رضي الله عنه. والحجة في ذلك اتفاق جمهور الصحابة على تقديمه في الخلافة بعد عثمان، فإن الصحابة في زمنه، في زمن علي رضي الله عنه، اجتمعت كلمة جمهورهم على علي رضي الله عنه، وأنه أولى الناس بالخلافة بعد عثمان، وهذه الأمة كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ». فكيف بخير هذه الأمة وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؟! فإنهم لا يجتمعون على ضلالة قط.

فاجتمعوا على عثمان، فتكون الحجة في أن عثمان في المرتبة الثالثة هي حجة الإجماع، إجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

والحجة في تفضيل الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، حجة قوية وهي كما سبق: الإقرار من الله عز وجل ومن رسوله عليه الصلاة والسلام، مع حجة الإجماع، فهي حجة قوية. فهؤلاء الثلاثة هم خير هذه الأمة، وخير هذه الأمة بعد الأنبياء والرسل. وفي المرتبة الرابعة: علي رضي الله عنه. وكان بعض من مضى يقول - كأيوب السختياني والإمام أحمد والدارقطني وجماعة -: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وذلك أنهم أجمعوا على تقديم عثمان على علي في الخلافة، فأجمعوا على ذلك، وهذا يدل على أن عثمان أفضل من علي. فمن قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار رضي الله عن الصحابة أجمعين.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (هكذا روي لنا عن ابن عمر؛ قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ بين أظهرنا: إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمع النبي ﷺ بذلك فلا ينكره). وعرفنا أنه في المرتبة الرابعة علي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهو الذي صار إليه جماهير العلماء، وإن كان قد حصل نزاع قديم في هذه المسألة، في مسألة عثمان وعلي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُمَا. لكن الشيء المشهور والمعروف من مذاهب السلف هو تقديم عثمان على علي، وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة، هذا هو الشيء المعتمد عند أئمة السنة. وهناك من السلف من فضل علياً على عثمان، وهذا من حيث الأدلة خطأ. لكن هذه المسألة ليست من المسائل التي يُضلل فيها المخالف ويُبدع، وإنما يُضلل ويُبدع في مسألة الخلافة: فمن طعن في خلافة علي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ فهو من أهل البدع والضلال، ومن طعن في خلافة عثمان فهو من أهل البدع والضلال. فإن هؤلاء خلافتهم راشدة، بنص حديث رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث السفينة المشهور: «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً» رواه أحمد وأبو داود. وفي حديث العِرباض بن سارية، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ» رواه أبو داود والترمذي. فإذا من طعن في خلافة واحد من الخلفاء الراشدين فهو من أهل البدع والضلال. فهذه المسألة التي يُبدع فيها الشخص ويُضلل، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

وقضية التفضيل هو الذي كان يُقال له التشيع اليسير، الذي وقع فيه بعض من مضى من أهل العلم، وكثير منهم تراجعوا.

فإذا قالوا عن فلان: فيه تشيع يسير، فإنهم يريدون به قضية التفضيل، وهي التفضيل بين علي وعثمان رضي الله عن الصحابة أجمعين. وكثير ممن حصل منه



هذا الأمر تراجع عن ذلك، وكثير من أئمة السلف ممن رُمي بالتشيع تاب ورجع مما حصل منه. حتى عبد الرزاق الصنعاني، وقد أوقعه في التشيع جعفر بن سليمان، اغتر بسمته، فدخل في هذا الأمر، وهذا مع علم عبد الرزاق الصنعاني وإمامته، وهو أعلم من جعفر وأرفع قدرًا منه، بل لا موازنة بينه وبين جعفر بن سليمان، لكنه اغتر بسمته، ووقع فيما وقع فيه.

وقد قيل للإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**: كيف تروي عن فلان - وكأنه عبيد الله العباسي - كيف لا تروي عن فلان لأنه وقع في التشيع، وتروي عن عبد الرزاق وقد وقع فيه؟ فقال الإمام أحمد: قد كان منه ذلك ثم تاب. فتاب عبد الرزاق الصنعاني **رَحِمَهُ اللَّهُ** من ذلك الأمر. وكذلك كثير من أئمة السنة حصل لهم هذا الأمر وكثير منهم تراجع عن ذلك.

□ قال الإمام البرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ. وَكُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ).

الشرح:

هؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة، وتمام هؤلاء مع الخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان، فهؤلاء هم الذين بشرهم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بالجنة، وقيل لهم العشرة المبشرين بالجنة؛ لأن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ذكرهم في حديث واحد، كما جاء في حديث سعيد بن زيد: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ...» رواه أبو داود والترمذي، وعددهم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في حديث واحد، فقليل لهم: العشرة المبشرون بالجنة بهذا الاعتبار. وإلا فإن النبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد بشر غيرهم وهم كثر، لكن لما ذكرهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث واحد، قيل لهم: العشرة المبشرون بالجنة.

قال: (وكلهم يصلح للخلافة). والأمر كذلك، ففيهم صفات الخلافة التي يذكرها العلماء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَرْنُ الْأَوَّلُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ: الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَهُمْ مَنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ

الشَّرْح:

جاء في حديث ابن مسعود في الصحيحين وغيرهما قال: قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ». فأفضل الناس بعد المبشرين بالجنة، أصحاب رسول الله ﷺ، القرن الأول الذي بُعث فيهم وهم المهاجرون الأولون والأنصار: وهم من صلى القبلتين. وقد فُسِّر قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] بمن صلى القبلتين. وهذا قول مرجوح.

والصواب في ذلك ما عليه جمهور العلماء: أن المراد بهم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، أي: الجنة. فهذا هو التفضيل الشرعي وهو الذي عليه جمهور العلماء، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "منهاج السنة النبوية".

واستضعف ذلك القول الذي قاله بعض العلماء. فالذي عليه جمهور العلماء: أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم الذين أنفقوا وقاتلوا من قبل الفتح،



أي: قبل صلح الحديبية، والمراد بالفتح: صلح الحديبية. وكذلك في قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، المراد به: صلح الحديبية. وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، المراد به: فتح مكة. فمن أنفق قبل الفتح وقاتل، هؤلاء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. ولا يُقال: من صلى إلى القبلتين، فإنه لا مزية في هذا ولا فضل.

وهل جاء ترغيب في كتاب الله أو في سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في حق من صلى إلى القبلتين؟

الجواب: ما في ترغيب ولا فضل في ذلك. والترغيب والفضل إنما جاء فيمن أنفق من قبل الفتح وقاتل؛ لأنهم أفضل ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل. هذا هو التفضيل الشرعي، وهذا هو الصواب في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. يُعرف السابق بهذا الضابط: فمن أنفق من قبل الفتح وقاتل، فهو من السابقين. ومن حصل له ذلك بعد الفتح، فليس من السابقين. هذا الذي جمهور العلماء.

فهذا القول الصحيح. والقول الآخر: هو الذي مشى عليه المؤلف وهو أنهم: من صلى إلى القبلتين.

ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ.

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ.

نَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَنَذْكُرُ فَضْلَهُ، وَنَكْفُ عَنْ زَلَّتِهِ، وَلَا نَذْكُرُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛
لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا».

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ نَطَقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ فَهُوَ صَاحِبٌ
هَوَى.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْحَابِي كَالْتَّجُومِ بَأْيَهُمْ اقْتَدَيْتَ اهْتَدَيْتَ»

الشرح:

حتى لو رأى النبي ﷺ رؤية فقط، فمن رأى النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رؤية وهو مسلم، فهو أفضل من التابعين ومن جاء بعدهم. فالصحبة لا يوازئها شيء، فهي فضيلة لا يوازئها شيء، فالصحابي أفضل من التابعي، مهما كان ذلك التابع من الزهاد والعباد والعلماء والأتقياء، ومهما كان فيه من صفات الخير، فالصحبة هي أعظم من ذلك، ففضيلة الصحبة هي أعظم من ذلك ولو كانت بمجرد رؤية رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: من صحب رسول الله ﷺ يوماً أو شهراً أو سنة أو أقل من ذلك أو أكثر، نترحم عليهم ونذكر فضلهم): كما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال: (ونكف عن زلهم) فلا نتحدث عن زلهم، ونقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]. ونعتقد أن ما حصل لهم من الزل: إما أن يكون عن طريق الاجتهاد، وإما أن ما لهم من



الفضائل والحسنات العظام تنغمر فيها تلك الزلات. «وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث» رواه أهل السنن.

فكيف وحسنات القوم أعظم من ذلك، فهي بحار زاخرة، فما حصل لهم من الزلل والخطأ فهو مغمور في بحار حسناتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فنكف عن زللهم. قال: **(ونكف عن زللهم ولا نذكر أحداً منهم إلا بخير)**: نعم، هذا هو الواجب. لقول رسول الله ﷺ: **«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»**. وهذا الحديث جاء عن جماعة من الصحابة، له طرق متعددة لا تخلو من ضعف، وقد تكلم عليه بتوسع العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "السلسلة الصحيحة"، وذهب إلى ثبوته بمجموع ما له من الطرق والشواهد. فجاء عن ابن مسعود عند الطبراني في الكبير، وجاء عن غيره، عن جماعة من الصحابة.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال النبي ﷺ: **«لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»** وهذا قاله النبي ﷺ في شأن خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف. فعبد الرحمن بن عوف من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخالد بن الوليد من المتأخرين، فهذا قاله النبي ﷺ في الصحابة بعضهم لبعض، فكيف بمن جاء بعدهم؟!

فقال لخالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ - أي: من المتأخرين في الصحبة وهو صحابي - فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»** فهذا للصحابة بعضهم لبعض فكيف بشأن الصحابة مع غيرهم؟ فالأمر أعظم من هذا، والتفاضل أشد من هذا. وهذا مما يدل على ما للصحابة من المكانة والرفعة، وما لهم من الأجر العظيم والثواب الكبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال: (وقال سفيان بن عيينة: "من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة - أي: بكلمة خاطئة، بكلمة سيئة - فهو صاحب هوى") : وهذا مما يدل على أن الشخص يدخل في أهل البدع والأهواء إذا تكلم ولو في واحد من الصحابة، فإذا تكلم في واحد من الصحابة وطعن فيه وانتقصه، فهو داخل في أهل البدع والأهواء. وقد سبق أن تكلمنا على هذه المسألة في "أصول السنة" للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وكلام الإمام أحمد شبيه بكلام البرهاري في هذا الموضع، وهو أن الشخص يدخل في البدعة إذا انتقص رجلاً من أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو سبه أو طعن فيه. وقد يصل به إلى حد الكفر إذا طعن في الصحابة عموماً أو في أكثرهم طعناً يقدر في دينهم، فالطعن الذي يقدر في دينهم كأن يرميهم بالكفر والردة، فهذا هو الكفر الصراح، على ما سبق إيضاحه في كتاب "أصول السنة" للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذا مقام عظيم وهو مقام الصحبة، فليعرف الإنسان ما لأولئك القوم من الفضل والمنة على من جاء بعدهم، وما لهم من الفضائل والمناقب فلا يدخل في باب الصحابة بما لا يليق، بل إذا تحدث عنهم؛ تحدث عنهم بما يليق من الثناء الحسن والكلام الحسن، ويذب عن أعراضهم، وكذلك يعتذر لهم وإن حصل لهم ما حصل من الخطأ والزلل، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.





السمع والطاعة لأئمة المسلمين

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأئِمَّةِ فِيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَى، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَرِضَاهُمْ بِهِ فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَةً وَلَا يَرَى أَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا

الشَّرْح:

قال رَحِمَهُ اللهُ: (والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى). أي: بالمعروف. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. ولم يقل: "وأطيعوا أولي الأمر منكم"؛ وذلك لأن طاعة أولياء الأمور ليست مستقلة، بل طاعة أولياء الأمور تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله، ولهذا قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

ولما وصل إلى أولي الأمر قال: ﴿وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، ولم يقل: "وأطيعوا أولي الأمر منكم". فقال بعض العلماء: وذلك لأن طاعة أولياء الأمور تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وفي حديث علي بن أبي طالب في الصحيحين، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» [رواه البخاري ومسلم]. حين أَمَرَ النبي أَنْ يَجْمَعُوا حَطَبًا، فجمعوه، ثم أمرهم أَنْ يَشْعُلُوا نَارًا، فَأَشْعَلُوا النَّارَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا، فَأَمْسَكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْ ذَلِكَ. فبلغ خبر النبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ». فلا يطاع أولياء الأمور في معصية الله **عَزَّجَلَّ**، بل يُطاعون بالمعروف، بما ليس بمعصية. ويطاعون أيضًا فيما يرونه من المصالح مما ليس فيه مخالفة للشرع، وإن لم يأت به النص من كتاب الله **عَزَّجَلَّ** ولا من سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، لكن فيه مصالح للناس، فإنهم يطاعون بذلك. كوضع الأئمة لإشارات المرور وأنظمة السير مثلاً، وهذا فيه مصلحة للناس.

فإن قيل: ما الدليل من كتاب الله ومن سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على أننا نقاد لإشارات المرور؟

الجواب: قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وهذا فيه مصلحة للناس، وأولياء أمور المسلمين يُطاعون فيما ليس بمعصية، وإن لم يكن ذلك الشيء مما جاء به النص الصريح في الكتاب أو في السنة، على أن الأمور التي هي من قبيل المصالح تندرج تحت عمومات الشرع، فتكون من طاعة الله؛ لأنها مندرجة تحت بعض أدلة الشرع ومستنبطة من أدلة الشرع العامة، فلا تخلو من دليل مستنبط. فعلى كل حال، ما أمروا به من قبيل المصالح، فإنهم يُطاعون لذلك. فإذا ما أمروا بمعصية الله **عَزَّجَلَّ** فإنهم لا يطاعون. وكذلك ما يُذكر عن عمر بن الخطاب أنه كان يأمر الناس بعد الحج أن يرجعوا إلى بلدانهم؛ حتى لا يُضيقوا على أهل مكة في عيشتهم هو من هذا القبيل، وهو من باب سياسة الناس، من باب درء المفاسد وجلب المصالح، فقد يُمنع بعض الناس من الازدحام والدخول إلى بلدة من البلدان، حتى لا يضيقوا على الناس في معيشتهم، فتُوضع بعض الأنظمة بما فيه شيء من المصلحة، فيبقى كل أهل بلد في بلدهم، ولا يدخلون إلى البلد الفلاني إلا بنظومات معينة ثم يعودون إلى بلدانهم.



فإن كان من هذا القبيل، حتى لا يحصل الضيق على الناس، ويزدحم الناس في البلد الواحد فيحصل بذلك الأذى لأهل البلد، فهذه مصلحة من المصالح. وإن كان قد حصل شيء من التجاوزات في هذا الباب، وحصل شيء من التضييق الشديدة مما لا يحل، لكن إذا كانت النظرة من هذا القبيل - حتى لا يزدحم الناس - فربما الناس يرغبون في بلد من البلدان، فإذا ما ترك لهم المجال توجهوا وازدحموا في ذلك البلد، فحصل منهم الضيق على أهل البلد. فإذا حصلت سياسة للناس في هذا الباب، بأن من دخل يبقى كذا ويخرج، ولا يستقر في البلد، حتى لا يحصل الضيق على أهل البلد، فإن هذا مما فيه مصلحة من المصالح. فما أمر به أولياء أمور المسلمين مما فيه مصلحة للناس، وليس فيه مخالفة لشرعة الإسلام، وليس فيه مظلمة ولابغي ولا تعدي على الخلق، فإنهم يطاعون بذلك.

فعلى كل حال، أولياء الأمور يطاعون في طاعة الله وطاعة رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وكذلك يطاعون في أمور الدنيا إذا كان في ذلك مصلحة للناس، وما فيه بغي على أحد ولا ظلم، لكن فيه مصلحة للناس في تسير أمورهم، فيطاعون في ذلك. فإذا أمروا بمعصية الله **عَزَّ وَجَلَّ** فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وقوله: **(ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين):** فهناك طرق لتولية الخلافة. فمن الطرق الشرعية: أن يستتب له الأمر، فمن استتب له الأمر فيسمع له ويطاع، وتولى الخلافة باختيار أهل الحل والعقد، كما حصلت التولية للصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وكذلك لعثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وكذلك لعلي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. وكذلك من الطرق: أن يوصي الخليفة الأول بخلافة من بعده، كما فعل الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في عهده لعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بالخلافة بعده. فكل هذه من الطرق الشرعية.

قال: (ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به، فهو أمير المؤمنين، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمامًا، برًا كان أو فاجرًا): فالواجب على الشخص أن يرى بيعة الإمام عليه، وسواء كان هذا الإمام من الأبرار أو كان من الفجار، ما دام من أهل الإسلام، فلا يبيت ليلة إلا وفي قلبه البيعة للخليفة، لمن ولي أمر المسلمين، سواء كان من المؤمنين الأتقياء أو كان من الفجار الأشقياء، ما دام من أهل الإسلام. ومما يدل على هذا الأمر: حديث ابن عمر في صحيح الإمام مسلم في قصته مع عبد الله بن مطيع، حين نزع بعض أهل المدينة خلافة يزيد. فذهب عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع، فقال عبد الله بن مطيع: "أَطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَادَةً". فقال له عبد الله بن عمر: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلَسَ، أَتَيْتَكَ لِأَحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

فالذي يموت وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية. فأهل الجاهلية كان هذا حالهم، لا يرون البيعة لأحد، فكانوا يأنفون من البيعة. وكانت البيعة موجودة في بعض بلدان الكافرين، في فارس والروم وغيرهم، وأما أهل الجاهلية من أهل مكة وكثير من العرب، فكانوا يأنفون من ذلك. فمن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. والشيء إذا نُسب إلى الجاهلية، فهذا مما يدل على تحريمه، فإن الجاهلية مأخوذة من الجهل، والشيء إذا نُسب إلى الجاهلية أو إلى الجهل، فهذا دليل على تحريمه. فكون الإنسان يبيت وليس في عنقه بيعة، فإنه يموت ميتة جاهلية. ولا يشترط أن يباشر كل فرد البيعة مع الأمير، وإنما يُقر بنفسه ويعتقد بقلبه أن ذلك الإمام هو أميره، فيعتقد ذلك بقلبه، وإن لم تحصل مبايعة بينه وبين ذلك الأمير. ولو تسلط شخص تسلطًا واستتب له الأمر، فيعتقد الإنسان إمامته ما دام من أهل الإسلام.



وكذلك إذا اختاره أهل الحل والعقد، فيعتقد الشخص إمامته والسمع والطاعة له، وإن لم تحصل بينه وبينه بيعة. فهذا مما يجب على سائر الرعية، ولا يجوز للشخص أن يعتقد في قلبه عدم البيعة للأمير والأمير من أهل الإسلام، وقد استتب له الأمر. فإن كان كذلك فمات، فإنه يموت ميتة جاهلية، كما أخبرنا بذلك نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

وهذا إذا وُجد الإمام أو وُجد الأمير. وأما إذا كان الناس ليس لهم إمام، فالشخص معذور، كما في حديث حذيفة في الصحيحين، لما قال للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟" قال: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصُ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»**. فأمره باعتزال جميع الفرق إذا لم يكن لهم جماعة ولا إمام.

لكن إن وُجدت الجماعة والإمام، فالواجب عليه أن يكون مع جماعة المسلمين، وأن يعتقد البيعة لولي أمر المسلمين.



الصلاة والحج خلف الأئمة وإن جاروا

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْحُجُّ وَالْغَزْوُ مَعَ الْإِمَامِ مَاضٍ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ، وَيُصَلِّي بَعْدَهَا سِتُّ رَكَعَاتٍ يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

الشرح:

قال: (والحج والغزو مع الإمام ماضٍ) أي: سواء كان صالحًا أو كان فاجرًا. فإن الحج فريضة افترضها الله عَزَّوَجَلَّ، لا يحصل نقصان في حج الحاج إذا كان أمير الحج من الفساق، فما يحصل بذلك أي نقص. فالإنسان يحج لنفسه، فإذا جاء بالحج كما أمره الله عَزَّوَجَلَّ، وحج كما حج رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلا يضره أن كان أمير الحج من الأبرار أو كان من الفجار، فإن فجور الأمير على نفسه، ولا يؤثر على الحج، ولا يُترك الحج بسبب فجور الأمراء، ففجورهم على أنفسهم. وكذلك الغزو، فإن الغزو فيه مصلحة شرعية عظيمة للمسلمين، من هذه المصالح: نشر الدين، ونشر التوحيد. ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فهذا من أعظم مقاصد الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ: أن يكون جميع الدين لله عَزَّوَجَلَّ، فيزول الشرك من الأرض، ويزول الكفر وهذا أعظم المصالح. وكذلك الغزو فيه أيضًا كف لشر الكافرين عن المسلمين، فإن المسلمين إذا تركوا الجهاد في سبيل الله، استضعفهم الأعداء وطمعوا فيهم. وإذا ما جاهدوا الكفار في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يحصل بهذا



حماية للمسلمين وإرهاب للكافرين. فالغزو فيه ما فيه من المصالح العظيمة للإسلام والمسلمين. وكون الأمير من الفجار، فإن فجوره على نفسه. وأما الغزو ففيه مصلحة عامة للمسلمين.

ولهذا كان المقرر عند علماء السنة ما ذكره المؤلف هنا، وهذا مدون في سائر كتب العقيدة وكتب السنة.

قال رحمه الله: **(وصلاة الجمعة خلفهم جائزة)** وإن كانوا فجاراً. وقد صلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين خلف أمراء فيهم ما فيهم من الفجور، وصلى التابعون ومن جاء بعدهم خلف الأمراء وفيهم ما فيهم من الفجور، وسار على هذا أئمة السنة، فكانوا يصلون الجمعة خلف البر والفاجر من الأمراء، ولا يتركون صلاة الجمعة لفجور الأمير.

قال: **(وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، ويصلي بعدها - أي: بعد الجمعة - ست ركعات، يفصل بين كل ركعتين، هكذا قال أحمد بن حنبل)**: وهذه مسألة فقهية ذكرها المؤلف في هذا الموضع استطراداً، وإلا ما لها تعلق بمسائل العقيدة، وهي مسألة فقهية محضة.

وقد كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يصلي ركعتين بعد الجمعة في بيته، كما جاء في حديث ابن عمر في مسلم وغيره من الأحاديث الواردة في الباب، وصلاة الأربع ثابتة في مسلم من حديث أبي هريرة من أمر رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في قوله: **«إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا»**. فالأربع ثابتة من قول رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وبعض العلماء أراد أن يجمع بين قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبين فعله، فقال: من صلى في بيته يصلي ركعتين كما فعل ذلك رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن صلى في المسجد صلى أربعاً، باعتبار أن الصلاة في المسجد أنقص في الأجر من

الصلاة في البيت، فالصلاة في البيت أعظم في الأجر، فيُجبر نقصان الأجر بتكثير العدد. فإذا صلى في المسجد صلى أربعاً؛ باعتبار نقصان الأجر، ففي المسجد نقصان الأجر وارد، فيُكثر الأجر بتكثير العدد. وإذا صلى في بيته صلى ركعتين، كما هو هدي رسول الله ﷺ.

وهذا أمر محتمل، ما هو بعيد، وقد ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله.

وأما صلاة الست الركعات، فقد جاء هذا عن عبد الله بن عمر، جاء عند أبي داود وغيره عن عطاء، عن ابن عمر، قال: كَانَ إِذَا كَانَ بِمَكَّةَ فَصَلَّى الْجُمُعَةَ، تَقَدَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَصَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ صَلَّى الْجُمُعَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَلَمْ يُصَلِّ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ».

وهذا الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حديث ثابت. لكن بقي النظر في عزو ذلك إلى رسول الله ﷺ، هل المراد أن النبي ﷺ كان يصلي ست ركعات؟ هذا فيه شيء من التأمل؛ لأن عبد الله بن عمر كان يفعل هذا إذا صلى بمكة، فيخص هذا بمكة، فإذا صلى بمكة فإنه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين ثم يصلي بعد الركعتين أربعاً.

ومعلوم أن النبي ﷺ ما صلى في مكة الجمعة قط، وما كان يصليها في أسفاره، وما صلى النبي ﷺ الجمعة في أسفاره قط. فبقي كلام عبد الله بن عمر محمول على صلاة الركعتين بعد الجمعة؛ لأنه هو بنفسه قد روى عن النبي ﷺ ذلك كما جاء في مسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ وَصَفَ تَطَوُّعَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَكَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي



بَيْتِهِ». فقد يريد بقوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ» صلاة الركعتين لا صلاة الست.

وعلى كل حال: هذه المسألة فيها شيء من التأمل، فإثبات الست ركعات بعد الجمعة فيه شيء من التأمل والنظر. والثابت عن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو أنه كان يصلي ركعتين في بيته، وأمر بصلاة الأربع، وهو أمر استحباب: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا» رواه مسلم.

على كل حال: هذه مسألة فقهية، حصل فيها النزاع بين العلماء، ليست من مسائل العقيدة.



الخلافة في المسلم من قريش

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الشَّرْحُ:

والخلافة في قريش، وقد جاءت بذلك الأدلة المتواترة، فالأئمة من قريش، والأحاديث الواردة في هذا الباب بلغت حد التواتر، وهي تدل على هذا المعنى، أن الخلافة في قريش، وذلك إذا استقاموا على الدين، كما جاء في بعض الحديث، فتكون فيهم الخلافة. وهذا إذا وُجد من يصلح لها، وإذا كان القرشي لا يصلح للخلافة، فلم تتوفر فيه شروط الخلافة، وإنما تتوفر فيه هذا الشرط فقط وهو أنه من قريش، وسائر الشروط المعتمدة في الخلافة لم تتوفر فيه، فيُقدم غير القرشي الذي توفرت فيه سائر شروط الخلافة. لكن إن توفرت الشروط في رجل قرشي وفي رجل ليس بقرشي، فهنا يُقدم القرشي كما قضى بذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولما مات النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما في صحيح البخاري، اجتمع المهاجرون والأنصار، وقال قائل من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، أي: من الأنصار أمير ومن القرشيين والمهاجرين أمير. فأنكر ذلك الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال لهم: إن العرب لا تدين هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش. فإن هذا هو قضاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فانقادوا بعد ذلك للأمر، وحصلت البيعة بعد ذلك للصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فالخلافة في قريش، كما أخبرنا بذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



والمؤلف يقول: **(والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى بن مريم)**: وقبل نزول عيسى بن مريم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فإن الخليفة من قريش، وهو المهدي المنتظر، فإنه من آل البيت، كما هو معلوم، فهو من قريش. وأما عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فأمره أرفع من هذا، وشأنه أكرم، فإنه من أولي العزم من الرسل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فيحكم الناس في ذلك الوقت، ويكون هو الماسك لأموار المسلمين والقائم عليهم، وهو خليفة المسلمين في ذلك الوقت، وليس هو من قريش. ولهذا المؤلف يقول: **(إلى أن ينزل عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)**، فإن عيسى كما عرفنا شأنه أرفع من هذا، وهو أكرم على الله **عَزَّجَلَّ**، وهو من الرسل، بل من أولي العزم من الرسل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وأولو العزم من الرسل على المشهور هم الخمسة، كما هو معلوم: الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام. فهؤلاء هم أولو العزم من الرسل على المشهور من أقوال العلماء، وإن كان هناك أقوال أخرى في معنى أولي العزم من الرسل، لكن هذا هو المشهور. وعيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فيما يظهر أنه في المرتبة الرابعة من أولي العزم من الرسل، فإن أشرف أولي العزم من الرسل نبينا محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ثم الخليل إبراهيم، ثم في الثالثة الكلیم موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

وأما عيسى ونوح، فأيهما أفضل؟

فالذي يظهر تفضيل عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** شرفه بأنواع من الكرامات، فإن الله **عَزَّجَلَّ** نفخ في أمه من روحه، فهو روح من الله **عَزَّجَلَّ**، وهو كلمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، خلق بالكلمة، وهو روح من الله **عَزَّجَلَّ**، وهذه الروح مخلوقة أُضيفت إلى الله **عَزَّجَلَّ** إضافة تشريف وتكريم.

وشرفه الله **عَزَّوَجَلَّ** بأن رفعه إلى السماء، وشرفه الله **عَزَّوَجَلَّ** بأن جعله هو الذي يقتل المسيح الدجال، وهي أعظم فتنة في الأرض، وهي فتنة حذر منها جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وشرفه الله **عَزَّوَجَلَّ** بأن يكون في هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرم الأمم على الله **عَزَّوَجَلَّ**.

فلعيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من الشرف والمكرمات الشيء الكثير. فالذي يظهر أنه في المرتبة الرابعة، وفي المرتبة الخامسة نوح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، على أن النزاع قائم بين العلماء في أيهما أفضل: نوح أم عيسى عليهما الصلاة والسلام. على كل حال، المؤلف يقول: **(والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)**، باعتبار أن عيسى كما عرفنا ليس من قريش. وقبل عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وفي زمنه: المهدي، وهو من قريش. قال: **(وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ إِلَى أَنْ يَنْزَلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)**.





تحريم الخروج على الحاكم المسلم



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَارِجِيٌّ، وَقَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْأَثَارَ، وَمِثَّتْهُ مِثَّةُ جَاهِلِيَّةٍ.

الشرح:

ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي. يقول: فهو خارجي. الخارج على إمام من أئمة المسلمين قد يخرج بعقيدة التكفير، فيكون من الخوارج الذين ذمهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأخبر أنهم كلاب أهل النار. وقال: «شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» رواه مسلم. وقال: «شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ» رواه مسلم.

وقال: «لَنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»، «لَنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ» رواه البخاري ومسلم، «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» رواه البخاري ومسلم. وقال: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» رواه البخاري ومسلم. إلى غير ذلك من الأدلة المتكاثرة فيهم. فهؤلاء الذين خرجوا بعقيدة التكفير. وقد يحصل خروج من غير عقيدة التكفير، وإنما لبعض المطامع الدنيوية. وهؤلاء يقال لهم: البغاة. وهؤلاء يقاتلون قتال البغاة. والعلماء عقدوا أبواباً في ذلك فيما يتعلق بقتال البغاة.

إذن هناك فرق بين الخارج بعقيدة التكفير، فيكون من الخوارج، كالذين خرجوا على عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في النهراوان، فإنهم خرجوا على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو الإمام الحق، وخرجوا عليه بعقيدة التكفير، فهؤلاء هم الخوارج. وهناك من يخرج ليس بعقيدة التكفير، لكن للمطامع الدنيوية، إما لإرادة الملك أو إرادة شيء من أمور الدنيا.

هؤلاء هم البغاة. وشأن البغاة أخف من شأن الخوارج، والكل عاصون لله **عَزَّوَجَلَّ** وظالمون، ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم. لكن شأن الخوارج أشد من شأن البغاة. قال الله تعالى في البغاة: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

فالبغاة يُقاتلون بشروط يذكرها العلماء في قتال البغاة. فما يُقاتلون ابتداءً، كما هو مقرر في كلام العلماء، وإنما يُرسل إليهم الخليفة وينظر في طلبهم. فإن ذكروا مظلمة قام برفعها، وإن ذكروا معصية من المعاصي يقع فيها ولي أمر المسلمين، تاب منها، وإن ذكروا منكراً موجوداً من المنكرات المشاعة في أوساط المسلمين، فيجب على ولي المسلمين أن يقوم بإنكار ذلك المنكر، فيقطع عنهم الأعدار. وإذا كان لهم بعض المطالب الشرعية، فإنه يسعى بالاستجابة لمطالبهم. فإن حصلت لهم مظلمة من المظالم أو لغيرهم، يرفع الظلم الذي حصل، وإذا قالوا: هناك منكرات في دولتك، خرجنا من أجل إنكارها، فيجب عليه أن ينكر ذلك المنكر، فإن هذا متحتم عليه، متعين عليه وإن لم يخرج عليه أحد. ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١]. فهذا أمر متحتم عليه. فإن قطع عنهم الأعدار، فأرادوا إلا القتال، فهنا يُقاتلون ويدفع شرهم. أما ابتداءً فلا، فإذا أرادوا البغي فلا يُقاتلون ابتداءً، وإنما يُرسل إليهم. هذا الذي قرره العلماء في قتال البغاة. وأما الخوارج، فالنزاع قائم بين أهل العلم: هل يُقاتلون ابتداءً أم لا.

فهناك من أهل العلم من يقول: إن الخوارج يُقاتلون ابتداءً؛ لحديث علي في الصحيحين، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «فَإَيْنَمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» رواه البخاري ومسلم. فحث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على قتلهم في أي موضع وجدوا.



وفي حديث أبي سعيد في الصحيحين، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» رواه البخاري ومسلم، وفي لفظ للصحيحين: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ» رواه البخاري ومسلم. غير أن المعروف من سيرة الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين أنهم لم يبتدئوا الخوارج بالقتال حتى حصل منهم البغي، وهم رواة هذه الأحاديث، ولم يفهموا منها الابتداء بالقتال. وكانت كلمة الصحابة متفقة في هذا الباب، وما قاتلوهم حتى حصل منهم البغي. فحينئذ قاموا بقتالهم، فهم أعلم بمعنى كلام رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وهم رواة تلك الأحاديث، وكلمتهم كانت متفقة على هذا الأمر. فعلى كل حال، هناك فرق بين قتال البغاة وبين قتال الخوارج. قتال الخوارج أعظم في الأجر، وقد جاء فيه من الترغيب الشيء الكثير.

قال: (ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، قد شق عصا المسلمين): فالمسلمون كالعصا الواحدة القوية المتماسكة، فهذا الخارج يشق العصا، وإذا انشقت العصا حصل لها الضعف وسهل كسرها.

قال: (قد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار): وهي الأدلة المتكاثرة التي تدل على حرمة ذلك، وعلى الصبر على أولياء أمور المسلمين وإن حصل منهم الظلم، وإن حصل منهم شيء من المنكر، وإن استأثروا بالحقوق. أدلة متكاثرة ثابتة في الصحيحين وخارج الصحيحين، وذكر الإمام مسلم جملة من الأدلة الواردة في الباب، والمؤلف سوف يشير إلى بعضها في كلامه **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

قال: (وخالف الآثار، وميته مية جاهلية): «وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه مرفوعاً «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ

وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». فالذي ينزع يد الطاعة ليس له حجة عند الله عزَّ وجلَّ.

فإن احتج بالظلم، فقد أمر النبي ﷺ بالصبر على الأمراء وإن ظلموا. وإن احتج بالذنوب والمعاصي والأموال المنكرة التي يفعلونها، فقد حث النبي ﷺ على الصبر عليهم وإن حصل منهم تلك الأمور. فعن ابن عباسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ» رواه البخاري ومسلم. وعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَأَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ» رواه مسلم. وكان النبي ﷺ يبائع أصحابه على الطاعة في العسر واليسر، وفي المنشط والمكره، وعلى أثره عليهم، حتى لو كان استئثار في الدنيا.





النهي عن قتال السلطان المسلم والخروج عليه



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ، وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا؛ وَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ: «اصْبِرْ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا»، وَقَوْلُهُ لِلْأَنْصَارِ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ؛ فَإِنَّ فِيهِ فَسَادَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا

«الشرح»:

وإن حصل منه شيء من الظلم فالواجب الصبر. وفي حديث حذيفة بن اليمان المشهور في صحيح الإمام مسلم، قال النبي ﷺ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» وهذا ظلم، ومع هذا أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة: «وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ». والحديث في مسلم، وهو حديث صحيح ثابت عن النبي ﷺ، وإن كان هناك من يحاول تضعيف الحديث، إلا أنها محاولة فاشلة. الحديث له طرق وله شواهد يتقوى بها، فهو حديث ثابت عن النبي ﷺ بما له من الطرق والشواهد. فهذا ظلم، ومع هذا أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة لأولياء أمور المسلمين، فإن الخروج عليهم أشد في الظلم الحاصل منهم، والمفاسد الناتجة أشد من مفسدة ولي أمر المسلمين الظالم. ولهذا يُقال: ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام. فإن الظلم الذي يحصل للناس في الليلة الواحدة أعظم من

ظلم الإمام الجائر في ستين سنة. فكم تحصل من الشرور والفتن في أوساط الناس إذا لم يوجد لهم إمام، ولو كان من الجائرين. وكذلك في حديث وائل بن حجر في صحيح مسلم، لما قال سلمة بن يزيد الجعفي للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا". وهذا ظلم، فقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ». فأمر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بالسمع مع حصول الظلم، والأدلة في ذلك متكاثرة.

قال: (ولا يحل قتال السلطان والخروج عليه وإن جار، وذلك قول رسول الله ﷺ لأبي ذر: «اصبر، وإن كان عبداً حبشياً»): الحديث في صحيح مسلم، وجاء في بعض ألفاظه: «وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»، أي: مقطوع الأطراف. فمهما كان، وعلى أي صفة كان، ولو كان من العبيد، ليس من الأحرار، ومن العجم، عبداً حبشياً. وأيضاً ليس سليم الأعضاء، "مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ" أي: مقطوع الأطراف. فالواجب هو السمع والطاعة، فإن المصلحة في ذلك، والخروج على الأئمة مفتاح لكل شر.

قال: (وقوله للأئمة: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»): جاء في الصحيحين من حديث أسيد بن حضير، وأيضاً من حديث عبد الله بن زيد، وكلها تدل على هذا المعنى، يقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لأصحابه: «فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». يأمر بالصبر على جور الأئمة: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً»، أي: استشاراً بالدنيا من جهة أولياء أمور المسلمين. ثم أوصاهم فقال لهم: «فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ». فما أمرهم بالخروج على أولياء أمورهم، وإن حصل منهم شيء من الظلم والبغي، بل أمرهم بالصبر: «فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

قال: (وليس من السنة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدين والدنيا): وهذا القول قاله سائر أئمة الإسلام، ونصيحة أربابها جميع أئمة الإسلام، وبينوا أن قتال السلطان فيه



فساد الدنيا والدين، وهذا هو الواقع الذي يعيشه الناس، فلا استقامت للناس دنيا ولا استقام لهم دين بعد هذه الفتن وهذه الشرور التي حصلت واثارت في أوساط المسلمين، وهيجهما من هيجهما من أهل البدع والأهواء وأصحاب الأغراض القبيحة. فلم يبقوا دنيا، ولا أقاموا دينًا، وإنما حصل الفساد المستطير.

فهذه عبارات يسطرها أئمة الإسلام منذ الزمن القديم، وهي مأخوذة من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبي عليه الصلاة والسلام ومن واقع الناس، فإن التاريخ يشهد أيضًا بصحة مثل هذه المقولة.

لكن إذا هاجت الفتن، عجز العقلاء عن ردع السفهاء، فتكون الصولة والجولة للسفهاء من الناس، وأهل العلم والنظر الصحيح والبصيرة النافذة لا شأن لهم، ولا قيمة لكلامهم.

هكذا يكون الحال إذا ثارت الفتن، وإنما يستيقظ الناس بعد أن يطعموا مرارة الفتن وتنتها، فبعد أن يذوقوا شر الفتن ويعلموا أنهم ما جنوا خيرًا من ورائها، بعد ذلك تحصل لهم اليقظة كما قال المفتونون بفتنة قارون. ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكُنَّا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]، فيحصل لأهل الفتن مثل ما حصل لأولئك القوم بعد أن خسف الله عز وجل بقارون، علموا صدق نصيحة العلماء، لكن بعد أن وقع الفأس على الرأس، وذاقوا مرارة الكأس، لكن هذا ما ينفع.



قتال الخوارج البغاة وطرق التعامل معهم

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَحِلُّ قِتَالُ الْخَوَارِجِ إِذَا عَرَضُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ، وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ، وَلَا يُجْهَزَ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَلَا يَأْخُذَ فَيْئَهُمْ، وَلَا يَقْتَلَ أَسِيرَهُمْ، وَلَا يَتَّبِعَ مُدْبِرَهُمْ.

الشرح:

سبق أن تكلمنا على الخوارج، وعرفنا زعيم الخوارج وهو: حرقوص بن زهير التميمي، ويُلقب بذي الخويصرة. وهو من الصحابة أم من المنافقين؟

الجواب: من المنافقين على ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في "الصارم المسلول" وأنه ممن نص القرآن على نفاقه. والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ما حدث منهم مثل هذه البدع، حاشاهم أن تحصل منهم مثل هذه البدع العظام. وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، هم حماة الدين، حماة الكتاب والسنة. إنما جاءت البدع من غيرهم: إما من المنافقين، وإما من بعض التابعين. فلم تأت عن الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين. بدعة الخوارج بل جاءت من هذا الرجل الذي هو من المنافقين. وكذلك بدعة القدرية، ظهرت في عهد صغار الصحابة، لكن ظهرت من معبد الجهني، رجل من التابعين. روى عن جماعة من الصحابة، لكنه ليس صحابياً، وإنما من التابعين. وما تلقى بدعته عن الصحابة - وحاشاهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين - وإنما تلقاها من سوسن النصراني، كما ذكر ذلك الإمام الأوزاعي، فيما نقله عنه الحافظ الذهبي في "السير". فتلقى بدعته من سوسن



النصراني. وكذلك سائر البدع: بدعة القدرية، وبدعة المرجئة، والجهمية، وغير ذلك من البدع المتأخرة، كلها صدرت من غير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. فالصحابه هم حماة الكتاب والسنة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والعجيب أنَّ هنالك مسجد في دولة عمان الإباضية يسمى بمسجد الصحابي ذي الخويصرة.

وعقيدة الخوارج كما عرفنا: أنهم يكفرون المسلمين بكبائر الذنوب ويستحلون دماءهم. والمؤلف يقول: **(ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين)**.

وسبق أن ذكرنا جملة من الأدلة الدالة على قتالهم، وقد رغب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقتالهم ترغيباً بالغاً. والمؤلف يقول: **(إذا عرضوا للمسلمين في أموالهم وأنفسهم وأهليهم)**. أي: أنهم لا يُبْتَدَوْنَ بالقتال. وهذه المسألة محل نزاع بين العلماء في الخوارج: هل يُبْتَدَوْنَ بالقتال، أو لا يُقَاتَلُونَ حتى يحصل منهم الشر والفساد في أموال الناس وفي أنفسهم وفي أهليهم؟

على قولين لأهل العلم؛ ومن ذهب إلى أنهم يُبْتَدَوْنَ بالقتال، احتج بالأدلة الظاهرة، كحديث علي: **«فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»** رواه البخاري ومسلم، **«لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَا أَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**، **«لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَا أَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»** رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري، وغير ذلك من الأدلة.

ومن ذهب إلى أنهم لا يُبْتَدَوْنَ بالقتال، احتج بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن معه من الصحابة الكرام، فإن الخوارج خرجوا في زمنهم، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من قاتل الخوارج، ولم يبتدئهم بالقتال حتى حصل منهم الشر والفساد، فقاتلهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن الصحابة أجمعين. وهذا الذي عليه أكثر أئمة السلف، وهو الذي يُقرره العلماء في كتبهم، فإن تلك الأحاديث رواها الصحابة،

ومنهم عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواها الصحابة في ذلك الوقت حين خرج الخوارج، وأكثر الصحابة من رواية هذه الأحاديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وما فهموا منها الابتداء بالقتال، وهم أعلم الناس بمراد رسول الله ﷺ.

قال: **(إذا عرضوا للمسلمين في أموالهم وأنفسهم وأهليهم، وليس له إذا فارقه أن يطلبهم)**: نعم، لا يُعاملون معاملة الكفار، فهذا الطلب يكون في قتال الكفار. فمن فر منهم فإنه يُتبع ويُقتل.

(ولا يُجهز على جريحهم). الجريح منهم لا يقتل. فمن وجد جريحًا من الخوارج فلا يقوم بقتله. فهذا إنما يُفعل بالكفار، فجريح الكفار يُقتل.

قال: **(ولا يأخذ فيئهم)**. أي: لا تؤخذ الغنيمة من أموالهم. وهذا إنما يُفعل في الكفار. وأما الخوارج فإنهم في مذهب أكثر العلماء: من فساق الملة، وهناك من أهل العلم من ذهب إلى كفرهم، كما هو ظاهر صنيع البخاري في صحيحه - ولم يصرح بذلك، لكن يُفهم من صنيعه في صحيحه حيث ذكرهم في قتال المرتدين - وبعض العلماء أيضًا وافقه على ذلك. لكن الذي عليه أكثر العلماء أنهم من فساق الملة. وسيرة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين تدل على ذلك، فإنه ما عاملهم معاملة الكافرين، وإنما عاملهم معاملة فساق الملة.

قال: **(ولا يأخذ فيئهم، ولا يقتل أسيرهم)**. الأسير الذي يؤخذ في المعركة لا يُقتل، هذا يجوز أن يُفعل بالكافرين، فيجوز أن يُفعل هذا بأسرى الكافرين.

(ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم). فمن فر منهم فإنه لا يُتبع ولا يُقتل. فهذه هي سيرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين في الخوارج، مع عظيم شرهم وعظيم فتنتهم.

وللخوارج أسماء كثيرة ومسميات كثيرة، والعبرة بالعقيدة لا بالأسماء. فمن كفر المسلمين بالكبائر فهو من الخوارج. ومن كفر أيضًا أولياء أمور المسلمين بالكبائر فهو من الخوارج. حتى ولو كان التكفير متجهًا إلى أولياء أمور المسلمين، وكان



التكفير بسبب بعض الكبائر، فإنه من الخوارج. وإذا كفر المسلمين عموماً، فإنه من الخوارج.

وبلاؤهم شديد. ولهم أسماء متعددة عصرية فمنهم: جماعة التكفير والهجرة، و"تنظيم القاعدة" وغير ذلك من الأسماء الكثيرة المتنوعة، هي أسماء لمسمى واحد القديمة والحديثة.

والخوارج لا يرون الصلاة خلف المسلمين. وهؤلاء موجود، منهم جماعة في هذه الأزمان لا يرون الصلاة خلف المسلمين في مساجدهم، ويرون أن مساجد المسلمين مساجد ضرار، ويصرحون بهذا: بأنها مساجد ضرار، وأن الصلاة فيها باطلة ويهجرونها، وربما يصلون في بيوتهم، وربما يصلون خلف بعض أصحابهم ولو في الأماكن البعيدة.

وفي بعض المدن يجتمعون في بعض الباصات، يأتي الباص من كل مكان، يأخذهم إلى مسجد معين من مساجد أصحابهم، من أماكن متفرقة في البلد، من أجل الجمعة أو من أجل الصلوات الخمس.

فيقيمونها في ذلك الموضع، ولا يرون الصلاة في غير ذلك الموضع، ومساجد المسلمين حكموا عليها بأنها مساجد ضرار، ولا يجوز الصلاة فيها. وإذا صلى أحدهم، صلى في بيته وهذا إذا لم يوجد مسجد تصح الصلاة فيه عندهم، فيصلي أحدهم في بيته.

فعلى كل حال، هذه العقيدة - عقيدة الخوارج - من أردأ أنواع العقائد. فالواجب الحذر من مثل هذه العقيدة، ومن غيرها من العقائد المخالفة للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.



لا طاعة في معصية الله

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح:

جاء في هذا المعنى حديث عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين في شأن الأمير الذي أمره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على بعض السرايا، فغاضبهم، فطلب منهم أن يجمعوا حطبًا، فجمعوا حطبًا، وأمرهم أن يوقدوا الحطب فأوقدوه، ثم أمرهم أن يدخلوا تلك النار، فأمسك بعضهم بعضًا وقالوا: منها فررنا! فبلغ الخبر للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ». فالطاعة بالمعروف، فلا تكون الطاعة في معصية الله عَزَّوَجَلَّ. فلا طاعة لبشر في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، حتى ولو كان أميرًا من الأمراء، فيُطاع في غير معصية الله، فطاعة الله هي المقدمة. ومن أمر بمعصية الله فلا يُسمع له ولا يُطاع فيما أمر به من معصية الله. وكذلك لو كان الأمر أحد الوالدين، فلا طاعة للوالدين في معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

الوالد قد يأمر ولده بشيء مما لا يجوز، كأن يقول له: اذهب واشتر لي سجائر! هذا البلاء موجود في بعض الآباء فهناك من يأمر ولده بأن يشتري له بعض السجائر، وإذا لم يشتري له غضب منه، وربما ضربه وربما هجره. فليتحمل الولد هذا الأمر من والده، ويعاشره بالمعروف. ولا يطيعه في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، ويصبر على هذا، وله الأجر من الله عَزَّوَجَلَّ. ويبين لوالده أن هذا لا يجوز وليقل له: مُرْنِي بِمَا شِئْتَ مِمَّا يَحِلُّ أَطْعُتْكَ، أما في معصية الله عَزَّوَجَلَّ فلا سمع ولا طاعة. والأب ربما - ولو بعد حين -



يتفهم الأمر، وإن لم يقلع عن تلك المعصية، لكن يعرف أن ولده ما أراد أن يعقه، وإنما أراد أن يطيع ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

إذن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، سواء كان أميرًا من الأمراء، أو كان أحد الوالدين، أو غير هؤلاء. هذه هي التربية الصحيحة، وهذا هو الواجب. وهذا خلاف التربية الحزبية القائمة على الطاعة العمياء لأمراء الحزب فإن أمر أمير الحزب بما أمر به مما فيه طاعة أو معصية، فلا بد أن يُطاع! ولا نقاش لأمر الحزب! ويطاع طاعة عمياء! مثل طاعة المريد لشيخه الصوفي! بأن يكون بين يدي شيخه كالमित بين يدي المغسلين! هذه هي التربية الصوفية، فيكون بين يدي شيخه كالमित بين يدي المغسلين، ليس له أي اعتراض! فهذه هي التربية الصوفية، وهي التربية الحزبية! فيُربون الناس على هذا الأمر، ويأخذون منهم البيعة، ويُربون التابع بهذه التربية: الطاعة العمياء، السمع والطاعة في كل شيء.

وإذا رأى أن هذا خلاف الصحيح، فما يعترض؟! ذكر لي بعضهم أن بعض هؤلاء جعل مباراة من المباريات وأمير الحزب كان هو الحكم في تلك المباريات. وأحد اللاعبين ركض الكرة في المرمى، وذاك الأمير يقول: أوت! أي: أن الكرة خارج المرمى، والرجل يقول: هي في المرمى! يعني: ها هي مشاهدة بالعيان أنها في المرمى! وهو يقول: أوت. وأصر على هذا! وهو أراد أن يربي هذا الرجل من أفراد الحزب، على أن يسمع للأمر وإن خالف ما رأى! فإن قال لك: أوت؛ قل: أوت! ولو رأيت الكرة في المرمى! هذه هي التربية الحزبية! على السمع والطاعة المطلقة في أي شيء لأمر الحزب! لا تعترض بشيء.

فهذه الطاعة لا تكون إلا لله ولرسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وإن كان مما لا تعقله! كما قال علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ».

وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَهْرِ خُفَّيْهِ « رواه أبو داود. أي: أن الطاعة واجبة، فلا تُقدم الرأي والاعتراض على السنة! هذا في طاعة الله وطاعة رسوله! فدعك من معقولاتك فإنها فاسدة إذا كانت مخالفة للدليل من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ، والواجب هو الطاعة المطلقة لله ولرسوله ﷺ. وأما الطاعة المطلقة لأمرء الأحزاب، فإن هذا مما لا يجوز، وليس هذا من دين الله عزَّ وجلَّ.





عدم الشهادة في عواقب العباد



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تَشْهَدُ لَهُ بِعَمَلٍ خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ وَتَخَافُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ، لَا تَدْرِي مَا يَسْبِقُ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّدَمِ، وَمَا أَحْدَثَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِذَا مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ، وَتَخَافُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ.

«الشرح»:

بين المؤلف رحمه الله أننا لا نشهد لشخص معين بخير أو بشر؛ لأنه قد يموت على خير أو يموت على شر، ولا نشهد بأنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار، بمجرد عمل قام به: إما من عمل الخير أو من عمل الشر.

وإنما نرجو للمحسن الجنة، ونخاف على المسيء من النار، فليس لنا إلا مجرد الرجاء والخوف. وأمّا الحكم على المعين بالجنة أو النار، فلا بد من دليل يدل عليه، إما من الكتاب أو السنة أو الإجماع، فمن بُشِّرَ بالجنة، كمن بشره بذلك رسول الله ﷺ، فنعتقد ما أخبر عنه رسول الله ﷺ، كالعشرة المبشرين بالجنة، فهؤلاء نعتقد ما أخبر عنه النبي ﷺ فيهم. وكذلك غيرهم من الصحابة الكرام، كالمرأة السوداء التي قال النبي ﷺ - كما في الصحيحين عن ابن عباس -: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ»، قالت: أَصْبِرُ.

وكذلك عاشة ابن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حديث عمران بن حصين الذي في الصحيحين في شأن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال: "ادعُ الله أن يجعلني منهم".

فقال له النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أنت منهم»، فهذا من أهل الجنة. وكذلك حارثة كما جاء في البخاري من حديث أنس بن مالك، لما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأمه: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» وذلك حين قُتِلَ شهيداً في يوم بدر. وغير هؤلاء ممن بشرهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالجنة، أو ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنهم من أهل الجنة. وكذلك أهل بدر عموماً، ففي الصحيحين من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعمر: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». ومن غُفِرَ له فهو من أهل الجنة. وأهل بيعة الرضوان أيضاً من أهل الجنة. وكذلك جميع الصحابة قد بُشِّرُوا بالجنة على سبيل العموم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]. من تقدم منهم ومن تأخر، الكل وعدهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالحسنى. والحسنى هي الجنة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. الزيادة فسرّها النبي ﷺ بالنظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، وأما الحسنى فهي الجنة. فالصحابة عموماً قد بُشِّرُوا بالجنة، فما دلت عليه الأدلة فإننا نعتقده سواء كانت من القرآن أو من صحيح سنة رسول الله ﷺ.

وما سوى هؤلاء؟ فمن عمل خيراً، ومن أظهر خيراً، فمرجو له الجنة، لكن ما نجزم له بذلك، فقد يُخْتَمَ له بعمل أهل النار فيدخلها، كما في حديث عبد الله بن مسعود في الصحيحين. ومن عمل عملاً سيئاً، فنخاف عليه من النار، ولا نجزم أنه من



أهل النار؛ فقد يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، كما في حديث ابن مسعود أيضًا في الصحيحين.

لكن هناك من أهل العلم من أجمع العلماء على إيمانه وتقواه وصلاحه فهذا يشهد له بالجنة بدليل الإجماع، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** ، فإنَّ الإجماع من الحجج الشرعية.



التوبة إلى الله وشروطها وأنواعها

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَلِلْعَبْدِ مِنْهُ تَوْبَةٌ.

الشرح:

ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنقُ أَثَامًا﴾ [٦٨] يُضَعَّفَ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا [٦٩] إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [٧٠]﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾

[الأنفال: ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِإِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٧٦] لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٧٣]﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [٧٤]﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٤].



وقال: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾

[التوبة: ١١].

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن جميع الذنوب يغفرها الله تعالى، وليس هنالك
ذنوب لا يغفر مهما عظم.

وهذا من رحمة الله تعالى بعباده فهو أرحم بهم من أنفسهم ومن آبائهم وأمهاتهم.



مشروعية رجم الزاني المحصن

□ قال الإمام البربهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

وَالرَّجْمُ حَقٌّ.

الشرح:

والأمر كما ذكر المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**؛ فإن الرجم حق، وهو مذكور في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** في الآية التي نُسخ لفظها وبقي حكمها، وهي: وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا **الْبَيِّنَةُ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**). وكانت في سورة الأحزاب.

فهذه الآية نُسخ لفظها وبقي حكمها، وقد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** تلك الخطبة المشهورة، وأنكر - أو أخبر - أنه يخشى أن يأتي في آخر الزمان من ينكر الرجم، وأخبر أنها آية نزلت في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** فتلونها، ورجم رسول الله **ﷺ**، ورجم الخلفاء من بعده. فخشي أن يطول بالناس زمان، حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: لَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضْلُوا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ**. فخطب عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** تلك الخطبة وبيّن للناس هذا الحكم.

وسار على هذا أئمة الإسلام، إلا من شذَّ من الخوارج وغيرهم، فإنهم أنكروا هذا الحد، لأنه لم يُذكر في كتاب الله، وهو الذي خشيهِ عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فضلوا ضلالاً بعيداً في إنكارهم لهذه الفريضة التي فرضها رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.





المسح على الخفين



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمَسْحُ عَلَى الْخَفَيْنِ سُنَّةٌ.

الشَّرْحُ:

وهي سنة متواترة، كما هو معلوم:

وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَاحْتَسَبَ

مِمَّا تَوَاتَرَ: حَدِيثٌ مَنْ كَذَبَ

وَمَسَحُ خَفَيْنِ، وَهَذِهِ بَعْضُ

وَرُؤْيَاهُ، وَشَفَاعَةُ وَالْحَوْضُ

فهذا مما تواتر وثبت عن النبي ﷺ بأدلة متكاثرة. وهناك من أهل العلم من يحتج لهذه السنة بالقرآن، في قراءة الجبر في آية الوضوء. ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، أي: امسحوا بأرجلكم، والمراد بذلك المسح على الخفين على أحد أقوال العلماء في تفسير الآية.

فتكون هذه السنة - على هذا القول - ثابتة في كتاب الله عز وجل على قراءة الجبر، على أحد أقوال العلماء، وأما السنة عن النبي ﷺ، فهي سنة متواترة.

واختلف العلماء: هل المسح أفضل أم غسل القدمين؟ فمن أهل العلم من استحَبَّ المسح، ومن أهل العلم من استحَبَّ غسل القدمين، ومن أهل العلم من فصل في المسألة، فذهب إلى أن الشخص إذا كان لابسا للخفين، فالأحسن في حقه المسح، وإذا كان قد نزع خفيه، فالأحسن في حقه أن يغسل القدمين. وكل هذا نزاع في أيهما الأفضل، أما المشروعية فهو محل اتفاق بين أئمة الإسلام.

قصر الصلاة في السفر

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَقْصِرُ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ سُنَّةٌ.

الشَّرْحُ:

والمراد بالصلاة: صلاة الفريضة، كما هو معلوم، والمراد أيضًا بعض الفرائض، وهي الصلاة الرباعية. فالصلاة الرباعية كصلاة الظهر والعصر والعشاء، فهذه الصلوات هي التي تُقصر في السفر، وأما صلاة الفجر، فلا تُقصر؛ لأنها صلاة شبيهة بالصلاة المقصورة، فهي عبارة عن ركعتين، وإذا ما قُصرت صارت وترًا.

ووتر النهار هي صلاة المغرب، وصلاة المغرب لا يمكن أن تُقصر؛ لأنها إن قُصرت كانت عبارة عن ركعة ونصف، فلهذا لا يستقيم فيها القصر. وإن قُصرت وصُلِّيت ركعتين فتصير شفعا، والمغرب وتر النهار، كما أن الليل له وتر، فالنهار أيضًا له وتر، فيزول الوتر حينئذ بالقصر. وإذا ما صُلِّيت ركعة واحدة فقد حذف أكثرها، وهذا غير وارد في القصر.

فعلى كل حال، القصر إنما هو وارد في الصلاة الرباعية: صلاة الظهر والعصر والعشاء. وهذا شيء معلوم، لكن قد يحصل شيء من الجهل بذلك؛ هذا موجود في بعض الجهال فهنالكَ مَنْ كان يظن أن المغرب تُقصر، بأن تصلّي ركعتين!

والقصر - كما ذكر المؤلف - في السفر: (وتقصير الصلاة في السفر)؛ فلا يكون القصر في غير السفر. وذلك أن هناك من جهال الناس مَنْ كان يظن أن القصر أيضًا يحصل في الحضر! فبعض أئمة المساجد عند نزول المطر، صلى بالناس المغرب



والعشاء جمعاً وقصرًا، وهذا حصل في أكثر من مسجد في بعض المدن اليمنية، والقصر يكون في السفر، لا يكون في المطر، ولا يكون في المرض؛ المريض إن احتاج إلى الجمع جمع، لكن جمعاً من غير قصر. فالقصر مختص بالسفر، إلا ما يتعلق بصلاة الخوف، فهناك من أهل العلم من ذهب إلى مشروعية القصر فيها إلى ركعة واحدة، على نزاع في هذه المسألة، لكن فيما سوى ذلك، فإن القصر مختص بالسفر، ولا يكون في غير السفر.

والمؤلف يقول: **(وتقصير الصلاة في السفر سنة)**. والذي عليه أكثر العلماء أن القصر من الأمور المستحبة، من السنن المؤكدة، وليس هو من الواجبات. وذهب إلى وجوب القصر أبو حنيفة من الأئمة الأربعة.

وأما أكثر العلماء فيرون أن القصر من السنن المستحبة لا من الواجبات. ومن أوجب ذلك يحتج بأدلة، كحديث عائشة حين قالت، كما في الصحيحين: **«إِنَّ الصَّلَاةَ أَوَّلَ مَا فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَأُتِمَّتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ»**.

والشاهد: أنها قالت: "فُرِضَتْ". فهي فريضة على هذه الصفة: في الحضر أربع ركعات، وفي السفر ركعتين. فقالوا: هي فريضة على هذه الصفة، فصلاة السفر فريضة على هذه الصفة، وصلاة الحضر فريضة على هذه الصفة. إلى غير ذلك من الأدلة التي هي بنحو حديث عائشة. وهكذا حديث ابن عباس في صحيح مسلم، قال: **«فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ»**. فهذه الأدلة التي جاءت بذكر "الفريضة"، واحتج بها من قال إن القصر من الواجبات.

وأكثر العلماء يرون أن ذلك من السنن المؤكدة. وأقوى ما يحتجون به حديث عبد الله بن عباس، الذي جاء في مسند الإمام أحمد وأصله في صحيح الإمام مسلم - وهو حديث حسن - وفيه عن موسى بن سلمة، قال: كُنَّا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: إِنَّا إِذَا

كُنَّا مَعَكُمْ صَلَّيْنَا أَرْبَعًا، وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى رِحَالِنَا صَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ. قَالَ: «تِلْكَ سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

والمعنى: أن المسافر إذا صلى خلف المقيم يصلي أربعًا، ولا يصلي ركعتين. وإذا كان القصر واجبًا على المسافر كمذهب أبي حنيفة، فماذا كان يصنع إذا صلى خلف المقيم؟

الجواب: ينبغي أن يصلي ركعتين ويسلم؛ لأنه ليس له أن يزيد على الواجب. وهذا مثل الذي يصلي صلاة ثنائية خلف من يصلي صلاة رباعية. كالذي - مثلاً - تذكّر صلاة العشاء بعد أن صلى الفجر، فقام يصلي صلاة العشاء، وهناك رجل لم يصل الفجر بعد، فصلى خلفه، فالإمام يصلي العشاء والمأموم يصلي صلاة الفجر - فالذي يصلي الفجر: هل يتابع الإمام فيصلّي معه أربع ركعات أم يصلي ركعتين؟ **الجواب:** يصلي ركعتين؛ لأن هذه فريضة في حقه، وهذا هو الواجب في حقه، لو صلى أربعًا بطلت صلاته. وإذا كانت صلاة السفر من هذا القبيل، لكان المسافر إذا صلى خلف المقيم؛ وجب عليه إما أن ينوي الانصراف بعد أن يتم ركعتين، أو أنه يجلس وينتظر الإمام إلى أن يتم صلاته. وكل هذا غير وارد.

والوارد في السنة - كما ذكر عبد الله بن عباس - أن المسافر إذا صلى خلف المقيم أتم، وإذا صلى في رحله صلى قصرًا. فلو كان هذا من الأمور الواجبة، لكان الواجب عليه أن يفعل أحد الأمور التالية: إما أن ينوي الانفصال، وإما أن يجلس حتى يتم الإمام صلاته، وإما أن يُقال له: لا تصل خلف مقيم، صل في رحلك. فإنَّ المسافر له أن يصلي في رحله مع مسافر آخر. فيقال: كيف تصلي خلف المقيم وتترك الواجب؟! والواجب عليك القصر، فإذا صليت خلف المقيم، فسوف تصلي بصلاته، فكيف تترك الواجب عليك وتأتي بشيء لا يجب؟! فالواجب عليك أن تصلي في رحلك



جماعة، وأن تأتي بالواجب الذي هو القصر. وكل هذا لم تأت به الشريعة، فهذا مما يدل على صحة ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن القصر في السفر إنما هو من السنن المؤكدة، ليس من قبيل الواجب المحتم.

والمؤلف هنا يقول: **(وتقصير الصلاة في السفر سنة)**: والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **[النساء: ١٠١]**. وهذا القيد جاء في الآية، لكن بعد ذلك الله **عَزَّجَلَّ** تفضل على عباده، فأباح لهم القصر من غير خوف، كما جاء ذلك في حديث عمر في صحيح الإمام مسلم حين سأل النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عن ذلك، فقال له النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**صَدَقَ** **تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَأَقْبِلُوا صَدَقَتَهُ**». فكان هذا القيد في أول الأمر، ثم تصدق الله **عَزَّجَلَّ** على عباده، فأباح لهم القصر في السفر مطلقاً، حصل الخوف أو حصل الأمن.



الصوم في السفر

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالصَّوْمُ فِي السَّفَرِ، مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

الشَّرْحُ:

فالصوم في السفر مشروع، وكذلك الفطر في السفر مشروع. فأما الفطر، فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. فالفطر في السفر مشروع بدلالة القرآن والسنة، فقد ثبت عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الإفطار في السفر، وثبت عن الصحابة في زمنه الإفطار في السفر، وأجمع العلماء على مشروعية الإفطار في السفر، وإنما حصل النزاع بين العلماء في مسألة الصوم في السفر: هل يُشرع أو لا يُشرع؟ وأكثر العلماء على مشروعية الصوم في السفر، لكن هناك من منع من الصوم، وذهب إلى عدم جوازه، كما ذهب إلى ذلك ابن حزم الظاهري؛ لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قال: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. فالمرضى والمسافر إنما له عدة من أيام آخر، فليس له أن يصوم، وإنما الواجب عليه عدة من أيام آخر، هذا الذي يقرره ابن حزم، وهو خلاف ما دلت عليه السنة. فقد كان الصحابة يسافرون مع النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فمنهم المفطر ومنهم الصائم، ولا يعيب أحدهما على الآخر، كما جاءت بذلك السنة في حديث أنس في الصحيحين، وفي غيره من الأحاديث الواردة في الباب. وكذلك في حديث حمزة بن عمرو الأسلمي في صحيح مسلم لما سأل النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقال: "يا



رَسُولُ اللَّهِ، أَجِدُ بِي قُوَّةَ عَلَى الصَّيَامِ فِي السَّفَرِ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ». فبين النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الإفطار رخصة من الله عز وجل، وإذا صام الإنسان فلا جناح عليه. وبهذا جاءت الأدلة المتكاثرة، فيجوز الصيام ويجوز الفطر في حق المسافر.

وحصل النزاع بين العلماء: أيهما أفضل في حق المسافر، هل الإفطار أم الصيام؟ على قولين لأهل العلم. والأظهر هو أن الإفطار أحسن من الصيام في حق المسافر؛ باعتبار أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فالمفطر في سفره وافق إرادة الله عز وجل، ومن وافق إرادة الله عز وجل فشأنه أعظم؛ فإن الله عز وجل لما شرع هذه الرخصة قال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، فالمفطر قد وافق إرادة ربه سبحانه وتعالى. وفي حديث عائشة في الصحيحين قالت: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا». فكان النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يختار اليسر، وآخر ما فعله النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو الإفطار في السفر، فهذا آخر ما ثبت عن النبي ﷺ هو الإفطار في السفر. وحديث - أيضًا - حمزة بن عمرو الأسلمي الذي قرأناه في صحيح مسلم، قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ».

فحكم على الإفطار بأنه حسن

وقال في الصيام: «وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ». وأيهما أرفع؟

الشيء الذي حكم عليه النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأنه "حسن"، أم الشيء الذي رفع النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيه الإثم؟ لأن معنى "لا جناح" أي: لا إثم. أيهما أرفع؟

الشيء الذي حكم عليه النبي ﷺ بأنه "حسن" أرفع من الشيء الذي بين النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه لا إثم فيه.

وأيضاً مما يدل على أن الفطر في حق المسافر أفضل من الصيام: أن المفطر في سفره يُكتب له أجر الصيام فإذا قضى عدة من أيام آخر، كُتب له أجر القضاء، فجمع بين أجرين. في حديث أبي موسى في صحيح البخاري قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا». فإذا أفطر من أجل السفر، كُتب له ما كان يعمل، فيُكتب له أجر الصيام. فإذا قضى بعد ذلك عدة من أيام آخر، كُتب له أجر القضاء، فجمع بين أجرين. لكن إذا صام في السفر، هل يجمع بين أجرين أم يُكتب له أجر واحد؟ يُكتب له أجر واحد. ومن جمع بين أجرين أفضل ممن اكتفى بأجر واحد. وهذا الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكر نحو هذه الحجج في شرحه لـ "عمدة الفقه" الحنبلي، ونصر هذا القول: وهو أن الإفطار في حق المسافر أحسن من الصيام.

وما ذكره من الأدلة هو الذي يظهر رجحانه في هذه المسألة التي حصل فيها النزاع بين العلماء. لكن على كل حال، الحكم كما ذكر المؤلف قال: **(والصوم في السفر؛ من شاء صام ومن شاء أفطر)**. فمن حيث المشروعية، يُشرع الصيام ويُشرع الإفطار، وإنما الكلام في أيهما أحسن: هل الصوم في حق المسافر أحسن، أم الإفطار في حق المسافر أحسن؟





وَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ فِي السَّرَاوِيلِ



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ فِي السَّرَاوِيلِ.

الشَّرْحُ:

بين رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الصلاة في السراويل من الأمور المشروعة، وهذا بضوابطه الشرعية: وذلك إذا كانت السراويل ليس فيها مثل هذا البلاء الموجود في هذه الأزمان من التشبه البالغ بأعداء الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تكاد تستر العورة، بقصرها من أعلى وطولها من أسفل.

وكان الطول ينبغي أن يكون من الأعلى ليحصل الستر، فحصلت الإطالة في موضع النهي؛ لأنه إسبال، وقد نهى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الإسبال، وجاءت الأدلة الشديدة في الوعيد منه. وحصل التقصير من الأعلى وهو موضع ستر العورة، فانقلبت الأمور! مع ما فيها من الضيق والالتصاق وتحجيم العورة، ومع ما فيها من كثرة التخريق، وهي أشبه ما تكون بثياب المجانين؛ مخرقة من كل جهة، ربما ثياب المجانين لا يبلغ بها الخرق إلى هذا الحد!

خروق متعددة وكثيرة. فليس المراد بالسراويل في كلام المؤلف مثل هذه السراويل التي فيها هذا الشر وهذا البلاء، إنما السراويل القديمة وهي: سراويل واسعة، وساترة للعورة، وفضفاضة غير مسبلة، هذا الذي يتكلم عليه من مضى من العلماء. وجاءت بإباحة الصلاة فيها السنة والآثار.

من السنة: حديث بريدة عند الإمام أبي داود بإسناد صحيح قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُصَلَّى فِي لِحَافٍ لَا يُتَوَشَّحُ بِهِ، وَالْآخِرُ أَنْ تُصَلَّى فِي سَرَاوِيلَ وَلَيْسَ عَلَيْكَ رِدَاءٌ». وقوله: "وَلَيْسَ عَلَيْكَ رِدَاءٌ"، أي: ليس على عاتقك رداء، هذا هو معنى الحديث؛ يعني: يصلي في سراويل والعاتق مكشوف. فإن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد نهى عن كشف العاتقين في الصلاة. وليس المراد: "وليس عليها رداء"، أي السراويل بل المقصود: أنه يصلي في سراويل ويجعل أعلى الجسد مكشوفاً. ومن قال إن معنى الحديث: سراويل ليس عليها رداء، فهذا كلام فاسد، ما قاله أحد ممن مضى من أهل العلم فيما أعلم، وهو خلاف مدلول الحديث، فالحديث: "وَلَيْسَ عَلَيْكَ رِدَاءٌ". والرداء أين موضعه؟

الجواب: في العاتق، والمراد بذلك: ستر العاتق. فهذا الذي جاءت به الأدلة: أن الإنسان لا يكشف عاتقه، وإنما يستر عاتقه.

ورواية ابن أبي شيبة التي ذكرها الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين": "وليس عليه شيء"، محمولة على رواية أبي داود؛ لأن رواية أبي داود "وَلَيْسَ عَلَيْكَ رِدَاءٌ"، ورواية ابن أبي شيبة "وليس عليه شيء" - أي: على عاتقه - فهي محمولة على رواية أبي داود. فهذه الأحاديث تدل على مشروعية الصلاة في السراويل، لكن بشرط أن يستر العاتق، ولا يجعل العاتق مكشوفاً.

وهكذا في البخاري من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ فَأَوْسِعُوا، جَمَعَ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ، صَلَّى رَجُلٌ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ، فِي إِزَارٍ وَقَمِيصٍ، فِي إِزَارٍ وَقَبَاءٍ، فِي سَرَاوِيلَ وَرِدَاءٍ، فِي سَرَاوِيلَ وَقَمِيصٍ، فِي سَرَاوِيلَ وَقَبَاءٍ، فِي ثَبَانٍ وَقَمِيصٍ». **ثَبَانٍ وَقَمِيصٍ**.

والشاهد: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "صَلَّى رَجُلٌ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ، فِي سَرَاوِيلَ وَرِدَاءٍ".



قال: "سَرَاوِيلَ وَرِدَاءٍ"، أي: ستر عاتقه بها، كما في حديث بريدة: "تُصَلِّي فِي سَرَاوِيلَ وَلَيْسَ عَلَيْكَ رِدَاءٌ". فإذا صلى في سراويل كالسراويل التي وصفناها - وهي غير الموجودة في هذه الأزمان - وغطى عاتقه، فالصلاة تصح، كما ذكر البرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا بأس بالصلاة في السراويل)**؛ لأن السنة جاءت بذلك.

والبرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** نص على هذه المسألة؛ لأن الخلاف فيها يُنقل عن الخوارج، كما نقل ذلك أبو الحسين محمد بن علي البلوطي في رسالته التي رد فيها على أهل الأهواء، فذكر فرق الخوارج ومعتقداتهم، وذكر من عقائدهم أنهم لا يرون الصلاة في السراويل، ويقولون: إنها جُبُّ الفقاح، والفقاح من أسماء الدبر، والجُبُّ معروف، فيقولون: جب الفقاح، فكانوا لا يرون الصلاة في السراويل، ويبطلون الصلاة فيها. فلذا نص من نص من العلماء على هذه المسألة، وذكروا ذلك في كتب العقيدة من باب الرد على الخوارج الذين يبطلون الصلاة في السراويل، ولا يرون مشروعية الصلاة فيها. وقد ثبتت المشروعية كما عرفناها بسنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وبالأثار عن الصحابة الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين.

فإذا كانت السراويل واسعة، ولم تكن مسبلة، وليست كالسراويل الموجودة في هذه الأزمان التي هي شر وبلاء، فإن الصلاة تصح بها، كما جاءت بذلك السنة والآثار.

والصلاة بالقميص أو الإزار هي الأكمل والأحسن؛ لقول الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَبْنِيْٓءَ اٰدَمَ خُدُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]**، فالله **عَزَّوَجَلَّ** أمر بأخذ الزينة، ولبس القميص أو الإزار أجمل وأحسن، وداخل في الزينة التي حث الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ**. وفي حديث أبي أمامة قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** عَلَى مَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيْضَ لِحَاهُمْ، فَقَالَ: « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ حَمُّوْا وَصَفَّرُوْا، وَخَالِفُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ ». قالوا: يَا

رَسُولُ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرَّوْنَ وَلَا يَأْتِرُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسَرَّوْا وَاتَّزِرُوا، وَخَالَفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ» يعني: افعَلُوا هَذَا أحيانًا وَهَذَا أحيانًا. قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَخَفُّونَ وَلَا يَتَّعِلُونَ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَتَخَفُّوا وَانْتَعِلُوا» رواه أحمد وغيره أي: افعَلُوا هَذَا أحيانًا وَهَذَا أحيانًا. فالحديث يدل على هذا المعنى، وكلام من مضى من أهل العلم يدل على هذا المعنى. أي: لا تلازموا الفعل الذي يلازمه أهل الكتاب، فأهل الكتاب يلازمون السراويل، فلا تلازموا السراويل. إن لبستم السراويل، فلا تلازموا لبسها كأهل الكتاب، وإنما إن فعلتم هذا أحيانًا، فلا بد من الاتزار. وكذلك لا تلازموا الخفاف كما يلازم اليهود لبس الخفاف، ولتلبسوا النعال. فإن احتجتم أن تلبسوا الخفاف فالبسوا أيضًا النعال، فإنها لباس العرب. فحديث أبي أمامة محمول على هذا المعنى.

والنصيحة: الابتعاد عن هذه السراويل الموجودة في هذه الأيام، ففيها ما فيها من البلاء، وفيها ما فيها من الشر، وفيها ما فيها من المخالفات الكثيرة. وكم لعب الكفار بعقول المسلمين فيها، وحصل فيها أشياء عجيبة، وما كان يخطر على البال أن يبلغ الناس في متابعة الكافر إلى هذا الحد. فسراويل مخرقة بخروق كثيرة، ويلبسها الناس، ويشترونها بالأثمان العالية، وكان قبل سنوات، يستحي الإنسان أن يلبسها، ولو أُعطيها هدية لرمى بها في القمامة، والآن تشتري بالمبالغ الكبيرة، وهي مخرقة، وفيها ما فيها من المنظر القبيح. ومع هذا لبسها كثير من الناس لا منظر ولا عقل، فليس فيها منظر حسن، ولا يفعل هذا من عنده عقل، وكل هذا متابعة لليهود والنصارى وللكافرين، كما قال النبي ﷺ: «وَلَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» رواه البخاري ومسلم. أي: تتابعونهم حتى في مضايق الأمور. و«جحر الضب»: شيء ضيق، فإذا دخلوا في الأمور التي فيها ضيق وخرج وشدة، تابعتهم



على هذا الأمر. والألبسة فيها ما فيها من الخزي، وفيها ما فيها من العيب، فيها ما فيها من المنظر القبيح، لا يحصل بها ستر العورة، ومع هذا تابع المسلمون الكفار في الأمور التي هي من المضايق، وليست من أمور الزينة، وأمور الجمال، وأمور البهاء والحسن، بل فيها ما فيها من قبح المنظر، وفيها ما فيها من الرداءة. لكن كل هذا من محبة ما عليه الكفار والعياذ بالله، وتقليد الكفار دليل على محبتهم والعياذ بالله.

فعلى كل حال، الواجب نصيحة المسلمين في هذا الأمر وفي غيره، وأن يقتصر الناس على لباس العرب ولباس العلماء ولباس الصالحين، ولباس العرب، ولباس الصالحين، ليس فيه مثل هذا البلاء والشر. وإن كان قد دخل شيء من ذلك في بعض القمصان، فدخل فيها شيء من البلاء، وقد شاهدت بعض القمصان وكنت أظنها جلابية للنساء، مما فيها من النقوش، ففيها نقوش شبيهة بألبسة النساء، نقوش كثيرة في مواضع متعددة وبكثرة، وإذا هو قميص من قمصان الرجال، وهو أشبه ما يكون بجلابية النساء، والعياذ بالله. فالشر موجود في كل شيء، لكن في السراويل دخل الشيطان أكثر، والشر فيها أكثر، والتلاعب فيها أكثر. نسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** السلامة والعافية.



النفاق وخطره

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالنِّفَاقُ أَنْ تُظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِاللِّسَانِ وَتُخْفِيَ الْكُفْرَ بِالضَّمِيرِ.

الشرح:

وهذا هو النفاق الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، وهذا هو النفاق الأكبر الذي صاحبه في الدرك الأسفل من النار، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وهم الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وهذا أشد أنواع الكفر وأعظم أنواعه. وضرر المنافقين، كما هو معلوم، أشد من ضرر غيرهم.

وهناك النفاق الأصغر: وهو المذكور في قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ» رواه البخاري ومسلم، وقوله: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا» رواه البخاري ومسلم. فهذا نفاق عملي: «إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». هذه من أوصاف النفاق العملي. لكن إن تمكنت هذه الخصال في العبد، فإنه يصير منافقًا خالصًا. فإذا تمكنت هذه الخصال فيه، فإنه ينتقل من النفاق الأصغر إلى النفاق الأكبر، والعياذ بالله. كما بين ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ. فالحذر الحذر من هذه الصفات، فإنها إذا تمكنت، ينتقل العبد من النفاق العملي - النفاق الأصغر - إلى النفاق الأكبر، والعياذ بالله.





دار الدنيا هي دار الإسلام



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ إِيْمَانٍ وَإِسْلَامٍ

الشَّرْحُ:

فلا تخلو الدنيا من هذا، وليس المعنى: أن جميع الدنيا كذلك، لكن لا تخلو من الإيمان والإسلام، كما أنها لا تخلو من الكفر، فالدنيا فيها الكفر، وفيها الإيمان، وفيها الإسلام، فلا يكون الكفر هو المطبق على جميع الأرض، إلا في آخر الزمان، حين يقبض الله عزَّ وجلَّ أرواح المؤمنين.

وأما قبل ذلك، ففيها: دار الإيمان والإسلام.

فهذا الذي دلت عليه الأدلة، وهذا الذي سار عليه أئمة السلف، خلافاً للخوارج. فإن الخوارج يرون: أن البلدان التي هم فيها هي: بلدان الهجرة، وأنه يجب على الناس أن يهاجروا من جميع الأرض إليهم.

فجميع الأرض دار كفر على مذهب الخوارج، وما هم فيه - وهي البلدان التي هم فيها والتي تحت أيديهم - فإنها دار الهجرة، فيوجبون الهجرة إليهم.

وهكذا مذهب سيد قطب فهو أشد من ذلك، فإنه كان يرى: أن الكفر قد أطبق على الأرض، وأن الناس صاروا في جاهلية، فكان يذهب: إلى التكفير العام لجميع من في الأرض، وأن الكفر: هو الذي عم في الأرض، وما بقي دار إسلام في الأرض.

وهناك من أتباعه من كان يعترف بهذا، حتى القرضاوي يعترف بأن سيد قطب - كان يسير - على هذا المنهج، وأن الجاهلية قد أطبقت الأرض، ويكفر المجتمعات الإسلامية قاطبة، من غير استثناء، فهذا أشد من مذاهب الخوارج. فالخوارج استثنوا بعض الأماكن التي هم فيها، والتي تحت أيديهم، ويقولون: هذه دار الهجرة.

فبقى عندهم شيء في الأرض يُقال له: دار هجرة، ويوجبون على الناس أن يهاجروا إليها، وهي دار الإسلام عندهم، وسائر الدور يجب الهجرة منها. وأما مذهب سيد قطب فأشد من مذهب الخوارج، فليس عنده دولة إسلام على وجه الأرض، ويرى أن الناس يتتابعون على الكفر، ويتتابعون على الردة، والعياذ بالله.

والمؤلف هاهنا يقول: **(واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام).**

فلا بد فيها من الإيمان والإسلام، وإذا حصل فيها الكفر، فلا ينطبق على جميع الأرض إلا في آخر الزمان، حين يقبض الله **عَزَّجَلَّ** أرواح المؤمنين. فيمكن أن يُحمل كلام المؤلف على هذا المعنى، وهو الأظهر، ويكون هذا من قبيل الرد على الخوارج.

وهناك من أهل العلم: من حمل ذلك على معنى آخر، وأن دار الدنيا دار عمل، فالإيمان والإسلام في الدنيا، فإن الدنيا دار العمل، والآخرة دار الجزاء، وهذا فيه شيء من التأمل، فالظاهر: أنه يريد الرد على الخوارج الذين يحكمون، أو يذهبون إلى تلك المذاهب، ويحكمون بانطباق الكفر، وأن الدنيا دار كفر، إذا لم تكن لهم دولة، فإنهم يحكمون بأن الدنيا دار كفر؛ لأن الكفار أمرهم ظاهر، وأهل الإسلام - عند الخوارج - هم من أهل الكفر، فيكفرون حكام المسلمين، ويكفرون المسلمين،



فيرون أن الدنيا دار كفر، وإذا كان لهم دولة في منطقة من المناطق، فيرون أن هي: دار الهجرة.

فعلى كل: الإيمان والإسلام ما زال موجودًا في الأرض إلى أن يقبض الله **عَزَّوَجَلَّ** أرواح المؤمنين في آخر الزمان، فدار الإيمان موجودة، ودار الإسلام موجودة.

والعجيب من هؤلاء الخوارج الذين يرون أن دار الإسلام هي دار الكفر، إذا بهم يهاجرون من بلدان المسلمين وإلى أين يذهبون؟ يذهبون إلى بريطانيا، وإلى دول الكفر، تحت مسمى لاجئ سياسي في بريطانيا، لاجئ سياسي في كذا، ويرى أن الهجرة واجبة من بلدان المسلمين، وإذا به يهاجر من بلدان المسلمين إلى بلدان الكافرين، ويقيم في أوساط الكافرين، وهذا مما يدعو إلى الريب، بأن هؤلاء أداة للكافرين، وأنهم عملاء لهم.

إذ كيف يفرون من بلدان المسلمين، ويحكمون عليها بالكفر، ويهاجرون إلى بلدان الكافرين، وييقنون تحت أنظمتهم الكافرة، وتحت قوانينهم الكافرة، ويحاربون المسلمين، ويكفرونهم، ويسعون بالتفجير في بلدانهم؟

وبلدان الكفار ما فيها شيء، ما فيها تفجيرات، ولا فيها من هذا الشر والبلاء، والتفجيرات في بلدان المسلمين، في البلد الفلاني، وفي البلد الفلاني، وفي البلد الفلاني، والعمليات التي يسمونها الاستشهادية والانتحارية، في بلدان المسلمين، فيثيرون الشرور والفتن في بلدان المسلمين، وبلدان الكفار ما فيها شيء، سليمة من هذه القلاقل، وهم ساكنون في أمن في بلدان الكافرين، ويهيجون الفتن في بلدان المسلمين، والعياذ بالله.



أحكام أهل الملة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهَا مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ.

وَلَا تَشْهَدُ لِأَحَدٍ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى يَأْتِيَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ قَصَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَانَ نَاقِصَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتُوبَ، وَاعْلَمْ أَنَّ إِيْمَانَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، تَامُّ الْإِيْمَانِ، أَوْ نَاقِصُ الْإِيْمَانِ، إِلَّا مَا ظَهَرَ لَكَ مِنْ تَضْيِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

الشرح:

فقوله: (وَأَمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهَا مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ): أي: في الأمور الظاهرة نعامل من أظهر الإسلام بالمعاملة الظاهرة، ونجري عليه أحكام الإسلام الظاهرة. لكن هل نعلم ما في قلبه؟ ما نعلم ما في قلبه. وهل نقول فيه إنه من المسلمين ظاهراً وباطناً؟

هذا لا نعلمه، هذا يعلمه رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. لكن من أظهر لنا الإسلام فنعامله بما أظهر، من حيث أحكام الإسلام الظاهرة: باعتبار المواريث، فيرث ويورث، وباعتبار الذبائح، تحل ذبيحته، وإذا مات نصلي عليه. فنجري عليه أحكام الإسلام الظاهرة، وإن كان مبطناً للكفر ولا نعلمه، فإن أمره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ولنا ما ظهر.



وقوله: (وأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون). لم يعطف بواو العطف فلم يقل: مؤمنون ومسلمون، فاعله ممن لا يفرق بين الإيمان والإسلام.

قال: (والصلاة عليهم، ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان، حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام، فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يتوب): وهذا شيء معلوم، أن المعاصي تنقص الإيمان، ولا يكون العبد مؤمناً بالإيمان الكامل حتى يترك سائر المعاصي، ويأتي بجميع الواجبات.

قال: (واعلم أن إيمانه إلى الله تعالى): يعني: ما يتعلق بحقيقة الأمر: (تام الإيمان أو ناقص الإيمان، إلا ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام): فهنا نحكم له على ما ظهر: إن ترك الصلاة، حكمنا عليه بالكفر؛ إن وقع في ناقض من نواقض الإسلام، حكمنا عليه بالكفر، على حسب ما يظهر لنا عند توفر الشروط وانتفاء الموانع. وأما من أظهر لنا الخير، وأظهر لنا الإيمان، فنعامله المعاملة الظاهرة. وأما ما في قلبه من الصدق أو الكذب، فهذا يعلمه رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والأمر إليه وحده لا شريك له.



الصلاة على من مات من أهل القبلة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ، وَالْمَرْجُومُ، وَالزَّانِي، وَالزَّانِيَةُ، وَالَّذِي يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالسَّكَرَانُ، وَغَيْرُهُ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ سُنَّةٌ.

الشرح:

أراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بهذا الكلام الرد على الخوارج الذين يكفرون من وقع في هذه الذنوب، وفي غيرها من الكبائر، فيبين أن الصلاة على هؤلاء الذين وقعوا في الكبائر: سنة. والمراد بالسنة: ما هو أعم من المستحب، وهي طريقة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وإلا فإن الصلاة على هؤلاء من الأمور الواجبة، فليست السنة في كلام المؤلف بمعنى المستحب، وإنما الشيء الذي شرعه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقضى به. ولم يُعلم عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه ترك الصلاة على هؤلاء، بل كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يصلي على من مات مسلماً، وإن وقع في حد من الحدود. وترك الصلاة على هؤلاء بالكلية من مذهب الخوارج؛ لأنهم يكفرون من حصل منه هذا الأمر، فلا يجوزون الصلاة على هؤلاء.

قال: (الصلاة على من مات من أهل القبلة سنة، والمرجوم، والزاني، والزانية، والذي يقتل نفسه، وغيره من أهل القبلة): وأهل القبلة المراد بذلك: هم المسلمون.





الخروج من الإسلام

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَرُدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ يَرُدَّ شَيْئًا مِنْ أَثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَإِذَا فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمُسْلِمٌ بِالْإِسْمِ لَا بِالْحَقِيقَةِ.

« الشرح »:

قال: (ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ). إلى آخر ما ذكره. وليس ما ذكره على سبيل الحصر، وإنما أراد التمثيل. وإلا فإن من وقع في أي ناقض من نواقض الإسلام، فإنه يخرج من الإسلام، إذا توفرت فيه الشروط وانتفت الموانع. فإذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، فإنه يُحكم بكفره إذا وقع في أي ناقض من نواقض الإسلام. وما ذكره رَحِمَهُ اللهُ هو بعض النواقض على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر.

قال: (ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ): فإذا كذب آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهي آية اتفق العلماء عليها، فإنه يكفر. لكن لو رد آية اختلف العلماء فيها، هل يكفر أم لا؟
الجواب: لا يكفر.

وذلك مثل البسملة، فقد اختلف العلماء: هل هي آية من القرآن أو ليست بآية من القرآن؟ وأجمعوا على أنها بعض آية في سورة النمل. لكن هل هي آية مستقلة في القرآن أو ليست بآية في القرآن؟ هذا مما حصل فيه الخلاف. فمن ذهب إلى أن البسملة ليست آية من القرآن، وإنما هي بعض آية من سورة النمل، هل يكفر هذا أم لا؟

الجواب: لا يكفر.

قال: **(حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل، أو يرد شيئاً من آثار رسول الله ﷺ):** أي: مما صح عنه وثبت. فإذا بُيِّن له أن هذا مما ثبت عن النبي **عليه الصلاة والسلام**، فرده من غير حجة، وإنما هكذا رده تكذيباً، فمن رد شيئاً وكذب النبي **عليه الصلاة والسلام** في أمر أخبر عنه، فهو من الكافرين. وهذا في الشيء الذي ثبت عن النبي **عليه الصلاة والسلام** من غير نزاع.

وأما الأحاديث التي اختلف العلماء فيها، فمن ردها فإنه لا يحكم بكفره. وأما الأحاديث التي تلقاها العلماء بالقبول، فإذا جاء شخص وقام بتكذيبها من غير برهان، فإنه يكفر بذلك، فيُحكم عليه بالكفر بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع. فهذا الحكم هو الحكم عليه إذا رد شيئاً من أحاديث النبي **عليه الصلاة والسلام**، فكيف بمن أنكر السنة بالكلية؟ فإنَّ كفره أظهر وأظهر.

قال: **(أو يصلي لغير الله):** وهذا شرك أكبر.

قال: **(أو يذبح لغير الله):** وهذا أيضاً شرك أكبر. والمراد بذلك ذبح التقرب، فإذا كان ذبح تقرب فهذا من الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام.

قال: **(وإذا فعل شيئاً من ذلك، فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام):** يقول: **(فقد وجب)** يعني: ما أنت فيه بالخيار. فمن ثبت كفره، فلا بد أن يكفر إذا توفرت فيه



الشروط وانتفت الموانع، فهذا يجب أن يكفر. لا يقول الإنسان: أنا أتورع فيه. فالتورع إنما يكون في الأمر الملتبس، فما يتورع في الكفر الظاهر. وهناك من يتورع حتى في اليهود والنصارى، يقول: ما نقول اليهود والنصارى كفار. فهذا موجود في بعض عامة الناس، يقول: ما نقول إن اليهود والنصارى كفار. كما قال القرضاوي: "إخواننا اليهود".

ف قيل له: لماذا تقول: إخواننا اليهود؟ قال: الله يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فنحن مؤمنون، وهم مؤمنون من وجه آخر، ومصيرنا واحد. نعم، مصيره هو وهم واحد على حسب ما قال والله أعلم بحقيقة الحال. وأما نحن فبرآء من اليهود والنصارى. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البينة: ٦]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

فاليهود والنصارى كفار، كفرهم الله **عَزَّوَجَلَّ**. فالذي لا يحكم عليهم بالكفر، فإنه من الكافرين. فهذا المقام ليس مقام تورع، الكفر البين لا يتورع فيه الإنسان. ومن كفر كفرًا ظاهرًا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع، فيكفر، ولا يقول قائل: أنا أتورع فيه، هذا تورع في غير موضعه.

قال: **(وإذا فعل شيئاً من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام):** لكن الإنسان قد يتورع إذا حصل له شيء من اللبس، فربما يظن أن ذلك الشخص فيه مانع من موانع التكفير، أو لم يتوفر فيه بعض الشروط، أو وجدت فيه بعض الموانع، فيتورع من هذا القبيل، وأما إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، وكان الكفر من الكفر الظاهر البين، فكما قال المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**: **(فقد وجب عليك أن تخرجه من**

الإسلام؛ وإذا لم يفعل شيئاً من ذلك، ولم يقع في أي ناقض من نواقض الإسلام، فهو مؤمن ومسلم على حسب مرتبته.

قال: **(بالاسم لا بالحقيقة)**: وأما ما يتعلق بالقلوب، فعلمه عند الله عزَّجَلَّ. وأما نحن فنحكم عليه بحسب الظاهر بأنه من أهل الإسلام.
وأما ما في قلبه وحقيقة الأمر، فيعلمها رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فلنا ما ظهر، وما خفي فأمره وعلمه عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.





إثبات صفة الأصابع والنزول والقدم والهرولة لله **عَزَّجَلَّ** بما يليق به
سبحانه من غير تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل



□ قال الإمام البرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

وَكُلُّ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَثَارِ شَيْئًا مِمَّا لَمْ يُلْغُهُ عَقْلُكَ، نَحْوُ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ**:
«قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ **عَزَّجَلَّ**».
وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا». وَ«يَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ». وَ«يَنْزِلُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَ«أَنَّ جَهَنَّمَ لَا يَزَالُ يُطْرَحُ فِيهَا حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ».
وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: «إِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرَوَلْتُ إِلَيْكَ». وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى يَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ».

الشرح:

فهذه الصفات التي ذكرت في هذه الأحاديث وأشباهها من الأحاديث، فعلى
المسلم التسليم والتصديق والتفويض والرضى بها، ولا تُفسر شيئاً من هذه بهواك،
فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسّر شيئاً من هذا بهواه، ورده فهو جهمي.

المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** ذكر جملة من الأدلة التي قد تشبهه على بعض الناس، وبين **رَحِمَهُ اللَّهُ**
أن ما أشبهه على المرء، فالواجب عليه أن يؤمن بما دلت عليه الأدلة الصحيحة، وإن
جهل المعنى فإنه يفوض المعنى إلى عالمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويؤمن بما قاله النبي
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن ذلك قوله: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ
عَزَّجَلَّ» **رواه مسلم**، فيؤمن أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن. لكن بعد

ذلك إن أشتبته عليه الأمر، هل المعنى أن أصابع الرحمن في جوف صدر العباد أم ماذا؟ فأشتبته عليه المراد بذلك، فما الواجب عليه؟

الجواب: ألا يخوض فيما أشتبته عليه، ويؤمن بما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ويقول: ما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حق وهو: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**». ويقول: أنا أو من بما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وهذا المعنى الذي أشتبته عليّ لا أتكلم فيه. فما أشتبته عليه، فإنه لا يتكلم فيه بجهل، وما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فيعتقد أنه حق.

ومثل هذا المعنى الذي قد يشتبته على بعض الناس، فليس هو بلازم لهذا الحديث. فقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**». لا يلزم منه أن تكون أصابع الرحمن سبحانه قد حلت في صدور العباد، فإن هذه اللفظة لا تدل على هذا المعنى.

وإذا قال القائل: فلان جالس بين الساريتين، هل يلزم من هذا أن يكون ملاصقاً لإحدى الساريتين؟

الجواب: ما هو بلازم قال الله تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وهل يلزم الملاصقة للسماء والأرض؟

الجواب: ليس هذا بلازم. فكون الشيء بين شيئين لا يلزم منه الملاصقة والحلول. فهذه المعاني قد تشتبته على بعض الجاهلين، لكن بعض الجهال تشتبته عليه هذه الأمور، فيرد الحديث، ويكذب به، كما يفعل ذلك أهل البدع والأهواء، فيقول: هذا حديث آحاد لا يُقبل في العقيدة، أو يأتون بشيء من المبررات والتحريفات لكلام رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.



فهذا إنما أوتي من جهله، وإلا فحديث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ليس فيه شيء باطل، وإنما يُؤتى الإنسان من جهله. فقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**»، لا يستلزم منه أن تكون أصابع الرحمن **عَزَّوَجَلَّ** قد حلت في صدور العباد، هذا ليس بلازم. فهذه الكلمة لا تدل على مثل هذه المعاني، ولا تستلزم مثل هذه المعاني، فإنما يُؤتى الإنسان من سوء فهمه، وإلا فحديث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لا يستلزم هذه المعاني.

قال: (وقوله: "إن الله ينزل إلى السماء الدنيا"): الحديث الذي جاء في النزول، من الأحاديث المتواترة، فنؤمن بما أخبر به النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من أن الله ينزل إلى السماء الدنيا. وإذا أشتبه الأمر على الشخص، وأشتبهت عليه أمور في معنى الحديث، فإنه يؤمن بما أخبر به النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ولا يتكلم فيما لا يعلم، فيعتقد أن ما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حق، وأن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فيعتقد هذا. وإذا فهم المرء من الأحاديث فهماً خاطئاً، فيلوم نفسه، وليعلم أنه أوتي من جهله، وأما النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فلا يتكلم إلا بالحق.

وقد يدخل في ذهن الشخص من هذا الحديث: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» أنه يلزم من هذا أن يدخل الله **عَزَّوَجَلَّ** في كل سماء، ينزل إلى السماء السابعة، فتحوطه به السماء السابعة، ثم تحوطه السماء السادسة، والخامسة، والرابعة، إلى أن يصل إلى السماء الدنيا، ويقول: كيف يدخل الله **عَزَّوَجَلَّ** في مخلوقاته، وكيف تحيط بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المخلوقات؟ فهذا إنما أوتي من سوء فهمه. فنحن نعتقد ما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، من أن الله ينزل إلى سماء الدنيا، فنعتقد هذا الأمر الذي حدث به النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في مواطن متعددة، وليست قضية واحدة، فالحديث بلغ مبلغ التواتر، ونقله الصحابة، وتواترت به الأخبار عن الصحابة الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين،

فنؤمن بما أخبر به النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ونؤمن أيضاً أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يدخل في شيء من مخلوقاته، بمعنى: أننا نؤمن أن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يحيط به شيء من مخلوقاته. فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** أعظم من أن يحيط به مخلوق، والله **عَزَّوَجَلَّ** منزّه من أن يُحيط به مخلوق من المخلوقات. فنؤمن بنزول الله **عَزَّوَجَلَّ**، ونؤمن بهذا الأمر، وهو أن الله لا يُحيط به شيء من مخلوقاته، ونعلم أن الله **عَزَّوَجَلَّ** على كل شيء قدير.

فنؤمن بنزول الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولا نعلم كيف ينزل، لكن نعتقد أنه ينزل كما تواترت بذلك الأدلة، ونعتقد أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إذا نزل إلى السماء الدنيا لا تُحيط به السماوات؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** أعظم من أن يُحيط به شيء من خلقه. والتوهمات نزيلها من أذهاننا، فما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حق، وليس فيه شيء من الباطل. وهذه التوهمات التي هي من قبيل قياس الخالق على المخلوق، فإن المخلوق إذا نزل من علو إلى سفل، يحتاج أن يدخل في شيء من المخلوقات، فإذا نزل من السقف إلى الأرض، يحتاج أن يمر بالدرج، ويدخل في البيت، وأن يخرج من الباب إلى الخارج، هذا شأن نزول المخلوق من علو إلى سفل. وأما الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فهو على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. فنؤمن بما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في قضية النزول، ونزيل الأوهام الفاسدة الباطلة من أذهاننا، ولا نعلم كيفية نزول الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ونعلم معنى النزول، وأنه يكون من علو، فهذا حقيقة النزول لكنه ليس إلى سفل، فنعلم النزول، ولا نعرف كيفيته، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** ما أخبرنا عن كيفية نزوله.

وما يعتقد بعض الناس من اللوازم الباطلة ليست بلازمة، فإن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكلام رسوله حق، والحق لا يلزم منه إلا الحق، ما يلزم منه اللوازم الباطلة. تلك اللوازم الباطلة إنما هي من تصورات العبد، الذي أراد أن يقيس الخالق على



المخلوق في مسألة النزول، وكيف ينزل إلى السماء الدنيا، وهناك سبع سماوات، وأن هذا يلزم أن يدخل داخل السماوات، أو أن السماوات تنفجر، وينزل **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وقيس نزول الخالق على نزول المخلوق. فجاءته هذه التصورات الفاسدة، والواجب أن الإنسان يبتعد عن هذه التصورات، ويؤمن بما أخبر عنه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وأن ما أخبر عنه فهو حق، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. والصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** سمعوا هذا الحديث من رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في مواطن متعددة، وما أشكل عليهم. ما جاء أحد من الصحابة وقال: كيف ينزل إلى سماء الدنيا، وهناك سماوات، وغير ذلك من الإشكالات؟ فما خاض فيها الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين؛ لأنهم قد علموا أن الله على كل شيء قدير، وأن أمر الخالق ليس كأمر المخلوق، وأن الخالق لا يُقاس على المخلوق في هذا الأمر ولا في غيره، فسلموا لرسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ما قال، ولم يخوضوا في هذه الأمور بعقولهم. وكذلك فيما يتعلق بقضية أن الليل مستمر في الأرض، وثلاث الليل مستمر في الأرض، وإذا كان الله **عَزَّوَجَلَّ** ينزل في ثلاث الليل، فإن لازم هذا أن يكون الله **عَزَّوَجَلَّ** في نزول مستمر؛ لأن ثلاث الليل ما زال باقيًا في الأرض.

فما استفسر الصحابة عن هذا الأمر، بل سمعوا الحديث، وسلموا به.

والذي أهمهم هو العمل فسمعوا في هذا الحديث أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يقرب من عباده. فأهمهم العمل، وأن يستغلوا هذا الوقت، وقت النزول، بدعاء الله **عَزَّوَجَلَّ**، وبالصلاة والاستغفار والذكر. فهذا الذي اتجهوا إليه، واتجهت قلوبهم إلى مثل هذا الأمر.

وازدادوا بهذه الأحاديث معرفة بأن الله **عَزَّوَجَلَّ** رحيم بعباده، وعاتبوا أنفسهم إذ كيف ينزل ويقرب من عباده في هذا الوقت، وهم في بعد عن ربهم. فاتجهوا إلى العمل، وحرصوا على العمل، وعلى استغلال تلك الساعة التي ينزل فيها رب العالمين

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما خاضت عقولهم في هذه الخيالات، ولا التفتوا إلى مثل هذه الإشكالات، وكانوا أرفع **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** من أن يلتفتوا إلى مثل هذه الأمور وإلى مثل هذه الإشكالات العقلية التي إنما نتجت من قياس الخالق بالمخلوق. والواجب هو عدم النظر في هذه الأمور، وأن نؤمن بما أخبر عنه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وأن الله على كل شيء قدير، ونبتعد عن هذه الخيالات.

وحديث النزول جاء على ألفاظ ثلاثة: في بعض ألفاظ الحديث أنه ينزل في ثلث الليل الآخر، وهذا الذي عليه أكثر الروايات، وتواترت به الأخبار. وفي بعضها، ذكر الشطر أو الثلث الأخير: **«في شطر الليل أو ثلث الليل الآخر»**. وفي بعضها: ذكر ثلث الليل الأول: **«أن الله ينزل في ثلث الليل الأول»**. وكل هذه الألفاظ واردة في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، في بعضها ذكر الشطر الأول، وفي بعضها: "الثلث الأول" وفي بعضها: "شطر الليل أو ثلث الليل الآخر"، وفي بعضها التصريح: "ثلث الليل الآخر". وأصح الروايات الواردة في الباب ذكر: "الثلث الآخر من الليل". فهذا أصح ما ورد، وقد تواترت بذلك الأخبار.

وما سوى ذلك من الألفاظ فقد يكون من قبيل الوهم من بعض الرواة؛ لأنه خلاف الحديث المتواتر عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وإن لم يكن من قبيل الوهم، فقد حاول العلماء الجمع بين هذه الألفاظ. فمن العلماء من قال: إن الله **عَزَّ وَجَلَّ** ينزل نزولاً واحداً، فيكون لبعض البلدان: ثلث الليل الآخر، ولبعض البلدان: شطر الليل، ولبعض البلدان: ثلث الليل الأول، والنزول هو نزول واحد. لكن يختلف باعتبار اختلاف المطالع، وباعتبار اختلاف ساعات الليل في الأرض، فيكون لقوم كذا، ولقوم كذا، وهذا القول فيه ما فيه من الضعف؛ فإن ظاهر الأحاديث: الترغيب في دعاء الله **عَزَّ وَجَلَّ** في وقت معين معلوم. وعلى هذا الجمع: يصير الشخص

لا يدري متى نزول الله **عَزَّجَلَّ** بالنسبة لبلده الذي هو فيه، هل نزول الله في الثلث الأول، فيحرص على الثلث الأول، أو نزول الله في نصف الليل، فيحرص على نصف الليل، أو نزول الله **عَزَّجَلَّ** في آخر الليل، فيحرص على آخر الليل، فيكون الأمر من الأمور الملتبسة التي لا يعرفها؟ وظاهر الأدلة هو الحث على ثلث الليل الآخر، وأن أفضل الصلاة في ذلك الوقت، والأدلة متكاثرة في الترغيب في الصلاة في آخر الليل. فظاهر الأدلة: أن العبد يحرص على ذلك الوقت، وعلى آخر الليل. فهذا القول، وإن قال به بعض العلماء من باب الجمع، لكن فيه ما فيه من النظر والضعف. وهناك من أهل العلم من قال: نزول الله **عَزَّجَلَّ** إلى سماء الدنيا يكون في ثلث الليل الآخر، وما قبل ذلك فإنما هو مبدأ النزول. فمبدأ النزول يكون في ثلث الليل الأول، ومنتهى النزول يكون في ثلث الليل الآخر. فتكون الأحاديث التي فيها أن الله **عَزَّجَلَّ** ينزل في الثلث الأول، أي: يبتدئ النزول في الثلث الأول، لا أنه ينتهى النزول. وفي شطر الليل يكون النزول فيه أبلغ. وإذا كان ثلث الليل الآخر فيكون منتهى النزول إلى السماء الدنيا. وهذا القول أحسن من القول الأول، وإن كان كما عرفنا الأحاديث المتواترة جاءت بذكر الثلث الآخر، لكن على القول بصحة هذه الألفاظ، فهذا القول أحسن من القول الأول، والله تعالى أعلم.

وإذا نزل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من عرشه إلى سماء الدنيا، فنعتقد أيضًا مع ذلك أن الله **عَزَّجَلَّ** لا يخلو منه العرش، فينزل إلى سماء الدنيا وهو مستوٍ على عرشه عال على خلقه؛ لأن الله **عَزَّجَلَّ** أخبرنا أنه مستوٍ على عرشه، فنؤمن باستواء الله على عرشه، وأخبرنا بأنه ينزل، فنقول: ينزل وهو مستوٍ على عرشه. وينزل وهو عالٍ على خلقه. فإن العلو من الصفات الذاتية، فالله **عَزَّجَلَّ** موصوف بالعلو أزلاً وأبداً، فهو ينزل مع علوه، وينزل مع استوائه على العرش، ولا يخلو منه العرش. وهذا هو المأثور عن

جماهير السلف، أن الله **عَزَّوَجَلَّ** إذا نزل إلى السماء الدنيا لا يخلو منه العرش. وهذا الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وهذه المسألة فيها ثلاثة مذاهب: فمنهم من قال: ينزل ويخلو منه العرش، ومنهم من قال: ينزل ولا يخلو منه العرش، ومنهم من قال: بالتوقف، فلا نقول يخلو أو لا يخلو. لكن المأثور عن جماهير السلف هو ما دلت عليه الأدلة: فنثبت الاستواء على العرش كما أثبتته الله لنفسه، ونثبت العلو على الخلق كما أثبتته الله لنفسه، ونثبت النزول كما أثبتته الله لنفسه، وإذا أثبتنا النزول فلا ننفي ما أثبتته الله لنفسه من علوه، ومن استوائه على عرشه.

ومما يُضرب به المثل في هذا الباب، روح الإنسان، كما يضرب بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**، فروح الإنسان في أثناء نومه تصعد من الجسد إلى السماء، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فيتوفاها الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويقوم بقبضها. ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٤٢]. فروح النائم كما تصعد روح الميت، لكن روح الميت يمسكها الله **عَزَّوَجَلَّ**، وروح النائم الحي يرسلها الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وهذه الروح إذا صعدت، هل تفارق الجسد، فيخلو منها الجسد؟

الجواب: لا يخلو منها الجسد، ولو خلا منها الجسد لمات الإنسان، فيحصل للروح صعود، ويحصل لها رجوع، ولا يخلو منها الجسد.

فإذا أمكن هذا في مخلوق من المخلوقات، وهي الروح، فكيف بالخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي هو على كل شيء قدير؟ فنثبت أنه ينزل إلى سماء الدنيا ولا يخلو منه العرش. فالاستواء دلت عليه الأدلة، والعلو دلت عليه الأدلة، والنزول دلت عليه الأدلة، ونثبت جميع ما أثبتته الله **عَزَّوَجَلَّ** لنفسه أو أثبتته له رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.



وقولنا: من لم يفهم معنى الحديث، فيرد علم ذلك إلى عالمه، ويقول: الله أعلم، فنؤمن بما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وهذا الكلام فيمن لم يفهم معنى الحديث، والتبس عليه المعنى.

وليس المراد بهذا التفويض الذي عليه مذاهب الأشاعرة، فإن الأشاعرة يفوضون معاني الأسماء والصفات، فيأتون إلى اليد يقولون: الله أعلم ما هو المراد باليد؟ وهكذا السمع، وهكذا الوجه: يقولون: الله أعلم ما المراد بذلك؟ هذا مذهب التفويض عند الأشاعرة.

وأما كلامنا فهو في المعنى الملتبس، وليس فيما يتعلق بمعاني الصفات عمومًا، فأمر الصفات ظاهر بيّن، فما في ذلك من لبس، فنؤمن بما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من الأسماء والصفات، ولا نفوض في معاني الأسماء والصفات، فإن معانيها معلومة، ونؤمن بذلك. لكن قد يحصل اللبس في معنى حديث معين، فيأتي الشخص إلى هذا الحديث **«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»**، فيلتبس عليه: ما المراد **«بقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»**؟ هل المعنى أن أصابع الرحمن داخل صدور العباد، وأن القلوب ملتصقة بإصبعي الرحمن؟ أو المراد غير هذا المعنى؟ فإن كان لم يفهم الحديث، فهل يخوض فيه وهو لا يفهمه، أم يرد العلم إلى عالمه؟

الجواب: إذا لم يفهم معنى الحديث، فعليه أن يرد العلم إلى عالمه. هذا هو المقصود: أنه إذا ما فهم المراد بالحديث، وأشكل عليه، ولم يفهم المعنى، فهذا يرد العلم إلى عالمه، ولا يتكلم بجهل، ويقول: المراد كذا، والمراد كذا. فليس هذا هو التفويض الذي ذمه أئمة السلف، وجعلوه من مذهب الأشاعرة.

فالأشاعرة يفوضون في المعاني المعروفة فيقولون: لا ندري ما الذي يريد الله **عَزَّوَجَلَّ** بكذا وكذا من الأسماء والصفات. فهذا هو التفويض المذموم. بل نؤمن بما أخبر الله به، وما أخبر به رسوله من الأسماء والصفات، ونعتقد معاني تلك الأسماء والصفات، فنثبت لله **عَزَّوَجَلَّ** الوجه، ونعلم معناه، ولا نفوض المعنى. معنى الوجه معروف، ومعنى اليد أيضًا معروف، ومعنى القدم معروف، ومعنى السمع والبصر والكلام معروف، فهذه صفات معروفة من حيث المعنى، فنؤمن بها، ولا نفوض معناها؛ لأنها معلومة. لكن قد يحصل إشكال في معنى الحديث، وليس في معاني الأسماء والصفات، فيحصل إشكال وعدم فهم لمراد النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. فليس المعنى أننا نفوض معنى الأصبعين، فالأصابع صفة معروفة لله **عَزَّوَجَلَّ**، معناها معروف، نؤمن بما دل عليه الحديث من إثبات الأصابع لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهذا معنى معروف.

لكن ما المراد بالحديث: «**أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن**»؟ هل أن أصابع الرحمن داخل صدور العباد، أو أن هذا يستلزم الملاصقة، فإن لم يفهم الإنسان معنى الحديث، فلا يتكلم بغير علم، وإنما يفوض العلم إلى عالمه، ويسأل، وينظر، ويباحث العلماء حتى يتوصل إلى المعنى الصحيح. ففرق بين مذهب التفويض، وبين هذه المسألة التي ذكرها المؤلف.

وقال بعد ذلك: **(وأشبه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض):**

فلا يريد ها هنا أن يقرر مذهب المفوضة، وحاشاه **رَحْمَةُ اللَّهِ**. وإنما كلامه محمول على المعنى الذي ذكرناه: وهو أن المعنى إذا التبس على العبد وأشكل عليه، وما فهم المعنى، فلا يتكلم بجهل في معاني الأحاديث النبوية، وإنما إن لم يفهم الشيء، فلا يخض في المعنى الذي لم يفهمه، ويعتقد في قلبه أن ما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حق،



وأن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لا يقول الباطل، ويؤمن بما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ويصدق به. والمعنى الذي أشكل عليه، إن لم يفهم معناه، فإنه يسأل العلماء، ويبحث وينظر، حتى يتوصل إلى المعنى الصحيح، فإن لم يتوصل إلى شيء، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

المهم: لا يتكلم بالباطل، ولا يتكلم بالجهل. فالمؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** لا يقرر مذهب المفوضة فيما يتعلق بالأسماء والصفات.

قال: (وكل ما سمعت من الآثار شيئاً مما لم يبلغه عقلك، نحو قول رسول الله **ﷺ**: "قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّجَلَّ"، وقوله: "إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا"):

وفي الحديث: إضافة النزول إلى الله **عَزَّجَلَّ**، وأهل البدع قالوا: تنزل رحمته، أو ينزل ملك من ملائكة الله. وما الرد على هؤلاء؟

الجواب: آخر الحديث يرد عليهم وهو قوله: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» فالرحمة لا تقول مثل هذا القول، والملك لا يقول مثل هذا القول.

ولو كان الملك هو الذي ينزل إلى السماء الدنيا، كان يقول: "إن ربكم يقول كذا"، ولا يأتي بالكلام من جهة نفسه، ولا يضيف الكلام إلى نفسه. فلما أضاف الكلام إلى نفسه، دل على أن القائل هو رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فالملك ما يقول: "من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له".

فهذا لا يكون إلا من رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وأيضاً: فالملائكة والرحمة، رحمة الله تنزل في كل وقت، وملائكة الله **عَزَّجَلَّ** ينزلون في الليل وفي النهار، في جميع الأوقات. ونزول الملائكة إلى الأرض وليس إلى السماء الدنيا فحسب.

ورحمة الله **عَزَّجَلَّ** إذا نزلت إلى السماء فقط ولم تنزل إلى الأرض فهذه رحمة لا ينتفع بها الخلق. والرحمة التي ينتفع بها الخلق هي الرحمة النازلة إليهم. فكل هذا من التأويلات البعيدة.

وجاء في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" للشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ**، من حديث رفاعة الجهني، في حديث النزول، أن الله **عَزَّجَلَّ** قال: «**لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي**». فهذا الحديث حديث صريح في أن الذي يسأل هو الله **عَزَّجَلَّ**، ليس ملكاً من ملائكة الله، ولا هي رحمة الله، وإنما سؤال من رب العالمين سبحانه: «**لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي**».

قال: (وقوله: "إن الله ينزل إلى سماء الدنيا، وينزل يوم عرفة"): جاء في هذا حديث عن عائشة الذي في مسلم: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ». والشاهد قوله: «وَإِنَّهُ لَيَدْنُو». والكلام في النزول يوم عرفة كالكلام في نزول الله **عَزَّجَلَّ** إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر.

قال: (وينزل يوم عرفة، وينزل يوم القيامة): الباب واحد، والكلام واحد في هذه المسائل.

قال: (وإن جهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه): جاء عن أنس وعن أبي هريرة أيضاً في الصحيحين. وهذا مما نؤمن به: (وإن جهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه).

وأهل البدع أشكل عليهم هذا الحديث، ولم يدخل في عقولهم أن يضع رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قدمه على جهنم. وفي رواية: "رجله" على نار جهنم. فأشكل عليهم من حيث إثبات القدم والرجل لله **عَزَّجَلَّ**. وهم لا يشبتون مثل هذه الصفات



لرب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لشبه تافهه؛ إما لأنها أبعاد وأجزاء، وإما لأن ذلك يقتضي التركيب، وأن من كان كذلك يكون جسمًا، إلى غير ذلك من الفلسفة الكلامية، وأشكل عليهم وضع القدم على نار جهنم.

فلما لم يدخل هذا الحديث في عقولهم، قاموا بتأويله، أو بتحريفه عن ظاهره. وقالوا: المراد بقوله: «**حتى يضع رب العزة عليها قدمه**»، أي: القوم الذين قدمهم، وهم قوم تقدم في علم الله **عَزَّوَجَلَّ** أنهم من أهل النار، فهؤلاء الذين يدخلون نار جهنم، ويضعهم الله **عَزَّوَجَلَّ** في نار جهنم. وهذا التأويل فيه ما فيه من الضعف؛ فإن في الحديث: «**أنه لا يزال جهنم يلقى فيها، حتى يضع رب العزة عليها قدمه**»، ففي الحديث أن قدمه توضع وأهل النار يلقون فيها إلقاءً ولا يوضعون فيها وضعًا، وفيه أن الإلقاء ينتهي بوضع القدم فدل ذلك أن وضع القدم ليس هو إلقاء طائفة من الناس في نار جهنم.

وفي الحديث: «**لا يزال جهنم يلقى فيها، حتى يضع رب العزة عليها قدمه، فتقول: قط قط أي: حسبي حسبي**». وهي تدل على أنه يحصل لها الكفاية بهذا الفعل. وهؤلاء إن سلمنا أنهم الذين من سبق وتقدم في علم الله أنهم من أهل النار، هل هم من أول الداخلين فيها أم من آخر الداخلين؟

الجواب: يدل الحديث على هذا التأويل الفاسد أنهم آخر الداخلين لقوله: «**لا يزال جهنم يلقى فيها، حتى يضع رب العزة عليها قدمه، فتقول: قط قط**» فهم من آخر الداخلين؛ لأنه يحصل لها الكفاية بهم.

ومعلوم أن الكفاية تحصل بأمر عظيم وآخر الداخلين النار هم ضعفاء الكفار وأما ساداتهم وأئمتهم فهم أول الداخلين، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يحصل لها هذا الأمر العظيم بضعفاء الكافرين، وبأقل الكافرين كفرًا؟

وإن كانوا هؤلاء الذين امتلأت بهم جهنم هم كبراء الكافرين وصناديدهم، فيقال: أولئك قد دخلوها في أول الأمر كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وظاهر الحديث: أن الإلقاء ينقطع قبل وضع القدم: "لا يزال جهنم يلقي فيها حتى يضع". يدل على أن الإلقاء في النار ينقطع، وأن الوضع ليس هو الإلقاء في نار جهنم، فإن الإلقاء ينتهي بهذا الوضع. "يضع قدمه على النار، فينزوي بعضها إلى بعض". وهذا يدل على أنها انزوت بمن فيها وليس بشيء يدخل فيها.

فظاهر الحديث لا يدل على هذا المعنى الذي تأوله أهل البدع والأهواء. وكذلك جاءت لفظة الرجل: "حتى يضع رب العزة رجله". في حديث أبي هريرة في بعض ألفاظ الحديث: "رجله". فقالوا: المراد بالرجل هم الطائفة من الكفار، كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في شأن أيوب: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ أَلْقَى عَلَيْهِ رَجُلَ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ» رواه البخاري.

ورجل الجراد: هي طائفة الجراد، وليس المراد بها القدم المعروفة، وإنما طائفة من الجراد. فقالوا: المراد: "حتى يضع رب العزة عليها رجله"، أي: طائفة من الكافرين، فتمتلى بهم. والكلام في هذا التأويل كالكلام في التأويل السابق.

وهكذا في الحديث القدم أضيفت إلى الله عَزَّجَلَّ، والرجل أضيفت، والإضافة تقتضي التشريف. لو كان هؤلاء طائفة من الكفار، ألغاهم الله في نار جهنم، فكيف يضيفهم الله عَزَّجَلَّ إلى نفسه؟ يقول: قدمه، والمراد بذلك الطائفة من الكفار. ورجله، والمراد بذلك طائفة من الكفار. والإضافة تقتضي التشريف. وهؤلاء كفار، والكفار



لا يضافون إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** إضافة تشريف، وإنما يدخلون في عموم الخلق. وفي عموم الكلام، كأن يقال: عباد الله، والعبادة الكونية، يدخل فيها المسلم والكافر، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. فجميع الخلق عباد الله **عَزَّوَجَلَّ** العبادة الكونية. فالكفار يدخلون في عموم الكلام، لا يُضافون إضافة خاصة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ فإن الإضافة الخاصة تقتضي التشريف. فكل هذا مما يدل على أن هذا الكلام فيه ما فيه من التحريف الباطل لمدلول الحديث. والواجب: إبقاء الحديث على ظاهره: «وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يضع على نار جهنم قدمه، ويضع رجله، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، أي: حسبي حسبي»، هذا هو ظاهر الحديث، نؤمن بظاهره، وندع تحريفات المحرفين من أهل البدع والأهواء. ومن أحسن من رد عليهم حول هذا التحريف شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**، فإنه ناقشهم في ذلك، وبيّن ما في هذا التحريف من الأمور الباطلة التي لا تستقيم مع معنى الحديث. والواجب هو إجراء الحديث على ظاهره، وليس فيه إشكال، والحديث ظاهر بيّن، ما فيه شيء من اللبس والإشكال. «لا يزال جهنم يلقي فيها، حتى يضع رب العزة عليها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط أي: حسبي حسبي».

أما الجنة فيفضل فيها فضلاً، فيخلق الله **عَزَّوَجَلَّ** خلقاً فیدخلهم الجنة. لكن النار ليس من عدل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يخلق خلقاً لا ذنب له فیدخلهم فيها؛ فإن الجنة هي رحمة الله، وأما النار ففيها عذاب الله، فلهذا يضع الله **عَزَّوَجَلَّ** قدمه على نار جهنم، فينزوي بعضها إلى بعض، فتضيق بمن في جوفها، ويحصل لها بذلك الاكتفاء، وتقول: قط قط، حسبي حسبي.

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (وقول الله تعالى للعبد: "إِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرُولْتُ إِلَيْكَ"): وهذا جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا، أَتَيْتُهُ هَرُولَةً». وما يتعلق بالهرولة، هل يُقال: إنها من الصفات، بحيث أن الله **عَزَّجَلَّ** يوصف بهذه الصفة على ما يليق بجلاله، أو يُقال: ليس هذا هو مدلول الحديث؟ هذا مما تنازع فيه العلماء. هل المراد بذلك إثبات صفة هي صفة الهرولة، فيقال: هذه الصفة ثابتة لله **عَزَّجَلَّ** على ما يليق بجلاله، من غير تمثيل ولا تكيف ولا تحريف ولا تعطيل، أو يُقال: الحديث ليس واردًا على هذا المعنى؛ فإن في الحديث: «من تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا». والباع: ما بين اليدين، إذا مد الإنسان يديه. «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

وهل عبادة العبد مختصة بالمسافات؟

فالعبد يتقرب إلى الله **عَزَّجَلَّ** بالصلاة والصيام والحج والعمرة والذكر وقراءة القرآن والتسبيح والتحميد، ويتقرب إلى الله **عَزَّجَلَّ** بعبادات لا تتعلق بالمسافات، ويتعبد الله **عَزَّجَلَّ** بالتوحيد الذي هو أعظم العبادات، ويتعبد الله **عَزَّجَلَّ** بأركان الإيمان، وبغير ذلك من أمور الإيمان القلبية. ويتعبد الله **عَزَّجَلَّ** بأعمال القلوب وهي أعظم الأعمال. ويتعبد الله **عَزَّجَلَّ** بعبادات متنوعة، ليس لها تعلق بقضية المسافات والمقاييس الأرضية. فما يتعلق بالعبد فليس الحديث مخصوصًا بالعبادات التي يحصل فيها المشي مثلاً. فلما كانت عبادة العباد لا تتعلق بالمسافات، وإنما عبادات متنوعة، قال جماعة من أهل العلم: فهكذا ما يتعلق بما هو مضاف إلى الله **عَزَّجَلَّ**، هو شبيه بهذا الأمر. أي: أن المسألة ليست قضية مسافات، وأن المراد بذلك هرولة على المعنى المعروف، ومشى على المعنى المعروف، وإنما المراد أن العبد إذا تقرب إلى



الله **عَزَّجَلَّ**، وعظم تقربه من ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، عظم تقرب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** منه، ولازم ذلك أن يعظم ثواب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** له، وأن هذا مثال لمعنى التقرب. فإن العبد يقرب من ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالأعمال الصالحة، فقد قد يكون تقربه عظيمًا، وقد يكون غيره أعظم من ذلك. فذكرت هذه الأمور من باب ضرب المثل للتقرب، وأن الناس يتفاوتون في تقربهم إلى ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لا على معنى حقيقة المسافة.

فإن ما يتعلق بتقرب العبد ليس قضية مسافات حسية، وإنما أمور معنوية، لكن قد تذكر المقاييس من باب إيضاح معنى القرب، فيقال: هذا أقرب إلى فلان في محبته، من ذاك بشبر، وذلك أقرب إليه بذراع، وليس المقصود بذلك مقاييس المسافات، وإنما بيان أن العبد له تقربات متفاوتة على حسب ما عنده من الإيمان، وما عنده من العمل الصالح. فتكون هذه قرينة عقلية تدل على أن ليس المراد بذلك حقيقة المسافات، وصرف الكلام عن ظاهره بقرينة لا يدخل في التحريف. وهذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه الذي رد فيه على الجهمية "بيان تلبس الجهمية". وقد بين هذا المعنى، وأوضح أن هذا ليس من قبيل التحريف، وأن هذه قرينة عقلية تدل على أن المراد هو ما ذكرناه، وليس المراد بذلك حقيقة المسافة، أو الهرولة المعروفة عندنا، لا في جانب العبد، ولا في جانب رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: إذن ليس المراد بذلك حقيقة المشي والهرولة، وليس المراد بذلك حقيقة المسافة: الشبر والذراع والباع، وإنما المراد بذلك ضرب الأمثال لقرب العبد، ولعظم قرب الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من عبده.

وصرف الكلام عن ظاهره بقرينة لا يدخل في معنى التحريف، والقرينة قد تكون حسية، وقد تكون عقلية.

وكل هذا لا يدخل في باب التحريف، كما بين ذلك شيخ الإسلام في الرسالة المشار إليها. وهناك من أهل العلم من أجرى الحديث على المعنى الذي ذكرناه، وهو ظاهر ما صنعه المؤلف في هذا الموضوع فالظاهر أن المؤلف أجرى الكلام على هذا ظاهره.

فمن أهل العلم من أجراه على ظاهره، وقال: نثبت ما أثبتته الحديث على ظاهره، من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، ونعتقد أن الله **عَزَّوَجَلَّ** **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورى: ١١]. ومن أهل العلم من يقول: هذا الظاهر مصروف بالقرينة العقلية. وعلى كل حال، معنى الحديث حصل فيه النزاع بين العلماء، على هذين الأمرين اللذين سبق أن ذكرناهما.

وهناك من أهل العلم من تأول ذلك؛ باعتبار القرائن، أو القرينة العقلية التي تدل على المعنى، وأن تقرب العبد إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يكون بالمسافات، وإنما يتقرب بأنواع العبادات من صلاة وصيام، ومن قراءة للقرآن، ومن ذكر لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهكذا يتقرب إلى ربه بأعمال القلوب، فيتقرب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بأنواع العبادات، وتقرب العبد ليس بالمسافات. وهكذا ما يتعلق بالله **عَزَّوَجَلَّ** قالوا: من هذا القبيل، ليس المراد بذلك حقيقة المسافة: المشي، الشبر، والذراع، والباع، والمشي، والهرولة، وإنما الغرض من ذلك بيان عظم القرب، وذكر هذه الأمور من باب ضرب الأمثال لعظم القرب. النزاع قائم كما عرفنا حول فهم هذا الحديث بين أهل العلم، على ما سبق إيضاحه.





خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ



قال إمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» .

«الشرح»:

وهذا الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». والمعروف عند أئمة السلف إجراء هذا الحديث على ظاهره، وأن الضمير في قوله: "على صورته" راجع إلى رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وهذا من تشريف الله عَزَّجَلَّ لآدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومثل هذا لا يقتضي التمثيل؛ فإن الله عَزَّجَلَّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فالضمير عائد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يفهم من هذا التمثيل. وإرجاع الضمير إلى الله عَزَّجَلَّ هو الذي سار عليه أئمة السلف، حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لم يكن عند العلماء شيء من النزاع في القرون الثلاثة المفضلة في أن الضمير يعود إلى رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما حصل ذلك في رأس المئة الثالثة، لما ظهرت الجهمية، وأنكروا هذا الحديث، وكذبوه، وردوه. وجد من بعض أئمة السنة من زل وتأول هذا الحديث، وصرفه عن ظاهره، كابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ، وكأبي ثور وغير هؤلاء. واشتد كلام أئمة السلف على من تأول الحديث وصرفه عن ظاهره، حتى كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يرمي من صرفه عن ظاهره بالجهمية. وكان عبد الوهاب الوراق رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: "من لم يقل إن الله خلق آدم على

صورة الرحمن فهو جهمي". فهذا الذي سار عليه أئمة السلف: وهو إجراء الحديث على ظاهره، واشتد نكير أئمة السلف على من تأوله على غير ظاهره.

وجعلوا هذا الحديث حجة على الجهمية الذين أنكروا الصفات، فاحتج بهذا الحديث أئمة السنة في ردهم على الجهمية، وأجروه على ظاهره، ولم يفهموا منه التمثيل؛ فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وابن خزيمة تأول هذا الحديث، وأرجع الضمير على الرجل المضروب؛ فإن الحديث جاء في الصحيحين بلفظ: **«إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»**. فتأوله على قضية التقييح: **«لا يقبح أحدكم الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»**. فأرجع الضمير على ذلك الرجل، والمعنى أن الله خلق آدم على صورته، أي: على صورة ذلك الرجل.

وهذا القول مما استنكره أئمة السنة؛ باعتبار أنه لم يثبت في حديث من الأحاديث أن هناك رجلاً حصلت له هذه القضية، أنه قبح أو أنه قاتل، وأن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال هذا الحديث بناءً على تلك الحادثة التي حصلت لذلك الرجل. فإن هذا كما ذكر شيخ الإسلام لم يأت في حديث عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فلم يأت أن هناك رجلاً في زمن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حصل منه هذا الأمر، فقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»** أي: على صورة ذلك الرجل فهذا مما لا أصل له في سنة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. ثم لا يستقيم من حيث المعنى أن يقال: إن الله خلق آدم على صورته، وهل آدم خُلق على صورة ذريته، أم الذرية هم الذين خُلقوا على صورة أبيهم؟

الولد هو المعروف أنه يخلق على صورة والده، يقال: هذا الولد خُلق على صورة والده، ولا يقال للوالد: خُلقت على صورة ولدك؛ لأن الوالد متقدم على الولد، فلا



تنعكس الأمور. فمن نظر إلى لفظ الحديث وجد أن هذا التأويل مما ليس بمستقيم. هذا باعتبار، وباعتبار آخر: أن هذا الأمر لا يختص برجل؛ فجميع الذرية هم على هذه الحال، فجميع بني آدم هم على صورة أبيهم.

فلو حملنا الحديث على هذا المعنى، فإن هذا ليس يختص بذلك الرجل، بل جميع بني آدم خلقوا على صورة أبيهم. ولو كان هذا هو المراد، لذكر بلفظ الجمع، ليس بضمير الأفراد.

وأيضًا لقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**إِنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ**». ولما عكس القضية، وأخبر بأن آدم هو الذي خُلِقَ على صورته. فهذا التأويل من التأويلات الضعيفة.

وأيضًا: فإنَّ إرجاع الضمير إلى شيء لا وجود له، لم يُذكر في الحديث، مما لا يستقيم؛ فلا يستقيم أن يُعاد الضمير في قوله: «**على صورته**» إلى شخص لم يأت له ذكر في الحديث، وأنه الرجل المقبح وجهه، أو المضروب مثلاً، فهذا مما لم يُذكر في الحديث، فلا يجوز إرجاع الضمير إلى شخص لم يُذكر في الحديث، وإنما يرجع الضمير إلى من هو مذكور. ومن هو المذكور في الحديث؟

الجواب: هو رب العالمين سبحانه: «**إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»، فيرجع الضمير على المذكور، وهو رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فما تأوله ابن خزيمة **رَحِمَهُ اللَّهُ** في معنى الحديث مما استنكره عليه أئمة السلف، ولهذا لما يذكر العلماء ابن خزيمة، ينتقدونه في هذه القضية. وأنه تأول حديث الصورة، يستنكرون ما ذهب إليه **رَحِمَهُ اللَّهُ**، ويذكرون هذا من المأخذ عليه، ومن الزلل الذي وقع فيه **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

وأبو ثور وغيره أعاد الضمير على آدم: «**إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»، أي: على صورة آدم، فأعاد الضمير إلى آدم، وليس إلى رب العالمين. فقال: «**إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ**»

على صورته)، أي: إن الله خلق آدم على صورة آدم. ولما بلغ هذا الكلام للإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** استنكره، وقال: "وَأَيُّ صُورَةٍ لِأَدَمَ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ؟" حتى يُقال: "إن الله خلق آدم على صورته" أي: إن الله خلق آدم على صورة آدم. وأين كانت لآدم صورة قبل أن يُخلق، حتى يخلق عليها؟ فإذا قيل: خُلق فلان على صورة فلان، لا بد أن تكون الصورة الأولى متقدمة، وموجودة، فيُخلق هذا على ذاك، فلا بد أن يكون ذاك الشيء قد وُجد قبل ذلك. فكان الإمام أحمد يقول: "وَأَيُّ صُورَةٍ لِأَدَمَ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ".

فإذا قال قائل: المراد من ذلك الصورة المقدرة في علم الله. "إن الله خلق آدم على صورته" أي: على الصورة المقدرة في علمه.

فيكون الجواب: أن هذا لا يختص بآدم. فجميع المخلوقات خلقت على أمر قدّره الله، من الجن والإنس والملائكة والحشرات والجمادات، فما هو أمر مختص بآدم؟ أعني: جميع المخلوقات قبل أن يخلقوا، هل لهم تقدير في علم الله، أم ما لهم تقدير في علم الله؟

الجواب: لهم تقدير مسبق في علم الله، فهذا لا يختص به آدم. وسياق الحديث يدل على أن هناك معنى مختصاً بآدم دون غيره. فهذا مما يدل على ضعف مثل هذا التأويل.

وكذلك مما يدل على ضعف هذا التأويل سياق الحديث؛ فإن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». وهل يستقيم مثل هذا التعليل للحكم المذكور؟

أعني: هل يستقيم أن يُقال للشخص: إذا قاتلت فاجتنب الوجه لأن الله خلق آدم على صورة آدم. وما المناسبة بين الأمرين؟



ليس هنالك مناسبة موجودة بين الأمرين؛ فلا يستقيم أن يُقال: "إذا قاتلت فاجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة آدم".

فهذا التعليل أجنبي، ليس له علاقة بالنهي عن ضرب الوجه.

إذن ومما يدل أيضًا على فساد هذا التأويل: أنه يصير ليس هنالك مناسبة بين الحكم وبين علته. **"إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته.**

فهل من مناسبة بين الحكم والعلة، وما علاقة العلة بالحكم، وهل هنالك مناسبة؟

ما في مناسبة بين العلة والحكم. لكن إذا قيل: **"إن الله خلق آدم على صورته"** أي: صورة الرحمن. وهذا شرف أيضًا لذرية آدم، فالولد فيه شبه بأبيه، فيُقال: وجه بني آدم وجه مكرم؛ باعتبار أن أباهم خلقه الله **عَزَّجَلَّ** على صورته. فهنا يحصل تناسب بين العلة والحكم، لكن إذا قلنا: **"إن الله خلق آدم على صورة آدم"**، فما في مناسبة بين العلة والحكم. يعني: لا يجوز لك أن تضرب وجه فلان؛ لأن الله خلق آدم على صورة آدم. فما المناسبة بين العلة والحكم؟

ليس هنالك مناسبة بين العلة والحكم.

وتأويل الحديث على هذا المعنى يفسد دلالة الحديث على النهي عن ضرب الوجه فإنه قد يقول من وقع في النهي وعُلل له بهذه العلة: نعم خلق آدم على صورة آدم، فما المانع من ضربي لوجه فلان؟ فلا يستقيم مثل هذا التأويل: **"**

وأيضًا: لو حملنا التأويل على هذا المعنى، هل يختص هذا بالوجه أم بسائر الأعضاء؟ فالله خلق آدم على صورة آدم، وقدم آدم، ويد آدم، وهكذا سائر أعضاء آدم.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** كلامًا طويلاً، وذكر أوجهًا متعددة في إبطال مثل هذه التأويلات، وأطال النفس **رَحِمَهُ اللَّهُ** في رده، في كتابه الذي ألفه في "الرد

على تلبس الجهمية"، وهو كتاب نفيس، فناقش ابن خزيمة، وناقش أيضًا أبا ثور، ورد ما ذهبوا إليه بالحجج المتكاثرة والبراهين الكثيرة. فمن أراد البسط حول هذه المسألة، ومعرفة ضعف مثل هذه التأويلات، فليرجع إلى ما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمه الله**. فعلى كل حال، الذي سار عليه أئمة السلف هو إجراء الحديث على ظاهره: "أن الله خلق آدم على صورته"، أي: على صورة الرحمن.

وجاء بذلك حديث لعبد الله بن عمر، وقد تكلم فيه بعض العلماء كابن خزيمة وغيره، وصححه جماعة من أهل العلم، ومنهم إسحاق بن راهويه، فرأوا ثبوت الحديث. وعلى كل حال، ثبت بذاك الحديث أو لم يثبت، فهذا هو معنى هذا الحديث.

ومعنى حديث أبي هريرة هو ما قاله أئمة السلف: "إن الله خلق آدم على صورته" أي: على صورة الرحمن، والضمير عائد إلى الله **عز وجل**. ومثل هذا الكلام لا يقتضي كما عرفنا التمثيل، وأن صورة الله **عز وجل** مثل صورة آدم، فلا يستلزم التمثيل. وقول النبي **عليه الصلاة والسلام**: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» **رواه البخاري ومسلم**. فهل يستلزم هذا التمثيل من كل وجه؟ فهل مثل هذا الكلام يُفهم منه التمثيل؟

لو فهم منه التمثيل، ماذا يكون المؤدى؟

الجواب: أنهم يدخلون الجنة على غير خلق البشر، ما عندهم أعين، ولا أنوف، ولا أفواه، ولا آذان، وأنهم يدخلون عبارة عن أتربة وحجارة. فمثل هذا التعبير لا يفهم منه التمثيل. على كل حال، هذا من تشريف الله **عز وجل** لآدم **عليه الصلاة والسلام**، ولا يفهم من ذلك التمثيل.



فعلى كل حال، نؤمن بما قاله النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أن الله خلق آدم على صورته»، وهذا من تكريم الله عَزَّوَجَلَّ لآدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ونؤمن مع ذلك أنه لا تماثل بين صورة آدم وصورة رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكل ما سبق مما يدل على فساد مثل هذا التأويل، وصحة ما ذهب إليه جمهور السلف من إجراء الحديث على ظاهره؛ لما فيه من الشرف والكرامة لآدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكذلك لذرية آدم؛ باعتبار أن آدم هو أبو البشر. فهذا الحديث فيه شرف لآدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما شرفه الله عَزَّوَجَلَّ بأن خلقه بيده دون سائر الخلق؛ فسائر الخلق خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ بـ"كُنْ" ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. فشرف الله عَزَّوَجَلَّ آدم بأن خلقه بيده، وهذا تشريف على سائر الخلق. وشرفه الله عَزَّوَجَلَّ بأن خلقه على صورته، وهذا أيضًا من تشريف الله عَزَّوَجَلَّ، لكن لا يفهم من هذا التمثيل، ولا فهم السلف من هذا التمثيل؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ومثل هذا التعبير لا يفهم منه التمثيل. لو قال شخص مثلاً لآخر: "خلق القرد على صورة الإنسان". هل يفهم عاقل التمثيل بين القرد والإنسان مثلاً، أم المعنى أن القرد أقرب الحيوانات شبهًا بالإنسان؟

فالجواب: أن المراد بذلك هو أن القرد أقرب الحيوانات شبهًا بالإنسان، ولا يفهم من ذلك التمثيل، وأن القرد مثل الإنسان في جميع الأمور. فلا يفهم من مثل هذه العبارات التمثيل، وما فهم أئمة السلف من هذه العبارات التمثيل، لكن فهموا شرف آدم على سائر الخلق من كون الله عَزَّوَجَلَّ خلقه بيده، ومن كون الله عَزَّوَجَلَّ خلقه على

صورته. ولا يفهم من هذا مماثلة الخالق للمخلوق؛ لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأما حديث النبي ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»، فهذا الحديث رواه جماعة كثيرون من الصحابة، وحصل في الحديث نزاع كبير بين أهل العلم من حيث ثبوته وضعفه، فهناك من أهل العلم من ضعفه كالإمام أحمد، وهناك من أثبته كالإمام البخاري والترمذي وغير هؤلاء. ومن العلماء المتأخرين الذين أثبتوا الحديث العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

فعلى كل حال: هذا الحديث: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»؛ المراد بذلك الرؤية المنامية، وألفاظ الحديث تدل على هذا المعنى: أنها رؤية منامية، وليست رؤية بصرية. وكانت هذه الرؤية في المدينة، وليس في معناها ما يستنكر إلا عند الجهمية، فإن الجهمية يستنكرون الصورة **عَزَّجَلَّ**، ويتأولون هذا الحديث بتأويلات بعيدة. فمما يقولونه إن المراد بالصورة: صورة مخلوقة، رآها النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وأضيفت إلى الله **عَزَّجَلَّ** من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، فتأولوها بصورة مخلوقة، ما هي صورة رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**! وإنما صورة من الصور المخلوقة، قد يكون شاهدها عن طريق الملك، فهي صورة مخلوقة ظهرت للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وليست صورة رب العالمين سبحانه، فيتأولون الحديث على هذا المعنى. وقد ذكر أقاويلهم في تأويل الحديث العلامة عثمان الدارمي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في رده على بشر المريسي فذكر من تأول الحديث على هذا المعنى، ورد عليه في ذلك وأحسن وأجاد، وبين أن هذا القول في غاية من البطلان؛ فإن مؤدى هذا القول أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أثبت الربوبية لمخلوق؛ لأن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول: "رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ".



وقال: "قال لي ربي كذا". فالكلام كان من النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يتحدث عن ربه: "رأيت ربي"، و"قال ربي كذا وكذا". فلازم هذا القول أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أثبت الربوبية لمخلوق، وهذا شرك أكبر، وحاشا النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن يثبت الربوبية لمخلوق. فهذا مما رد به الدارمي **رَحِمَهُ اللَّهُ** على بشر المريسي.

ومنهم من يتأول ذلك على معنى آخر: وهو أن الصورة صورة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، أي: رأيت ربي وأنا في أحسن صورة. أي: النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وليس المعنى أنه رأى ربه، وره في أحسن صورة، وإنما النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كان في أحسن صورة! وهذا القول فيه ما فيه من البعد. وقد بسط القول في رده شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه: "في بيان تلبس الجهمية في بدعهم الكلامية"، وبين ما فيه من المعنى الغير الصحيح، وما فيه من صرف اللغة عن ظاهرها، وبسط القول في ذلك **رَحِمَهُ اللَّهُ**. فظاهر الحديث: "رأيت ربي في أحسن صورة": أن الصورة مضافة إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، هذا هو ظاهر الحديث. فالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** رأى ربه في أحسن صورة، وهي رؤية منامية كما سبق.

وليس المعنى: أنه رأى ربه في الصورة التي يراها المؤمنون وهم في الجنة، وإنما كما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "رأيت ربي في أحسن صورة".

والرؤية المنامية - كما ذكر شيخ الإسلام - تتنوع على حسب الإيمان، فمن عظم إيمانه كالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** رأى ربه في أحسن صورة، ومن ضعف إيمانه كانت الرؤية دون ذلك. وفي الصحيحين في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في حديث الشفاعة أنه يأتي المؤمنين وفيه: «فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا. فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ». فالله **عَزَّ وَجَلَّ** قد

فيأتي العباد بصورة لا يعرفونها، ويأتيهم بصورة يعرفونها، والله **عَزَّوَجَلَّ** على كل شيء قدير، وهي صورة مضافة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، لا يقال: صورة مخلوقة، وصورة مضافة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ورب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على كل شيء قدير، فيأتي المؤمنون في أرض المحشر بصورة لا يعرفونها، ثم يأتيهم بصورة يعرفونها، وهو رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ما هو مخلوق من المخلوقات، ولا صورة مخلوقة، بل هو رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وهكذا ما يتعلق بالمنام، فالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** رأى ربه في أحسن صورة، وهي صورة مضافة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، لكن ليست هي الصورة التي يراها المؤمنون في الجنة! فلا يُقال: صورة مخلوقة، بل تُثبت الصورة لله **عَزَّوَجَلَّ**، ولا تنفى، ولا تتأول التأويلات الباطلة.

والرؤية المنامية تحصل للأنبياء ولغير الأنبياء باتفاق العلماء، وإنما نازع في المسألة الجهمية. فرؤية الله **عَزَّوَجَلَّ** في المنام تثبت للأنبياء ولغير الأنبياء باتفاق العلماء، وإنما المنازع في ذلك هم الجهمية.





التسليم لما صح من الأحاديث وعدم الرد لها



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَشْبَاهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ. فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيزِ وَالرِّضَا وَلَا تُفَسِّرْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ بِهَوَاكَ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهَذَا وَاجِبٌ؛ فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا بِهَوَاةٍ أَوْ رَدَّهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

الشرح:

عرفنا فيما سبق أن التفويض ليس المراد به التفويض الذي أرادته الأشاعرة، لكن إذا لم يفهم الإنسان المعنى؛ وأشكل عليه معنى الحديث، فإنه لا يتكلم في الحديث بغير علم، بل يفوض المعنى إلى عالمه، ويبحث ويسأل العلماء حتى يتوصل إلى المعنى الصحيح، ولا يتكلم بغير علم.

والتفويض الذي تكلمت به الأشاعرة هو فيما يتعلق بمعاني الأسماء والصفات. والأسماء والصفات ظاهرة المعنى، ما فيها إشكال، وإنما التفويض يكون للكيفية، ولا يكون لمعاني الأسماء والصفات، وهم فوضوا معاني الأسماء والصفات، فهذا هو الباطل. لكن كون الإنسان أشكل عليه الحديث، ما فهم معناه، فلا يتكلم بغير علم؛ وإذا لم يفهم المعنى، فعليه أن يؤمن بأن كلام النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حق ويسأل العلماء حتى يتبين له المعنى، وتزول عنه الشبهة.

كفر من زعم أنه يرى الله في الدنيا بعينه

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح:

يُبَيِّنُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الدُّنْيَا مَنفِيَّةٌ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ: الرُّؤْيَا الْبَصَرِيَّةُ، لَيْسَتْ الرُّؤْيَا الْمَنَامِيَّةُ. وَأَمَّا الرُّؤْيَا الْمَنَامِيَّةُ فَهِيَ ثَابِتَةٌ بِالسَّنَةِ وَبِاتِّفَاقِ السَّلَفِ، وَإِنَّمَا نَازَعَ فِي ذَلِكَ الْجَهْمِيَّةُ. وَالْكَلَامُ عَلَى الرُّؤْيَا الْبَصَرِيَّةِ فِي الدُّنْيَا، فَهَذِهِ رُؤْيَا لَا تَكُونُ. وَإِنَّمَا حَصَلَ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِرَبِّهِ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ فِي السَّمَاءِ. وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّهُ لَمْ يَرِ رَبَّهُ رُؤْيَا بَصَرِيَّةً لَا فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا الثَّابِتَةُ هِيَ الرُّؤْيَا الْقَلْبِيَّةُ، فَهَذِهِ هِيَ الرُّؤْيَا الثَّابِتَةُ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِرُؤْيَا اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ الرُّؤْيَا الْبَصَرِيَّةُ، فَالْمُؤَلِّفُ يَقُولُ: (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ)؛ لِأَنَّهُ مَكْذُوبٌ لِلْأَدَلَّةِ.

وَمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ كَلِيمُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَهُ مَا لَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَسَأَلَ رَبَّهُ الرُّؤْيَا، وَقَدْ سَمِعَ كَلَامَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَسَأَلَ رَبَّهُ الرُّؤْيَا، فَقَالَ لَهُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَإِذَا لَمْ تَحْصُلِ الرُّؤْيَا فِي الدُّنْيَا لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَيْفَ تَحْصُلِ الرُّؤْيَا لِغَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وَهَكَذَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ



رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّجَلَ حَتَّى يَمُوتَ» أي: اعلّموا ذلك وتحققوا.

فهذا خبر من رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما قاله النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو حق. فمن أثبت الرؤية البصرية لله عَزَّجَلَ في الدنيا، وقال إنه يرى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الدنيا، فهو مكذب لحديث رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والمكذب لحديث رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإنه من الكافرين. من كذب النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في خبر ثبت عنه، فإنه من الكافرين.

فالرؤية في الدنيا لم تحصل لا لموسى ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع علو منزلته، ولم تحصل لبنينا ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وإنما حصلت له الرؤية المنامية.

وفي ليلة الإسراء والمعراج رأى من آيات ربه، ولو رأى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لذكر الله عَزَّجَلَ ذلك من باب أولى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]. ولو رأى ربه، لقال: رأى ربه الكبير، أو نحو ذلك. فلما ذكر الله عَزَّجَلَ رؤية الآيات، وأن رسوله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رأى الآيات الكبرى، فهذا مما يدل أنه لم ير ربه، ولو رأى ربه، لكان ذلك أولى بالذكر.

وفي صحيح مسلم أن أبا ذر سأل النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هل رأيت ربك؟ فقال - أي: في ليلة الإسراء والمعراج - فقال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ؟». وفي لفظ: «رَأَيْتُ نُورًا». والمراد بذلك النور: الحجاب، فشهد حجاب النور، وقد حال بينه وبين رؤية ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي مسلم حديث أبي موسى الأشعري، قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». فالله عَزَّجَلَ محتجب بحجاب من نور، فشهد النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذلك الحجاب ولم يشاهد ربه.

وذلك الحجاب لو كشفه الله **عَزَّوَجَلَّ** عن وجهه، لأحرقت سبحات وجهه - ما في وجهه من البهاء والعظمة - «لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». وبصر الله **عَزَّوَجَلَّ** ينتهي إلى جميع الخلق، فلو كشف الله **عَزَّوَجَلَّ** ذلك الحجاب، لاحترق جميع الخلق.

ولما تجلى الله **عَزَّوَجَلَّ** لجبل من الجبال جعله دكًا، فزال الجبل بالكلية، واستوى بالأرض، وهذا شيء عظيم حصل لذلك الجبل، وصُعق موسى لشدة الأمر. وهذا الشيء لا يتحملة البشر. فالإنسان ربما لو تفجر عنده بعض هذه المتفجرات صعق، وهي لا تؤثر في الجبال، حتى لو كانت من أكبر الصواريخ فلا تؤثر في جبل، مع ما فيها من الصوت العظيم، ومع ما فيها من أمور مرعبة، ومن كان بجوارها ربما يُصعق، فكيف بجبل يُزال من مكانه، ويدك بالأرض، ويُسوى بها؟! فهذا أمر عظيم مهول حصل لموسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وإذا كان الجبل ما استطاع أن يثبت حين تجلى له ربه، فكيف بموسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؟! وكيف بغير موسى من البشر؟! فإنهم لا يتمكنون من ذلك. والنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حين رأى جبريل على صورته في الدنيا، ما الذي حصل له؟

الجواب: صُعق، وما تحمل رؤية ملك من الملائكة، مع قوة قلبه وثباته **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. فكيف برب العالمين سبحانه؟! ولهذا لم ير جبريل على صورته غير مرتين: مرة في الأرض، ومرة أخرى في ليلة الإسراء والمعراج. وفيما سوى ذلك كان يأتيه متمثلًا أو يسمع صوتًا ولا يرى شخصًا.

فعلى كل حال: يقول المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**). هذه مقولة يتكلم بها بعض الزنادقة من أصحاب التصوف، فيزعم أحدهم أنه رأى ربه يقظةً، وقال له: كذا وكذا.



وكل هذه من الأكاذيب، وكل هذا من الكفر، كما ذكر المؤلف في هذا الموضع:

(وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ).



النهي عن التفكير في ذات الله عَزَّوَجَلَّ

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْفِكْرَةُ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِدْعَةٌ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللهُ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ»؛ فَإِنَّ الْفِكْرَةَ فِي الرَّبِّ تَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ.

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (والفكرة في الله بدعة). واحتج بهذا الحديث: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الله». وهذا الحديث جاء عن جمع من الصحابة، وقد أثبت الحديث بعض العلماء، ومنهم العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "السلسلة الصحيحة"؛ لأنه جاء عن جماعة من الصحابة، وبعض الأحاديث فيها ما فيها من الوهن الشديد، وفيها ما ليس كذلك.

وقد جاء عن جماعة من الصحابة، ولهذا أثبتته رَحِمَهُ اللهُ في "السلسلة الصحيحة". وعلى كل حال، ثبت الحديث أو لم يثبت، فالمعنى صحيح؛ فالعبد لا يتفكر في الخالق، وإنما الواجب على العبد أن يكون ذاكرًا لربه، فهذا الذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فالذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به أن يذكر العبد ربه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. وأما التفكير في الله عَزَّوَجَلَّ فإن هذا يدعو إلى التشبيه والتكييف، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿[الشورى: ١١]﴾. والعبد ما شاهد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى يتفكر فيه، ولا يُقاس الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بخلقه؛ فإن القياس يقتضي التمثيل، والله



سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يماثل خلقه، تعالى الله عن ذلك، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فلهذا العبد لا يتفكر في ربه، وإنما المأمور به أن يذكر ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يتأمل في معاني أسمائه وصفاته، وما لله من العظمة، وما لله من الكمال، المأخوذ من أسمائه وصفاته. فهذا الذي يؤمر به العبد. أما أن يتفكر في الله عَزَّوَجَلَّ، فإن هذا يدعو - كما عرفنا - إلى التمثيل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا مثل له. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حث على التفكير في مخلوقاته، والنظر في آياته الشرعية والآيات الكونية، فيتأمل الإنسان في آيات الله الشرعية، وفي آياته الكونية؛ لما في ذلك من العبرة. فإذا نظر في الكون نظرة تأمل، ونظر إلى ما في الكون من الأمور التي تدل على عظم الخالق، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليم، وأنه قدير، وأنه رحيم، وغير ذلك من الأمور التي يتوصل إليها العبد عند التفكير في مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا مما أمر الله به. وأما التفكير في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا مما يُنهى عنه، سواء صح الحديث أو لم يصح؛ فإن فيه ما فيه من المفسدة.

قال: (فإن الفكرة في الرب تقدر الشك في القلب): وهكذا ما سار عليه أهل الكلام من التفكير في وجود الله عَزَّوَجَلَّ، بالطرق الفلسفية الكلامية، فإن هذا مما يقدر الشك؛ فإن الذين دخلوا في هذا الباب شكوا في ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. مثل ما حصل من الجهم بن صفوان، يُذكر عنه أنه ناظر السمنية من الهنود، فشك في ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وترك الصلاة مدة من الزمن. فما يدعو إليه علماء الكلام من التفكير في الله عَزَّوَجَلَّ أيضًا مما يُورث الشك في القلب؛ فإن مما يقولونه: إن أول واجب على العباد هو الشك.

هذا بعض ما يقوله علماء الكلام: أول واجب على العباد هو الشك، ثم بعد ذلك يحصل النظر في إثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ. فيجعلون الكفر المحض هو أول واجب على العباد، فتبدأ تشك في ربك، في وجوده، ثم تنظر في الأدلة العقلية في إثبات

وجوده. وهناك من يشك ولا يستطيع بعد ذلك أن يُثبت، فيبقى شاكًا ويموت على شكه، يموت على الكفر والعياذ بالله.

ومنهم من يقول: أول واجب هو القصد إلى النظر، ومنهم من يقول: أول واجب هو النظر والتأمل في وجود الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكلها أقوال باطلة. فأول واجب على العباد: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، هذا هو حق الله على العباد: أن يعبدوه وحده لا شريك له، أن يوحده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

أما وجود الله **عَزَّوَجَلَّ**، فهذا أمر معلوم بالفطرة، ما أنكر ذلك حتى كفار قريش، فهو شيء موجود في الفطر، ومقرر في الفطر. فالتفكر الذي يدعو إليه علماء الكلام أيضًا هو من هذا القبيل، يورث الشك في القلب في وجود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.



الخلق كله مأمور من الله أمر كوني

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الْهُوَامَ وَالسَّبَاعَ وَالْدَوَابَّ كُلَّهَا - نَحْنُ الذَّرَّ، وَالذُّبَابَ، وَالنَّمْلَ - كُلُّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الشرح:

الهوام والسباع والدواب وجميع الحيوانات مسيرة بقضاء الله وقدره، وهي تسير بإذن الله تعالى - أي: الإذن الكوني - «كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» رواه البخاري ومسلم. فهي مسيرة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ الكوني، ولا تخرج عن أمر الله عَزَّوَجَلَّ وعن إذنه الكوني: الجمادات وغير الجمادات من سائر الحيوان. وكما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٩]، في شأن الشمس والقمر.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٣٧ - ٤٠) فالكون لا يخرج عن إذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكوني، هذا شيء معلوم، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الرب المتصرف بالكون، ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

فالله عَزَّوَجَلَّ هو المسير للكون، وهو الرب، وهو الخالق وحده لا شريك له. ولا يستطيع أحد أن يتصرف في الكون مهما عظم ملكه. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. هذا شيء ما يستطيعه الخلق، وإنما يفعل هذا الخالق سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الذي يسير الكون، هو الذي يسير الشمس والقمر، وسائر الخلق لا يخرجون عن قضاء الله وعن قدره وعن إذنه الكوني.





بيان علم الله عزَّوجلَّ الأزلي الأبدي المحيط بكل شيء



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيْمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ وَمَا لَمْ يَكُنْ، مِمَّا هُوَ كَائِنٌ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَعَدَّهُ عَدًّا، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

الشَّرْحُ:

قال: (وَالْإِيْمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ). فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علم ما كان، فالله عزَّوجلَّ بكل شيء عليم، فما كان من أول الدهر، علمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ولهذا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبر عن أشياء حصلت في الأزمان السابقة، فيما يتعلق بخلق آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقبل خلق آدم من إخباره للملائكة بأنه سوف يخلق بشرًا من طين [البقرة: ٣٠]. وكذلك ما يتعلق بأول الخليقة، ذكره الله عزَّوجلَّ، وقص ذلك في كتابه، وذكر الله عزَّوجلَّ لنا أخبار من مضى من الأمم، كقوم نوح، وقوم إبراهيم وموسى وعيسى، وغير هؤلاء من الأنبياء والرسل، فالله عزَّوجلَّ بكل شيء عليم. فما كان من أول الدهر قد علمه الله عزَّوجلَّ وأحاط به علمًا.

وما لم يكن أيضًا، علمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما لم يكن وسيكون في المستقبل، فقد علمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فالله عزَّوجلَّ لا يخفى عليه شيء، وقد أخبرنا الله عزَّوجلَّ عن أمور سوف تكون في المستقبل، أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن حال أهل الجنة، وعن كلامهم، وعن خطابهم، وعن حال أهل النار، وعن كلامهم، وعن خطابهم، وما سيقولون، وما

سيحصل منهم، وهذا مذكور في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**. وهذه أمور لم تأت بعد. وكذلك ما يتعلق بالساعة، وما فيها من الأهوال، وما فيها من الشدائد، فأخبرنا الله **عَزَّوَجَلَّ** عن أمور سوف تكون في المستقبل، وقد أحاط الله بها علماً.

قال: **(وَمَا هُوَ كَائِنٌ)**: أي: في هذا الوقت، فلا يخفى عن الله شيء، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ **[الأنعام: ٥٩]**. وهذا علم عظيم، كل ما في البر والبحر قد علمه الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكل ما في السماوات والأرض قد علمه رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. والحبة في ظلمات الأرض قد علمها الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي حبوب كثيرة، قد علمها الله **عَزَّوَجَلَّ**، وما فاته منها شيء.

والورقة الساقطة من الأشجار، قد علمها الله **عَزَّوَجَلَّ**، علم متى تسقط، وفي أي موضع تسقط، قد أحاط الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بكل شيء علماً. وكل ما هو رطب ويابس علمه الله، والكون لا يخرج عن هذين الوصفين: إما أن يكون من قبيل الرطب، وإما أن يكون من قبيل اليابس. فعلم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كل شيء، ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ **[آل عمران: ٥]**.

وكذلك ما لم يكن لو كان كيف يكون، علمه الله، فعلم الشيء الذي لم يكن لو كان كيف يكون، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ **[الأنعام: ٢٨]**. فهذا الشيء لم يكن ولا يكون، وقد علم الله **عَزَّوَجَلَّ** أنه لو كان كيف يكون، مع أنه شيء لا يكون، فإنهم لا يردون إلى الدنيا، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ **[الأنعام: ٢٨]**.



قال: (ومن قال: إنه لا يعلم ما كان) أي: في الماضي - (وما هو كائن) أي: الآن،
والشيء الذي في المستقبل لا يعلمه الله **عَزَّوَجَلَّ** - (فقد كفر بالله العظيم). قائل هذا
القول قد كفر بالله العظيم.

والذي ينفي علم الله **عَزَّوَجَلَّ** عن الأمور التي لم تحصل بعد في المستقبل فقد كفر،
وهذا يقوله - كما هو معلوم - القدرية فيقولون: إن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يعلم أفعال العباد إلا
بعد أن يفعلوها. ويقول ذلك غيرهم كهشام بن الحكم، وكذلك الملقب "بشيطان
الطاق" يقول مثل هذا القول.

وهؤلاء يتشبثون بمثل قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ
وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]. ونحو هذه من الآيات. ويقولون: الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يعلم الشيء
إلا بعد أن يحصل، لقوله: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١]، أي: أنه قبل ذلك لم
يكن يعلم، فيبتلي الله **عَزَّوَجَلَّ** العباد حتى يعلم، فيحصل له العلم عند حصول الشيء لا
قبل ذلك. ﴿وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]. والمراد
بهذه الآية ونحوها من الآيات؟ علم ظهور، يعني: الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد علم كل شيء
قبل وجوده، لكن بعد ذلك يعلمه موجودًا كما علمه معدومًا. فقبل وجود الشيء
يعلمه الله معدومًا، فإذا وجد علمه الله **عَزَّوَجَلَّ** موجودًا.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** يعلم كل شيء، والمعدوم علمه الله قبل وجوده، فقد علم الله **عَزَّوَجَلَّ** ما
سيكون قبل أن يكون.

فإذا ما وجد علمه موجودًا، فقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ﴾ [محمد:
٣١] ليس معناه أنه ما علمه قبل ذلك، وإنما يعلمه موجودًا وقد علمه علمًا سابقًا، فإن
الله **عَزَّوَجَلَّ** ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]. فالآيات
محمولة على مثل هذا المعنى.

وهؤلاء يأتون إلى مثل هذه الآيات، ويتأولونها على غير المراد، ويتركون الآيات المحكمة التي تدل على أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بكل شيء عليم، وأن الله لا يخفى عليه شيء، وأن الله يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون. والأدلة في ذلك متكاثرة، ويتشبهون بالمتشابه، وهذا شأن من في قلبه زيغ، ﴿قَالُوا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]. فهؤلاء شأن أهل البدع والأهواء، يتمسكون بالمتشابه من القول، ويتركون الأدلة المحكمة.

وكذلك ما تقوله الفلاسفة كابن سينا وغيره من الفلاسفة: أن الله **عَزَّجَلَّ** يعلم الكليات دون الجزئيات، هو من هذا القبيل، هو كفر بالله **عَزَّجَلَّ**؛ فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهذه جزئيات قد علمها الله **عَزَّجَلَّ**. والفلاسفة يقولون: الله يعلم الكليات، لا يعلم تفاصيل الأمور وجزئياتها.

وعلى سبيل المثال، قالوا: إن الله **عَزَّجَلَّ** يعلم أنه أرسل رسلاً إلى العباد، ولم يعلم أن من الرسل نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**. أو أن الله **عَزَّجَلَّ** علم أنه أرسل لهذه الأمة رسولاً، لكن لا يعلم متى أرسل، ومتى بقي في هذه الأمة، وتفاصيل ما حصل للنبي **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من الحوادث، ومن المعارك، ومن أنواع الابتلاءات والمحن. فالفلاسفة يرون أن الله **عَزَّجَلَّ** يعلم الكليات، ولا يعلم الجزئيات.



فهذا المذهب كفر بالله **عَزَّجَلَّ**، وتكذيب لخبر الله **عَزَّجَلَّ**؛ فإن الله **عَزَّجَلَّ** أخبر أنه بكل شيء عليم، والأدلة دلت على علم الله **عَزَّجَلَّ** بكل شيء حتى الجزئيات: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأَنْعَام: ٥٩]، وكل هذه من الأمور الجزئية.

ويقولون: العلم بالجزئيات فيه وصف الله **عَزَّجَلَّ** بالتغير، فإذا علم أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بُعث، ثم يعلم أنه أُرسل، فهذا تغير، ثم يعلم كذا، ثم يعلم كذا من أحواله، فيتغير علمه، والتغير مما ينزه عنه رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وهذه فلسفة الفلاسفة.

على كل حال، هذا القول كفر بالله **عَزَّجَلَّ**؛ لمناقضته لأدلة الكتاب والسنة، ولمناقضته أيضًا للإجماع، وفيه وصف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالجهل بتفاصيل الأمور، تعالى الله **عَزَّجَلَّ** عن ذلك وتنزه.

فالواجب علينا أن نعتقد أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بكل شيء عليم، وأن الله **عَزَّجَلَّ** ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].



لا نكاح إلا بولي وبعض أحكام النكاح

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّيَّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ وَصَدَاقٍ قَلٍّ أَوْ كَثُرَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ
فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ.

الشرح:

وهذه المسألة التي أوردها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ مسألة فقهية، خاض فيها علماء الفقه، وليست هي من مسائل العقيدة، ولا من المسائل التي هي من مورد الخلاف بين أهل السنة وبين أهل البدع والأهواء، وإنما هي من مسائل الفقه. (لا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّيَّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ). (لا نكاح إلا بولي) جاء في حديث أبي موسى الأشعري، وجاء عن غيره، جواء عن جمع كثير من الصحابة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّيَّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ»، ولا يبعد أن يصل إلى حد التواتر، وأما زيادة: «وشاهدي عدل» فهي زيادة لا تثبت في الحديث، والثابت قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّيَّ».

والمنازع في هذه المسألة أبو حنيفة من الأئمة الأربعة، فإنه يُجَوِّزُ النكاح بغير ولي. وسائر الأئمة لا يجوزون ذلك، فهذه مسألة حصل فيها نزاع بين العلماء. ومن قال إن النكاح يصح بغير ولي يحتجون بمثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فقالوا: هي التي تَنْكِحُ، فالمرأة هي التي تَنْكِحُ، فالخطاب كان لها: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾، ما قال: تُنْكِحُ أو تُرَوِّجُ من جهة الولي، وإنما هي

التي تَنكح، فهي التي تَزُوج نفسها. فيحتجون بمثل هذه الآية وبغيرها. وجمهور أهل العلم يقولون: أُضيف النكاح إلى المرأة لأنها محل النكاح، لا لأنها القائمة به والعاقدة له، لكن باعتبار أنها محل النكاح، فأضيف النكاح إليها باعتبار أنها المحل. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول للأولياء: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُمْ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. فقال: ﴿أَنْ يَنْكَحْنَ﴾، ومع قوله في أول الآية: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُمْ﴾، فهذا يدل على أن الأمر بيد الأولياء.

ولهذا وجه الله **عَزَّوَجَلَّ** الخطاب إلى الأولياء فقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُمْ أَنْ يَنْكَحْنَ﴾، فدل ذلك على أن العقد بيد الأولياء، والمنع بيد الأولياء، فلهذا نهى الله **عَزَّوَجَلَّ** الأولياء عن العَضْل فقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُمْ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾. وأضاف النكاح إليهن باعتبار أنهن محل النكاح.

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١]، هذا خطاب للأولياء، فخاطب الله **عَزَّوَجَلَّ** الأولياء، فدل ذلك على أن أمر النكاح إلى الأولياء، ليس إلى المرأة.

مع دلالة هذا الحديث الذي جاء عن جماعة كثير من الصحابة على ذلك، وهو قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "لا نكاح إلا بولي". على كل حال، هذه مسألة من مسائل الفقه، خاض فيها علماء الفقه في كتب الفقه.

قال: (ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل): وعرفنا أن هذه اللفظة "وشاهدي عدل" لا تثبت في الحديث. واشتراط الشاهدين مما تنازع فيه العلماء، وأكثر العلماء من أهل المذاهب أنه لا بد من شاهدين. ونازع في ذلك الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ**، فلم يشترط الشاهدين، بل أجاز النكاح بشاهدين أو باشتهار الخبر، فإما أن يشهد شاهدان، وإما أن ينتشر الخبر ويستفيض، والانتشار والاستفاضة أبلغ من شهادة الشهود. وهذا

الذي رجع به شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ، وذكر أن السلف لم يكونوا يتكلفون الإشهاد في النكاح، وإنما يكتفون بالاستفاضة، فإذا انتشر الخبر واستفاض بأن فلاناً تزوج بفلانة، وانتشر هذا في أوساط الناس، وأعلن النكاح، فإنه يفارق السفاح بالإعلام والإظهار، فيصح النكاح بذلك، وإن لم يشهد شاهدان في وقت العقد.

حتى ولو عقد الولي مع الزوج، ثم نشروا الخبر فاستفاض الخبر وانتشر في الناس وأعلن النكاح، فإن النكاح يصح بذلك، والاستفاضة كافية. وشأن النكاح كشأن النسب، وهل يُشترط في ثبوت النسب شاهدين، أم يُكتفى بالاشتهار؟

أعني: هل لا بد وقت الولادة من مجيء شاهدين حتى يشهدا أن فلاناً ولدته فلانة، فينسب إلى الأم، وينسب بعد ذلك إلى الأب، أم يُكتفى بالاشتهار والاستفاضة؟
الجواب: يُكتفى بالاشتهار والاستفاضة. فثبوت النكاح كثبوت النسب، وكل ذلك يُكتفى فيه بالاشتهار والاستفاضة، ولا يُشترط حضور شاهدين في عقد النكاح.

إذن: هذه المسألة من المسائل التي حصل فيها النزاع بين العلماء، والمؤلف مشى على هذا القول الذي هو أنه لا بد من شهادة شاهدين، فقال: "ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل". واشترط ذلك يُحتاج فيه إلى دليل شرعي وحجة شرعية تدل على الشرطية، والحديث الوارد في ذلك لا يثبت ولا يصح نسبته إلى رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما تزوج صفية، هل علم الصحابة بالزواج في أول الأمر أم استدلووا بالأمارات؟

الجواب: علموا بالزواج في بالأمارات، حيث قالوا: إذا حجبها فهي من نسائه، وإلا فهي من إماءه. فلو كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أشهد على النكاح لما احتاجوا إلى ذلك. فعلى كل حال، قضية الإشهاد ليست بشرط.



فإن حصلت الاستفاضة، وانتشر الخبر، وأعلن النكاح، وعرف الناس ذلك، فهنا يفارق السفاح؛ فإن السفاح يُفعل خفية، ولا يعلن، ولا يشهد عليه.

وأما النكاح: فالسنة فيه الإعلان والإشهار. فإذا ما أعلن واشتهر في أوساط الناس، فهذا يُغني عن الشهادة. وإذا لم يحصل الإعلان والإشهار، فلا بد من الشهود حتى يفارق السفاح، فلا بد من الفرق بين النكاح وبين السفاح على ما سبق إيضاحه.

قال: **(ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل وصدّاق قل أو كثر)**: أما الصداق فلا بد منه، وهو من الأمور الواجبة قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، فأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** به. وهكذا قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤]، فإنما يبتغي الإنسان بماله، فلا يتزوج بغير مال، ويبتغي الإحصان بماله، فهذا الذي أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** به. والنكاح من غير صداق يُشبهه

الهبة. والهبة خاصة بالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ [الأحزاب: ٥٠]، الذي هو المهر. فلا بد في سائر الأُنكحة من مهر.

وأما الهبة التي هي النكاح من غير مهر، وكذلك من غير أولياء، فهذه خاصة بالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ولا يكون هذا لغيره.

والنكاح بغير مهر يشبه أيضاً نكاح الشغار، فإن الشغار يدل على معنى الخلو، شَغُرَ الكلب عن قدمه إذا رفعها من أجل البول، وإذا رفعها، يكون تحتها فراغ، والناس يقولون: وظائف شاغرة، أي فارغة وخالية.

فالنكاح الذي ليس فيه مهر شغار، فإذا قال الشخص لرجل: أزوجك ابنتي على أن تزوجني ابنتك، وأفرغ النكاح من المهر، فهذا داخل في نكاح الشغار، ونكاح الشغار مما نهى عنه رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فلا بد من المهر، فالمهر من الواجبات. وإذا حصل النكاح واشترط فيه نفي المهر، فهو نكاح.

وجمهور العلماء يصححونه ويوجبون مهر المثل، والإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يُفسده. والصحيح مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أن نكاح الشغار من الأنكحة الفاسدة. وفرق بين اشتراط نفي المهر، وبين السكوت عنه.

فإذا حصل عقد النكاح وسكتوا عن المهر، فيصح النكاح، يكون لها مهر المثلات. فالسكوت عن المهر لا يُبطل النكاح، لكن اشتراط نفي المهر هو الذي يُبطل النكاح.

قال: **(وشاهد عدل والصداق)**. وعرفنا أنه لا بد من الصداق. وهل يشترط تسمية المهر في النكاح أم لا يُشترط؟

الجواب: لا يُشترط. لكن المحذور أن يُنفى المهر، وأما التسمية فليست بشرط، لكن إذا لم تحصل تسمية، فلها مهر المثلات. ينظر إلى من كان من مثيلاتها باعتبار السن، وباعتبار الجمال، وباعتبار النسب، وغير ذلك من الصفات، فينظر إلى المرأة الموصوفة بهذه الصفات كم تُمهر عند الناس، فتُعطي مهر المثلات.

قال: **(ومن لم يكن لها ولي فالسلطان ولي من لا ولي له)**: وبهذا جاءت السنة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتُ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، فَإِنْ اسْتَجَرُوا فَالْسلطانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَ لَهُ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

فعلى كل حال: إذا لم يوجد الولي فالولاية تكون للسلطان، ومن جعله السلطان نائباً له فيأخذ هذا الحكم؛ لأن السلطان لا يفعل هذه الأمور من حيث العادة الغالبة،



فلا يقوم بهذه الأمور منذ أزمان قديمة، لكن قد جعل من يقوم بذلك نائباً عنه، وهم القضاة، فالقاضي يقوم مقام السلطان في هذه المسألة. وهذا إذا لم يوجد الولي. وأولياء المرأة هم عصبتها. ومن كان من أصحاب الفروض فليس له ولاية.

فأولياء المرأة هم العصبة الذين يُذكرون في الموارِيث. وأما من كان من أصحاب الفروض أو من ذوي الأرحام، فإنه لا ولاية لهم. يعني: أولياء المرأة: أبوها، وجدها، وابنها مهما نزل، وأخوها الشقيق، وأخوها لأب. والأخ لأم ليس من أولياء النكاح؛ لأنه من أصحاب الفروض. وابن الأخ الشقيق مهما نزل، وابن الأخ لأب مهما نزل، والعم الشقيق مهما ارتفع، والعم لأب مهما ارتفع. سواء كان شقيقاً للأب، أو شقيقاً للجد، أو شقيقاً لأبي الجد، أو شقيقاً لجد الجد إن وجد. فالعم الشقيق مهما ارتفع، والعم لأب أيضاً مهما ارتفع، وهؤلاء يدخلون في مسمى العم. وأمّا العم لأم فلا يدخل لأنه من ذوي الأرحام، وابن العم الشقيق مهما نزل، وابن العم لأب مهما نزل. والخال لا يدخل في ولاية النكاح لأنه من ذوي الأرحام.

والعلماء اختلفوا: هل يقدم الأب أو يقدم الابن؟ وكثير من أهل العلم قدموا الأب في النكاح لأنه أعلم بمصلحة ابنته.



بعض أحكام الطلاق

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ، لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ.

الشرح:

كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. أي: إذا طلقها الطلقة الثالثة، فإنه قال قبل ذلك: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ثم ذكر الطلقة الثالثة: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. فإذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً فإنها تحرم عليه، ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. وهذه مسألة من مسائل الفقه كما هو معلوم، وهذا هو حكم الله **عَزَّوَجَلَّ** كما بينه رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وإن كان للعلماء بعد ذلك تفاصيل ونزاع في الطلاق الثلاث، ومتى يكون الطلاق ثلاثاً مما يُعتد به أو لا يُعتد به، فالنزاع قائم بين العلماء، كالذي يطلق امرأته ثلاثاً بلفظ واحد، أو يطلق امرأته ثلاث تطلقات في مجالس مختلفة، ولم يفصل بين الطلاق والطلاق لا بإرجاع ولا بانقضاء عدة. وجمهور العلماء على أن الطلاق يقع ثلاثاً في هذه الصور.

ومعروف النزاع في ذلك، وما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم من عدم وقوع الثلاث، وأنها طلقة واحدة، هذه مسائل مبسوسة في كتب الفقه. لكن أصل المسألة مما دل عليه القرآن: وهو أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاث



طلقات، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. لكن بعد ذلك تفاصيل المسألة حصل فيها النزاع بين العلماء.

وأما إذا طلق امرأته الطلقة الأولى وانقضت العدة، أو طلقها ثم راجعها، فهذه طلقة لا إشكال فيها عند أحد من أهل العلم. فإن طلقها بعد ذلك الطلقة الثانية حتى انقضت العدة، ثم تزوجها بعقد جديد، أو أنه بعد أن طلقها راجعها، فهذه طلقة ثانية باتفاق العلماء. فإن طلقها بعد ذلك الطلقة الثالثة، فهذه الطلقة الثالثة بالاتفاق.

وما سوى ذلك فيه نزاع بين العلماء: كأن يطلق ثلاثاً بلفظ واحد، أو بألفاظ متعددة في مجلس أو في مجالس قبل أن يفصل بين الطلاق والطلاق بإرجاع أو انقضاء عدة، فالنزاع قائم في هذه المسائل.

وأما الصورة التي ذكرناها، فهذا مما اتفق عليه العلماء. فإذا حصل هذا الطلاق على هذه الصفة، فإنها لا تحل للزوج الأول حتى تنكح زوجاً غيره، كما أمر بذلك ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وكذلك النزاع قائم بين أهل العلم في الخلع، هل يُعد من الطلاقات الثلاث أو لا يُعد؟ وظاهر القرآن أنه لا يُعد؛ فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** ذكر طلقتين، ثم ذكر الخلع، ثم ذكر الطلقة الثالثة بعد ذلك. والكلام في ذلك كثير فيما يتعلق بالخلع ونزاع العلماء فيه.

لكن الغرض من هذا، أن هنالك من الصور ما فيها نزاع بين العلماء، وهناك من الصور ما هو متفق عليه. فإذا كان على الصورة المتفق عليها مثلاً، فالأمر مقطوع به أنها لا تحل للزوج الأول حتى تنكح زوجاً غيره. والله يقول: **﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾** [البقرة: ٢٣٠]. وليس المراد بذلك مجرد العقد، بل لا بد من الدخول، لا بد من الوطء، **«حَتَّىٰ تَدْخُلَ غُصْبَتَهُ وَيَذُوقَ غُصْبَتَكَ»** رواه البخاري ومسلم.

فليس المراد بذلك مجرد العقد. والنكاح في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** إذا كان في باب النهي فالأصل به العقد، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٢]، مجرد ما يعقد الوالد على امرأة وإن طلقها قبل أن يدخل بها، فإنها لا تحل لابنه. وكذلك سائر ما ورد من لفظ النكاح في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، في باب النهي فالمراد به: العقد، وأمّا في باب الأمر والترغيب فالمراد به ما كان على وجه الكمال فيتناول العقد والوطء.

وفي هذا الموضع، فإن المراد بذلك العقد مع الوطء، العقد مع الوطء، كما جاءت بذلك السنة.

وبعض العلماء يستنبط هذا الأمر من الآية: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا﴾ [البقرة: ٢٣٠]، قال بعض العلماء كالعلامة ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: الله يقول: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا﴾ [البقرة: ٢٣٠] ولم يقل: حتى تنكح رجلاً، ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فأثبت الزوجية، يعني: أثبت العقد والنكاح قبل ذلك، ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ بمعنى: حتى تطأ زوجاً، فحمل الآية على هذا المعنى، فالنكاح المراد به: الوطء؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** لم يقل رجلاً، وإنما قال ﴿زَوْجًا﴾، أي: أن العقد قد حصل قبل ذلك. فالنكاح الحاصل بعد حصول الزوجية، ماذا يكون؟

يكون وطئاً، فتحمل الآية على هذا المعنى، ومن أبى تأويل الآية على هذا المعنى قال: سمي زوجاً باعتبار المآل.

وكثير من أهل العلم يحتجون بالسنة، ويقولون: السنة بينت أنه لا يُكتفى بمجرد العقد، ولا بد من الدخول، لا بد من الوطء. فعلى كل حال: هذا لا بد منه، ولا يُكتفى بمجرد العقد.



ولا بد في النكاح أن يكون نكاحًا صحيحًا، ولا يكون من قبيل نكاح التحليل؛ فنكاح التحليل لا يحصل به إحلال المرأة لزوجها الأول. فلا تحل له بنكاح التحليل. ونكاح التحليل من جملة الزنا، وهو من كبائر الذنوب، وهو من أمور الفسق. وهو منتشر في أوساط الناس انتشارًا كبيرًا؛ وذلك لغلبة الجهل، ولقلة العلم، وهو من المنكرات التي ينبغي أن تُنكر.

وفي مرة من المرات خطبت خطبة جمعة على وحذرت من نكاح التحليل، وبعد أن انتهت الخطبة والصلاة، جاء إلي شخص وقال: جزاك الله خيرًا، قد كان اتفق معي بعد الجمعة على عقد نكاح تحليل.



تحريم قتل النفس المعصومة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: زَانٍ بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ مُرْتَدٌّ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ قَتَلَ نَفْسٍ
مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ حَقٍّ فَيُقْتَلُ بِهِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَدَمُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ أَبَدًا حَتَّى
تَقُومَ السَّاعَةُ.

الشرح:

بعد أن ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ما يتعلق بشأن الفروج، انتقل إلى ما يتعلق بشأن
الدماء، وبيّن ما يحرم من الدماء، وهو مأخوذ من كلام رسول الله ﷺ
كحديث عبد الله بن مسعود في الصحيحين، فإنه جاء بمعنى ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.
قال: (ولا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أن محمداً عبده
ورسوله).

وهذا هو المسلم، والمراد بالمرء المسلم: إما الشخص أو الإنسان، حتى يدخل في
ذلك الذكر والأنثى.

(لا يحل دم امرئ مسلم)، أي إنسان مسلم أو شخص مسلم، يشهد أن لا إله إلا
الله، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، فهذا هو المسلم الذي جاء بالشهادتين.
(إلا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان)، فالمُحصن إذا ما زنى فيحل دمه، وحده
الرجم.



قال: (أو مرتد بعد إيمان): كذلك المرتد، حُدَّ القتل، كما جاءت بذلك سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ» رواه البخاري، وغير ذلك من الأدلة الواردة في الباب.

(أو قتل نفساً مؤمنة بغير حق، فيُقتل به)، أي: من باب القصاص، فإذا قتل شخصاً متعمداً، ولم يكن من قبيل الخطأ وطالب الورثة بالقود فيقاد به. فإن كان القتل من قبيل الخطأ فالواجب عليه: الدية إن طالب بها الورثة، وعليه الكفارة، وهي: عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين [النساء: ٩٢]. وكلام المؤلف فيمن قتل مسلماً متعمداً. فمن قتل نفساً مؤمنة بغير حق، فإنه يقاد بها، ويحل دمه بالشروط التي يذكرها العلماء في هذا الموضع. وليس كل شخص قتل شخصاً متعمداً فإنه يقاصص به، بل لا بد من توفر الشروط التي يذكرها العلماء في هذا الموضع.

ومن جملة هذه الشروط: أن يطالب جميع الورثة بالقصاص، جميع الورثة، ولا يتخلف منهم أحد. فإذا عفا أحد الورثة عن القصاص، وطالب الباقيون بالقصاص، فيسقط القصاص، ولو كانت التي عفت امرأة من الورثة فإن القصاص يسقط. وإن عفت ثم تراجعت سقط القصاص أيضاً بالعفو المتقدم. وإذا حصل العفو فلا يجوز التراجع، فيسقط القصاص بمجرد العفو. فمن أراد أن يتراجع بعد العفو فلا يُقبل تراجعه.

إذن: لا بد من اتفاق جميع الورثة. لكن إذا كان في الورثة من هو صغير أو من هو مجنون، فمن أهل العلم من يقول: يُنتظر للصبي حتى يبلغ، وللمجنون حتى يفيق. وهذا القول فيه ما فيه من البعد؛ فالمجنون ربما يبقى عشرات السنين في جنونه. فالظاهر: ما ذهب إليه جماعة من أهل العلم أن الصغار تبع لأوليائهم الكبار،

والمجنون أمره راجع إلى وليه. هذا الذي يظهر، وأنه لا يُؤخر القصاص من أجل الصِّغَر ولا من أجل الجنون؛ فإن ولي الصغير يقوم مقامه في جميع الأشياء، وكذلك ولي المجنون يقوم مقام المجنون في جميع أموره، فهذه المسألة من جملة ما يقوم به الولي. فعلى كل حال، لا بد من توفر هذا الشرط. فإن عفا بعض الورثة، فإن القصاص يسقط.

وإذا طالب جميع الورثة بالقصاص، وواحد من الورثة ولو امرأة، قالت: عفوت عن القصاص إلى الدية، فهنا ينتقل إلى الدية مباشرة. بعفو واحد من القصاص إذا عفا إلى الدية، يُنتقل إلى الدية. فإذا قام واحد من الورثة وقتل هذا القاتل، فيقاصص به؛ لأنه بالعفو حُفظ دمه. حتى ولو كان الذي عفا امرأة، والعفو يكون من الورثة، لا يكون من غير الورثة. ولا بد أيضًا من البلوغ والعقل. إذا حصل القتل من صبي لم يبلغ، فلا يقاصص.

وإذا حصل من مجنون فلا يقاصص أيضًا. وأمّا إذا حصل من سكران فإنه يقاصص به.

ولو قلنا: لا يقاصص فقد فتحنا باب شر على الناس، فيبقى كلما أراد شخص أن يقتل شخصًا شرب شيئًا من الخمر، ويشهد الشهود عليه بأنه شارب للخمر، ويفعل بعد ذلك ما يشاء.

وهذا الذي ذكرناه هو الذي عليه أكثر العلماء. وإن كان هناك من أهل العلم من لا يرى القصاص، لكن القول فيه بعد، ويفتح به باب الشر على الناس؛ فيستطيع الشخص أن يشرب الخمر عند الناس، والناس يشاهدونه ويشهدون بأنه شرب الخمر، ثم يتجه ويفعل ما يشاء، ويقول: كنت سكرانًا، فيفتح باب الشر على الناس بذلك.



إذن: لا بد من البلوغ ومن العقل، باستثناء السكران، فإنه ليس بمعذور.
وكذلك لا بد من الاتحاد في الدين؛ فإن المسلم لا يُقتل بالكافر، ولو كان الكافر
ذمياً، خلافاً لأبي حنيفة، فإنه يرى قتل المسلم بالذمي. لكن هذا قول خلاف سنة
النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وفي حديث عليّ في البخاري: «**وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ**». إلى
غير ذلك من الأدلة الواردة في الباب.

فلا بد من الاتفاق في الدين. وكذلك من الشروط المعتمدة: أن لا يكون القاتل
والدّاً لمن قتله؛ فإنه لا يقاد والد بولده، كما قال ذلك النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، كما جاء
في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - وهو عبد الله بن عمرو بن العاص -
قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**لَا يُقْتَلُ وَالِدٌ بِوَلَدِهِ**» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه. وهو حديث
حسن ثابت عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وأخذ به أكثر من مضى من أهل العلم، فلا يُقاد
الوالد بولده. ويدخل في معنى الوالد من باب أولى الأم، وكذلك يدخل الوالد
القريب والوالد البعيد، كل هذا في مذهب أكثر العلماء.

والوالد البعيد كالجد، سواء كان من قبل الأب أو من قبل الأم، فلا يُقاد الوالد
بولده، بهذا جاءت سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وإن كان الإمام مالك يخالف في هذه
المسألة ويفصل فيها، ويرى أن الوالد إن قتل ولده قتلاً ليس فيه شبهة، يعني: يُجزم
جزماً أنه قتله متعمداً، ما أراد التأديب، كأن يأخذ ولده ويأتي بالسكين ويذبح ولده
ذبحاً، فالإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ** يرى أنه يقاد؛ لأنه لا توجد شبهة في هذه القضية.

لكن إن قتله برصاصة، ربما أراد التأديب، أراد أن يرميه في غير موضع قاتل، وإذا
وقع السيف عليه، فربما أراد أن يكون في موضع غير قاتل، أراد أن يؤدبه، فيرى أن
المسألة إذا كانت متمحّضة في القتل العمد، ليس فيها شبهة تأديب ولا خطأ، أنه
يقاخص به.

والذي عليه أكثر من مضى عدم التفصيل، وهو ظاهر سنة رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنه ليس فيها تفصيل.

وكذلك من الشروط في ذلك: أن لا يكون وارثاً لدم نفسه.

وقبل هذا فمن المسائل الغريبة التي يذكرها الفقهاء، أَنَّهُمْ يقولون: إذا قتل أحد الزوجين الآخر، وبينهما ولد، فإنه لا قصاص على أحدهما. يعني: الزوج إذا قتل زوجته، وبينهما ولد، والزوجة إذا قتلت زوجها، وبينهما ولد، أنه لا قصاص. لماذا لا قصاص؟ لأن الذي يرث الدم هو الولد. وهل للولد أن يطالب بقتل أبيه أو بقتل أمه؟ **الجواب:** ليس له أن يطالب بقتل أبيه أو بقتل أمه.

فإذا كان الولد وارثاً لدم أبيه أو أمه، فلا يقاصص والده، ولا يقاصص أمه. وهذا كلام صحيح من حيث الحكم، ويقول به من مضى من أهل العلم. وإذا لم يكن بينهما ولد، فالقصاص حاصل.

ومن الشروط: أن لا يكون وارثاً لدم نفسه، فإن كان وارثاً لدم نفسه، فإنه لا يقاد. وعلى سبيل المثال: إذا كان هناك ولدان، قتل أحدهما الأب، والآخر قتل الأم. فالأول الذي قتل أباه فمن الذي يرث دم أبيه؟

الجواب: ترثه أمه التي هي زوجة المقتول والابن الآخر.

فصار قاتل الأب نصف دمه مع أمه، ونصف دمه مع أخيه.

ولما قتل الولد الآخر أمه. فإنَّ القاتل الأول، صار وارثاً لدم أمه، ولدم دم نفسه؛ لأن أمه كانت وارثة لنصف دمه، وأخوه وارثاً للنصف الآخر من دمه. فلما قتل الثاني الأم، انتقل الميراث إلى الولد الأول، فورث دم أمه، وورث دم نفسه. وكانت النتيجة حينئذ أنه لا قصاص عليه.

والقصاص على من يكون؟ القصاص يكون على أخيه الآخر.



ويقول أهل العلم: لو كان هناك أربعة إخوة، قتل الأول الثاني، وقتل الثالث الرابع. فالأول لما قتل الثاني، من ورث دم الثاني؟

الجواب: الثالث والرابع، ورثا دم الثاني.

والثالث لما قتل الرابع، من ورث دم الرابع؟

الجواب: الأول ورث دم الرابع، وورث أيضاً دم نفسه. فلما ورث دم نفسه فلم يكن عليه قصاص.

فمن الذي يقاصص؟

الجواب: يقاصص الثالث.

فعلى كل حال: يشترط في القود عند أهل العلم أن لا يكون وارثاً لدم نفسه، فإن ورث دم نفسه فإنه لا يقاصص.

إذن: ما جاء في الحديث فيما يتعلق بمن قتل النفس المؤمنة بغير حق وأن دمه هدر، فإنها يقيد بالشروط المعتبرة التي يذكرها أهل العلم حول هذه المسألة.

وكذلك من الشروط: أن لا يكون مباح الدم لحق من حقوق الله **عَزَّوَجَلَّ**. فإن من قتل شخصاً قد أبيح دمه لحق من حقوق الله **عَزَّوَجَلَّ**، فلا يُقَاد به.

فلو أن شخصاً ثبت عنه الزنا وهو محصن، فقتله شخص متعمداً، ليس من أجل هذه الجريمة التي حصلت منه، لكن حصل بينه وبينه شيء فقتله متعمداً، فلا يُقَاد به؛ لأن دمه هدر. وإن كان لا يجوز له هذا الفعل.

والزاني له حد شرعي، يقوم به أولياء الأمور، وهو الرجم إذا كان محصناً. لكن إذا حصل هذا الفعل فإنه لا يُقَاد به. وكذلك إذا تشاجر مع رجل فقتله متعمداً، ثم تبين أن هذا الرجل قد ارتد، وهو ما قتله لإقامة حد الردة، لكن تبين أنه كان مرتدّاً، فلا يُقَاد

به. وإذا قتل شخصاً، ثم تبين أنه كان قاتلاً، قد حصلت منه جرائم، قد قتل قتلاً متعمداً، فيقاد به؛ لأن القاتل هل دمه هدر أم مرجعه إلى أولياء الدم؟

الجواب: مرجعه إلى أولياء الدم. وولي الدم قد يعفو إلى الدية، وقد يعفو إلى غير دية، وقد يطالب بالقصاص. فلا بد في سقوط القود أن يكون دمه هدراً لحق من حقوق الله **عَزَّجَلَّ**، بهذا القيد.

ومن الشروط في القود. إذا شارك مخطئاً، وفي ذلك نزاع بين العلماء. فإذا حصل القتل من رجلين، أحدهما مخطئ والآخر متعمد. فكثير من أهل العلم، وهم جمهور العلماء يرون أنه لا قود على المتعمد؛ لأنه شاركه من لا يُقَاد، وهو المخطئ. وذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه في رواية إلى أنه يُقَاد، وهذا الذي يظهر لي صحته باعتبار أن القتل حصل منه وهو متعمد لذلك، فتوفرت فيه سائر شروط القود، هذا الذي يظهر، والله تعالى أعلم.





ما لا يفنى من المخلوقات



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُلُّ شَيْءٍ مِّمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ يَفْنَى، إِلَّا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَالْعَرْشَ
وَالْكُرْسِيَّ، وَالصُّورَ، وَالْقَلَمَ، وَاللَّوْحَ، لَيْسَ يَفْنَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا أَبَدًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ
الْخَلْقَ عَلَى مَا أَمَاتَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُحَاسِبُهُ بِمَا شَاءَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ
فِي السَّعِيرِ، وَيَقُولُ لِسَائِرِ الْخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلْبَقَاءِ: كُونُوا تُرَابًا.

الشَّرْحُ:

يقول المؤلف: (وَكُلُّ شَيْءٍ مِّمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ يَفْنَى، إِلَّا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ،
وَالْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ، وَالصُّورَ، وَالْقَلَمَ، وَاللَّوْحَ).

ذكر المؤلف سبعة أشياء من المخلوقات لا تفنى وهي:

الجنة، والنار، والعرش، والكرسي، والصور، والقلم، واللوح.

وبعضهم يروي حديثاً عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة لا

تموت ولا تفنى»، وذكر فيه هذه الأمور، إلا أن ذلك الحديث الذي يُعزى إلى عبد الله

بن عباس مما لا أصل له، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه.

وبعض ما ذكر مما دلت عليه الأدلة، ومنها ما اتفق عليه علماء الأمة.

وقد ذكر السيوطي ثمانية أشياء، ونظمها فقال:

ثمانية حكم البقاء يعمها	من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي وناز وجنة	وعجبٌ وأرواح كذا اللوح والقلم

فالسويطي رحمة الله عليه ذكر ثمانية أشياء، والمؤلف ذكر سبعة أشياء.
فأما ما يتعلق بالجنة والنار، فالأمر ظاهر فيهما، فالجنة دار الخلود، والنار أيضاً دار الخلود، وهكذا العرش. وهذا مما اتفق عليه أئمة السلف، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وبَيَّنَّ أَنَّ الجنة والنار والعرش خلقها الله **عَزَّوَجَلَّ** للبقاء.
والعرش كما هو معلوم سقف الجنة، في حديث أبي هريرة، النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:
«إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

والجنة دار الخلود، وهكذا العرش الذي هو سقفها، فهو أيضاً من المخلوقات المخلدة؛ فإنه سقف الفردوس، وهذا مما اتفق عليه أئمة السلف.
وما يتعلق بالكرسي، فالله أعلم، ما الحجة على أنه لا ينفى، وقد يقال: الكرسي تابع للعرش فهو باق ببقائه. وهكذا ما يتعلق بالصور وهو القرن الذي يُنفخ فيه، يُحتاج إلى دليل يدل على أَنَّ الله خلقه للبقاء. وهكذا: القلم واللوح، أيضاً هذه الأشياء يحتاج في إثبات أنها باقية إلى دليل يدل على ذلك. فالقلم أمره الله **عَزَّوَجَلَّ** أَنْ يكتب كل شيء إلى قيام الساعة، لكن هل هو من المخلوقات الباقية، يقيه الله **عَزَّوَجَلَّ** أبداً ولا ينفى؟ واللوح هل يقيه الله **عَزَّوَجَلَّ** أبداً ولا ينفى؟ العلم عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، فهذا من أمور الغيب، فإثبات ذلك أو نفيه يُحتاج فيه إلى دليل من الكتاب أو السنة .
وشيء لا دليل فيه على الإثبات ولا في النفي، فنسكت عنه حتى نقف على دليل، ولا نثبت ولا ننفي؛ حتى لا نتكلم بغير علم، فالله أعلم.

وبعض العلماء ما يذكر هذه الأمور التي ذكرها المؤلف، كالعلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في النونية، ذكر الجنة والنار، وما في الجنة والنار من الولدان والحوار العين،



وذكر أيضًا عجب الذنب. وعجب الذنب يبقى ولا يفنى فهو مما يبقى من المخلوقات.

قال النبي ﷺ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». كما في حديث أبي هريرة في الصحيحين.

فهو لما خلقه الله عز وجل للبقاء. فإذا مات الإنسان وفني بقى منه عجب الذنب، ثم يُخلق منه الخلق، فعجب الذنب خلقه الله عز وجل للبقاء، وهذا صحيح.

وهكذا أجساد الأنبياء خلقها الله عز وجل للبقاء أم للفناء؟

الجواب: للبقاء؛ فإن أجساد الأنبياء لا تأكلها الأرض، كما جاء في حديث أوس بن أوس عند أبي داود وعند غيره: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ». والموت وإن كان يحصل للأنبياء والرسل، فالموت مفارقة الروح للجسد. لكن الكلام على الجسد، لا على الموت. فالموت كتبه الله عز وجل على كل نفس كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

ومن الخلق من لا يموت، كالذين في الجنة من الحور العين والولدان فهم ممن استثناه الله سبحانه وتعالى.

لكن على كل حال: أجساد الأنبياء لا تأكلها الأرض، خلقها الله عز وجل أيضًا للبقاء، وإن كان الأنبياء والرسل يموتون، لكن الأجساد تبقى ولا تأكلها الأرض، فإذا جاء البعث والنشور فإنها تبقى معهم، فهي خلقها الله للبقاء بهذا الاعتبار.

فهناك أشياء خلقها الله عز وجل للبقاء، ودلت عليها الأدلة، فما دلت عليه الأدلة فإننا نشبهه، وما لا دليل عليه لا في النفي ولا في الإثبات، فنقول: الله أعلم، هل يبقى أو لا يبقى؟ ومن قال إنه يبقى طُوب بالدليل، ومن قال يفنى طُوب بالدليل، ومن توقف

في ذلك يعني أنه لا علم له بالدليل على البقاء أو الفناء، فقد فعل ما يجب عليه؛ كالأشياء التي ذكرناها فيما يتعلق بالصور والقلم واللوح، فإن كان هناك دليل يدل على ذلك فنحن مع الدليل، وإذا لم يُوجد دليل يدل على ذلك، فلا تثبت شيئاً من غير الدليل، وكوننا لا نعلم دليلاً على الإثبات أو على النفي، فنسكت، ولا نتحدث فيما لا نعلم.

والأرواح باقية بعد خروج الأجساد، إما منعمة وإما معذبة، وإذا جاء البعث والنشور دخلت الأرواح إلى الأجساد، فهذا مما فات المؤلف. وهناك من الأجساد جسد لا تأكله الأرض، وليس هو بجسد نبي من الأنبياء ولا صالح من الصالحين، وهذا مما لغز به بعض من مضى من العلماء.

والجواب: أنه الرجل الذي خسف به الأرض: «فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، كما جاء في حديث ابن عمر، فهذا الجسد على ظاهر الحديث أنه من الأجساد الباقية، وأنه يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة، لكن هل يبقى إذا أقيمت الساعة أم يفنى؟ الله أعلم، فلهذا لا يدخل فيما يُستثنى؛ لأننا لا ندري: هل إذا قامت الساعة يبقى أو يفنى ذلك الجسد؟ فالعلم عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، ما نستطيع أن نقول إنه من الأجساد الباقية، فقد يفنى عند قيام الساعة، وقد يبقى، الأمر محتمل، فالله أعلم.

قال: (لَيْسَ يَفْنَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا أَبَدًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى مَا أَمَاتَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ): كما في حديث جابر في صحيح مسلم، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».





الإيمان بالبعث والنشور



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ الْخَلْقَ عَلَى مَا أَمَاتَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَحَاسِبُهُمْ بِمَا شَاءَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.
وَيَقُولُ لِسَائِرِ الْخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلْبَقَاءِ: كُونُوا تَرَابًا.

الشَّرْحُ:

قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. فيحاسب الله عَزَّوَجَلَّ العباد، فإذا انتهى الحساب فإن الناس ينقسمون إلى هذين القسمين، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. وهناك من لا يُحاسب، من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما هو معلوم في شأن السبعين الألف.

قال: ﴿وَيَقُولُ لِسَائِرِ الْخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلْبَقَاءِ: كُونُوا تَرَابًا﴾: أي لسائر الحيوان: كونوا ترابًا، وحينئذ يقول الكافر: ﴿بَلَّيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]، فتحصل المقاصصة بين الحيوان، وقيم الله عَزَّوَجَلَّ عدله حتى على الحيوانات، فيقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، قال ﷺ: «لَتَوْدَنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»، كما جاء ذلك في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فيحصل القصاص بين الحيوانات، فإذا ما حصل القصاص بين الحيوانات، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: كوني ترابًا، فيشهد الكفار ذلك، فيقول الكافر في ذلك الوقت: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]. وجاء في ذلك حديث من حديث أبي هريرة، جاء في المستدرک وعند ابن جریر الطبري وعند غيره، وهو في الصحيحة للعلامة الألباني رحمة الله عليه، أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول للحيوان بعد أن يقاصص بينها: «كوني ترابًا»، فيقول الكافر حينئذ: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.





الإيمان بالقصاص يوم القيامة



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالْقَصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ: بَنِي آدَمَ، وَالسَّبَّاعَ، وَالْهَوَامَّ حَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ، حَتَّى يَأْخُذَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلِأَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ

الشرح:

وكل هذا من عدل الله عَزَّوَجَلَّ، والله يقول: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٧-٨]. فإن من حكم الله عَزَّوَجَلَّ أن جعل يوماً يرجع الناس فيه إلى ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فالخلق في الدنيا تحصل بينهم مظالم من الجن والإنس والحيوان، فالمظالم موجودة بين الإنس والجن والحيوان، فإذا كان الخلق إذا ماتوا لم يبعثوا، فإن هذا خلاف كون الله عَزَّوَجَلَّ أحكم الحاكمين.

فكون الله عَزَّوَجَلَّ أحكم الحاكمين، يقتضي أنه لا بد من يوم الدين، فيبعث الله عَزَّوَجَلَّ الخلق، فيحصل القصاص في المظالم، ويظهر في ذلك حكم الله عَزَّوَجَلَّ، ويحكم الله عَزَّوَجَلَّ بين الخلق بالعدل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي حديث أبي هريرة في صحيح مسلم، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ».

الشاة القراء عندها قرون، والجلحاء ما عندها قرون، فإذا اعتدت القراء صاحبة القرون على التي ليس فيها قرون، ويحصل من جهتها شيء من المظلمة والبغي، قاصص الله **عَزَّوَجَلَّ** بينهما.

وأول ما يقضى بين العباد في الدماء، كما في حديث عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ**» [متفق عليه].

قال: **(وَالْإِيمَانُ بِالْقَاصَصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ)**: حتى الكفار، فالكافر يأخذ حقه من المسلم إن بغى عليه وظلمه بغير حق. فالقصاص بين الجميع، بين أهل الجنة مع أهل النار، وأهل النار مع أهل الجنة؛ فإن الظلم حرمه الله **عَزَّوَجَلَّ** على الجميع، فلا يجوز للشخص أن يظلم أحداً، لا يظلم مسلماً، ولا يظلم كافراً، ولا يحل التعدي عليه. فالكافر قد يكون له حرمة، فقد يكون مستأمناً أو ذمياً أو معاهداً، فإن قُتل بغير حق، أو ضُرب بغير حق، فإن هذا خلاف العهد والأمان بين المسلمين وبين ذلك الذمي والمستأمن والمعاهد، فهذا من المظالم، والله **عَزَّوَجَلَّ** لا يظلم أحداً، فعدل الله **عَزَّوَجَلَّ** على الجميع.

وفي حديث أبي هريرة، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**»، قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فقال: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**» رواه مسلم. فيعامل الله **عَزَّوَجَلَّ** الخلق بالعدل، ولا يظلم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أحداً من الخلق.

قال: **(حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ الْجَنَّةِ)**: حتى أهل الجنة الذين نجوا من عذاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، فلا بد من



القصاص فيما بينهم. وفي حديث أبي سعيد الذي رواه البخاري في صحيحه: "حين يخلص المؤمنون من النار، يمرون على الصراط، وينجيهم الله **عَزَّوَجَلَّ** من نار جهنم"، يوقفهم الله **عَزَّوَجَلَّ** على قنطرة، وهي جسر بين الصراط وبين الجنة، فيقتص من بعضهم، مظالم كانت بينهم في الدنيا، وهم من أهل الجنة قد نجوا، تجاوزوا الصراط، فبلغوا إلى قنطرة قبل أن يأذن لهم الله **عَزَّوَجَلَّ** بالدخول، تحصل المقاصصة في ذلك الموضع، في القنطرة؛ بسبب مظالم كانت بينهم في الدنيا. فإذا ما هُذِّبوا، وزالت تلك المظالم، وأقام الله **عَزَّوَجَلَّ** عدله بين خلقه، أذن الله **عَزَّوَجَلَّ** لهم بدخول الجنة. فهذا القصاص يحصل يوم القيامة كما ذكر المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**.



وجوب إخلاص العمل لله **عَزَّوَجَلَّ** والرضا بالقضاء

□ قال الإمام البرهاري **رَحِمَهُ اللهُ**:

وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ.

الشَّرْحُ:

وإخلاص العمل لله من الواجبات العظيمة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. فهذا الدين الذي يقبله الله **عَزَّوَجَلَّ**. ومعلوم أن الإخلاص شرط في قبول العمل، والشرط الآخر: المتابعة للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. فالإخلاص لله **عَزَّوَجَلَّ** من أعظم الواجبات. قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

فإسلام الوجه: هو الإخلاص، وهو **﴿مُحْسِنٌ﴾** أي متابع لرسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. فالناجي من عذاب الله **عَزَّوَجَلَّ** هو من أسلم وجهه، أي أخلص عمله لله **عَزَّوَجَلَّ**، وكان العمل على وفق سنة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. فالنجا في الإخلاص والمتابعة، **﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُنَّ احْسَنَ عَمَلًا﴾** [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض: "أخلصه وأصوبه". فالعمل الخالص الصواب هو أحسن العمل. فإذا كان العمل خالصاً ولم يكن على السنة، لم يكن صواباً، لا يُقبل. وإذا كان على السنة، ولم يكن في القلب إخلاص، فإنه لا يُقبل.



قال **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ):** والرضا بقضاء الله، إن أُريدَ بالقضاء الشيء المقضي، وأريد بذلك المصائب النازلة والشدائد النازلة على العبد، فالرضا مستحب، والواجب هو الصبر، وهذا إذا حملنا القضاء على الشيء المقضي، وحملنا المقضي على معنى المصائب النازلة، فإن الرضا بذلك من الأمور المستحبة، والصبر واجب. لكن لو حملنا القضاء على فعل الله **عَزَّجَلَّ**، فما يكون الرضا؟

الجواب: يكون واجباً، ولا يصح الإيمان والإسلام إلا به، فإن هذا من الرضا بالله رباً، فمن الرضا بالله رباً أن يرضى العبد بأفعال الله **عَزَّجَلَّ**.

وهكذا القول في مسألة القدر، فالرضا بالقدر كالرضا بالقضاء، فإن حملنا القدر على معنى فعل الله **عَزَّجَلَّ**، فالرضا واجب؛ لأنه يجب علينا أن نرضى بالله رباً، وإن حملنا القدر على معنى المقدور، وحملنا المقدور على معنى الشدائد والمصائب، فإن الرضا من الأمور المستحبة.

واعلم أن القضاء يأتي على المقضي، والمقضي أموره متنوعة، وهكذا القدر يأتي على الشيء المقدور، والمقدور أموره متنوعة، فهل يجب الرضا بالمقدور، والرضا بالمقضي على سبيل الإطلاق، أم فيه تفصيل؟

الجواب: فيه تفصيل، فالمقدور والمقضي قد يكونا من الأمور المحرمة، كالكفر والفسوق والعصيان، وهذه داخلة في القدر أم ليست داخلة في القدر؟

الجواب: هي داخلة في القدر، والرضا بهذه الأمور جائز أم محرم؟

الجواب: محرم، ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، فالرضا بذلك من الأمور المحرمة.

وإذا كان المقدور هو: الإيمان والطاعة، وغير ذلك من أمور الخير، فالرضا واجب، أم ليس بواجب؟

الجواب: واجب، فالرضا بهذه الأمور كالإيمان والإسلام من الأمور الواجبة. وإذا كان المقضي والمقدور عبارة عن شدائد ومصائب نازلة على العبد، ماذا يكون الرضا؟

الجواب: مستحب.

إذن: مسألة الرضا بالقضاء أو الرضا بالقدر، فيها التفصيل السابق: قد يُراد بالقدر فعل الله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد يُراد بالقضاء فعل الله، والرضا بذلك واجب. وقد يُراد بالقضاء المقضي، وبالقدر المقدور، والمسألة فيها تفصيل فينظر في هذا المقدور، فقد يجب الرضا به، وقد يُستحب، وقد يُحرم، وقد فصل فيها غير واحد من أهل العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمته الله عليهما.





الصبر على حكم الله



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالصَّبْرُ عَلَى حُكْمِ اللهِ.

الشرح:

والحكم المضاف إلى الله عَزَّوَجَلَّ، إن أُريد به الحكم القدري، كالشدائد النازلة بالعبد من الفقر والمرض، وذهاب الأولاد، وغير ذلك من الحكم القدري الذي من هذا القبيل، فالصبر، واجب.

وإذا كان المراد بالحكم الحكم الشرعي، فالله عَزَّوَجَلَّ له أحكام شرعية: كأمر بالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، فالصبر على هذه الأمور بحسبها، فإن كان من الواجبات فهو واجب، وإن كان من المستحبات فهو مستحب، وإن كان من المحرمات، فالصبر على الترك واجب.

والمؤلف يقول: (والصبر على حكم الله). فإن كان من الأحكام الشرعية وكان من الواجبات، فإن أداء الواجب يُحتاج فيه إلى صبر، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]. والصبر واجب على أداء الواجبات، ومستحب على أداء المستحبات، وهكذا هو واجب في ترك المحرمات، ومستحب في ترك المكروهات.

وإن كان من الحكم القدري؛ فيُنظر فيه، إن كان المراد بذلك: الشدائد والمصائب النازلة بالعبد، التي قدرها الله على العبد ونزلت به، فإن الصبر من الواجبات. وأما الرضا فإنه من الأمور المستحبة.

والرضا بالقضاء إن فسرناه بفعل الله **عَزَّجَلَّ**، فالرضا واجب؛ لأنه من الرضا بالله ربًّا، وهكذا التفصيل في قضية القَدَر، فالرضا بالقدر إن فسرناه بفعل الله **عَزَّجَلَّ**، فإن الرضا به واجب. وإن فسرنا القضاء بالشيء المقضي، والقدر بالشيء المقدور، فيجب الرضا أم يُسْتَحَبُّ.

الجواب: بحسبه؛ فقد يكون ذلك المقضي والمقدور من المصائب والشدائد النازلة بالعباد، فالرضا مستحب، وقد يكون المقضي والمقدور من الطاعات والإيمان إلى غير ذلك، فالرضا بذلك واجب، ولا يُقال فيه: ما يجب وفيه ما يُسْتَحَبُّ، لكن يقال: الرضا بذلك واجب، ولو كان من المستحبات؛ فالمستحبات الرضا بها واجب، وفعلها مُسْتَحَبُّ.

وإذا كان المقدور من المعاصي، فلا يُرضى بها، لقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]. فيُحرم الرضا بالمعاصي.

وقول المؤلف: **(والصبر على حكم الله)**: والصبر على حكم الله واجب، أم مستحب، أم فيه تفصيل؟

الجواب: إن كان المراد بذلك الحكم الشرعي فهو بحسبه؛ فإن الحكم الشرعي يختلف: فهناك أمور واجبات، فالصبر على أدائها واجب، وهناك مُسْتَحَبَّات، فالصبر على فعلها مُسْتَحَبُّ، وهناك محرمات، فالصبر على تركها واجب. وإن كان بذلك الحكم القدري، فإن كان من قبيل الشدائد والمصائب، فالصبر عليها اجب.





وجوب الإيمان بالقدر



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِأَقْدَارِ اللَّهِ كُلِّهَا، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، حُلُوُّهَا وَمُرُّهَا.

الشَّرْحُ:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، فلا يصح الإيمان إلا بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر فلا إيمان له، وهو من جملة الكافرين، وسبق الكلام فيما يتعلق بالقدر، ومسائل القدر، ومراتب القدر، ومن ضل في هذا الباب، فلا نكرر الكلام حول ذلك.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْإِيمَانُ بِأَقْدَارِ اللَّهِ كُلِّهَا، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، حُلُوُّهَا وَمُرُّهَا): والشر في القدر باعتبار المقدور لا باعتبار فعل الله، فإن الشر لا يُضاف إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لا إلى ذاته، ولا إلى أسمائه، ولا إلى صفاته، ولا إلى أفعاله. وكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ». فلا يُضاف الشر إلى رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما الشر موجود في المقدور. والشر الموجود في المقدور: أهو شرُّ محض، أم من وجه دون وجه؟

الجواب: شر من وجه دون وجه؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ لما خلق الشرور خلقها لحكمة، حتى رأس الشر إبليس، خلقه الله لحكمة.

وخلق الله عَزَّوَجَلَّ الكافرين لحكمة، وخلق الله عَزَّوَجَلَّ الذنوب والمعاصي لحكمة. فالشر الموجود في الكون هو من قبيل الشر النسبي؛ لأنه من جهة هو شر، ومن جهة أخرى - كما عرفنا - خلقه الله عَزَّوَجَلَّ لحكمة عظيمة. وإلا فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يخلق شيئاً في الكون ويكون من قبيل الشر المحض الذي ليس لله فيه حكمة، هذا لا يكون؛ فلا

يخلق الله **عَزَّوَجَلَّ** شيئاً في الكون من هذا القبيل بحيث يكون من قبيل الشر المحض الذي ليس لله في خلقه حكمة؛ فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حكيم في أفعاله.

□ قال الإمام البرهاري رحمه الله:

وَالْإِيمَانُ بِمَا قَالَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ**: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا هُمْ فَاعِلُونَ، وَإِلَى مَا هُمْ صَائِرُونَ؛ لَا يُخْرَجُونَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَلَا يَكُونُ فِي الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ إِلَّا مَا عَلِمَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ**.
وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَا خَالِقَ
مَعَ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**.

الشرح:

وهذا شيء معلوم وقد مر معنا فيما مضى، وعلمنا أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بكل شيء عليم، وأنه يدخل في ذلك أفعال العباد. وقد كتب الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأمر القلم أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وإذا كان الجنين في بطن أمه، فإنه يؤمر الملك بكتابة أربع كلمات: "بِكْتَبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٌ". كل ذلك مكتوب: الرزق مكتوب، والأجل مكتوب، والعمل مكتوب، ما سيعمله من خير ومن شر مكتوب، كتب جميع ذلك وما زال العبد في بطن أمه، فكل شيء مكتوب، وقد علمه رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فهذه أمور معلومة، وإنما يذكرها العلماء في كتب العقيدة لخلاف غلاة القدرية في ذلك؛ فإن الأمر عندهم أنف، وأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يعلم من أعمال العباد إلا ما عملوها في الماضي، وما هم عاملون لها في الحاضر، وأما ما لم يعملوها في المستقبل، فعندهم أن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يعلم ذلك، وهذا هو الكفر بعينه. وهم الذين قال



فيهم الإمام الشافعي رحمه الله عليه: "حَاجُّوا الْقَدْرِيَّةَ بِالْعِلْمِ، فَإِنْ أَنْكَرُوهُ كَفَرُوا، وَإِنْ أَثْبَتُوهُ خُصِمُوا".

قوله: (وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ): جاء هذا في حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيما رواه أبو داود وغيره. جاء عن زيد بن ثابت، وجاء عن غيره، لكن زيد بن ثابت هو الذي رفعه إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإلا فقد جاء عن جماعة من الصحابة، لكن رفعه زيد بن ثابت.

ولفظ أبي داود عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدْرِ، فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ.

وروى أحمد عن أبي الدرداء، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فَرَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ وَرِزْقِهِ وَأَثَرِهِ وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ». وهو حديث صحيح.

قال: (وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك). وهذا من الإيمان الواجب، من الإيمان بقدر الله عَزَّجَلَّ. "ما أصابك لم يكن ليخطئك". وإذا علم العبد ذلك؛ رضي بالقضاء، رضي بما قضاه الله عَزَّجَلَّ عليه من الشدائد والمحن. وسلم من أن يقول: "لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا". فهذا شيء قدره

الله **عَزَّوَجَلَّ** عليك، ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك من الخير والنعمة لم يكن ليصيبك، فهذا قضاء الله. فإذا اعتقد العبد هذا الأمر؛ اطمأن قلبه، وحصل له الرضا بمُرّ القضاء. فعلى كل حال: هذا من جملة الإيمان بقضاء الله وقدره.

قال: **(وَلَا خَالِقَ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ)**. وأيضاً هذا من جملة الإيمان بالقضاء والقدر؛ فإن من الإيمان بالقدر أن يؤمن العبد أن الخالق هو الله **عَزَّوَجَلَّ**. **(وَلَا خَالِقَ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ)**. ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]. والآيات في ذلك كثيرة؛ وهي تدل على هذا المعنى، وهذا أمر معلوم بالضرورة؛ أن الخالق هو الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وقد نازع في بعض ذلك القدرية، فنازعوا في مسألة أفعال العباد، فقالوا: نحن الذين خلقنا أفعالنا، فأشركوا بالله **عَزَّوَجَلَّ** في توحيد الربوبية؛ فإن الله خالق كل شيء، ويدخل في هذا أفعال العباد. فالله خلق العباد وخلق أفعالهم. والقدرية قالوا: نحن الذين خلقنا أفعالنا، فكانوا بذلك مشركين في توحيد الربوبية، ولهذا قيل فيهم: "مجوس هذه الأمة".

ومن شبه القدرية في هذا الأمر قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]. قالوا: الإفك من أفعال العباد، والله **عَزَّوَجَلَّ** نسب الإفك إليهم خلقاً، فقال: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، فقالوا: إذن نحن الذين خلقنا أفعالنا.

والجواب عن ذلك أن يقال: إن المراد بقوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ أي: تكذبون وتفترون؛ فإن الخلق يأتي المراد به: الكذب، كقول العرب: "أحاديث مخلوقة". أي: مكذوبة مفتراة، فالخلق يُراد به الكذب. فمعنى ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ أي: تكذبون وتفترون الإفك على ربكم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وليس المراد بالخلق: الإيجاد، وإنما المراد به: الكذب.



وفي بعض القراءات في قول قوم هود **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧] يعني: ما جاء به هود **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ﴿خَلْقُ﴾ وما معنى الخلق؟ معناه: الكذب أي: إن هذا إلا كذب وافتراء الأولين. فالخلق يأتي والمراد به: الكذب. وهذا هو المراد بقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءً﴾. وليس المراد أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم.

وفي قول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، هل المراد بالخلق: الإيجاد، أم ما المراد بذلك؟
المراد به التصوير.

والتصوير يمكن لغير عيسى، لكنه محرم لكنه لا يترتب عليه خلق الله تعالى لتلك الصورة، وهل يجوز للشخص أن يصور ذوات الأرواح أم محرم؟

الجواب: لا يجوز ذلك وهو محرم، لكن الله **عَزَّوَجَلَّ** أباحه لعيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، والذي جعل تلك الصورة طيرًا هو الله عز وجل، والذي حصل من عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هو أنه صوّر كهيئة الطير فنفخ فيه، والله **عَزَّوَجَلَّ** هو الذي جعله طيرًا. فالخلق من عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بمعنى: التصوير، وليس المراد بذلك: الإيجاد. وأما الإيجاد فالله **عَزَّوَجَلَّ** هو الذي أوجد الطير، وهو الذي خلق الطير بمعنى أوجده، وصيره طيرًا. وإلا فعيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لا يخلق بمعنى يُوجد الشيء من العدم، هذا أمر اختص الله به، ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، ما من خالق إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وقد وَجَّه الآية على هذا التوجيه شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في رده على النصراني في "الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح"، وبين أن الخلق الذي حصل من عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هو: التصوير. وأن هذا يستطيعه غير عيسى،

لكن الله عَزَّجَلَّ حرمه، هكذا ذكر رحمة الله عليه. حرمه، وأذن فيه لعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. لكن ما حصل بعد ذلك هو بإذن الله، فعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَوَّرَ، والذي أوجده وجعله طيرًا هو رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن أجرى هذا الأمر على يده من باب الآية. وجعله آية لعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وما الدليل على أن الخلق يأتي على معنى التصوير؟
الدليل قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي» رواه البخاري
ومسلم عن أبي هريرة.

وما المعنى: «يَخْلُقُ كَخَلْقِي»؟
المراد بالخلق: التصوير. فيأتي الخلق المراد به: التصوير. ويأتي الخلق والمراد به
كما عرفنا: الكذب. ويأتي الخلق والمراد به: التقدير.
ولأنت تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وبعض الناس يخلق ثم لا يفري
بمعنى: تُمضي ما قدرت. "مَا خَلَقْتَ" أي: ما قَدَّرْتَ. فالتقدير يدخل في مسمى
الخلق، والكذب يدخل في مسمى الخلق، والتصوير يدخل في مسمى الخلق. وما
الذي اختص الله به؟ وهو الإيجاد.

وقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في شأن المَصَوِّرِينَ، كما في الصحيحين من حديث
عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» المراد بالخلق: التَّصْوِير. وليس
المراد بالخلق: الإيجاد.





التكبير على الجنازة



□ قال الإمام البهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْتَكْبِيرُ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعٌ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَالْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْفُقَهَاءَ، وَهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

الشرح:

الحسن بن صالح بن حَيٍّ، له بعض الشذوذات الفقهية، رحمة الله عليه.
قال: (والتكبير على الجناز أربع). هذه مسألة من المسائل الفقهية، وليست من مسائل العقيدة. وأكثر العلماء على ما ذهب إليه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: من أن التكبير على الجناز أربع تكبيرات، ومنهم من ينقل استقرار الإجماع على ذلك، وفيه نظر. لكن على كل حال: أكثر العلماء على الأربع التكبيرات.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عندما صلى على النجاشي كبر عليه أربعاً، وجمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الناس على أربع، كما جاء ذلك في "مصنف عبد الرزاق" و"مصنف ابن أبي شيبة" بإسناد حسن: أنه استشار الناس في التكبيرات على الجناز، فمنهم من قال: كبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أربعاً، ومنهم من قال خمساً، ومنهم من قال سبعاً، فجمع الناس على أربع. فعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جمع الناس على أربع تكبيرات.

والذي جاء عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الأربع، والخمس.

والخمس جاء في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم.

فالأربع التكبيرات ثابتة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والخمس التكبيرات ثابتة في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم، وهكذا السبع، السبع أيضاً ثابتة عن النبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفي حديث استشارة عمر، من الصحابة من قال لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كبر سبعا. منهم من قال خمسا، ومنهم من قال سبعا، ومنهم من قال أربعا، فجمع الناس على أربع.

والتسع أيضا ثابتة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه كبر على عمه حمزة، لكن جاءت خارج الصحيح. وأما الست: فثبتت عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، التكبير ستا، والثلاث: ثابتة عن عبد الله بن عباس وعن غيره.

لكن أكثر الأدلة على الأربع، وأكثر العلماء على الأربع التكبيرات. وكل ما ثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يجوز فعله، كما حرر ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة.

فهذه مسألة من مسائل الفقه، ليست من مسائل العقيدة، والنزاع فيها حاصل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. منهم من كان يكبر ثلاثا، ومنهم من كان يكبر ستا وسبعا، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُكَبِّرُ سِتًّا عَلَى الْبَدْرِيِّينَ، فمن كان من أهل بدر، كبر عليه ستا، وكبر أيضا سبعا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فعلى كل حال: النزاع في هذه المسألة ثابت عن الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وهي مسألة من مسائل الفقه، والمخالفة فيها يسيرة ولا يُعَدُّ المخالف فيها من أهل الأهواء، ولا يدخل في البدع.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْتَكْبِيرُ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعٌ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَالْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَالْفُقَهَاءَ، وَهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ):
والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما قال: «كبروا أربعا»، لكن هذا فعل فعله رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنه لما صلى على النجاشي كبر عليه أربعا.



وما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْجَنَائِزِ فَكَبِّرُوا عَلَيْهَا أَرْبَعًا»، بل ثبت عنه، كما عرفنا، أنه كبر أربعًا، وخمسًا، وسبعًا، وتسعًا، كل هذا ثابت من فعل رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.



ملائكة القطر

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ مَعَ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى يَضَعَهَا حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح:

هذا الأمر الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ مما يُحتاج في إثباته إلى دليل صحيح. ومسائل العقيدة تُؤخذ من الأدلة الصحيحة من كتاب الله أو من سنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا أعلم حديثاً صحيحاً حول هذه المسألة: (الإيمان بأن مع كل قطرة ملك ينزل من السماء حتى يضعها حيث أمر الله عَزَّوَجَلَّ).

فمسائل العقيدة لا تثبت إلا بالأدلة الصحيحة الثابتة عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ مع إمامته في السنة، غير أنه فيما يتعلق بالحديث، ما عنده كبير تحري رحمة الله عليه.





الإيمان بسماع أهل قليب بدر لكلام رسول الله ﷺ



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَلَّمَ أَهْلَ الْقَلِيبِ يَوْمَ بَدْرٍ - أَيْ الْمُشْرِكِينَ -
كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ.

الشرح:

وأما هذا فقد جاء في الصحيحين من حديث أنس، وجاء أيضًا في البخاري من حديث عبد الله بن عمر، فهذا مما صحت به السنة. فإن النبي ﷺ خاطب المشركين وهم في قليب بدر، وسمعوا خطابه، كما أخبرنا بذلك نبينا ﷺ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ». فهم سمعوا كلامه، وهذا مما نشبهه لدلالة السنة عليه، هذا مما نشبهه من سماع الأموات. فالأموات قد يسمعون بعض الأمور كما دلت على ذلك الأدلة، فما أثبتته الأدلة أثبتناه من سماع الموتى، وما نفتته الأدلة نفينا، وما هو مسكوت عنه سكتنا عنه. فهذا الموضع مما دلت عليه الأدلة.

وهكذا سماع الميت لقرع نعال أصحابه بعد دفنه، فإن هذا مما دلت عليه السنة. جاء في ذلك حديث أنس في الصحيحين في قوله: «إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ». فهذا مما نشبهه؛ لأن النبي ﷺ أثبتته.

ومما نفتته الأدلة: سماع الميت لدعاء من يدعو، كما قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ١٣﴾. إن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ

وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلَ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤]. فبيّن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن من دعاهم فإنهم لا يسمعون دعاءهم. فمن دعا الميت من دون الله **عَزَّوَجَلَّ**، فإنه لا يسمع دعاء من يدعوه، فهذا مما نجزم بعدم سماع الموتى له؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد نفاه: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

وهناك من أهل العلم من أثبت سماع الموتى لسلام المُسلِّمين من الزائرين، كما أثبت ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمة الله عليهما؛ احتجاجاً بالسلام على الموتى بكاف الخطاب، كما في حديث زيارة القبور: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ**» رواه مسلم. السلام عليكم بكافة الخطاب.

والأصل أنه يُخاطَب بكاف الخطاب من يسمع الخطاب، هذا هو الأصل. فذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمة الله عليهما إلى إثبات السماع في هذا الموضع.

فعلى كل حال: ما أثبتته الأدلة أثبتناه، وما نفتته الأدلة نفيناها، وما كان لا يُدرى عنه فهو من أمر الغيب، فلا يُدرى هل الموتى يسمعون أو لا يسمعون؟ فهذا من أمر الغيب؛ فنكف عما لا نعلم، ولا نثبت إلا ما أثبتته الأدلة.





الأجر على المرض وأجر الشهيد



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَرَضَ يَأْجُرُهُ اللهُ عَلَى مَرَضِهِ. وَالشَّهيدُ يَأْجُرُهُ اللهُ عَلَى الْقَتْلِ.

الشرح:

وهذا لا يختص بالمرض، بل بسائر المصائب والشدائد. بشرط الصبر، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلْيَبْلُغْكُمْ بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ۖ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فالعبد ينال الأجر وينال الخيرات إذا حصل له الصبر على مر القضاء. وأما إذا لم يحصل منه الصبر، فالمصائب كفارات، أي: كفارات دون حصول ثواب، والثواب معلق بالصبر.

قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ١٥٧]. الصلاة والرحمة من الله **عَزَّجَلَّ** والهداية، هذه أمور معلقة على الصبر. لكن إذا حصل التسخط ولم يحصل الصبر، يَأْثَمُ على التسخط.

والمصائب عقوبات من الله **عَزَّجَلَّ**، يحصل فيها تكفير للسيئات. فإن تكفير السيئات قد يكون بعقوبات دنيوية، وقد يكون بعقوبات برزخية، وقد يكون بعقوبات في أرض المحشر، وقد يكون في نار جهنم. فإذا ما نزلت الشدائد على العبد، سواء كانت في حياته الدنيا، أو نزلت عليه شدائد في قبره، أو في أرض المحشر، أو في نار

جهنم، كل هذه يحصل فيها تكفير للسيئات. لكن الثواب والأجر ورفع الدرجات والهداية والرحمة والصلاة من الله **عَزَّوَجَلَّ**، هذه في حق الصابر: ﴿وَيَسِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

والمؤلف يقول: **(وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَرَضَ أَجَرَهُ اللَّهُ عَلَى مَرَضِهِ)**. قلنا: بهذا الشرط، بشرط الصبر.

قال: **(وَالشَّهِيدُ يَأْجُرُهُ اللَّهُ عَلَى شَهَادَتِهِ)**: وله الأجر العظيم. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَاءِ اتِّتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]. فلهم الأجر العظيم من رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والثواب الكبير. ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝﴾ [التوبة: ٥٨-٥٩].
فلهم الرزق الحسن، والمدخل الكريم، ولهم النعمة والراحة والثواب الكبير، فهذا معلوم من الأدلة المتكاثرة.





الإيمان بتألم الأطفال



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْأَطْفَالَ إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَأْلُمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَكْرَ ابْنِ أُخْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ قَالَ: لَا يَأْلُمُونَ، وَكَذَبَ.

الشَّرْحُ:

قال: (وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْأَطْفَالَ إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا يَأْلُمُونَ). هذا أمر من الأمور الظاهرة المعلومة التي لا يحتاج الإنسان فيها إلى برهان، لكن يذكرها العلماء في كتب العقيدة من أجل هذا الشذوذ، الذي شذ به بكر بن أخت عبد الواحد، وهو من الخوارج، صاحب الفرقة "البكرية" من فرق الخوارج، وكان يذهب إلى هذا المذهب وهو: أن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا فإنهم لا يألمون، ويُجيز أن يكونوا يتلذذون بذلك مع صياحهم وبكائهم. وهو لا يجزم بقضية التلذذ، لكنه عنده من الأمور الجائزة، فجائز عنده أن يكون الأطفال يتلذذون، مع كونهم يصيحون ويبكون! وأما نفي الألم فإنه جزم بذلك، فهم عنده لا يألمون، وهذا مما تعجب منه العقلاء، واستنكره العلماء على هذا الرجل، وقال من قال منهم: "جميعنا قد مر في الصغر، ويعرف نفسه في الصغر، وأنه كان يتألم أشد الألم، ويتألم ألمًا لا يُطاق". فهذا شيء يعلمه الإنسان في نفسه قبل سن التكليف، فيعلم من نفسه أنه كان يصاب بالأوجاع والآلام والأمراض، وأنه يتألم من ذلك أشد التألم. فهذا القول الذي قاله من الأمور العجيبة، وله أشياء أخرى عجيبة، سواء في مسائل الفقه أو في غير مسائل الفقه.



ومما شذ به من مسائل الفقه: أنه كان يرى أن الوضوء ينتقض بقرقرة البطن، لا بخروج الحدث، بل بمجرد القرقرة! فإذا قرقرت البطن، فإن الوضوء ينتقض بذلك! ويرى حرمة أكل الثوم والبصل، لكن الفقهاء ما اعتدوا به، فليس هو من أهل الفقه والدراية. وهكذا يرى أن من كذب كذبة، أو سرق شيئاً يسيراً، أو وقع في كبيرة من كبائر الذنوب، أنه من المخلدين في نار الجحيم، وأنه من الكافرين ومن المشركين! إلا إذا كان بدرياً، فيكون واقعاً في الكفر الأكبر والشرك الأكبر، وهو في الجنة! فهذا رجل صاحب عجائب! ولم يلتفت العلماء له ولا إلى أقواله، وإنما يذكرون ذلك من باب التعجب مما يقول من هذه الأمور العجيبة المضحكة.





دخول الجنة برحمة الله عَزَّوَجَلَّ



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِ.

الشرح:

قد قال ذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث أبي هريرة في الصحيحين، وحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ». فالعبد إنما يدخل الجنة برحمة الله عَزَّوَجَلَّ. وأما العمل فهو سبب لنيل رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وليس بعوض ولا ثمن، فما هو ثمن للجنة، ولا هو عوض لها، فإن الجنة أعظم من أعمال العباد. وإنما ينال العبد رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بسبب عمله.

فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُوا لَجْنَةً أُرْسِلْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، أي: بسبب عملكم. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، أي: بسبب ما كانوا يعملونه. فالعبد إن عمل صالحًا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يرحمه بذلك العمل، وإذا رَحِمَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ؛ أدخله الجنة. وإلا فإن أعمالنا لا تفي بنعمة من نعم الله عَزَّوَجَلَّ. ليس بنعمة الجنة، بل بنعمة من نعم الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا! لو أخذت جميع أعمالنا مع نعمة البصر، لكانت نعمة البصر أعظم من أعمالنا. فكيف بنعم لا تحصى، كنعمة السمع، ونعمة العقل، ونعمة النفس، وغير ذلك من النعم الكثيرة: ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فأعمالنا ليست بثمن لنعمة من نعم الله علينا في الدنيا؛ فضلًا عن أعظم النعيم وأفضل النعيم، وهو نعيم الآخرة. فالذي يظن أن عمله يوازي الجنة،

وأنه يكون عوضاً للجنة، فهو مغفل، ما علم قدر نعم الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه. فإنما يدخل العبد برحمة الله **عَزَّوَجَلَّ**، والأعمال كما عرفنا هي سبب؛ ينال العبد بها رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال: **(وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ)**. وهذا الكلام خلاف ما عليه المعتزلة القدرية، فالمعتزلة القدرية يرون أن العبد يدخل الجنة بعمله، يعني: أن العمل هو عوض الجنة، فهذا مذهب القدرية، ومذهب المعتزلة، وهو خلاف ما تدل عليه الأدلة. ومن أجل هذه المسألة وغيرها من المسائل، أعلن علماء السنة الحرب على القدرية، فإنهم تكلموا بأمور لا تليق، وخاضوا في أمور لا تليق في جانب ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.





وما ربك بظلام للعبيد

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يُعَذِّبُ اللهُ أَحَدًا إِلَّا بِذُنُوبِهِ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ وَلَوْ عَذَّبَ اللهُ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِينَ بِرَّهْمٍ وَفَاجَرَهُمْ عَذَابُهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّهُ يَظْلِمُ، وَإِنَّمَا يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالْدَّارُ دَارُهُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ وَلَا يُقَالُ: لِمَ وَكَيْفَ؟ وَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ.

الشرح:

وهذا من عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أن الله لا يعذب العباد إلا على قدر ذنوبهم. قال: (وَلَا يُعَذِّبُ اللهُ أَحَدًا إِلَّا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ). وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ حكم عدل، لا يظلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العباد: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]. وفي حديث أبي ذر، الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا» [رواه مسلم]. فحرم الله عَزَّوَجَلَّ على نفسه الظلم من باب الجود والكرم، وحرمه على عباده. فلا يعذب الله عبده إلا على قدر ذنوبه، بعكس الثواب، فإن الحسننة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة؛ لأن الثواب فضل الله عَزَّوَجَلَّ، والعذاب عدله. وفضل الله عَزَّوَجَلَّ واسع. وأما عدله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعذب العباد إلا على قدر ذنوبهم.

قوله: (وَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يُعَذَّبُ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ) فهناك من يقول: إن الإنسان يدخل الجنة بعمله وأن الأعمال من قبيل العوض والثلث للجنة، وهذا مذهب المعتزلة، ومذهب القدرية.

قال: (وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِرَّهْمٍ وَفَاجِرَهُمْ عَذَابُهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ). وبهذا جاء حديث زيد بن ثابت الذي رواه أبو داود وغيره ورفعته إلى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وجاء عن غير زيد موقوفاً، جاء عن أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، فإن ابن الديلمى جاء إلى أبي بن كعب، وسأله أن يحدثه بشيء عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فإنه وقع في نفسه شيء من القدر، فحدثه بهذا الحديث، ثم ذهب إلى ابن مسعود؛ فحدثه به، ثم ذهب إلى حذيفة بن اليمان؛ فحدثه به، ثم ذهب إلى زيد بن ثابت؛ فحدثه عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** به، وفيه: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ». فهذا الحديث ثابت عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. لكنه ما دخل في عقول القدرية!! ولهذا كذبوه، وردوه، ولم يؤمنوا به، وهو حق تكلم به رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وليس هو من الظلم في شيء. "لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ". فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إذا عذب أهل السماوات وأهل الأرض، فإنما يعذبهم بعدله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وبيان ذلك: أن الخلق لم يؤدوا شكر نعمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم، ومعلوم أن شكر النعم من الواجبات. والله **عَزَّ وَجَلَّ** على خلقه النعم العظيمة، ولم يحصل من العباد شكر هذه النعمة، وإنما التقصير وارد من الجن ومن الإنس، ومن غيرهم. فنعمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أعظم من أعمال العباد، ولو مكث العبد منذ أن حصل له التكليف إلى أن يموت في عبادة مستمرة، في ليله وفي نهاره، فإنه لن يؤدي شكر نعمة من نعم الله **عَزَّ وَجَلَّ** عليه. فكيف



ونعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه كثيرة لا تحصى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾
[إبراهيم: ٣٤]. فإذا عذبهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لعدم القيام بشكره الواجب، لعذبهم الله **عَزَّ وَجَلَّ**
وهو غير ظالم لهم.

ولو نظرنا إلى المكلفين من الجن ومن الإنس، فلا يخلو مكلف من الوقوع في شيء من الذنوب والمعاصي. يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» رواه مسلم.
فالعباد يخطئون في الليل وفي النهار. وفي الحديث الذي فيه ضعف، وإن كان معناه يؤيده - الحديث الماضي - حديث أبي ذر: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس.

فالخطأ والزلل حاصل من البشر، كَبُرَ الخطأ أو صَغُرَ، والتقصير في شيء من الواجبات حاصل من المكلفين من الجن أو من الإنس. وغاية ما يُقال: إن ذلك المكلف الذي وقع في الذنب أنه يتوب إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فكيف يُعذب، وهو ربما يتوب إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** منه؟ فيقال: قبول التوبة من الله **عَزَّ وَجَلَّ** من فضله، وإذا عاقب الله العبد بسبب ذنبه ولم يقبل منه التوبة، فهذا عدل منه، فالعبد بمجرد الذنب يستحق العقوبة، وكون الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقبل توبة التائبين هذا من فضل الله. لكن لو عامل الله **عَزَّ وَجَلَّ** العباد بعدله وجازاهم على ذنوبهم وإن تابوا منها، فإذا عذبهم، لعذبهم وهو غير ظالم لهم؛ لأن قبول توبة التائب إنما هو من فضل الله وكرمه وجوده على عباده.

فعلى كل حال: فإنَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إذا عذب العباد، لعذبهم عذاباً يستحقونه، لكنه كريم جواد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يرضى من عباده الشكر اليسير، والقيام بالشيء اليسير من الأعمال، ويجازيهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** أعظم من أعمالهم، ويعفو رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن تقصيرهم في شكر نعمه، ويعفو عن تقصيرهم في بعض الواجبات، ويعفو عن كثير

من السيئات، ويتوب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على من تاب، كل هذا من فضله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. أما لو جازى الله العباد بعدله وعذبهم على ما حصل منهم من الذنب والتقصير، لعذب أهل السماوات وأهل الأرض وهو غير ظالم لهم، كما بيّن ذلك نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

وللعلامة ابن القيم رحمة الله عليه الكلام النفيس في معنى هذا الحديث، وفي توجيهه، وفي بيان صدق ما قاله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بما لا مزيد عليه. فمن أراد الكلام الحسن الجميل في شرح هذا الحديث، وفي تقريره، وفي توجيهه، فليرجع إلى ما سطره الإمام ابن القيم في مواطن متعددة من كتبه ومصنفاته رحمة الله عليه.

يقول: **(لو عذب الله أهل سماواته):** والذين في السماوات هم الملائكة.

(وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِرَّهْمٍ وَفَاجِرَهُمْ، عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ). لا يجوز أن يقال لله **عَزَّجَلَّ** إنه ظالم، هذا شيء معلوم من الدين بالضرورة، والذي يقول إن الله **عَزَّجَلَّ** ظالم، فهو من الكافرين.

قال: **(لا يجوز أن يقال لله عز وجل إنه ظالم، وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له، والله له الخلق والأمر، الخلق خلقه، والدار داره):** قول المؤلف: **(لا يجوز أن يقال لله عز وجل إنه ظالم).** هذا كلام صحيح، لكن ما ذكره المؤلف من معنى الظلم: **(وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له)**، هذا كلام غير صحيح، فليس هذا هو المراد بالظلم، وقد حصل النزاع في معنى الظلم. فمن الناس من يقول: الظلم هو أن يتصرف الشخص فيما لا يملك بغير حق، أو هو مخالفة أمر من تجب طاعته، وهذا هو معنى الظلم عند الجبرية، وإن وافقهم في ذلك بعض علماء السنة، وهو من قبيل الخطأ.

ومن أهل العلم من يقول: الظلم هو تصرف الشخص في غير ملكه بغير حق، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو مالك كل شيء، فإذا تصرف في أي شيء في ملكه، فليس بظالم؛ لأنه تصرف في ملكه. والظالم الذي يتصرف في ملك غيره بغير حق. أو الظلم: مخالفة أمر



من تجب طاعته، وليس فوق الله **عَزَّجَلَّ** أمر. فالظلم في حق الله **عَزَّجَلَّ** من الأمور المحالة عندهم؛ لأنه ما فوق الله **عَزَّجَلَّ** أمر، حتى يُتصور حصول الظلم، فهو لاء عندهم الظلم هو الشيء المحال الذي لا يمكن حصوله، هذا مذهب الجبرية.

وأما القدرية فذهبوا إلى أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه هو الظلم المحرم على العباد، فقاسوا الخالق على المخلوق، فما كان في المخلوق من قبيل الظلم جعلوه في الله **عَزَّجَلَّ** من قبيل الظلم، فقاسوا الخالق على المخلوق. ومعلوم أن القدرية ممثلة في باب الأفعال، فمثلوا الخالق بالمخلوق. والمشهور عند أئمة السلف في الظلم أنه: وضع الشيء في غير موضعه، هذا هو الظلم، فهذا هو القول الصحيح في معناه.

وأما على قول الجبرية، فيكون الظلم من قبيل الأمور المحالة التي لا يمكن أن تكون، مثل: وجود خالق غير الله **عَزَّجَلَّ**، فإن هذا من الأمور المحالة. فالظلم عندهم من الأمور المحالة؛ لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير بغير حق، وكل ما في الكون هو ملك الله **عَزَّجَلَّ**، فلا يمكن حصول الظلم، ولو كان الظلم من الأمور المحالة، فلما قال الله **عَزَّجَلَّ**: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي».

وهل يقال هذا في الأمور المحالة أم في الأمور الممكنة؟ هذا يكون في الأمور الممكنة؛ فيمكن أن يفعله، وأن لا يفعله. والله **عَزَّجَلَّ** يمكنه أن يفعل هذا، لكنه حرمه على نفسه لكمال عدله، والله **عَزَّجَلَّ** يبغض الظلم، ويكرهه؛ لكمال عدله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، فهذا يدل على أن الظلم من الأمور الممكنة، لكن الله **عَزَّجَلَّ** حرمه على نفسه.

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** يقول: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]. فبين الله **عَزَّجَلَّ** أن العبد لا يخاف الظلم ولا يخاف الهضم.

ما المراد بالظلم والهضم؟

الظلم: أنه يؤخذ بسيئات غيره. والهضم: أنه ينقص من حسناته. فإذا كان الظلم من الأمور المحالة، فكيف يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾؟ وهل يُخاف من الشيء المحال الذي لا يمكن حصوله؟

فما يُخاف من الشيء المحال الذي لا يمكن حصوله. وهذا يدل على أن الظلم من الأمور الممكنة.

وهكذا يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. وأيش يدل هذا؟

الجواب: على أن الظلم من الأشياء الممكنة، لكن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يظلم، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾، فالله **عَزَّوَجَلَّ** لا يظلمه بأن يهضمه من عمله، وينقصه. ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يُحمِّله أوزار غيره، وذنوب غيره. فهذا يدل على أن الله **عَزَّوَجَلَّ** إذا أنقص حسنات المحسن، وأضاف إلى المسيء أعمال غيره، أن هذا من قبيل الظلم. وهنا الله **عَزَّوَجَلَّ** متصرف في ملكه، أم في غير ملكه؟ متصرف في ملكه، وهذا يدل على أن هذا التصرف، وإن كان في الملك، هو من قبيل الظلم. فقول من يقول: إن الظلم هو التصرف في ملك الغير بغير حق، لا يستقيم، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** بين أن هذا من قبيل الظلم، مع أنه إن فعل ذلك فهو متصرف في ملكه. فإن أنقص من حسنات المحسن هو متصرف في ملكه، وإن حمَّل المسيء ذنوب غيره، هو متصرف في ملكه، ومع هذا بين الله **عَزَّوَجَلَّ** أن هذا من الظلم، ونفاه الله **عَزَّوَجَلَّ** عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فهذا من عدل الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.



فالأدلة تدل على أن الظلم من الأمور الممكنة، وما هو من الأمور المحالة. فأما على مذهب الجبرية، فيكون الظلم من الأمور المحالة. وما مشى عليه المؤلف هو الذي مشى عليه الجبرية، وإن قال به بعض علماء السنة، لكنهم أخطأوا في ذلك، وخالفوا الأدلة.

فالكلام الصحيح أن الظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه. وعند الجبرية، لو أدخل الله **عَزَّجَلَّ** المؤمنين النار، وأدخل الكافرين الجنة، أن هذا ما هو من قبيل الظلم؛ لأنه سبحانه متصرف في ملكه، لكن على القول الصحيح في تعريف الظلم، فإن هذا من قبيل الظلم؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه، وهو من قبيل الظلم.

فقول المؤلف في هذا الموضع: **(وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِرَّهْمٍ وَفَاجَرَهُمْ عَذْبُهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ إِنَّهُ ظَالِمٌ، وَإِنَّمَا يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ)**، هذا كلام غير صحيح، ليس هذا المراد بالظلم.

وقال الله تعالى: **﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** [النحل: ١١١]. وهذه الآية تدل على أن النفوس إذا لم توفَّ ما كسبت كان ذلك ظلمًا، لكن عند الجبرية ليس هذا بظلم؛ لأن الله متصرف في ملكه. فكل هذه الأدلة وغير هذه الأدلة تدل على أن الظلم من الأمور الممكنة، غير أن الله **عَزَّجَلَّ** حرم ذلك على نفسه، وكره ذلك ومقته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

إذن هذا القول، وهذا التعريف للظلم، يتمشى على مذهب هؤلاء، على مذهب الجبرية، على ما سبق ذكره.

قال: **(وَاللَّهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالْدَّارُ دَارُهُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)**.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وذلك لكمال عدله، وكمال حكمته، إنما يُسأل المخلوق؛ لأنه يحصل منه الجهل، ويحصل منه الظلم، ويحصل منه البغي. وأما الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لكمال عدله، وكمال حكمته، فما فعله هو غاية الحكمة، وغاية العدل. **(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وَلَا يُقَالُ لِمَ وَكَيْفَ، وَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ):** وهذا كلام صحيح، لكن يجب أن نعتقد أن الله **عَزَّوَجَلَّ** هو العدل، وأحكامه دائرة بين الحكمة والعدل، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وعرفنا مذهب القدرية في مسألة الظلم، وأنهم قاسوا الخالق على المخلوق، فما كان ظلمًا في جانب المخلوق فهو ظلم في جانب الخالق على مذهب هؤلاء. والسبب في ضلال القدرية والجبرية في هذا الباب هو ضلالهم فيما يتعلق بمسألة أفعال العباد. والجبرية - كما هو معلوم - ذهبوا إلى أن الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الذي فعل أفعال العباد، وأن العبد مجبور على فعله، والحقيقة عندهم أن الفاعل لأفعال العباد هو الله **عَزَّوَجَلَّ**، هذا حقيقة كلام الجبرية.

وأفعال العباد كحركة المرتعش، ليس له فيها اختيار، وكحركة الميت بين أيدي المغسلين، ليس له في ذلك اختيار، فهذا مذهب الجبرية.

فلما قيل لهم: إذا كان الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الذي فعل تلك الأفعال فيهم، وليس لهم فيها اختيار، فلماذا يُعذبهم ربهم على شيء لم يفعلونه باختيارهم؟ فهذا ظلم، والله **عَزَّوَجَلَّ** منزّه عن الظلم، فأرادوا أن يخرجوا من هذا الأمر، فقالوا: الظلم هو أن يتصرف الشخص في غير ملكه، وأما الله **عَزَّوَجَلَّ** فهو متصرف في ملكه، فليس هذا بظلم، فأرادوا أن يخرجوا أنفسهم من هذه الشناعة، ففسروا الظلم بهذا التفسير، من أجل هذا الأمر. فالظلم عندهم: هو أن يتصرف الشخص في غير ملكه.



والله **عَزَّوَجَلَّ**، وإن أكرههم على الذنوب والمعاصي، وفعل فيهم تلك الذنوب والمعاصي من غير اختيار منهم، وعذبهم على ما لا اختيار لهم فيه، فإنه بجميع ذلك متصرف في ملكه، وليس هذا بظلم.

والحقيقة أن هذا هو عين الظلم الذي تنزه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عنه.

والقدرية فهموا أن هذا هو معنى خلق الله **عَزَّوَجَلَّ** لأفعال العباد - أي فهموا ما فهمته الجبرية - لكنهم رأوا أن هذا من قبيل الظلم، فأرادوا أن يُنزهوا ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن الظلم، فقالوا: إذن نحن الذين خلقنا أفعالنا، ولهذا يعذبنا الله **عَزَّوَجَلَّ** على تلك الذنوب والمعاصي؛ لأنهم فهموا من خلق الله لأفعال العباد أن العبد ليس له مشيئة ولا اختيار، وأنه مجبور على تلك الأفعال، وهذا ظلم. والجبرية قالوا: ليس هذا بظلم. والقدرية رأوا أن هذا من قبيل الظلم.

فأرادت القدرية أن ينزهوا الله تعالى من هذا الظلم فقالوا: نحن الذين خلقنا أفعالنا، وذلك حتى ينزهوا الله **عَزَّوَجَلَّ** عن الظلم، فضلوا في هذا الباب ضللاً بعيداً. والجبرية أيضاً ضلت حيث جعلت هذا الأمر ليس من الظلم، والقدرية ضلوا حيث أنهم زعموا أنهم الذين خلقوا أفعالهم، وذلك حتى ينزهوا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن الظلم.

وهناك بعض أئمة السلف دعاه إلى موافقة الجبرية في تعريف الظلم هو عدم فهمهم للحديث الذي أشار إليه المؤلف في هذا الموضع: "**لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم**". فأشكل هذا الحديث على بعض علماء السنة: فقالوا: الفاجر أمره ظاهر، لكن البر: كيف إذا عذبه يعذبه وهو غير ظالم له؟ إذن: الظلم الذي نفاه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن نفسه حرمه على نفسه هو التصرف في ملك الغير، والله **عَزَّوَجَلَّ** إن عذب الأبرار فهو يتصرف في ملكه، وليس هذا بظلم. فالذي



ألجأ بعض علماء السنة إلى هذا الخوض هو الإشكال الوارد في هذا الحديث، وقد عرفنا فيما مضى أنه ليس فيه إشكال، وأن الله **عَزَّجَلَّ** إذا عذب من في السماء وفي الأرض عذبهم بسبب ذنوبهم، ولا يخلو أحد من ذنب، ومن جملة الذنوب: عدم شكر النعم، ونعم الله **عَزَّجَلَّ** لا تحصى. ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. إلى غير ذلك من الأمور التي توسع في الكلام حولها العلامة ابن القيم رحمة الله عليه.

هذا ملخص ما يتعلق بهذه المسألة، وبيان سبب الخوض في معنى الظلم إلى تلك المذاهب التي لا تخلو من شيء من الخطأ والزلل.





ضعف إسلام من طعن في الآثار عن الرسول والصحابة



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعُنُ عَلَى الْأَثَارِ وَلَا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ
الله ﷺ، فَاتَّهَمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيٌّ الْمَذْهَبِ وَالْقَوْلِ.
وَإِنَّمَا طَعَنَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ؛ لِأَنَّا إِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ، وَعَرَفْنَا رَسُولَ
الله ﷺ، وَعَرَفْنَا الْقُرْآنَ، وَعَرَفْنَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِالْأَثَارِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ
إِلَى السُّنَّةِ أَحْوَجُ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْقُرْآنِ

الشرح:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: "إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من
أخبار رسول الله ﷺ، فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل رديء المذهب والقول". فإذا
كان يطعن في السنة عموماً، فهذا رجل زنديق، لا حظ له في الإسلام.
فالذي ينكر السنة عموماً، فهذا لا شك في كفره وزندقته. أما فيما دون ذلك، فهو
على خطر عظيم، فإذا كان الحديث من الأحاديث المختلف فيها، فالأمر هين، وإذا
كان الحديث من الأحاديث المتلقاة بالقبول، وردَّ ذلك الحديث من غير شبهة تأويل،
فهو أيضاً من الكافرين؛ لأنه رد خبر رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكذَّبه فيما يقول، ولا
يجوز أن يكذب النبي ﷺ ولا بكلمة واحدة.
وإذا كان هناك شبهة تأويل، أو غير ذلك من موانع التكفير فلا يكفر لوجود ذلك
المانع.

فقد يرى أن ذلك الحديث مُعارضٌ لأدلة القرآن، فلا يأخذ به لحصول المعارضة عنده. يقول: هذا الحديث عارضته الآية.

أو أن هذا الحديث يخالف الحديث الآخر وهو أصح منه، فهذه شبهة تأويل. فأما أن يأتي إلى حديث صحيح مُتلقى بالقبول، ويقوم بتكذيبه من غير أي حجة ولا شبهة في رأسه، وإنما هكذا مُعانة للآثار، فهذا لا شك في كفره.

فعلى كل حال: هذه المسألة من المسائل الخطيرة، وقد قع فيها من وقع من أهل البدع والأهواء، فهناك من لا يقبل بعض الأحاديث بدعوى أنها في مسائل العقيدة، وأنها أخبار آحاد، وأخبار الآحاد لا تُقبل في باب العقيدة، كما عليه جمع كثير من أهل البدع والأهواء، ولولا التأويل المانع من التكفير لكانوا على أمر عظيم، حيث ردوا حديث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ولم يقبلوه في أمر من أمور العقيدة. وأحاديث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الصحاح تُقبل في العقائد وتُقبل في الأحكام. لكن هؤلاء وقعوا فيما وقعوا فيه لشيء من الشبه، فلهذا امتنع العلماء من تكفيرهم بسبب هذا الأمر، وإلا فإن المسألة من المسائل الخطيرة: فكيف لا يقبل الشخص حديث رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بحجة أنه خبر آحاد، وأن أخبار الآحاد لا تُقبل في العقائد، فهذا ضلال مبين. فأحاديث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الصحيحة، سواء كانت من قبيل المتواتر أو من قبيل الآحاد، كلها تُقبل في العقائد وتُقبل في الأحكام على حد سواء.

وأما الذي ينكر السنة بالكلية، هو في الحقيقة ينكر السنة والقرآن؛ فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه في آيات متعددة يأمر الناس بالأخذ بهدي رسوله ويأمر بطاعته وبامثال أمره، وينهاهم عن معصيته. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، والأدلة في ذلك متكاثرة. فالذي يطعن في السنة، هو يطعن في السنة والقرآن، ويُعد من الكافرين والعياذ بالله.



قوله: (وَلَا يَطْعَنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا عَلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا عَرَفْنَا اللَّهَ، وَعَرَفْنَا رَسُولَهُ، وَعَرَفْنَا الْقُرْآنَ، وَعَرَفْنَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، بِالْأَثَارِ).

هكذا الذي يطعن في الصحابة فإنه من هذا القبيل، فالذي يطعن في الصحابة، ولا يقبل أحاديث الصحابة لأنهم ارتدوا أو أنهم فسقوا، فإنه أيضًا يُعد من الكافرين؛ لأن الطعن في الصحابة حقيقته الطعن في الكتاب والسنة. فإذا حكمنا على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالردة، أو بالفسق، على جميع الصحابة أو على أكثرهم، مؤدَى هذا القول أننا لا نقبل الأخبار التي جاءت عن أولئك الصحابة. ومن أين جاءنا القرآن؟ فما بلغ إلينا إلا عن طريق الصحابة. ومن أين جاءت السنة؟ إلا عن طريق الصحابة. فإذا طعنّا في الصحابة، فقد طعنّا في القرآن والسنة، أي: طعنّا في الإسلام بالكلية، ورددنا الإسلام بالكلية. فهذا من الأمور العظيمة، وقد سبق الكلام عن هذه المسألة في بعض الدروس الماضية، وعرفنا أن هذا من أعظم الكفر، ومن أشد الكفر، وعرفنا ما له من اللوازم العظيمة المنكرة، وأنه طعن في الله عزَّجَل، وطعن في رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

طعن في الله عزَّجَل؛ لأنه جعل أصحاب خير الرسل شرار الخلق، فهذا طعن في حكمة الله عزَّجَل، إذ كيف يختار أفضل الرسل ويختار له شرار الأصحاب. فهذا طعن في حكمة الله عزَّجَل.

وطعن في رسول الله؛ فإن من يصاحب الأشرار فهو منهم، فهذه هي السنة الجارية. فإذا كان أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هم شر الخلق، فمن صاحبهم فهو مثلهم، وإنما يُعرف الشخص بجليسه، ومن كان أصحابه من الأشرار فهو منهم، ومن كان أصحابه أصحاب الفسق والفجور فهو منهم؛ فإن الشخص يُصاحب ويجالس من

يجانس. و«الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» رواه البخاري ومسلم.

قال: (بِالْآثَارِ). أي: بالآثار عن الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال: (فَإِنَّ الْقُرْآنَ إِلَى السُّنَّةِ أَحْوَجُ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْقُرْآنِ). باعتبار أن السنة هي التي فسّرت القرآن، وأوضحت القرآن. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. فالله عَزَّجَلَّ أنزل الذكر وهو القرآن، على نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ليسين لهم هذا الذكر، وإنما بين لهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بسنته. قال: (فَإِنَّ الْقُرْآنَ إِلَى السُّنَّةِ أَحْوَجُ)، باعتبار أن السنة هي التي تفسر القرآن وتبين مجمل القرآن. لولا السنة ما عرفنا كيف نصلي، لولا السنة ما عرفنا كيف نصوم، لولا السنة ما عرفنا كيف نحج، ولا عرفنا كيف نؤدي الزكاة؛ فإن القرآن أمر بهذه الأمور على سبيل الإجمال، وجاءت السنة مُبَيِّنَةً. قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» رواه البخاري. وقال: «لِتَأْخُذُوا مِنْ أَسْكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» رواه مسلم.

وبين النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الزكاة: فَبَيَّنَ الأموال الزكوية، وبين الأنصبة، وبين ما يجب إخراجها من المال، وهكذا بين النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصيام كيف يكون. وكل هذا مُبَيِّنٌ ومفسر وموضح في السنة، والقرآن أمر الله عَزَّجَلَّ بهذه الأمور على سبيل الإجمال، أو أمر بأكثرها على سبيل الإجمال، وجاءت السنة مفسرة ومبينة.



النهى عن الكلام والخصومة في القدر

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْكَلَامُ وَالْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ فِي الْقَدَرِ خَاصَّةٌ مِنْهُيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جَمِيعِ الْفِرَقِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللَّهِ، وَنَهَى الرَّبُّ جَلَّ وَتَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدَرِ، وَنَهَى النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخُصُومَةِ فِي الْقَدَرِ، وَكَرِهَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَرِهَهُ التَّابِعُونَ، وَكَرِهَهُ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْوَرَعِ، وَنَهَوْا عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقَدَرِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانِ وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ، وَاسْكُتْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ.

الشرح:

انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللهُ إلى بيان ذم الكلام والجدال والخصومة في القدر، والمراد بذلك: ما غاب عنا من أمور القدر، فما غيبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنَا مِنْ أُمُورِ الْقَدَرِ، فلا نبحت عنه. وليس المراد بذلك أننا نترك الكلام في القدر بالكلية؛ فإن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يصح الإيمان إلا بالإيمان بالقدر خيره وشره. فما جاءت به الأدلة من أمور القدر يجب علينا أن نؤمن به، فنؤمن بمراتب القدر وهي الأربع المراتب: مرتبة العلم، والكتابة، والمشية، والخلق. ومنهم من يقسم المراتب إلى مرتبتين تجمع الأربع المراتب.

فنؤمن أن الله عَزَّجَلَّ علم كل شيء في الأزل، وأمر القلم بكتابة ما سيكون إلى قيام الساعة، قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ونؤمن أن الخير والشر من

الله **عَزَّوَجَلَّ**، بمعنى: أن الله هو الذي خلق ذلك، وأن الشر لا يُنسب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** لا إلى ذاته ولا إلى صفاته ولا إلى أفعاله، لكنه مخلوق من مخلوقات الله **عَزَّوَجَلَّ**. فخلق الله **عَزَّوَجَلَّ** الشر لحكمة، لا لإرادة الشر.

فتؤمن بما دلت عليه الأدلة في مسائل القدر. وإنما الذي نَهَى عنه من مضى من السلف: هو أن نسعى في كشف ما أخفاه الله عنا، ونحاول أن نكشف ما أخفاه الله عنا من أمور القدر، فهذا فوق عقولنا.

ونعتقد على سبيل الإجمال أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حكيم، وأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** رحيم. ففضاء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وقدره يدور بين حكمته ورحمته. فالله **عَزَّوَجَلَّ** لا يظلم العباد، وهو أرحم بنا من أنفسنا ومن آبائنا ومن أمهاتنا، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حكيم في أفعاله. وهذا خلاف ما عليه الجبرية، فالجبرية نفوا عن الله **عَزَّوَجَلَّ** الحكمة والرحمة، يقولون: الله **عَزَّوَجَلَّ** يفعل ما يشاء من غير حكمة ولا رحمة، والعياذ بالله. ونُقل عن الجهم بن صفوان أنه كان يخرج على المبتلين بالجدام وبغيره، ويخاطب الناس ويقول: "أرحم الراحمين يفعل هذا" يعني: يصيب هؤلاء بهذا البلاء وهذا الجدام. يريد أن يقول: إن هذا دليل على أن الله ليس برحيم، فيريد أن يحتج بأن الله **عَزَّوَجَلَّ** ليس برحيم بذلك، إذ لو كان رحيمًا لما فعل هؤلاء المبتلين هذا الأمر، وهذا جهل محض فإن ذلك لا ينافي الحكمة ولا الرحمة، والوالد الرحيم قد يضع ولده عند طبيب يشق بدنه ويؤلمه الألم الشديد من أجل أن يدفع عنه ما هو أشد من ذلك وليس ذلك مناف لرحمة الأب بولده، وأمر الله أعظم من ذلك. فالجهمية جبرية وهم نفاة الحكمة في أفعال الله **عَزَّوَجَلَّ**، ونفاة الرحمة، فيرون أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يفعل ما يشاء بخلقه بغير حكمة ولا رحمة، والعياذ بالله. وهذا القول كفر بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وخلاف الأدلة.



والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** له الحِكم العظيمة في الابتلاء، والعبد يُبتلى بالابتلاءات العظيمة وهي من رحمة الله به. وكم للعبد من الفوائد الكبيرة والكثيرة في الابتلاءات، من تكفير السيئات، ومن رفع الدرجات، ومن إرجاع الفارين إليه، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. والله **عَزَّ وَجَلَّ** الحكم الكثير، فهو حكيم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في قضائه وقدره.

الجبرية خاضوا في القدر بهذا الخوض الباطل، ونفوا حكمة الله **عَزَّ وَجَلَّ** ونفوا رحمة الله، ويقول قائلهم: "ما في على الخلق أضرّ من الخالق". تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وهذا عين الكفر بالله **عَزَّ وَجَلَّ**، أن يُقال مثل هذه المقولة في حق أرحم الراحمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي وسعت رحمته كل شيء. فأدى بهم الحال إلى مثل هذه العبارات القبيحة المُنْتنة.

والقدرية في هذا الباب، في باب القدر كما هو معلوم، أدخلوا عقولهم في باب القدر، وأوجبوا على ربهم أشياء، قاسوا الخالق على المخلوق، فنظروا إلى أصحاب الابتلاءات والامتحانات الذين ابتلاهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالأمراض والأوجاع، فقالوا: الله **عَزَّ وَجَلَّ** ابتلاهم، ويجب عليه العِوض، فابتلاهم ويجب عليه أن يعوضهم على هذه الآلام والأوجاع، وهكذا غير المكلفين، إن ابتلاهم الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فيجب عليه العِوض، فخاضوا بهذا الأمر، وقالوا إن لم نقل هذا فإننا نصف ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالظلم، فخاضوا بأمور القدر خوفاً لم تدل عليه الأدلة الشرعية، فالواجب هو الانكفاف عن مثل هذه الأمور.

فنعقد أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حكيم، وأنه رحيم، وأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إذا أنزل المصائب والشدائد بالمكلفين أو بغير المكلفين، فليس هذا لأنه ليس برحيم ولا حكيم، تعالى الله عن ذلك، بل الله **عَزَّ وَجَلَّ** في ذلك الحكم البالغة، وله الرحمة الواسعة في مثل هذه المقادير. ولا ندخل عقولنا في شيء قد كتبه الله عنا، ولهذا يقول الحكماء: "القدر سر الله المكتوم".

وفي حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه الطبراني في معجمه، وله شاهد مرسل من مراسيل طاووس بن كيسان اليماني، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إذا ذكر القدر فأمسكوا». والحديث يُثبت العلامة الألباني في الصحيحة، وله شواهد واهية، لكن أحسن ما فيه حديث ابن مسعود عند الطبراني، ومرسل من مراسيل طاووس بن كيسان اليماني، وما سوى ذلك فهي شواهد واهية.

فالشاهد أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «وإذا ذكر القدر فأمسكوا». فالأشياء التي لم يكشفها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لنا من أمور القدر، فلا نخوض فيها بعقولنا، ونعتقد عقيدة عامة في الله **عَزَّ وَجَلَّ**: أنه حكيم، وأنه رحيم، وأن الله **عَزَّ وَجَلَّ** لا يظلم العباد في قضائه وفي قدره، وفي ما سوى ذلك، فالظلم نفاه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن نفسه، ولا تكشف ما كتبه الله عنا من سره في أمر القدر، كما خاض في ذلك القدريّة، وخاض في ذلك الجبريّة والعياذ بالله.

قوله: **(وَالْكَلَامُ وَالْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ فِي الْقَدْرِ خَاصَّةٌ مِنْهُي عَنْهُ عِنْدَ جَمِيعِ الْفِرَقِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللَّهِ)**: وهذا من قول الحكماء، ليس حديثاً عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وإنما مما يُنقل عن الحكماء: "القدر سر الله". والمعنى صحيح على ما سبق إيضاحه وبيانه؛ فهناك أشياء من أمور القدر يعلمها الله **عَزَّ وَجَلَّ** ولم يكشف لنا أمرها، فلا نخوض بعقولنا في تلك الأمور.



وسبق الكلام فيما يتعلق بالأمر الواجب في القدر: أننا نؤمن بما جاءت به الأدلة من أمور القدر، ولا نبحث عن الشيء المستور عنا، لكن نؤمن بما جاءت به الأدلة من إثبات مراتب القدر.

قال: (لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللَّهِ، وَنَهَى الرَّبُّ جَلَّ وَتَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدَرِ، وَنَهَى النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخُصُومَةِ فِي الْقَدَرِ): أما نهى وارد من حيث الأدلة الشرعية، مما نقله النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن ربه أنه نهى عن كذا أو نهى عن كذا، فما أعلم دليلاً في هذه القضية، وإن كان كما عرفنا المعنى صحيح: وهو أن الإنسان لا يخوض في القدر الذي ستره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ. وذكرنا حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا»، فيما رواه الطبراني في معجمه، وجاء كما عرفنا من مراسيل طاووس، وحديث ابن مسعود مع مرسل طاووس يحصل القوة بهما، ويثبت الحديث بذلك.

فيدل هذا الحديث على هذا المعنى، وهو أن الإنسان لا يخوض في أمر القدر الذي ستره الله علينا، وما كشفه الله لنا من أمر القدر فإننا نؤمن به، وتعلمه، وما كان مستوراً من أمور القدر فلا نبحث عنه، ونؤمن كما عرفنا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَكِيمٌ، وأنه رحيم، خلاف ما كان يقوله الجهمي - كان يمر على الأمراض، على المبتلين بالجذام وبغيره ويقول -: "أرحم الراحمين يفعل هذا"، يريد أن ينفي رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ. وهم نفاة للرحمة والحكمة، فالجهمية والجبرية نفاة للرحمة والحكمة.

قال: (وَكَرِهَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَرِهَهُ التَّابِعُونَ، وَكَرِهَهُ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْوَرَعِ، وَنَهَوْا عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقَدَرِ): ولما خاض القدرية في القدر، واقتحموا في الأمر الذي نهى عنه، ضلوا ضلالاً بعيداً، في مسائل القدر، سواء كانوا جبرية أو

كانوا قدرية. فأدخلوا عقولهم في مسائل القدر، وخاضوا في أمر ستره الله عن الخلق بعقولهم الفاسدة، فظلوا ضللاً بعيداً.

قال: (فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانِ وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ). بأن تعلم وتقر بأن الله علم كل شيء، وكتب كل شيء، وشاء سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وخلق، وكل شيء خلقه الله عَزَّجَلَّ بقدر، فهذه الأمور العامة مما يجب الإيمان بها.

قال: (وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ، وَاسْكُتْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ): نعم، اسكت عما سوى ذلك، فلا يخوض الإنسان فيه في الأمور التي سترها الله عنا، فنكف ألسنتنا عنها، والذي يخوض في ذلك يضل. والذي يُدخل عقله في هذه الأمور فإنه يضل، كما ضلت الجبرية وضلت القدرية.





الإيمان بالإسراء والمعراج



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيْمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَصَارَ إِلَى الْعَرْشِ، وَكَلَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَاطَّلَعَ إِلَى النَّارِ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللهِ عَزَّجَلَّ، وَنُشِرَتْ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ، وَرَأَى سُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِينَ، فِي الْيَقْظَةِ، حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَى الْبُرَاقِ حَتَّى أَدَارَهُ فِي السَّمَاوَاتِ، وَفَرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ لَيْلَتَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ.

الشرح:

انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللهُ إلى ما يتعلق بمسألة الإسراء والمعراج.

والإسراء والمعراج ثابتان في كتاب الله عَزَّجَلَّ، وفي سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السنة المتواترة، وبإجماع الأمة.

قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]. والسنة متواترة، جاءت في الصحيحين وفي غير الصحيحين.

ولا يُعلم متى كان الإسراء والمعراج من حيث السنة ولا من حيث الشهر ولا من حيث اليوم، والنزاع كبير بين العلماء: متى كان الإسراء والمعراج؟ منهم من يقول: قبل الهجرة بسنة، ومنهم من يقول: بثلاث سنين، منهم من يقول: بخمس، منهم من يقول: بست، وليس على ذلك مستند صحيح. وهكذا اختلفوا في الشهر اختلافاً لم

ينضبط من حيث الأدلة الشرعية: هل كان في ربيع، وهل كان في غير ذلك من أشهر السنة؟ فلا يثبت متى كان الإسراء من حيث السنة ولا من حيث الشهر ولا من حيث اليوم.

والقول بأنه كان في السابع والعشرين من رجب مما لا أصل له، مما لا مستند له صحيح، وهذا أمر لم يُضبط؛ لأننا لم نتعبد فيه بشيء.

والأزمان التي تعبدنا فيها بشيء فإنها مضبوطة في الشرع، فتعبدنا بصيام شهر واجب، وضبط هذا الشهر وهو شهر رمضان. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وتعبدنا أيضًا بفريضة الحج، في أشهر معلومة، وضبطت هذه الأشهر شرعًا، وهي أشهر الحج الثلاثة. ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]. هو شيء معلوم مضبوط لا يُجهل. فالأزمان التي فيها عبادات تعبدنا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بها فإنها مضبوطة.

وأما الأزمنة التي لم يتعبدنا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيها بشيء، فإنها لم تضبط، ولم يهتم المسلمون بضبطها، ما اهتم بذلك رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ولا اهتم بذلك الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين، ولا من جاء بعدهم من التابعين ومن أتباع التابعين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين.

وهكذا ما يتعلق بالإسراء والمعراج، فهذا الزمن ما تعبدنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** فيه بشيء، لا بفعل عيد ولا احتفال ولا غير ذلك. فلما لم يتعبدنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** فيه بشيء، لم يضبط شرعًا. والتعبد فيه بأي نوع من أنواع العبادات من الأمور المحدثه، يدخل في قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري ومسلم.



قال المؤلف: **(وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ):** والصواب أن يقال: أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَعُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ. فالإِسْرَاءُ كان كما قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]. هذا هو الإسراء، فالإِسْرَاءُ ذكره الله عَزَّوَجَلَّ وذكره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأنه كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. فمبدأ الإسراء: المسجد الحرام، ومنتهاه: المسجد الأقصى.

والإِسْرَاءُ هو السير ليلاً، فكان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وبعد الإسراء حصل المعراج. والمعراج كان من المسجد الأقصى إلى السماء السابعة. ولهذا يُقال: "ليلة الإسراء والمعراج".

فالمعراج: العروج الذي هو الصعود بآلة الصعود، وهي آلة تشبه السلم. والإِسْرَاءُ كان على البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. إذن: هناك فرق بين الإسراء والمعراج.

فقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)**. الصواب أن يقال: **(عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)**. وأما الإسراء فإنما كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

قال: **(وَصَارَ إِلَى الْعَرْشِ، وَكَلَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَاطَّلَعَ إِلَى النَّارِ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ)**. وكل هذا وارد في أدلة الإسراء والمعراج، وهي أدلة كثيرة.

وأما قوله: **(وَصَارَ إِلَى الْعَرْشِ)**: وهذا مما يُحتاج فيه إلى دليل صحيح أنه صار إلى العرش. والأدلة دلت على أنه بلغ إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام، وأما أنه

صار إلى العرش، فإثبات ذلك يُحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (وَصَارَ إِلَى الْعَرْشِ، وَكَلَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَاطَّلَعَ إِلَى النَّارِ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَنُشِرَتْ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ): وأدلة الإسراء والمعراج تدل على هذا المعنى. وصلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالأنبياء كما هو معلوم في بيت المقدس، كما في أدلة الإسراء والمعراج.

قال: (وَرَأَى سُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ): والسُّرَادِقَاتُ بمعنى الأسوار، فالسور يُطلق عليه: سُرْدَاق، والسُّرَادِقَاتُ بمعنى الأسوار. ﴿لَحَاطٌ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، بمعنى أسوارها. وإثبات ذلك يُحتاج إلى دليل صحيح، وهو أن العرش والكرسي يُحيط بهما السُّرَادِقَاتُ، فهذا من أمور الغيب، وإثبات مثل هذا يُحتاج فيه إلى دليل صحيح ثابت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا أعلم دليلاً يدل على هذا المعنى. والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عليه لم يكن له عناية بالحديث، فلهذا يأتي بأشياء غريبة، ما هي معروفة في كتب السنة، رحمة الله عليه.

قال: (وَرَأَى سُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِينَ، فِي الْيَقْظَةِ): وأيضاً هذا مما يُحتاج فيه إلى دليل، أنه رأى جميع ما في السماوات وما في الأرضين، على هذا التعميم فرأى كل شيء في السماوات ورأى كل شيء في الأرضين، أي: في السبع الأرضين، فمثل هذا يُحتاج فيه إلى دليل صحيح يدل عليه، ولا أعلم دليلاً يدل على هذا.

قال: (وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِينَ، فِي الْيَقْظَةِ): وكون الإسراء والمعراج كان في اليقظة، ولم يكن في المنام، هو الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة من أدلة القرآن ومن أدلة السنة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾



[الإسراء: ١]. وهذا يدل على أنه إسرائ على أنه إسرائ حقيقي، ويدل على أنه بروحه وبدنه. فإن هنالك من يقول: إن الإسرائ كان بالروح دون البدن، والذين قالوا: إن الإسرائ بالروح دون البدن لا يُريدون إسرائاً منامياً، فلا يريدون هذا المعنى أنه من قبيل الإسرائ المنامي. فهناك من ذهب إلى أن الإسرائ كان في المنام، أي: رؤية منامية من باب ضرب الأمثال، ولم يكن من قبيل الحقيقة وإنما من قبيل ضرب الأمثال عن طريق ملك الرؤيا.

ومن قال: إن الإسرائ كان بروحه، يريد أن رُوح النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** خرجت من غير موت، فحصل لها خروج من الجسد وصعود وإسرائ من غير موت، وهذا لا يكون إلا بموت في حق غير النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فإن الروح إذا خرجت حصل الموت، فيرون أن هذا إسرائ خاص بالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** خرجت روحه وصعدت من غير موت. ففرق بين من قال: إن الإسرائ من قبيل المنام وبين من قال أُسري بروحه دون بدنه، كما بين ذلك العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ**.

والقول بأن الإسرائ كان بالروح دون البدن ذكره ابن إسحاق عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وعن معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهذا مما لا يثبت، لا عن عائشة ولا عن معاوية، هو من قبيل المراسيل، ومن قبيل المنقطعات، ويُنقل عن الحسن البصري والله أعلم بثبوته.

والمعروف والمشهور عند أئمة السنة أنه كان بروحه وبدنه، وفي الآية: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]. والعبد يطلق على الروح والبدن، ولم يقل: "سبحان الذي أسرى بروح عبده". وإنما قال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾. وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى﴾ [الإسراء: ١]. فهذا التسييح يقتضي التعظيم، ولو كانت المسألة من قبيل الرؤية المنامية، فهل هذا شيء عظيم أم مُعتاد؟

الجواب: هذا شيء معتاد فالإنسان في منامه يرى العجائب، فمثل هذا التسبيح يدل على حصول أمر عظيم، وأنه من قبيل الإسراء الحقيقي، فأُسرِيَ بالنبِيِّ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حقيقة يقظة، ولهذا كان من الأمور العظيمة التي تستدعي التسبيح، الذي يدل معناه على التعظيم. ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١]. والأصل في الرؤية، رؤية اليقظة دون المنام، هذا هو الأصل في الرؤية.

وقال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨].

والأصل في الرؤية: رؤية اليقظة، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:

١٧]. والبصر يتعلق بالبدن أم بالروح؟

البصر يتعلق بالبدن، وهذا يدل على أنها رؤية بصرية.

فالأيات التي ذكرها الله **عَزَّ وَجَلَّ** تدل على أن الإسراء كان حقيقياً، وما هو بإسراء منامي، ولا رؤية منامية، بل هو إسراء حقيقي، شاهد النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ببصره، ورأى الآيات الكبرى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

وهكذا ركب النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في إسرائه البراق، وهذا يدل على أنه أُسرِيَ ببدنه، فإن البدن هو الذي يحصل له الركوب، ليس الروح، فهذا يدل على أنه إسراء حقيقي، وأنه كان بالبدن، إلى غير ذلك من القرائن المتكاثرة التي تدل على هذا المعنى، وهو أن الإسراء كان بالروح والبدن.

ولو كان في المنام لما أنكره كفار قريش، فإن أمر المنام تحصل فيه العجائب مما لا يُنكر، فإنكار كفار قريش دل على أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أخبرهم أنه إسراء ومعراج حقيقي، كان ببدنه وروحه، ولم يكن من قبيل المنام.



إذن: هذا هو القول الصواب الذي تدل عليه الأدلة، وهو أن الإسراء والمعراج كان يقظة ولم يكن منامًا، وكان بروحه وجسده. ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره، ففؤاد النبي ﷺ ما كذب ما شاهده ورآه ببصره.

فكل هذه الأدلة تدل على أنه إسراء حقيقي، وأنه إسراء بالروح والبدن، إسراء يقظة ما هو في المنام، وهذا هو الذي ذكره المؤلف في هذا الموضع.

وما جاء في حديث أنس في الصحيحين - في حديث الإسراء والمعراج - من نوم النبي ﷺ ومجيء الملكين إليه، وفي آخر الحديث أنه استيقظ، وهو عند المسجد الحرام أو «عند الحجر»؟ الحديث مُعَلَّل من أوهام شريك بن أبي نمر، فإن له الأوهام الكثيرة في حديث الإسراء والمعراج.

في حديث شريك ذكر ما يدل على أنه رؤية منامية، ففي أوله رؤية منامية وفي آخره حصول الاستيقاظ من رسول الله ﷺ، وهي رواية مُعَلَّلَةٌ عند حفاظ الحديث. وعلى فرض ثبوتها، فبعض العلماء يقول: لعلها كانت رؤية منامية ثم جاءت كفلق الصبح، فإن النبي ﷺ كان يرى الرؤيا ثم تكون كفلق الصبح، كما رأى النبي ﷺ أنه يدخل المسجد الحرام، ثم حصل هذا له حقيقة، فقد تكون رؤية منامية حصلت للنبي ﷺ في شأن الإسراء والمعراج ثم تحققت، وهذا إذا قلنا إن الرواية صحيحة، قد سبق أن حفاظ الحديث يُوهِّمونها، لكن على فرض صحتها فيقال: ربما كانت رؤية منامية متقدمة على الحقيقة، وكان النبي ﷺ - كما تقول عائشة -: يرى الرؤيا ثم تقع كفلق الصبح، فقد تكون رؤية منامية في أول الأمر ثم صارت على الحقيقة، كشأن رؤية النبي ﷺ بدخوله المسجد الحرام ثم حصل ذلك في الحقيقة.

قال: (حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَى الْبَرَاقِ حَتَّى أَدَارَهُ فِي السَّمَاوَاتِ): والبراق: «هُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبُغْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُتَهَيِّ طَرَفِهِ» رواه مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وحمل البراق النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وبعد ذلك جاء في بعض الأحاديث أنه صعد بالمعراج، وفي بعض أحاديث الإسراء والمعراج ما قد يُشعر بأن الصعود كان على البراق.

فعلى كل حال: المؤلف مشى على هذا الأمر فقال: (حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَى الْبَرَاقِ حَتَّى أَدَارَهُ فِي السَّمَاوَاتِ)، باعتبار أن هناك من الأحاديث ما قد يُفهم منه هذا المعنى. قال: (وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ): فالإسراء والمعراج كانا قبل الهجرة، لكنه لا يُدرى متى كان، فالله أعلم متى كان، على ما سبق بيانه وإيضاحه، لكنه كان قبل الهجرة.





مستقر أرواح الأموات



وَاعْلَمَ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضِرَ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَأَرْوَاحَ الْفُجَّارِ وَالْكَفَّارِ فِي بَثْرِ بَرَهُوتَ، وَهِيَ فِي سَجِّينَ.

الشرح:

قال: (وَاعْلَمَ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضِرَ). بهذا جاء أثر عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه فيما يتعلق بأرواح الشهداء، أنها في حواصل طير خضر. قال بعض العلماء: لما ضحوا بأجسادهم من أجل الله عَزَّ وَجَلَّ، عوضهم الله تلك الأجساد وهي الطير - وهذا قبل يوم القيامة - فعوضهم بأجسادهم، تلك الأجساد وهي الطير. ف«أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ» كما جاء في أثر عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم، وله حكم الرفع.

وجاء في حديث كعب بن مالك في شأن أرواح المؤمنين أنها طير في الجنة، جاء في المسند وعند ابن ماجه وعند النسائي وعند غيرهم.

وأما أرواح الشهداء ففي حواصل طير.

قال: (وَأَرْوَاحَ الْفُجَّارِ وَالْكَفَّارِ فِي بَثْرِ بَرَهُوتَ، وَهِيَ فِي سَجِّينَ). جاء في هذا أثر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه عبد الرزاق في مصنفه بإسناد صحيح. قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَشَرُّ بَثْرِ فِي النَّاسِ بَلَهُوتُ، وَهِيَ بَثْرٌ فِي بَرَهُوتَ تَجْتَمِعُ فِيهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ".

جاء الأثر - كما قلنا - عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد صحيح إليه، وهو يدل على هذه المسألة، وهذا الأمر من أمور الغيب، فما يقول هذا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة نفسه؛ لأن

أمر الأرواح وأين تجتمع الأرواح هذا من أمور الغيب. فقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه المقولة له حكم الرفع. فيصح ما قاله المؤلف رحمة الله عليه باعتبار هذا الأثر الثابت عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي رواه عبد الرزاق في مصنفه.





بعض أحوال البرزخ

□ قال الإمام البهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمَيِّتَ يَقْعُدُ فِي قَبْرِهِ، وَيُرْسَلُ اللهُ فِيهِ الرُّوحَ حَتَّى يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَنِ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، ثُمَّ تُسَلُّ رُوحُهُ بِلَا أَلَمٍ، وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الزَّائِرَ إِذَا أَتَاهُ، وَيُنَعَّمُ فِي الْقَبْرِ الْمُؤْمِنُ، وَيُعَذَّبُ الْفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللهُ.

الشَّرْحُ:

قال: (وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمَيِّتَ يَقْعُدُ فِي قَبْرِهِ وَتُرْسَلُ فِيهِ الرُّوحُ). جاء ذلك في حديث البراء بن عازب في البخاري، وجاء أيضاً في حديث أنس بن مالك في الصحيحين: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»، قال: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَقْعَدَانِهِ».

وإرسال الروح إليه جاء في حديث البراء مرفوعاً في المسند وغيره وفيه: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

قال: (حَتَّى يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَنِ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ)

جاء ذلك فيما رواه الترمذي ن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ

وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يَنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».

قال: (ثُمَّ تُسَلِّ رُوحَهُ بِلَا أَلَمٍ)، ويدل عليه حديث الترمذي إذ فيه: «فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».

قال: (وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الزَّائِرَ إِذَا زَارَهُ). الأدلة المرفوعة إلى النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في ذلك لا تثبت. لكن هناك من أهل العلم من نقل إجماع السلف بأن الميت يعرف ويستأنس بمن يزوره، وممن نقل الإجماع في ذلك ابن كثير في تفسيره، والعلامة ابن القيم في كتاب "الروح".

قال: (وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الزَّائِرَ إِذَا زَارَهُ). والميت في قبره، وإن كان من جملة الأموات، لكن قد جاءت من الأدلة ما يدل على أنه يحصل له شيء من الشعور بعد موته، فما دلت عليه الأدلة فإننا نشبته، وما لم يدل عليه الدليل فإننا نسكت عنه.

فمن ذلك ما جاء في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قال: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرَّجُلُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدْ مُنِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟». فهذا القول يحصل من الجنابة، يحصل من الميت، وهذا يدل على أن الميت في هذه الحال يشعر بما يفعل به.

وهناك من أهل العلم من ذهب أن هذا القول الحاصل من الجنابة هو كلام الروح، كما ذهب إلى ذلك العلامة ابن القيم - رحمه الله عليه - في كتاب "الروح": وذهب إلى أن الروح تحضر تغسيل الجسد، وتحضر الصلاة عليه، وتحضر تشييع



الجنابة، وهذه أقوال ليس لها مستند صحيح فيما أعلم، ومثل هذا لا يُعرف إلا عن طريق الوحي، ولا يُعرف له مستند صحيح.

وحديث البراء بن عازب - في رواية الحاكم في المستدرک - في شأن روح الفاجر: «فَيَرْمَى بِرُوحِهِ حَتَّى تَقَعَ فِي جَسَدِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]». فهذا هو الوارد في شأن الفاجر، فترمى روحه في جسده وليس في الحديث أنها تشهده قبل ذلك. وفي هذا الحديث: «وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَتَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟»، وغير الصالحة تشمل جسد المنافق وتشمل الكافر.

والروح في الحديث ما هي باقية مع الجسد، وإنما يُرمى بها من السماء رمياً إلى الجسد. فالقول بأن الروح تبقى مع الجسد في وقت التغسيل وفي وقت الصلاة وفي وقت تشييع الجنابة خلاف هذا الحديث. ولا يُقال الباقية روح المؤمن؛ لأن الحديث فيه: ذكر الصالحة وغير صالحة..

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه - أن هذا الكلام الذي تتكلم به الجنابة ليس هو بحديث للروح، وإنما هو حديث الجسد، وهو حديث يصدر من باطن الجسد، كما يحصل للنائم يتحدث بأشياء في باطنه، في منامه، ما هو بلسانه، وقد يشتد به الأمر ويخرج ما في باطنه على لسانه - أعني: النائم. فهناك كلام باطني يحصل للنائم، وهكذا يحصل لجسد الميت، كلام في باطنه لا يُسمع، ككلام النائم الذي يتكلم في باطنه ولا يسمعه من بجواره. فشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه - يحمل الحديث على هذا المعنى. وكلام شيخ الإسلام أصح.

الشاهد من هذا: أن الميت في هذا الوقت له شعور بما يُفعل به، فنُثبت ما أثبتته الدليل من الشعور في هذا الموضع.

وكذلك من الأدلة التي تدل على أن الأموات قد يحصل لهم شعور ببعض أمور الأحياء: حديث أنس الذي في الصحيحين في قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَّهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ**». فهذا يدل على أن الميت في تلك الحال يشعر ببعض أمور الأحياء، فيسمع قَرْع النعال إذا انصرفوا من المقبرة، فهذا مما نُثبِتُهُ؛ لأن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قد قاله وحدث به.

كذلك ما يتعلق بالسلام على الموتى، السلام على أهل القبور فإنه يُسلم عليهم بكاف الخطاب، وهذا يدل على أنهم يسمعون الخطاب، وهذا الأصل في استعمال كاف الخطاب، وهذا هو الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** وتلميذه العلامة ابن القيم.

كذلك مما يدل على هذا الأمر: حديث بشير بن الخصاصية الذي جاء في السنن، لما رأى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** رجلاً يمشي بنعليه بين المقابر، فقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**يَا صَاحِبَ السَّبْيَيْنِ، وَيَحْكُ أَلْقِ سَبْيَيْتِكَ**»، فَظَرَ الرَّجُلُ، فَلَمَّا عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** خَلَعَهُمَا فَرَمَى بِهِمَا **رواه أبو داود وغيره**. وهذا يدل على أن الموتى يتأذون، ولولا حصول الأذية لهم بهذا الفعل لما أنكره النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ومن هذا القبيل ما جاء في مسلم من حديث أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «**لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا**» **رواه مسلم**. فقال: «**لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ**»، وهذا يدل على أن الميت يتأذى بهذا الفعل من أفعال الحي، وأنه يشعر به ويتأذى، ولولا حصول الأذية لما نهى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عن هذا الأمر، فهذه أدلة تدل على أن الميت قد يحصل له بعض الشعور بأحوال الأحياء بشيء يصنعه الحي،



فما دلت عليه الأدلة بنبته، وما لم تدل عليه الأدلة فتتوقف فيه، وما جاءت الأدلة بنفيه فننفيه.

ومما جاءت الأدلة بنفيه: أنه لا يسمع دعاء الداعين، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. فمن دعا الميت من دون الله **عَزَّوَجَلَّ** فإن الميت لا يسمع، فهذا نفيه.

وهناك من أهل العلم من أثبت أمراً أوسع من هذا، وهو ما يتعلق بمسألة الرؤية، فهل تحصل للموتى رؤية ويشاهدون بعض أمور الأحياء أو لا يشاهدون؟ فمن أهل العلم من أثبت الرؤية لهم، واحتج بما جاء في المسند بإسناد صحيح عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** وَأَبِي، فَأَضَعُ ثَوْبِي، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمُرُ مَعَهُمْ - فَوَاللَّهِ - مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي؛ حَيَاءً مِنْ عَمَرٍ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "تعني أنه يراها". فظاهر أثر عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أنها ذهبت إلى هذا المذهب وهو حصول الرؤية لهم. وهذا القول فيه نظر والعلم عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

لكن أثر عائشة فهم شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** منها أنها كانت تذهب إلى هذا المذهب ولهذا كانت تشد على نفسها الثياب؛ لأن عمر يراها. وأما النبي **ﷺ** فهو زوجها، والصديق فهو أبوها، فكانت لا تبالي برؤية أبيها أو برؤية زوجها إذا وضعت ثيابها، ولما دفن عمر رضي الله عنه في حجرتها، شدت عليها ثيابها عند دخولها أو مرورها من ذلك الموضع.

كذلك من هذا الباب: حديث عقبة بن عامر، جاء في سنن ابن ماجه مرفوعاً إلى النبي **ﷺ** وجاء عند ابن أبي شيبة وعند غيره موقوفاً، والموقوف أصح

من المرفوع. وفي الموقوف والمرفوع. في المرفوع عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: **«وَلَا أُبَالِي أَوْسَطَ الْقُبُورِ قَضِيَتْ حَاجَتِي أَوْ وَسَطَ السُّوقِ»**. ففهم بعض العلماء من هذا الحديث، أن الشخص إذا قضى حاجته بين المقابر، فإن أهل القبور يشاهدونه كما يشاهده أهل السوق، فكما أن الإنسان يمتنع من أن يقضي حاجته في وسط السوق والناس يشاهدونه، فهكذا إذا قضى حاجته في وسط القبور فكأنه يقضي حاجته في وسط السوق، ولا فرق بين الأموات وبين الأحياء، فأولئك يشاهدونه وأولئك يشاهدونه.

فعلى كل حال: هذا ما يتعلق بمسألة الرؤية: هل تحصل لهم رؤية أو لم تحصل؟ وخلاصة القول فيها: الله أعلم، هذا أمر من الأمور الغيبية.

ومن هذا الباب ما يتعلق بتألم الميت، فهل يحصل له تألم ببعض أمور الأحياء، سواء كان من قبيل التألم الحسي أو التألم المعنوي أو لا.

فأما ما يتعلق بالتألم المعنوي، فجاء في ذلك حديث عمر بن الخطاب، وحديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في الصحيحين، عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: **«إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»**. وهناك أدلة متعددة واردة في الباب، وفيها أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: **«إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»**. وهل المراد بالعذاب العقاب، أو المراد بذلك التألم؟ في ذلك نزاع بين العلماء: ومن أهل العلم من رد الحديث بالكلية وطعن فيه ووهم من رواه، كعائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وكالإمام الشافعي رحمة الله عليه، فإنهم ردوا هذا الحديث، وردّ الحديث وتوهم الراوي فيه ما فيه من البعد والضعف؛ فإن هذا الحديث رواه جماعة من كبار الصحابة، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، ورواه أيضاً عبد الله بن عمر، ورواه آخرون، فتوهم الراوي فيه ما فيه من البعد.



ومن أهل العلم: من تأوله على من أمر بالبكاء عليه بعد موته، أي: أمر بالنياحة، فإنه يُعذب بمعنى يعاقب. وهذا إذا كان هو الأمر لأهله بالنياحة عليه.

ومنهم من تأوله: على من علم من أهله ذلك، وما أنكر عليهم في حياته، فإنه يُعذب بمعنى: يعاقب وإن لم يأمر به، لكونه ما أنكر عليهم في حياته، فإن فعلوا ذلك معه بعد موته، فإنه يُعذب بمعنى: يعاقب. فهؤلاء فهموا من العذاب العقاب، وتأولوه على المعنى الأول أو المعنى الآخر.

ومن أهل العلم: من تأول الحديث على معنى: التألم، وهذا الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فذهب إلى أنَّ المراد بالعذاب التألم، وليس المراد بالعذاب العقاب وهذا كحديث أبي هريرة في الصحيحين، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ» وما المراد بالعذاب: العقاب؟

الجواب: ليس المراد بذلك العقاب، وعرضهم فهم من الحديث فهمًا خاطئًا ثم رواه على حسب ما فهمه، وقال: السفر قطعة من نار جهنم. ففهم من العذاب العقاب ثم رواه على هذا الفهم الخاطئ.

والصحيح أنَّ المراد بذلك هو أن السفر فيه شيء من المشقة وآلام النفوس؛ لأنه فارق المعهود والمألوف والمحبوب، فيحصل للمسافر شيء من التألم في نفسه، وتدخل عليه المشقة، فهذا المراد بالعذاب، والمسافر قد يكون في سفر طاعة، وقد يكون في سفر مباح، وقد يكون في سفر معصية، والحديث عام: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ». فالمراد بذلك: ما يحصل للمسافر من ألم النفس لفراق المحبوب والمألوف، وما يحصل له من المشقة. فالشاهد من هذا: أن العذاب لا يلزم منه العقاب، فقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ». يقول شيخ الإسلام: المراد بذلك التألم، والمعنى: أنه إذا سمع من يبكي عليه يتألم، وهذا ألم

معنوي، والشخص قد يتألم بشيء ولا يكون هذا الشيء من العقاب عليه. فيتألم الإنسان بسماع أشياء، وإن لم يكن من باب العقاب، فإذا سمع بكاء أهله عليه فإنه يتألم من ذلك. وجّه الحديث - كما قلنا - شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى بهذا التوجيه، فيكون هذا من باب التألم المعنوي.

بقي ما يتعلق بالتألم الحسي: هناك من يحتج على التألم الحسي بحديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، الذي جاء في المسند، وجاء في بعض أهل السنن كأبي داود وابن ماجه وعند غيرهم، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**كُسِرَ عَظْمُ الْمَيِّتِ كَكُسْرِ حَيًّا**» فمن أهل العلم: من فهم من الحديث التألم، وأن الحي إن كُسِرَ عظمه تألم، وهكذا الميت إن كُسِرَ عظمه فإنه يتألم، والأمر سيان، سيان بين كسر عظم الميت أو كسر عظم الحي، فالتألم حاصل للميت كحصوله للحي.

من أهل العلم من فهم هذا الفهم، وأثبت التألم الحسي، ولهذا فإن العلماء يأمرّون بالرفق مع الميت في تغسيله وفي تكفينه وفي حملة، وأنه يفعل به كما يفعل بالحي، ويرفق به كما يرفق بالحي. فمنهم من فهم التألم الحسي من هذا الحديث. ومن أهل العلم، من لم يفهم هذا الفهم، وإنما التشبيه من حيث الحرمة ومن حيث الإثم، وليس من حيث الألم وهذا الذي عليه الأكثر في فهم الحديث، والله تعالى أعلم.

وعلى كل حال: فلا نتوسع في هذا الباب كما يتوسع أهل البدع والأهواء من الصوفية وغيرهم، فإنهم توسعوا توسعاً باطلاً، وذهبوا إلى أمور منكّرة، خلاف ما تدل عليه الأدلة، وذهبوا إلى ما هو من قبيل الشرك الأكبر والعياذ بالله. فيدعو أحدهم من يُعْظَمُه من الأموات إذا ما نزلت به الشدائد والمحن، ويعتقد أن ذلك الميت يخرج من قبره أو أن روحه تخرج من قبره، وتكشف عن السائل المكروب والمكروه. وقد



يحصل كشف لشيء من الكربة، لكن من تلاعبات الشيطان، ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

وقد جاء أناس إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه كما ذكر ذلك عن نفسه، وزعموا أنهم حصل لهم كذا وكذا من المكروه، وأنهم نادوا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه، وأنه أجابهم وجاء وأنقذهم من ذلك المكروه الذي حصل لهم. فأنكر عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه، وأنه ما حصل هذا منه، وأنكر عليهم هذا، وبيّن لهم أن هذا من تلاعبات الشيطان. فالشيطان يحصل له تلاعب بمن ضَعُف علمه وضعف إيمانه، وتعلق قلبه بغير ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فيدعو الشخص من يُعْظِمْه، ويأتي الشيطان في صورة ذلك الشخص فيدله على الطريق مثلاً إن ضيع الطريق، أو يدفع عنه عدوه أو ذلك المكروه الذي واجهه. فيدفع عنه ذلك المكروه من أجل أن ينقله إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله. فيفعل له منفعة من المنافع ويريد ما هو أعظم منها، يريد أن يأخذ دينه وأن ينقله إلى الكفر الأكبر وإلى الشرك الأكبر، والعياذ بالله.

وهكذا الذين يزعمون أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يحضر في الموالد، هو من هذا القبيل، وكل هذا من الضلال المبين. والموالد تحصل في أماكن متعددة من الأرض وفي وقت واحد، ففي الوقت الواحد تحصل كذا وكذا من الموالد، والكل يزعم أن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حضر عنده. وإنما تحضر عندهم الشياطين، وهم وإن شاهدوا شيئاً فإنما هو من جهة الشياطين، وبعضهم لا يشاهد شيئاً، وبعضهم شاهد حماراً. فدخل الحمار في الحضرة، وهم يقولون: حضر النبي حضر. وإنما حضر الحمار مع الحمير، حضر الحمار في مجلس الحمير. فعلى كل حال: هذه تجاوزات لا تدل عليه الأدلة، وهي من الضلال المبين.

والواجب الاختصار على ما دلت عليه الأدلة الشريعة، الأدلة الصريحة، والأدلة المحتملة فإنه لا يُجزم بها، هذا هو الواجب، وهو التمسك بأدلة الشريعة من غير زيادة ولا نقصان.

قال المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَنْنَعَمُ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ وَيُعَذَّبُ الْفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ):** وما يتعلق بنعيم المؤمن في القبر وعذاب الفاجر فيه قد سبق الكلام عليه فيما مضى، عند الكلام على عذاب القبر، وذكرنا جملة من الأدلة التي تدل على ذلك، فالقبر فيه العذاب وفيه النعيم، وهو أول منازل الآخرة كما هو معلوم.

والمؤمن إذا دخل قبره فإنه يُوسَّع له في قبره مد بصره، وتُفتح له نافذة إلى الجنة، فيأتيه من ريحها، ويُفرش له من الجنة كما هو معلوم، ويُقال له بعد السؤال: "نم - فينام - كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ". كما قال ذلك النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فيُسأل ويُنعم ويحصل له النوم، كما دلت على ذلك أدلة السنة. والكافر في عذاب أليم، فبعد أن يُسأل الفاجر في قبره ولا يستطيع الإجابة فإنه يُضرب بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا، فيضرب ضربة حتى يصير ترابًا، ويصيح صيحة يسمعها كل شيء غير الثقلين، ولو سمع الثقلان تلك الصيحة لصُعِقُوا. وهذا يدل على شدة ذلك الصياح، فهو عذاب شديد عذاب لا يُطاق، مع أن عذاب القبور أهون من العذاب الذي يأتي بعد ذلك، أهون من عذاب أرض المحشر، فإن في أرض المحشر أيضًا عذاب شديد، وأشد من ذلك هو عذاب جهنم، والعياذ بالله. فـ **«الْقَبْرِ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»** رواه أحمد الترمذي وابن ماجه من حديث عثمان بن عفان عن رسول الله ﷺ. وهو أقرب المنازل إلى العبد، ففي كل لحظة يمكن ينتقل إلى ذلك المنزل، فلا يدري العبد متى يأتيه الموت. فلهذا الواجب على العبد أن يراقب نفسه باستمرار، ويراقب



عمله باستمرار، وأن يتوب إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأن يصلح ما بينه وبين ربه باستمرار، فإنه لا يدري متى يأتيه الموت.

قال: **(وَيَتَنَعَّمُ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ وَيُعَذَّبُ الْفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ)**. وسبق الكلام على أن نعيم القبر وعذاب القبر على الروح والبدن، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وتفاصيل هذه الأمور مرت معنا فيما مضى.



الموت بأجل

وَاعْلَمُ أَنَّ الرُّوحَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

الشرح:

وقد وقع في بعض النسخ: **(واعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره)**. ولا شك أن الروح مخلوقة مقدرة، لكن العبارة الأخرى أعلم، فكل شيء بقدر. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال الله تعالى عن الروح ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقد ذهب بعض الزنادقة والروافض إلى أن روح آدم عليه الصلاة والسلام أزلية غير مخلوقة، كما ذكر ذلك عنهم العلامة ابن القيم في كتابه: "الروح"، وابن أبي العز في: "شرح الطحاوية".

وذهب إلى ذلك أيضًا سيد قطب فقد قال في قال سيد قطب في كتابه "الظلال": لقد قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ وقد كان ما قال الله، فقوله تعالى إرادة، وتوجه الإرادة ينشئ الخلق المراد **ولا نملك أن نسأل كيف تلبست نفخة الله الأزلي الباقي بالصلصال المخلوق الفاني**، فالجدل على هذا النحو عبث عقلي بل **عبث بالعقل ذاته**، وخروج به عن الدائرة التي يملك فيها أسباب التصوير والإدراك والحكم وكل ما ثار من الجدل حول هذا الموضوع، وكل ما يثور، إن هو إلا جهل



بطبيعة العقل البشري وخصائصه وحدوده، وإقحام له في غير ميدانه، ليقبس عمل الخالق إلى مدركات الإنسان وهو سفه في إنفاق الطاقة العقلية وخطأ في المنهج من الأساس، إنه يقول: يتلبس الخالد بالفاني، وكيف يتلبس الأزلي بالحادث اهـ.



إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه يتكلم بحرفٍ وصوت

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيْمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ يَوْمَ الطُّورِ،
وَمُوسَى يَسْمَعُ مِنَ اللَّهِ الْكَلَامَ بِصَوْتٍ وَقَعَ فِي مَسَامِعِهِ مِنْهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ
هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

الشرح:

المؤلف هاهنا رحمة الله عليه يرد على الجهمية وعلى المعتزلة الذين تأولوا الأدلة الواردة في الباب تأويلاً فاسداً، بل هو من قبيل التحريف، فلم يؤمنوا بأن الله عَزَّجَلَّ هو الذي كلم موسى، وإنما يقولون: إن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سمع كلاماً خلقه الله عَزَّجَلَّ في الشجرة.

وهذا كفر بالله عَزَّجَلَّ؛ لأن الكلام الذي خلقه الله في الشجرة هو منسوب إلى الشجرة، فالكلام إذا خُلِقَ في شيء فهو منسوب إليه.

فالكلام الذي يتكلم به الخلق، من الذي خلقه؟ خلقه الله عَزَّجَلَّ، وهو منسوب إليهم. فإذا خلق الله عَزَّجَلَّ كلاماً في شيء فهو منسوب إلى ذلك الشيء، فالمخلوقات خلق الله عَزَّجَلَّ فيها الكلام، فالكلام منسوب إليها، والشجرة لو خلق الله عَزَّجَلَّ فيها الكلام، لكان الكلام منسوباً إليها، فتكون هي المتكلمة، وهي القائلة: إني أنا الله. ومثل هذا القول هو عين الكفر، ولهذا قال المؤلف: (فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ



العظيم). فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** إذا خلق كلامًا في الشجرة لكانت الشجرة هي المتكلمة، وكان الله **عَزَّوَجَلَّ** أثبت الألوهية لغيره، فأثبتها للشجرة، وهذا هو عين الكفر.

والله **عَزَّوَجَلَّ** كلم موسى بكلام حقيقي منسوب إليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهو صفة من صفاته. قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. والعلماء يقولون: إذا وكد الكلام بالمصدر انتفى المجاز، وهذا عند القائلين بالمجاز، فإنهم ينفون المجاز بتوكيد الكلام بالمصدر. فلما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، علم أنه كلام حقيقي، ما هو من قبيل المجاز. بل هو كلام حقيقي منسوب إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولا يصح أن يقال إن الكلام بمعنى: الجرح، لأن هذا عند القائلين به من باب المجاز، وبذكر المصدر المؤكد انتفى المجاز. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وكذلك من حرف ذلك وقرأها: "وكلم الله موسى" بنصب لفظ الجلالة ورفع موسى بمعنى: موسى هو الذي كلم الله، فهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وهذا إن استقام في هذا الموضع فإنه لا يستقيم في قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فإنها صريحة في أن المتكلم هو رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. والذي سمع الكلام هو موسى.

إذن: المؤلف في هذه الجملة من كلامه أراد الرد على الجهمية وعلى المعتزلة، الذين لم يؤمنوا بذلك وحرّفوا الكلم عن مواضعه، وقالوا: الكلام الذي سمعه موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** إنما هو كلام مخلوق خلقه الله **عَزَّوَجَلَّ** في الشجرة.



تفاوت الناس في العقول

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْعَقْلُ مَوْلُودٌ، أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَ الْعَقْلِ مَا أَرَادَ اللهُ عَزَّجَلَّ، يَتَفَاوَتُونَ فِي الْعُقُولِ مِثْلَ الذَّرَّةِ فِي السَّمَاوَاتِ، وَيُطَلَّبُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ الْعَمَلِ عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَيْسَ الْعَقْلُ بِاِكْتِسَابٍ، إِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ عَزَّجَلَّ.

الشرح:

عرفنا أن العقول منة من الله عَزَّجَلَّ، وما هي مكتسبة، وإنما يحصل لها النماء بالعلم، وإلا فإن العقول مولودة، أي: مخلوقة مع العبد منذ صغره. والناس يتفاوتون في العقول، وما هم فيها على السواء.

وممن ذهب إلى أن عقول الناس على السواء: المعتزلة والأشاعرة، فذهبوا إلى أن عقول الناس على حد سواء، وأن الناس لا يتفاضلون في العقول.

قال: (يَتَفَاوَتُونَ فِي الْعُقُولِ مِثْلَ الذَّرَّةِ فِي السَّمَاوَاتِ)، أي: أن العقول هناك عقول صغيرة كالذرة في السماوات، وعقول كبيرة، فالناس ليسوا فيها على حد سواء، بل عقولهم متفاوتة.

قال: (وَيُطَلَّبُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ الْعَمَلِ عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْعَقْلِ): ولهذا يقال: العقل مناط التكليف، ومن لا عقل له فإنه لا يكلف.

وتنازع العلماء في موضعه، فمنهم من قال: إن موضع العقل في القلب، وهو قول الأكثر، احتجاجاً بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ



بِهَآ ﴿[الحج: ٤٦]﴾، فقال: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾. فدل ذلك على أن العقل في القلب، ولم يقل: "أدمغة يعقلون بها".

وإنما قال: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾. وهكذا في قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لِمَنْ كَانَتْ لَهُ قَلْبٌ﴾ ﴿[ق: ٣٧]﴾، قالوا: عقل، ففسر القلب بالعقل، باعتبار أن العقل محله القلب. فبناء على هذا قال أكثر العلماء: إن محل العقل في القلب.

وذهب بعض العلماء، كأبي حنيفة، وهو المشهور عند الأطباء، أن محل العقل في الرأس في الدماغ.

قالوا: ولهذا إذا أصيب الشخص بضربة في رأسه فقد عقله فصار لا يعقل الأمور. ويقولون: إذا نزع عن الشخص القلب وعُوض بقلب آخر أو بقلب صناعي، فإن عقله لا يزول بزوال قلبه، وإنما يزول بزوال المخ، قالوا: هذا مما يدل على أن العقل في المخ، وليس هو في القلب. فهذا الذي يُقرره الأطباء.

وهذا القول قد يشكل مع قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ﴿[الحج: ٤٦]﴾. وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** على هذا الأمر، وذكر **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن القلب قد يُراد به المضغة الصنوبرية، وقد يُراد بالقلب داخل الشيء، وليس هذه المضغة، ولهذا سمي: قلب بدر، بقلب بدر؛ لأنه أخذ قلبه، أي: أخذ ما في داخله من التراب. فالإنسان إذا حفر بئراً فإنه يأخذ ما في جوف الحفرة، فيقال له قلب؛ لأنه أخذ ما في داخله.

فالقلب قد يُراد به ما في داخل الجسد، وقد يُراد به: المضغة الصنوبرية المعروفة. فإذا قلنا: إن المراد بالقلب المضغة الصنوبرية فهنا، يحصل الإشكال المتقدم الذي يذكره الأطباء. وأمّا إذا قلنا: إن المراد بالقلب داخل الإنسان، فلا إشكال، فإن الدماغ

داخل الإنسان، وما في الصدر أيضاً هو داخل في جوف الإنسان، فجميع هذا يدخل في مُسمى القلب.

وبعض الناس إذا ألمته بطنه يقول: أوجعني قلبي، وقلبي يوجعني، هو يريد بطنه توجعه. وهو مستقيم على هذا المعنى.

فإذا قلنا: إن المراد بالقلب ما في جوف الإنسان فلا إشكال في ذلك. والذي حرره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** في العقل: هو أن مبدأ الفكر والنظر من الدماغ، ومبدأ الإرادة والمحبة من القلب، وأنه هناك اشتراك بين الدماغ وبين القلب. فالإنسان إذا تفكر في الأمور، أين يجد الفكر، في قلبه أم في دماغه؟ **فالجواب:** إذا نظر وتأمل وتفكر في الأمور فإنه يجد أن التفكير والتأمل في دماغه. وما يتعلق بمحبة الأشياء وإرادته ورغبته فيها، فيجد هذا في قلبه.

فيرى **رَحْمَةُ اللَّهِ** حصول الاشتراك بين الدماغ وبين القلب. وقد نهني بعض إخواننا الأفاضل على أمر يتعلق بهذه الآية، وهي أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ختمها بقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. فدل ذلك على أن المراد بالقلب الذي فيه العقل هو المضغة الصنوبرية؛ لأن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. والقلوب التي في الصدور، هي المضغة الصنوبرية، فهذا مما يدل على أن المراد بالقلب الذي فيه العقل المضغة الصنوبرية، وليس المراد بذلك داخل باطن الجسد.

وبناءً على هذا، فيكون القول الذي دل عليه الدليل هو ما دل عليه كلام الله **عَزَّ وَجَلَّ**: أن العقل في القلب، هذا الذي دل عليه الدليل، ولا يمنع حصول الاشتراك بين القلب وبين الدماغ. وحصول الاشتراك لا يعني أن العقل في الدماغ، فإن الجسد يحصل فيه



اشترك بين بعض الأعضاء. فهناك اشتراك بين القلب وبين الدماغ، ولهذا إذا أصيب الشخص بدماغه - كما عرفنا - فإنه يفقد عقله، وهذا يدل على حصول شيء من الاشتراك، وحصول الاشتراك بين الأعضاء لا يدل على أن ذاك الشيء في ذاك الشيء. فالإنسان قد يتأثر ببصره بإصابة في بعض جسده، وهل يعني هذا أن بصره في ذاك الموضوع؟

الجواب: لا، البصر في العين، وقد يتأثر الشخص بسمعه بإصابة في بعض بدنه، ولا يعني أن سمعه في ذلك الموضوع.

فالاشتراك قد يحصل بين الأعضاء، فهناك اشتراك ما بين القلب وما بين الدماغ. فلهذا إذا أصيب الشخص بدماغه أثر على العقل الذي في دماغه أو على العقل الذي في قلبه؟

الجواب: أثر على العقل الذي في قلبه، وإن كانت الإصابة في الدماغ. وكون القلب يُزال ويستبدل بغيره، فليس المعنى أنه إذا أزيل أزيل العقل، فإن العقل غريزة، وإذا ما أزيلت المضغة وأبدلت بمضغة أخرى، فالغريزة تنتقل إلى المضغة الأخرى، فالعقل هي غريزة من الغرائز، ما هي قطعة لحم إذا ما أزيلت أزيل العقل، وإنما هي غريزة، فإذا ما أزيل القلب ووضع قلب آخر فإن تلك الغريزة تنتقل إلى القلب الجديد فيما يظهر، والله تعالى أعلم. فعلى كل حال: نبقى مع نص القرآن: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]. هذا الذي يظهر في هذه المسألة، والله تعالى أعلم.



تفضيل الله للعباد

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ الْعِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَدْلًا مِنْهُ، لَا يُقَالُ جَارٌ وَلَا حَابِي، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ سَوَاءٌ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، بَلْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْكَافِرِ وَالطَّائِعَ عَلَى الْعَاصِي وَالْمَعْصُومَ عَلَى الْمَخْذُولِ عَدْلًا مِنْهُ، هُوَ فَضْلُهُ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُهُ مَنْ يَشَاءُ.

الشرح:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ الْعِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). وهذا شيء معلوم، أن الله فضل العباد بعضهم على بعض في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]. فالتفضيل موجود في الدنيا، وفي الآخرة أعظم وأعظم. قال: (وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ الْعِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَدْلًا مِنْهُ، لَا يُقَالُ جَارٌ وَلَا حَابِي. فَمَنْ قَالَ إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ سَوَاءٌ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ): وهذا مذهب القدرية، فيرون أن فضل الله على المؤمن والكافر سواء، ويرون أن هذا هو العدل.

فهذه بدعة القدرية، وبدعة المعتزلة، وهذا خلاف الأدلة المتكاثرة، خلاف أدلة القرآن والسنة وخلاف الإجماع، وهذا القول في غاية البطلان.



وهذا أمر معلوم وهو أن الله **عَزَّوَجَلَّ** فضل المؤمن على الكافر، والله **عَزَّوَجَلَّ** يضع نعمته حيث يشاء، ويضع فضله حيث يشاء، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وكون الله **عَزَّوَجَلَّ** فضل عبداً على عبد، فهذا من فضل الله **عَزَّوَجَلَّ**، ما هو من الظلم، وكون الله يجعل نعمة من نعمه لفلان دون فلان، فهذا من فضله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فلا يدخل هذا في الظلم في أي حال من الأحوال، حتى في جهة المخلوق مع أبناء جنسه. فيجوز للمخلوق أن يفضل شخصاً على شخص في غير ما أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** فيه بالعدل، بالتسوية، كالأولاد وكالزوجات، ففيما سوى ذلك، يجوز للشخص أن يفضل شخصاً على شخص في شيء من نعمه وفضله وإحسانه.

فهذا من الأمور الجائزة، ولا يدخل في الظلم إلا فيما أمر الله فيه بالتسوية، قال النبي **ﷺ**: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، وفي لفظ: «سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، فإن هذا مما أمر الله به، وما سوى ذلك فإن هذا مما يُشرع.

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يخفى عليه شيء، وهو مطلع على قلوب العباد، ويعلم أحوال الناس، فمن فضله بشيء من نعمه فهذا فضل وكرم منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فلا يُقال إنه يجب على الله **عَزَّوَجَلَّ** التسوية بين الخلق بالفضل. هذا كلام ليس عليه مستند لا من الشرع ولا من العقل، بل هو من الأقوال الباطلة المردودة المنكرة.

والمعتزلة يرون أن الله **عَزَّوَجَلَّ** ساوى في فضله بين المؤمن وبين الكافر. ليس المعنى أن المؤمن والكافر عند الله سواء باعتبار المنزلة، والمكانة ليس هذا هو المراد، وإنما يريدون أن فضل الله **عَزَّوَجَلَّ** عليهما مستوٍ، وأن هذا من العدل، لكن ذاك الكافر هو الذي خلق الكفر في نفسه، والمؤمن خلق الإيمان في نفسه، وإلا فإن الله

عَزَّوَجَلَّ سوى بينهما باعتبار الفضل. هذا مذهب المعتزلة، وهو مذهب باطل كما هو معلوم، وخلاف الأدلة.

ومر معنا في بعض الدروس الماضية أن من مذهب المعتزلة إيجاب الألفاظ على الله **عَزَّوَجَلَّ**، فيوجبون الألفاظ على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في حق المؤمن وفي حق الكافر، ويرون أن هذا من العدل، وأن هذا واجب على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. والمراد بذلك: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يسوي بين المؤمن والكافر في الأمور التي هي من أسباب الهداية، فيسوي فيها بين المؤمن والكافر، يسوي فيها بين جميع البشر. وهذا كلام باطل، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يُعطي فضله من يشاء، ويمنع فضله عمن يشاء، فمن منَّ عليه فبفضله، ومن منعه فبعده. ولو كان هذا من الأمور الواجبة على الله **عَزَّوَجَلَّ**، لما وُجد كفر في الأرض، فلو كانت الألفاظ واجبة على الله **عَزَّوَجَلَّ** لما وجد كفر في الأرض.

ومثال ذلك من أجل التقريب والإيضاح: لو أن شخصًا دعا شخصًا إلى وليمة، فاتصل به وقال له: أنت مدعو عندي إلى وليمة الغداء في يوم كذا وكذا، فدعاه إلى تلك الوليمة وحدد له الموعد واكتفى بهذا. وهناك شخص آخر اتصل به ودعاه إلى تلك الوليمة، فلما جاء الموعد أرسل ولده بسيارته إلى ذلك الشخص الذي دعاه، وذهب الولد إلى ذلك الرجل وقال له: جاء موعد الوليمة وقد جئتكَ من أجلها، وأرسلني والدي إليك، وهذه السيارة جاهزة لحملك وإرجاعك إلى موضعك، هل يمكن أن يتخلف هذا الشخص عن الموعد باعتبار العادة الغالبة؟ أم لا يمكن؟

لا يمكن أن يتخلف عادة مع وجود هذه الألفاظ.

لكن ذاك الشخص الذي حصل له مجرد اتصال، فقد يحصل التخلف من جهته وقد لا يحصل.



وإذا تخلف من اقتصر على الاتصال به، فقال له صاحب الوليمة: لمَ ما جئت إلى الوليمة وقد دعوتك واتصلت بك مباشرة؟ فقال: أنت ما جئتني بولدك، وما جئتني بالسيارة، وما حملتني إلى بيتك، فهل له العذر في التخلف من أجل هذه الأمور، أم ليس له العذر؟

الجواب: ليس له العذر، وقد قامت عليه الحجة بمجرد الدعوة، ومن فعل فيه تلك الألفاظ فهذا فضل وكرم منه.

فهذا من باب المثال ليتضح المقال، وهكذا الله **عَزَّوَجَلَّ** قد يتفضل على من شاء من عباده، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. فمن تفضل الله عليه فهذا من جوده وكرمه وإحسانه لذلك العبد الذي علم أنه الموطن المناسب لفضله، فالله يعلم أين يضع فضله. ومن اكتفى الله **عَزَّوَجَلَّ** له بمجرد الأمر، أمره بعبادته ونهاه عن الشرك به، فقد قامت الحجة عليه بالأمر والنهي، وبإرسال الرسل، وإذا لم يستجب استحق العقوبة.

أما القول بأن الألفاف يجب التسوية فيها بين المؤمن والكافر، فلازم هذا القول أنه لا يوجد كفر في الأرض، ومن حكمة الله **عَزَّوَجَلَّ** وجود الخير والشر، والله **عَزَّوَجَلَّ** في ذلك الحكمة البالغة.



وجوب بذل النصيحة للمسلمين برهم وفاجرهم

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ غَشَّ الدِّينَ، وَمَنْ غَشَّ الدِّينَ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ.

الشرح:

قال: (وَلَا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ). فإن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، كما في صحيح مسلم من حديث تميم الداري. فجعل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جميع الدين في النصيحة، ومن أهل العلم من قال: هذا الحديث هو ربع الإسلام، وقال آخرون: بل هذا الحديث هو جميع الإسلام، وهو الصحيح، فليس هو ربع الإسلام، بل هذا الحديث هو جميع الإسلام؛ فإن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جمع الإسلام في هذه الكلمة، فقال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». فجميع الدين يدخل في النصيحة، كل ما أمر الله به فهو داخل في النصيحة، وكل ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ فهو داخل في النصيحة.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في النصيحة. «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». فيشمل جميع الدين. والنصيحة: الخلوص من الغش في كل شيء.



والنصيحة واجبة، وقد بايع جرير البجلي النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على النصح لكل مسلم، كما في الصحيحين قال: **«بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»**. فالنصيحة واجبة، والغش محرم، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»**، كما في مسلم من حديث أبي هريرة. فتنبرأ النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ممن غش، والغش لا يختص بالبيع والشراء، فإن كثيراً من الناس ما يفهم الغش إلا في البيع والشراء. فأعظم الغش ما كان في الدين، فالذي يُظهر البدعة بمظهر السنة، هذا ناصح أم غاش؟

هذا غاش. والذي يظهر الشرك تحت مسمى التوحيد فهو من أعظم الغاشين للمسلمين. فأعظم النصيحة: النصيحة في الدين. وأعظم الغش وأخطر الغش: الغش في الدين. وهكذا في الدنيا فالنصيحة واجبة والغش محرم، لكن أمر الدين أعظم. فالنصيحة في البيع والشراء من الأمور الواجبة، والغش من الأمور المحرمة. ولا يراعي الإنسان مصلحة نفسه فيكم في بيعه وشرائه.

كان بعض السلف إذا عرض شيئاً للبيع، فقليل له: أترضاه لي؟ يعني: أترضى لي أن أشتري هذا الشيء؟ فيقول: لو رضيت له لنفسي ما بعته. أنا لا أرضاه لك، ولا أرضاه لنفسي، لو كان من الأمور المرضية لجعلته لنفسي، وما أردت إلا أن أتخلص منه.

فلا يزين الشخص المبيع بما ليس فيه، ولا بد من البيان، ومن النصيحة. فإن حصل البيان؛ حصلت البركة، وإن حصل الكتمان؛ مُحقت البركة، وهذا من الأمور الواجبة في البيع والشراء، وغير ذلك. من أراد أن يبيع شيئاً فلا بد أن يذكر وأن يبين ما فيه من العيوب؛ فإنه أدرى الناس بعيوب الشيء من كان ذلك الشيء عنده، فيقول: فيه كذا وفيه كذا وفيه كذا.

وبعض الناس يقول: إن بينت ما فيه من العيوب وما فيه من النقص ما استطعت أن أبيعهُ، هذا كلام غير صحيح؛ فإن الناس إن علموا منك الصدق في المعاملة وإظهار الشيء على حقيقته أمنوك وقبلوا منك، وأخذوا منك واتجه الناس إليك؛ فإن الناس يتجهون إلى الأمانة وإلى الصادقين، لكن الشيطان كما قال الله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. كل هذا من تزيين الشيطان، والشيء القليل من الربح مع البركة من الله عَزَّوَجَلَّ أفضل من المال الكثير من غير بركة.

فهناك من يكسب الأموال الطائلة عن طريق الغش، وتذهب تلك الأموال وتزول، إما بالأمراض أو بغير ذلك من المصائب والنكبات، والشيء القليل الحلال يبقى، يتنفع به الإنسان ويستعين به في أمر دينه ودنياه، ويحصل له الخير، ويحصل له البركة. فعلى كل حال: لا بد من النصيحة في كل شيء، حتى في مسائل الزواج: بعض الناس يكون عنده رغبة في امرأة، وهو يريد أن يتقدم لها، فيسبقه شخص ويأتي ويستشيرهُ: ما رأيك في ابنة فلان؟ فيقول: فيها كذا وفيها كذا، ويظهر المعاييب التي فيها من أجل أن يصدّه، وهذا لا يجوز، لا بد من النصيحة. انصحه بالذي تُحبه لنفسك، فيحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، هذا هو الواجب، وهذه أخلاق كادت أن تُفقد في الناس إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ.

فقال: (وَلَا يَحِلُّ أَنْ تَكُتِمَ النَّصِيحَةَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ): ما دام من المسلمين، سواء كان من الأبرار أو كان من الفجار، فالنصيحة للجميع.

(فِي أَمْرِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ غَشَّ الدِّينَ، وَمَنْ غَشَّ الدِّينَ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ): وهذه من الأمور العظيمة، وهذه من كبائر الذنوب، وكما قلنا: أعظم الغش هو ما يتعلق بالدين، فدعاة الشرك هم أعظم من غش الإسلام والمسلمين، ودعاة البدع في المرتبة الثانية، وهكذا



الذين هيجوا الفتن في أوساط المسلمين هم من أهل الغش. يقولون للناس: ثوروا معنا، وسيكون وسيحصل وسنفعل وسنفعل وأوقدوا نيران الفتن في أوساط المسلمين، ثم كانوا أول الفارين.

الفتنة نيرانها تشتعل في أوساط المسلمين، وكل شخص من هؤلاء قد فر إلى بلد، فجمع الأموال الطائلة في أيام الفتن وتاجر وذهب يتنزه في بلد كذا، وذاك في بلد كذا، وذاك في بلد كذا، والناس هم وقود الفتن. فأهل البدع والأهواء هم أعظم الناس غشاً للناس، غشوا الناس في الدين، وغشوا الناس في الدنيا، والعياذ بالله.



الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فِيهِمْ أَنْ هِدَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِمْ، كَرَمًا وَجُودًا وَتَفَضُّلاً، فَلَهُ الْحَمْدُ.

الشرح:

قال: (وَاللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ). فهذه أسماء ثابتة لله **عَزَّجَلَّ**، وما تدل عليه من الصفات أيضاً ثابت في حق الله **عَزَّجَلَّ**، فالله سميع بسمع، وبصير ببصر، وعليم بعلم، وهذا الذي عليه أئمة السلف، أجمع على ذلك السلف، وقد دلت على ذلك الأدلة المتكاثرة من كتاب الله ومن سنة رسوله الكريم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ومعلوم مذهب الجهمية في هذه الأسماء وفي غيرها، فإنهم نفاة لأسماء الله **عَزَّجَلَّ** ولصفاته. ومعلوم أيضاً مذهب المعتزلة في ذلك، فهم أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات. والأشاعرة: أثبتوا سبع صفات، والصفات المأخوذة المذكورة هاهنا المشتقة من هذه الأسماء، هل أثبتوها أم نفواها؟

أثبتوها، وهي من جملة الصفات السبع، وهي الصفات التي يسمونها عقلية: السمع والبصر والعلم. وهل أثبتوا السمع والبصر كما أثبتة أهل السنة والجماعة، أم لهم إثبات ضلوا فيه؟



أثبتوه عن طريق العقل، لكن هل أثبتوه إثباتًا صحيحًا، وإن كان عن طريق العقل، وهل وافقوا في الإثبات أهل السنة أم خالفوا؟

الجواب: خالفوا. فهم يقولون: إن الله **عَزَّجَلَّ** سمع كل شيء في الأزل. معلوم أن الله **عَزَّجَلَّ** موصوف بالسمع والبصر أزلاً، لكن هم قالوا: إن الله **عَزَّجَلَّ** سمع كل شيء في الأزل، وأبصر كل شيء في الأزل؛ يعني: أن الأصوات قبل أن توجد قد سمعها الله **عَزَّجَلَّ**، والمخلوقات قبل أن يخلقها الله **عَزَّجَلَّ** قد أبصرها الله **عَزَّجَلَّ** وشاهدها.

ففي حقيقة قول هؤلاء: أنهم فسروا السمع والبصر بمعنى العلم، فهذا حقيقة قول هؤلاء، فإن الله **عَزَّجَلَّ** علم كل شيء، وعلم الأشياء قبل وجودها، ولا يُقال: سمع الأصوات قبل وجودها؛ هذا كلام فاسد.

ولا يُقال: أبصر وشاهد المخلوقات قبل أن تُخلق؛ هذا شيء فاسد، وإنما يُقال: علم كل شيء في الأزل. أما السمع فيكون للشيء بعد وجوده، يسمع الصوت بعد وجوده، ويبصر المخلوق بعد وجوده، هكذا يكون السمع وهكذا يكون البصر، وهم ردوا معنى السمع والبصر على معنى العلم.

وما الذي دفعهم إلى ذلك؟

هو الفرار من حلول الحوادث في ذات الله **عَزَّجَلَّ**؛ فإنهم إذا قالوا: إن الله **عَزَّجَلَّ** يسمع الأصوات بعد وجودها، وتأتي أصوات ويسمعها، وتأتي أصوات ويسمعها، يقولون: هذه حوادث، وهكذا يُبصر الأشياء بعد وجودها، ثم يخلق أشياء ويبصرها، يقولون: هذه أمور متجددة، هذه حوادث، ولا تحل الحوادث إلا بحدوث. فهذا الذي أوقعهم فيما وقعوا فيه من الضلال، والقول بأنه لا تحل الحوادث إلا بحدوث، كلام صحيح على إطلاقه أم ليس صحيحًا؟

هذا كلام ليس بصحيح، إنما هذا في الحوادث المخلوقة، فالله **عَزَّوَجَلَّ** لا تحل به الحوادث، بمعنى الحوادث المخلوقة، والله منزّه عن ذلك، أن يحل فيه شيء من مخلوقاته، وإنما يحل المخلوق في المخلوق. أما ما يتعلق بأسمائه وصفاته، فأسماء الله منه، وصفات الله منه، فما في أشياء مخلوقة تحل بذاته، حتى يُقال إنه لا تحل الحوادث إلا بحدوث، هذا في الأشياء - كما عرفنا - المخلوقة، فالمخلوق يحل في المخلوق.

أما ما يتعلق بالله **عَزَّوَجَلَّ** فهذه أسماؤه وهذه صفاته، وأسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** منه، وصفات الله **عَزَّوَجَلَّ** منه، ما هي أشياء مخلوقة، فهذا القول في غاية الفساد. وهذا الأمر أوقعهم فيما أوقعهم في أنواع الضلال والانحراف وما يتعلق بمسألة حلول الحوادث. فهذا هو البلاء الذي أوقع الأشاعرة والكلابية والماتريدية فيما وقعوا فيه من الأمور المخالفة للأدلة الشرعية.

وسبب ذلك أن هؤلاء الأشاعرة والكلابية وغيرهم أرادوا أن يناظروا الفلاسفة، والفلاسفة يقولون بقدّم العالم، وهؤلاء أرادوا الرد على الفلاسفة، وأرادوا أن يُثبتوا بعقولهم أن العالم ما هو بقديم، وأنه محدث.

ففكروا وفكروا كيف يردون على الفلاسفة، وما أرادوا الرد على الفلاسفة إلا بعلم الكلام والمنطق، وليس بأدلة الشريعة ولا بالفطرة ولا بالأمور المعقولة التي يدركها حتى عامة الناس، وإنما ردودا عليهم عن طريق النظريات الكلامية والمنطقية. فأرادوا أن يكسروا كلام الفلاسفة الذين قالوا بقدّم العالم، فكفروا في ذلك فقالوا: العالم تحل به الحوادث، فالأشياء تحدث منذ زمن طويل، فأناس يخلقون وأناس يموتون، وهكذا حيوانات تُوجد وحيوانات تموت، تأتي أمطار ويحصل تقلب في الليل والنهار وتأتي فصول، فتحصل حوادث في هذا العالم. ولا تحل الحوادث إلا



بمحدث، فظنوا بهذه الحجة أنهم قد استطاعوا أن ينتصروا على الفلاسفة، وأثبتوا أن العالم محدث، وكسروا بهذا الكلام الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم. فلما قرروا هذا الأمر، وأثبتوه ووجدوه من الأمور العظيمة ومن الإنجازات العظيمة التي فعلوها مع الفلاسفة، وبعد ذلك دخل لهم الشيطان في أمور كثيرة. فجاؤوا إلى القرآن، وجاؤوا إلى كلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وقالوا: إذا قلنا إن الله **عَزَّجَلَّ** يتكلم بحرف وصوت بما شاء ومتى شاء، فهذا حدوث، لأنه كلام يحدث بعد كلام، فيتكلم الله بما شاء وكيف شاء، وهذا حدوث. فإذا أثبتنا هذا الحدوث في حق الله **عَزَّجَلَّ** فلازم ذلك أن الله محدث، لأن الحوادث لا تحل إلا بمحدث. فإما أن نبطل حجتنا على الفلاسفة وهذا أمر عظيم، وإما أن نبحت عن مخرج في مسألة الكلام.

وما الذي خرجوا به؟

الجواب: خرجوا إلى أن كلام الله **عَزَّجَلَّ** معنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعص، وليس بحرف ولا بصوت؛ لأن الحرف والصوت متعاقبان فيهما حدوث، وإنما هو معنى في نفس الله **عَزَّجَلَّ**، لا يتجزأ ولا يتبعص، حتى يفروا من حلول الحوادث في ذاته سبحانه، وحتى تسلم لهم الحجة التي رأوها عظيمة في كسر كلام الفلاسفة.

ثم جاؤوا إلى هذه الصفات، كصفة السمع والبصر وغيرها من الصفات، فقالوا: إن قلنا إن الله **عَزَّجَلَّ** يسمع الأشياء بعد حصولها، يعني: فلان تكلم فسمعه الله حينما تكلم، وآخر تكلم في وقت آخر فسمعه الله حينما تكلم، فهذا حدوث في السمع، وهكذا إذا قلنا: إن الله لما خلق ذلك المخلوق، رآه بعد أن خلقه، ولما خلق مخلوقاً آخر رآه، وهذا حدوث في الرؤية، ولا تحل الحوادث إلا بحدث. إذن: لا بد لنا من مخرج، بحيث لا نبطل تلك القاعدة العظيمة التي رددنا فيها على الفلاسفة. فقالوا:

نقول: إِنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** قد سمع كل شيء في الأزل، ما في شيء يحدث، ما في شيء يتجدد، والله **عَزَّوَجَلَّ** قد أبصر كل شيء في الأزل.

وما زال الشيطان يتلاعب بهم، فجاءوا إلى بقية الصفات الفعلية، ونظروا في أفعال الله **عَزَّوَجَلَّ**، فقالوا: الفعل حدث، فعظم في نفوسهم اثبات الفعل لله تعالى. لأن الأفعال أحداث، وإذا أثبتناها في حق الله **عَزَّوَجَلَّ** فقد قلنا بحلول الحوادث في ذات الله **عَزَّوَجَلَّ**. والحوادث لا تحل إلا بمحدث.

فما الذي فعلوه في الأفعال؟ فإنهم لم يجدوا لها مخرجاً كصفة السمع والبصر.
الجواب: أنهم نفوا عن الله **عَزَّوَجَلَّ** الصفات الفعلية بالكلية من أجل أن تسلم لهم تلك القاعدة.

ثم جرهم الشيطان إلى عدة ضلالات في هذا الباب. فهذه قصة حلول الحوادث عند هؤلاء القوم، وقد جرتهم إلى كثير من الأباطيل، فهذا ملخص القول حول هذه المسألة.

قال: **(يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ):** كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]**. وفي هذا إثبات صفة اليدين لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهما ثابتتان لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بدلالة الكتاب والسنة والإجماع. ونازع في ذلك نفاة الصفات، من الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية. فجاءوا إلى الأدلة الواردة في إثبات اليدين لله **عَزَّوَجَلَّ**، وتأولوا اليدين إما بالنعمة وإما بالقدرة.

وهل اليد تأتي على معنى القدرة، ألا تأتي؟

الجواب: نعم تأتي، والحجة في ذلك ما جاء في المسند عن النواس بن سمعان في قول الله **عَزَّوَجَلَّ** لعيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا مِنْ عِبَادِي لَا يَدَانِ لَكَ بِقَتَالِهِمْ» [رواه مسلم]**. ما معنى "لا يدان"؟



المراد بذلك: لا قدرة لأحد على قتالهم، فتأتي اليد بمعنى القدرة. وهم تأولوا النصوص الواردة في إثبات اليمين لله **عَزَّجَلَّ** على معنى القدرة، أو على معنى النعمة. وهل اليد تأتي والمراد بها النعمة، ألا تأتي؟

الجواب: نعم ومن ذلك قول عروة بن مسعود للصديق: "لَوْلَا يَدُكَ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبُتُكَ". والصديق ماذا قال له قبل ذلك؟ قال له: "امْصُصْ بِبَطْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَقْرُ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟".

وما المراد باليد؟

الجواب: النعمة. فاليد تأتي بمعنى النعمة وتأتي بمعنى القدرة. وهم تأولوا النصوص التي فيها إثبات اليمين لله **عَزَّجَلَّ** بهذا التأويل الفاسد.

صحيح أن اليد تأتي بمعنى القدرة وتأتي بمعنى النعمة، لكن لا بد من قرائن تدل على هذا المراد، وإلا فإنَّ الأصل في اليد المضافة إلى الحي أن المراد بها اليد المعروفة المعهودة. وتأويل اليد الواردة في نصوص الكتاب والسنة على معنى القدرة والنعمة مما لا يستقيم، باعتبار أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قال في شأن آدم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال أيضًا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. والقدرة تشي أم لا تشي؟

الجواب: القدرة لا تشي.

ونعمة الله **عَزَّجَلَّ** نعمة واحدة أم نعم لا تحصى؟

الجواب: نعم لا تحصى، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ولو كان المراد بذلك القدرة أو النعمة، فهل هناك فرق بين خلق الله **عَزَّجَلَّ** لآدم وبين خلق الله لإبليس وسائر الخلق؟

الجواب: لا فرق.

هول امتاز آدم بشيء على إبليس في الخلق؟

الجواب: ما امتاز آدم بشيء على هذا التأويل الفاسد، ولو كان الأمر كذلك لقال إبليس لرب العالمين سبحانه: "أَنَا أَيْضًا خَلَقْتَنِي بِقُدْرَتِكَ"، أو بنعمتك.

فلا يكون هنالك مزية بين آدم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وبين سائر الخلق، وهذا مما يدل على بطلان هذا التأويل، فلا يستقيم أن تفسر اليد بمعنى النعمة ولا بمعنى القدرة.

وأيضًا: فالأدلة جاءت بذكر الكف، وهل النعمة تُوصف بالكف؟ وهل القدرة توصف بالكف؟ ففي مسلم عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّوْ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلُهُ».

وجاءت بذكر الأصابع: ففي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالْأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا الْمَلِكُ، «فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ».

وجاءت بذكر اليمين وفي الصحيحين عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ». وقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو.

فيد الله تعالى توصف بالكف وبالأصابع وبأنها يمين، وتوصف باليسر: ﴿بِكُلِّ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وتوصف بالقبض: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. وكل هذه الأمور على ماذا تدل؟



الجواب: تدل على اليد الحقيقية. ولو فرضنا أن المراد باليد القدرة أو النعمة، لو فرضنا جدلاً فيقال: لا يعبر عن اليد في هذا المعنى إلا لمن له يد حقيقية، أعني إذا قال شخص لآخر: "لولا يد لك علي"، فلا يستقيم استعمال ذلك في الخطاب إلا إذا كان المخاطب له يد حقيقية.

وهكذا إن فُسرت على معنى القدرة، فلا يُخاطب الشخص بهذا الخطاب إلا إذا كانت له يد حقيقية.

وقد بسط القول في الرد على هؤلاء، على الجهمية وعلى أذئاب الجهمية في هذه المسألة: العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** في "الصواعق المرسلة"، وذكر أوجهاً كثيرة في إبطال ما تأولوا به هذه الصفة، فمن أراد بسط الكلام حول هذه المسألة، فليرجع إلى ما حرره العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** في "الصواعق المرسلة"، ويرجع إلى "المختصر"، فالمختصر فيه استيعاب، أما الأصل ففيه بعض السقط، لكن يرجع الشخص إلى المختصر "مختصر الصواعق المرسلة"، فقد بسط القول بسطاً حسناً وذكر الأوجه الكثيرة التي تدل على بطلان مثل هذا التأويل.

قال: **(قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فِيهِمْ أَنْ هَدَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَمًا وَجُودًا وَتَفَضُّلاً، فَلَهُ الْحَمْدُ)**: قد علم الله عز وجل أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم، وهذا شيء معلوم؛ فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** بكل شيء عليم، يعلم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ما كان وما سيكون، وما هو كائن، وما لم يكن لو كان كيف يكون، كل هذا داخل في علم الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقبل أن يخلق الله **عَزَّوَجَلَّ** السماوات والأرض بخمسين ألف سنة أمر القلم أن يكتب كل شيء إلى قيام الساعة.

وإذا كان الجنين في بطن أمه، يُؤمر الملك بكتابة أربع كلمات، ومن هذه الكلمات: العمل، من خير ومن شر، فالعمل مكتوب، قد علمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قبل أن يعمل العباد تلك الأعمال، هي مكتوبة وما زالوا في بطون أمهاتهم، وقد كتبت قبل ذلك، كتبت قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكتبت الأعمال والجنين مازال في بطن أمه، وعلم الله **عَزَّوَجَلَّ** أزلي، علم الله **عَزَّوَجَلَّ** كل شيء في الأزل. فهذا مما يجب اعتقاده، وهو الذي دلت عليه الأدلة، وخلاف هذا كفر بالله **عَزَّوَجَلَّ**، ونازع في ذلك - كما هو معلوم - غلاة القدرية، الذين قال فيهم الإمام الشافعي: "حاجوا القدرية بالعلم، فإن أثبتوه خُصِّموا، وإن نفوه كفروا." فخلاف هذا القول كفر بالله **عَزَّوَجَلَّ**.

قال: (عَلِمَ أَنَّ الْخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعَهُ عِلْمُهُ فِيهِمْ أَنْ هَدَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَمًا وَجُودًا وَتَفَضُّلاً، فَلَهُ الْحَمْدُ).

فمن من الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه بالإسلام فهذا من فضله وجوده. ومن بقي على الكفر فهذا عدل من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيه. فالله **عَزَّوَجَلَّ** علم أن الخلق يعصونه، والمعصية تحصل من بني آدم قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» رواه مسلم عن أبي ذر مرفوعاً. فالعباد يخطئون الصالح والطالح، المؤمن والكافر، والخطأ حاصل في الليل وفي النهار، فالله **عَزَّوَجَلَّ** علم الخطأ حتى من الصالحين، ومع هذا هدى من شاء إلى الإسلام بمنه وكرمه وفضله وجوده، وأضل من شاء بعدله، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يظلم العباد. ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].





البشارات عند الموت



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَشَارَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ثَلَاثُ بَشَارَاتٍ: يُقَالُ: أَبْشِرْ يَا حَبِيبَ اللَّهِ بِرِضَا اللَّهِ وَالْجَنَّةِ، وَيُقَالُ: أَبْشِرْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ بِغَضَبِ اللَّهِ وَالنَّارِ، وَيُقَالُ: أَبْشِرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشرح:

وفي بعض النسخ: (بَعْدَ الْإِنْتِقَامِ) بدل: (بَعْدَ الْإِسْلَامِ). وهذا أظهر من حيث المعنى.

على كل: بشارة المؤمن بالجنة وبرضوان الله، وبشارة الكافر بغضب الله وسخطه مما دلت عليه الأدلة على سبيل العموم، كقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة فصلت: ٣٠-٣١].

فيُبشرون بالجنة، وهذا عند حضور الملائكة عند موته.

وهكذا الكافر يُبشر بعذاب الله: ﴿الْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [سورة الذاريات: ١٤] فهذا في شأن الكافر حين تتوفاه الملائكة. فالكافر يُبشر بالعذاب، والمؤمن يُبشر بالنعيم.

فالبشارة للمؤمن والكافر مما دلت عليه أدلة القرآن وأدلة السنة، كحديث البراء بن عازب الطويل المشهور؛ فإنه يُقال لروح المؤمن: «**أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ**». ويقال لروح الكافر: «**أَيُّهَا النَّفْسُ الْحَبِثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ**» إلى غير ذلك من الأدلة المتكاثرة الواردة في الباب. فمسألة التبشير للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار مما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة. وأما هذه الألفاظ التي ذكرها المؤلف وعزا ذلك إلى عبد الله بن عباس، فالله أعلم بثبوت ذلك، والمؤلف كما عرفنا ليس عنده تحرر في مسألة الرواية، عفا الله عنه. وهذه الألفاظ التي ذكرها: **(وَاعْلَمَ أَنَّ الْبِشَارَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ثَلَاثُ بَشَارَاتٍ يُقَالُ: أَبْشِرْ يَا حَبِيبَ اللَّهِ بِرِضَا اللَّهِ وَالْجَنَّةِ، وَيُقَالُ: أَبْشِرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ)** لا أعلم لها مستنداً من حيث الرواية. وفي بعض النسخ: **(بعد الانتقام)**، وهذا أظهر؛ لأن قوله: "أبشر بالجنة بعد الإسلام" لا يستقيم هذا القول؛ لأن الأول هو مبشر بالجنة بعد الإسلام، لكن بعد الانتقام أي: بعد العذاب يكون مآله إلى الجنة.

فهناك من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهناك من يدخل الجنة بعد العذاب من أهل التوحيد.

فلفظة الانتقام أقرب من لفظة الإسلام وإن كان فيها شيء من التأمل وإطلاق الانتقام يُحتاج فيها إلى دليل يدل عليه، لكن من حيث المعنى قلنا: أقرب من كلمة "الإسلام".

والانتقام قد يكون من المسلم العاصي كقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِّذُوقِ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ



النظر إلى الله تعالى في الجنة



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ الْأَصْرَاءُ، ثُمَّ الرِّجَالُ، ثُمَّ النِّسَاءُ بِأَعْيُنِ رُءُوسِهِمْ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ"، وَالْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ، وَإِنْكَارُهُ كُفْرٌ.

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ الْأَصْرَاءُ)، وهو من ذهب بصره، (ثُمَّ الرِّجَالُ، ثُمَّ النِّسَاءُ).

وهذا القول ليس له مستند صحيح من حيث الأدلة الشرعية: وهو أن أول من يرى الله عَزَّوَجَلَّ في الجنة هم الأصْرَاءُ، ثم الرجال، ثم النساء. فالأدلة الصحيحة الثابتة في إثبات الرؤية ليس فيها مثل هذا التقديم. فنثبت ما دلت عليه الأدلة، وهو أن المؤمنين يرون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة. وأما مثل هذا الترتيب فإنه يُحتاج فيه إلى حجة ظاهرة صحيحة، ولا أعلم حجة صحيحة تدل على هذا المعنى.

قال: (بِأَعْيُنِ رُءُوسِهِمْ). وهذا هو القول الصحيح؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣]، فأضاف الله عَزَّوَجَلَّ النظر إلى الوجوه، والنظر المضاف إلى الوجوه هو المشاهدة بالأبصار. فبهذا جاءت الأدلة، وعلى هذا أجمع سلف الأمة.

وإنما خالف في ذلك المعتزلة؛ فالمعتزلة ذهبوا إلى أن المراد بالرؤية: الرؤية القلبية. فأثبتوا الرؤية القلبية ولم يثبتوا الرؤية البصرية. هذا هو المذهب المشهور عن المعتزلة، وإن كان بعض المعتزلة لا يثبت لا الرؤية البصرية ولا الرؤية القلبية؛ فبعض المعتزلة ينفي الرؤية البصرية والرؤية القلبية، لكن المشهور عن المعتزلة هو إثبات الرؤية القلبية ونفي الرؤية البصرية.

وأما الأشاعرة فأثبتوا رؤية من غير مواجهة، وحقيقة قول الأشاعرة ما ذهبت إليه المعتزلة، فإنه لا يُعقل رؤية من غير مواجهة؛ فإن من أراد أن يرى شيئاً اتجه إليه، هذا هو الشيء المعروف في حق الرائي: إذا أراد أن يرى شيئاً لابد أن يتجه إليه حتى يراه. أما رؤية من غير مواجهة فهي في الحقيقة الرؤية القلبية التي أثبتها المعتزلة. ولهذا كان بعض علماء الأشاعرة ممن أنصف نفسه يقول: "إن مذهبنا كمذهب المعتزلة، غير أنهم صرحوا ولم نُصرح". فحقيقة فمذهب الأشاعرة هو كمذهب المعتزلة.

قال: **(بِأَعْيُنِ رُءُوسِهِمْ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»، وَالْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ، وَإِنْكَارُهُ كُفْرٌ):** ومن أنكر رؤية الله عزَّ وجلَّ في الآخرة فهو من الكافرين؛ لأن هذا خلاف أدلة الكتاب وخلاف أدلة السنة وخلاف الإجماع. والإيمان بهذا واجب.





خطر علم الكلام على الناس في أديانهم



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ زَنْدَقَةٌ وَلَا كُفْرٌ وَلَا شُكُوكٌ وَلَا بِدْعَةٌ وَلَا ضَلَالَةٌ وَلَا حَيْرَةٌ فِي الدِّينِ إِلَّا مِنَ الْكَلَامِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْعُجْبِ، وَكَيْفَ يُشْتَرَى الرَّجُلُ عَلَى الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْجَدَلِ؟ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا بِالْأَنْارِ وَالْكَفِّ وَالسُّكُوتِ.

الشرح:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ زَنْدَقَةٌ). والزنديق في عرف الفقهاء هو المنافق،

كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه.

قال: (وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ زَنْدَقَةٌ وَلَا كُفْرٌ وَلَا شُكُوكٌ وَلَا بِدْعَةٌ وَلَا ضَلَالَةٌ وَلَا حَيْرَةٌ

فِي الدِّينِ إِلَّا مِنَ الْكَلَامِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ) الأمر كما ذكر المؤلف رحمه الله عليه؛ فإنه لما

دخل علم الكلام وعُربت كتب الفلسفة وانتشر هذا العلم الباطل في أوساط الناس،

كثرت البدع وتتابع البدع: كبدعة الجهمية، وبدعة المعتزلة، وهكذا بدعة الكلاية

والكرامية والأشاعرة والماتريدية وغير هذه من البدع. فانتشرت البدع الكثيرة في

أوساط الناس بعد أن ظهر هذا العلم الباطل وهو علم الكلام، فانتشرت البدع

ودخلت الشكوك في قلوب الناس بعد أن كانوا في يقين.

فما كان عند الناس أدنى شك في أن الله عزَّ وجلَّ يُرى في الآخرة، وإذا دعا العبد ربه

كان من دعائه أن يدعو ربه بالنظر إلى وجه الله. وهكذا لم يكن عند الناس أدنى شك

بأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سميع، وأنه عليم، وأنه حكيم، وأنه قدير. وما كان عندهم شك بأن القرآن كلام الله **عَزَّجَلَّ** غير مخلوق. فكان في قلوب الناس برد اليقين في هذه العقائد وغيرها. فلما ظهر علم الكلام وانتشر في أوساط الناس دخلت الشكوك من جهة هؤلاء، من جهة علماء الكلام، فشككوا الناس في أمور كثيرة، وأدخلوا الشبهات في قلوبهم، فصاروا يتشككون في أشياء كثيرة. يتشككون في هذه الأمور التي ذكرناها، ويتشككون في علو الله **عَزَّجَلَّ**، ويتشككون في استواء الله على العرش، في أشياء مجزوم بها ومقطوع بها ما كان عندهم أدنى شك، حتى جاء علماء الكلام بالشبهات المضلة، فكثر الشكوك فيهم وكثرت الحيرة.

قال: **(وَالْعُجْبُ، وَكَيْفَ يُشْتَرَى الرَّجُلُ عَلَى الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ؟)**

فأدلة الشريعة أدلة ظاهرة ما فيها لبس، فالذي يجادل فيها جدالاً يُشكك في دلالة تلك النصوص فهذا على خطر عظيم، وهو الذي وقع فيه علماء الكلام؛ جادلوا جدالاً يحصل به التشكيك في أمور مجزوم بها ومقطوع بها، ما كان عند الناس أدنى شك فيها.

قال: **(وَكَيْفَ يُشْتَرَى الرَّجُلُ عَلَى الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ؟ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ:**

﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة غافر: ٤].

والمراد بالجدال في آيات الله **عَزَّجَلَّ** إما على معنى التشكيك أو على معنى التكذيب. فمن جادل في آيات الله على معنى التشكيك أو على معنى التكذيب فهذا الذي يكفر، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

والنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول كما في حديث أبي أمامة: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا

عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ».



والله يقول: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [سورة الأنفال: ٦]. فلا يجوز المجادلة في الحق بعد أن تبين وظهر، وإنما الواجب هو التسليم والانقياد والعمل.
قال: (فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا بِالْأَثَارِ وَالْكَفِّ وَالسُّكُوتِ): وهذا من الأمور الواجبة، وبهذا يحصل برد اليقين. والسماع لشبهات علماء الكلام مما يدخل الشكوك والحيرة في القلوب، والعياذ بالله.

□ قال الإمام البرهاري رحمه الله:

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الْخَلْقَ فِي النَّارِ فِي الْأَغْلَالِ وَالْأَنْكَالِ وَالسَّلَاسِلِ، وَالنَّارُ فِي أَجْوَاهِهِمْ، وَفَوْقَهُمْ، وَتَحْتَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهَنَّمَ مِنْهُمْ هِشَامُ الْفُوطِيِّ قَالَ: "إِنَّمَا يُعَذِّبُ اللَّهُ عِنْدَ النَّارِ؛ رَدًّا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

الشرح:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الْخَلْقَ فِي النَّارِ فِي الْأَغْلَالِ وَالْأَنْكَالِ وَالسَّلَاسِلِ). وهذا أمر معلوم، والأدلة في ذلك متكاثرة في عذاب الكفار في النار في الأغلال والأنكال والسلاسل. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِذِ الْأَعْتَلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة غافر: ٧١-٧٢].

قال: (وَالنَّارُ فِي أَجْوَاهِهِمْ): كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُلْ لِّكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴿١﴾ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يُحَسِّبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَتَ فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [سورة الهمزة: ١-٩].

﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ أي: مطبقة. فتدخل النار إلى أجوافهم. ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿وَلَهُمْ مَقَمٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [سورة الحج: ١٩-٢١]. فيصب الماء الحار من على رؤوسهم، فينصهر الجلد وما في الأجواف. فعلى كل: الأدلة في ذلك متكاثرة معلومة في كتاب الله عزَّجَلَّ وفي سنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (وَالنَّارُ فِي أَجْوَابِهِمْ، وَفَوْقَهُمْ، وَتَحْتَهُمْ): ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [سورة الأعراف: ٤١]. فالنار من تحتهم كالفراش، ومن فوقهم كاللحاف، والعياذ بالله.

قال: (وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهَنَّمَ مِنْهُمْ هِشَامٌ الْفُوطِيُّ قَالَ: "إِنَّمَا يُعَذَّبُ اللَّهُ عِنْدَ النَّارِ؛ رَدًّا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ"): وهذا من أئمة المعتزلة، والمعتزلة يدخلون في مسمى الجهمية. ولهذا الفتنة التي حصلت في زمن الإمام أحمد تُسمى "فتنة الجهمية"، والذين حصلت منهم الفتنة هم المعتزلة. فإن تلك المقالات إنما أخذت عن الجهمية، والمعتزلة من جملة الجهمية، وهم من أفراخ الجهمية.

وهشام الفوطي من جملة المعتزلة، وله عدة شذوذات، وهذه من جملة ما شذبه: أن الكفار لا يُعذبون في نار جهنم، وإنما يُعذبون عند نار جهنم. وهذا شيء عجيب، وكلام عجيب. يشبه كلام الأشاعرة في قضية الأسباب فإنَّهم لا يرون أن الانكسار حصل بالكسر، وأن الإحراق حصل بالنار. فهم نفاة الأسباب. يعني: إذا جاء شخص إلى زجاجة ويده مطرقة، وضرب الزجاجة بالمطرقة فانكسرت، لا يرون أن انكسارها بهذا الفعل، وإنما حصل فعنده: لما ضرب الإنسان بالمطرقة على الزجاج خلق الله عزَّجَلَّ الانكسار عند هذا الفعل، لا أنه سبب للكسر. وإذا أشعل الشخص



نارًا في شيء فاحترق، لا يرون أن الاحتراق حصل بهذا الإشعال، ولكن لما أشعل النار خلق الله **عَزَّجَلَّ** الحرق، خلقه الله **عَزَّجَلَّ** عند هذا الفعل لا به.

وهكذا إذا أخذ الإنسان سكينًا وذبح شاة فماتت الشاة، لا يرون أن موتها كان بسبب الذبح، وإنما خلق الله الموت عند حصول الذبح لا به. هذا مذهب الأشاعرة في مسألة الأسباب، فهم نفاة الأسباب، وقد أضحكوا بذلك العقلاء. وهشام الفوطي مذهبه شبيه بهذا الأمر، فيرى أن من في النار يُعذبون عندها لا بها، وهذا كلام عجيب غريب.

قال: (وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهَنَّمَ مِنْهُمْ هِشَامُ الْفُوطِيُّ قَالَ: "إِنَّمَا يُعَذَّبُ اللَّهُ عِنْدَ النَّارِ؛ رَدًّا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ): فهذا تكذيب لله **عَزَّجَلَّ** وتكذيب لرسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وقد عرفنا أن مذهب هشام الفوطي من المذاهب الباطلة، وقد ذهب إلى أنه لا يُقال: إن الله **عَزَّجَلَّ** يعذب بالنار، وإنما يعذب "عند النار" - كما ذكر المؤلف، وبعض العلماء يعبر: "في النار". بدل (عند النار) فإن كان يريد بهذه المقولة أنه يُعذبون بغير الحريق، كما يُقال: أهل الجنة ينعمون في الجنة، أي: لهم نعيم في الجنة في ذلك المكان الذي يُقال له الجنة، فينعمون بمطعمهم ومشربهم ومنكحهم وغير ذلك من أنواع النعيم فالجنة اسم لذلك الموضع الذي فيه النعيم، والنار اسم لذلك الموضع الذي فيه العذاب. فيعذبون في النار، أي: في ذلك المكان الذي يُقال له النار، لا أنهم يعذبون بالنار. فهذا القول على هذا المعنى من أبطل الباطل.

فإن الأدلة المتكاثرة قد دلت على أنهم يُعذبون بالنار، يعذبون بالحريق. قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة الأنفال: ٥٠]. وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة البقرة: ٢٤].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَىٰ ۖ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [سورة المعارج: ١٥-١٦].

فالنار تنزع لحمة الوجوه والرأس. وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبَهُتُهُمْ فَلَا يُسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٣٩-٤٠]. فالأدلة المتكاثرة تدل على أنهم يعذبون بالحريق: ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [سورة النساء: ٥٦]. إلى غير ذلك من الأدلة المتكاثرة التي تدل على أنهم يُعذبون بالنار بالحريق: ﴿إِذِ الْأَعْغَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّالِسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾. فهم يُعذبون بالحريق. وهكذا قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٤].

ومعنى **(كَالْحُوتِ)**: أي قد تقلص شفاههم العليا السفلى بسبب الحريق. والشاة إن وضعت في النار تتقلصت شفتها العليا إلى أعلى، والشفة السفلى إلى أسفل، وتظهر حينئذ الأسنان. وهذا هو المراد، وهذا سببه الحريق. وعلى كل: الأدلة متكاثرة من كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** ومن سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** تدل على أن الكفار يُعذبون بالحريق.

وهذا القول من هشام الفوطي من الأقوال الشاذة.

وهو هشام بن عمرو الفوطي، وهو من أئمة المعتزلة، وصاحب فرقة يُقال لها "الهشامية" من فرق المعتزلة، وله هذا الشذوذ، وله غير ذلك من أنواع الشذوذات. من شذوذاته أنه كان يمنع من قول القائل: "حسبنا الله ونعم الوكيل".

فهذا لا يجوز عنده، ولماذا لم يجوزه؟

الجواب: لأنه يفهم من هذه العبارة أن هناك من هو أعلى من الله **عَزَّوَجَلَّ**، يعني: أن هناك من يوكل الله عز وجل. فكان يمنع من هذه العبارة "حسبنا الله ونعم الوكيل". وهذا من الشذوذ الغريب. ولا يلزم من هذه الكلمة هذا المعنى الفاسد؛ بل معناها:



نعم من يُسلم له الأمور ويُفوض له الأمور، فليس المعنى أن هناك أمراً فوق الله **عَزَّوَجَلَّ** أمره بالتصرف.

وكيف يمنع من هذه الكلمة وهي موجودة في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**؟ قالها الأنبياء وقالها الصالحون، وموجودة في أحاديث متكاثرة من سنة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وتلميذه وصاحبه عباد بن سليمان، كان يمنع من أن يقول القائل: "إن الله خلق الكافر". ولماذا لا يجوز؟

قال: كلمة "الكافر" منقسمة إلى قسمين: إلى "كفر" وإلى "إنسان".
يعني الكافر مركب من شيئين: كفر وإنسان. لما اجتمع الأمران قيل: "كافر".
والكفر عند المعتزلة: مخلوق للعباد ولم يخلقه الله سبحانه وتعالى. فالعباد هم الذين يخلقون أفعالهم. فيقول: ما يجوز هذا. يعني: لا بد من التفصيل، لا تقل: الله خلق الكافر؛ يعني قل: خلق الله **عَزَّوَجَلَّ** هذا الإنسان الذي خلق الكفر في نفسه.
وأما أن تقول: خلق الكافر فإن هذا لا يجوز.

ويرى أن النبوة جزاء من الله **عَزَّوَجَلَّ** على عمل من الأعمال، وأنها مستمرة إلى قيام الساعة. وهذه من كفرياته، وهذا تلميذ هشام الفوطي.
فعلى كل: هذا من أئمة المعتزلة. من أموره التي تُذكر أنه جاءه رجل فقال له: "كم تُعُدُّ؟" وهو يسأل عن عمره، يعني: كم تعد من السنين الآن من عمرك؟ فقال له: "أعد من واحد إلى أكثر من ألف".

قال: "ما أردت هذا، كم سنُّك؟" فقال: "اثنتان وثلاثون" يريد أسنان فمه. قال: "ما أردت هذا، كم لك من السنين؟" فقال له: "ليس لي منها شيء، إنها لله" يعني السنوات والأعوام لله تعالى فهو مالكها وخالقها. فقال له: "ما هو سنُّك؟" فقال له: "عظم". قال له: "كم أتى عليك؟" فقال: "لو أتى عليَّ شيء لهلك". أي: لو وقع

شيء على جسدي لأهلكني. فقال له: "ماذا أقول؟" قال: "قل: كم مضى من عمرك؟".

قال الذهبي **رَحِمَهُ اللهُ** في تاريخه: هذا غاية ما عند هؤلاء المتقعرين عباراتٌ وشقَاشِقٌ يتقعرّون بها قديمًا وحديثًا، ويحرفون بها الكلام عن مواضعه، والخطاب العربي عن موضوعه، والحديث العُرفي عن مفهومه في القرآن والحديث، وكلام الناس، فأبعدهم الله، وأبعد شرَّهم اهـ.

فما سلم الناس في خطابهم منهم؛ فيحرفون عرف الناس في خطابهم كما أنهم يُحرفون معاني الآيات القرآنية الظاهرة، ويحرفون معاني الأحاديث النبوية. وقد عرف كل سامع أنَّ السائل إذا سأل مثل هذا السؤال أنه يسأل عن العمر لكن القوم عندهم التعمق في الأمور وتحريف الكلم عن مواضعه.





الالتزام بالصلوات وأوقاتها بدون زيادة ولا نقصان



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَعْلَمُ أَنَّ صَلَاةَ الْفَرِيضَةِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، لَا يُزَادُ فِيهِنَّ وَلَا يُنْقَصُ فِي مَوَاقِيتِهَا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ إِلَّا الْمَغْرِبَ. فَمَنْ قَالَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسٍ فَقَدْ ابْتَدَعَ، وَمَنْ قَالَ أَقَلَّ مِنْ خَمْسٍ فَقَدْ ابْتَدَعَ. لَا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا لَوْفَتِهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِسِيًّا فَإِنَّهُ مَعْدُورٌ، يَأْتِي بِهَا إِذَا ذَكَرَهَا، أَوْ يَكُونُ مُسَافِرًا فَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ إِنْ شَاءَ.

الشَّرْحُ:

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَعْلَمُ أَنَّ صَلَاةَ الْفَرِيضَةِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، لَا يُزَادُ فِيهِنَّ وَلَا يُنْقَصُ):

وهذا أمر معلوم مقطوع به. وقد جاء في حديث الإسراء، حديث أبي ذر في الصحيحين، أن الله عَزَّجَلَّ قال ذلك: "هن خمس، وهن خمسون" -أي: في الأجر- لا أزيد عليهن ولا أنقص.

فهذا أمر قد قضاه الله عَزَّجَلَّ أنه لا يُزاد فرض ولا يُنقص من الخمس فرضاً من الفروض. فهي خمس صلوات واجبة في اليوم واللييلة.

قال: (لَا يُزَادُ فِيهِنَّ وَلَا يُنْقَصُ فِي مَوَاقِيتِهَا): وهذا فيما يتعلق بالصلوات في اليوم واللييلة، أما الصلوات التي ليست من الصلوات المتكررة في اليوم واللييلة، فهناك ما يجب. وإنما الكلام على الصلوات المتكررة في اليوم واللييلة، فهن خمس صلوات، ما في صلاة سادسة متكررة في اليوم واللييلة. لكن قد تجب الصلاة لسبب من الأسباب، كصلاة الجنازة سببها الموت، أو في وقت من الأوقات كصلاة العيدين مثلاً

أو غير ذلك، فهذا غير داخل في الحديث. إنما المراد بذلك الصلوات المتكررة في اليوم واللييلة.

قال: **(لَا يَزَادُ فِيْهِنَّ وَلَا يُنْقُصُ فِي مَوَاقِيْتِهَا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ)**: وهذا أيضًا شيء معلوم، لحديث عائشة في الصحيحين قالت: **«فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا، رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأَقْرَبْتُ صَلَاةَ السَّفَرِ، وَزَيْدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ»**.

قال: **(وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ إِلَّا الْمَغْرِبَ)**: المغرب لا تقصر. وقد ذكر العلماء العلة في ذلك باعتبار أنها وتر النهار، ويقال لها "وتر النهار" وإن كانت في أول الليل باعتبار القرب من النهار، وإلا فهي صلاة ليلية، فالمغرب لا تقصر. ومن قصرها فهو من الجاهلين، وهكذا الفجر أيضًا لا تقصر إلى ركعة.

قال: **(فَمَنْ قَالَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسٍ فَقَدْ ابْتَدَعَ)**: ولهذا رد العلماء على أبي حنيفة حين أوجب صلاة الوتر؛ لأن صلاة الوتر لو كانت واجبة، فمؤدى ذلك أنها ست صلوات واجبة في اليوم واللييلة، والله **عَزَّوَجَلَّ** قد أخبر أنه لا يزيد عليهن ولا ينقص، فما في صلاة واجبة من صلوات اليوم واللييلة مستمرة إلا الخمس الصلوات.

فهذا مما احتج به -كما عرفنا- العلماء على أبي حنيفة وردوا عليه حين أوجب صلاة الوتر.

قال: **(وَمَنْ قَالَ أَقَلَّ مِنْ خَمْسٍ فَقَدْ ابْتَدَعَ)**: وهذا يُنقل عن بعض الخوارج الذين يرون أن الصلاة عبارة عن ركعتين في الغداة في أول اليوم، وركعتين في آخر اليوم، فهذا مما ضل به بعض الخوارج، وهذه بدعة كفرية ظاهرة. فالذي يرى أن الصلاة ما تجب غير ركعتين في الغداة وركعتين في العشي فقط، فهذا كفر ظاهر؛ فإن وجوب الصلوات الخمس مما عُلِمَ من دين الإسلام بالضرورة.



قال: (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا لَوْقَتِهَا): وقد مر معنا أن الوقت هو أعظم شروط الصلاة.

قال: (إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِسْيَانًا فَإِنَّهُ مَعْدُورٌ): أي: إذا أخرج الصلاة عن وقتها، كما في حديث أنس في الصحيحين قال النبي ﷺ: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ».

قال: (أَوْ يَكُونَ مُسَافِرًا فَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ إِنْ شَاءَ): المسافر يجمع بين الصلاتين، وكان هذا هدي النبي ﷺ. ومتى كان النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يجمع بين الصلاتين في السفر، وفي أي موطن؟ كان يجمع "إذا جَدَّ بِهِ السَّيْرُ"، كما في حديث ابن عمر في الصحيحين. فهذه هي سنة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن إذا نزل في بلد في السفر: فالأصل أن يصلي الصلاة في وقتها إلا لعذر كالخوف.

فإن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في يوم تبوك كان نازلاً ومكث عدة أيام في تبوك، وكان يجمع مع نزوله؛ لأنه كان متحياً العدو، كان منتظراً لحضور العدو في أي وقت، وكان الجمع من أجل هذه المصلحة. وإلا فإن سنة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الجمع في السفر إنما هي في أثناء السير، لا في أثناء النزول في السفر، وجمع بعرفة مع نزوله فيها من أجل التفرغ للوقوف بعرفة.

فمن سافر إلى صنعاء وبقي أياماً في صنعاء، أيجمع؟ هو في صنعاء مثلاً، أم يصلي الصلاة في وقتها؟

الجواب: يصلي الصلاة في وقتها، وفي أثناء سيره يجمع، فيجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

وهل يصلي الصلاة قصرًا أم يتمها؟

الجواب: يصليها قصرًا بشرط ألا تفوته الجماعة.

ويكفي في الجماعة أن يكون معه أحد المسافرين، فإذا كان معه أحد المسافرين صلى معه قصرًا. وإذا لم يكن معه أحد من المسافرين، فما الواجب عليه؟

الواجب عليه أن يصلي مع المسلمين صلاة تامة؛ فإن صلاة الجماعة لا تسقط في حق المسافر ولا في حق المقيم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾ [سورة النساء: ١٠٢]. فاجتمع في حقهم: السفر والخوف، ومع هذا ما عذرهم الله **عَزَّوَجَلَّ** في ترك الجماعة، فلا بد من صلاة الجماعة حتى في السفر. لكن المسافر له رخصة أن يصلي مع مسافر آخر، كما في حديث يزيد بن الأسود العامري، قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ إِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ فِي آخِرِ الْقَوْمِ لَمْ يُصَلِّا مَعَهُ قَالَ: «**عَلَيَّ بِهِمَا**». فَأَتَيْتُ بِهِمَا تَرَعْدُ فَرَأَيْتُهُمَا فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَنَا؟**» قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَدْ صَلَّيْنَا فِي رِحَالِنَا. قَالَ: «**فَلَا تَفْعَلَا، إِذَا صَلَّيْتُمَا فِي رِحَالِكُمَا، ثُمَّ أَتَيْتُمَا مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَصَلِّيَا مَعَهُمْ، فَإِنَّهَا لَكُمَا نَافِلَةٌ**». رواه أحمد والترمذي والنسائي.

والشاهد: أن النبي **عليه الصلاة والسلام** لم يُنكر عليهما إقامة الجماعة في الرحال، وإنما أنكر عليهما لما دخلوا المسجد والجماعة قائمة أنهم ما صلوا نافلة معهم.

فاحتج بهذا العلماء أن المسافر له أن يصلي مع مسافر آخر جماعة، وأن هذا يكفي في سقوط الجماعة في حقه، ولا يجب عليه أن يصلي الجماعة في المسجد، بعكس المقيم لا بد أن يصلي الجماعة في المسجد.

على كل: لا بد من صلاة الجماعة في الحضر وفي السفر، إن تيسرت مع مسافر صلى قصرًا، وإن لم تيسر صلى مع المقيمين وأتم.





جواز أن يخرج الرجل زكاة ماله بنفسه أو أن يدفعها للسلطان



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالتَّمْرِ وَالْحُبُوبِ وَالِدَّوَابِّ، عَلَى مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِنْ قَسَمَهَا فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الْإِمَامِ فَجَائِزٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الشرح:

يقول: (وَالزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالتَّمْرِ وَالْحُبُوبِ وَالِدَّوَابِّ، عَلَى مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ): والزكاة فرضها رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه، وبينها رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صحيح سنته، فذكرها النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على التفصيل. منها زكاة النقدين: زكاة الذهب والفضة، وهكذا ما ألحق بهما من هذه العملات الموجودة في هذه الأزمان.

قال: (من الذهب والفضة). فالزكاة واجبة في الذهب والفضة إذا بلغا النصاب وحال عليهما الحول، وهكذا ما ألحق بهما من هذه العملات الورقية أو العملات المعدنية.

قال: (وَالتَّمْرِ وَالْحُبُوبِ). وهي زكاة الخارج من الأرض. والأنسب أن يقال: والتمر بالثاء المثلثة، والحبوب؛ أما التمر بالمشناة الفوقية فالمعنى فيه ما هو ظاهر، لكن الثمر المعنى فيه ظاهر، فإن الزكاة تجب في الخارج من الأرض قد يكون ثمرًا أو حبًا. فهذا أنسب. وهذه العبارة الصحيحة موجودة في بعض النسخ.

فالزكاة قد تكون في ثمر وقد تكون في حبوب. الثمر: كالتمر والزبيب، والحبوب: كالشعير والحنطة. وهذه الأربعة الأصناف هي التي فيها الزكاة على ما جاء في حديث

معاذ؛ فإن النبي **عليه الصلاة والسلام** أمره أن لا يأخذ الزكاة إلا من هذه الأصناف الأربعة، وهي: التمر، والزبيب، والحنطة، والشعير، فتؤخذ الزكاة من هذه الأصناف الأربعة كما أمر النبي **عليه الصلاة والسلام** معاذًا حين أرسله إلى اليمن، والحديث ثابت وله طرق متعددة، جاء عند الدارقطني وعند البيهقي وعند غيرهما، وهو حديث ثابت.

والعلماء تنازعوا وخاضوا فيما تجب فيه الزكاة من الثمر ومن الحبوب، وما دلت عليه السنة أولى، وهو مذهب الإمام أحمد في رواية، ومذهب بعض الصحابة وجماعة من التابعين، فذهبوا إلى أن الزكاة إنما تؤخذ من هذه الأصناف الأربعة، وهي أقوات الناس.

هذه الأصناف الأربعة هي أصول الأقوات: التمر، والزبيب، والحنطة، والشعير. بهذا جاءت السنة. وإن كان هناك من أهل العلم من توسع في هذا الباب وأدخل ما أدخل من الثمار غير ما ذكر، وأدخل ما أدخل من الحبوب غير ما ذكر، غير أن حديث معاذ يدل على الحصر، أنه لا يأخذ إلا من هذه الأصناف الأربعة. فهذا أصح ما يقال في مسألة زكاة الحبوب والثمار، والله تعالى أعلم.

قال: **(وَالدَّوَابُّ)**. وهي زكاة بهيمة الأنعام، والمؤلف عبر بالدواب وهذا تعبير واسع، لكن المراد بذلك بعض الدواب، وهي بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم. ولا تجب الزكاة في غير بهيمة الأنعام. وهكذا أيضًا من الزكاة: زكاة عروض التجارة، كما قال ابن عمر: "ليس في العروض زكاة إلا عَرَضٌ لتجارة". فزكاة عروض التجارة أيضًا داخلة، وهي من جملة الزكاة الواجبة. والمسائل المتعلقة بأحكام الزكاة وأمور الزكاة كما هو معلوم مرجع ذلك إلى كتب الفقه.



قال: (فَإِنْ قَسَمَهَا فَجَائِزٌ): أي: أخرجها وصرفها في موضعها فجائز. لكن إن قسمها لا بد أن يضعها في موضعها، لا يحابي أحدًا، لا يحابي القريب ولا يحابي الصديق، يضعها على حسب الوضع الشرعي.

قال: (وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الْإِمَامِ فَجَائِزٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ): والمؤلف يريد أن يرد على من لا يرى دفع الزكاة للإمام إن حصل منه الظلم والجور، كشأن أهل البدع من الخوارج ومن غيرهم. والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا». قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: «تَوَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ». متفق عليه من حديث ابن مسعود.

قال: (وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الْإِمَامِ) أي: الإمام المسلم، فجائز.



الشهادتان مفتاح الإسلام

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

الشرح:

هذا أول الإسلام، وهذا أول الواجبات. ولما أرسل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ معاذًا إلى اليمن، كما في الصحيحين، قال: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيَّ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى». وفي رواية: «فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ». فأمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ معاذًا حين أرسله إلى اليمن أن يبدأ بهذا الأمر، بالشهادتين، وبين له أن هذا أول ما يأمر به.

وهذا خلاف ما عليه علماء الكلام؛ فإن علماء الكلام يرون أن أول واجب النظر، ومنهم من يقول: القصد إلى النظر، ومنهم من يقول: الشك..

وهل النظر في توحيد الألوهية عندهم أم في توحيد الربوبية؟

الجواب: في توحيد الربوبية، في إثبات أن الله عَزَّجَلَّ هو الخالق. وهذا أمر معلوم بالفطر، مقرر بالفطر، ومعلوم عند سائر الخلق، حتى إبليس يُقر بأن الله عَزَّجَلَّ هو الخالق، وحتى كفار قريش: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزخرف: ٨٧]. فيرون أن هذا أول واجب على الخلق: النظر والتأمل في الكون حتى يستدلوا بذلك على وجود الخالق. ومنهم من يرى القصد إلى النظر؛ لأن القصد متقدم. فالقصد والإرادة متقدم على النظر، فيقولون: أول واجب هو القصد إلى النظر، ثم النظر. ومنهم من يقول:



الشك، فلا بد أن يشك العبد أولاً في وجود الله **عَزَّجَلَّ**، حتى يبدأ من الصفر، فيشك في وجود الله، ثم بعد ذلك ينتقل إلى القصد -وهو الواجب الثاني- ثم إلى النظر -وهو الواجب الثالث-. فيبدأ يكفر، يعني: يكفر كفراً ما وقع فيه إبليس ولا أبو جهل. ويرون أن هذا أول الواجبات؛ فهذا الكفر العظيم يروونه أول واجب، فهو من أعظم الكفر، وعندهم هو أول واجب.

فبين المؤلف **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى** أن أول واجب فقال: **(وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)**. فهذا أول واجب على العباد: "ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ"، فهذا هو أول الواجبات.

قال: **(وَأَنَّ مَا قَالَ اللَّهُ كَمَا قَالَ)**: وهذا مما يجب اعتقاده؛ فإن ما قاله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حق: **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾** [سورة النساء: ٨٧]، **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾** [سورة النساء: ١٢٢]. فما قاله الله **عَزَّجَلَّ** حق، فالله حق وكلامه حق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال: **(وَلَا خُلْفَ لِمَا قَالَ)**: لا خلف لما قال؛ فما قاله الله لا بد أن يكون. وما كان من قبيل الوعد، فهذا أمر ظاهر، ما وعد الله به فلا بد أن يكون. وما كان من قبيل الوعيد، فمن أهل العلم من يقول: "إن إخلاف الوعيد محمود، وإنما الذي يُذم إخلاف الوعد".

وإني إذا أوعدته أو وعدته **لَمْخِلْفُ** إيعادي ومنجز موعدي
وفي هذا شيء من التأمل؛ فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول: **﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾** (٢٨) **﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾** [سورة ق: ٢٨-٢٩]. فذكر الله **عَزَّجَلَّ** الوعيد، ثم قال: **﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾**. فهذا مما يدل على أن الله **عَزَّجَلَّ** لا يخلف الوعيد أيضاً. كما أن الله **عَزَّجَلَّ** لا يخلف الوعد، كذلك لا يخلف الوعيد، هذا على سبيل العموم.

أما ما يتعلق بصاحب الذنب المعين، فقد يعفو الله عنه. فما يتعلق بالكافرين، فإن الوعيد فيهم نافذ. وما يتعلق بالمسلمين باعتبار الشخص المعين، فقد يُعذب وقد يغفر الله له، لكن لا بد من دخول بعض الموحدين في نار جهنم، فلا بد من هذا؛ لأن هذا مما أخبر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عنه، وأخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عن ذلك في أدلة الشفاعة.

فهذا لا بد أن يكون، لا يُقال: إن كل موحد إذا وقع في ذنب لا بد أن يُعذب؛ لأن هذا من الوعيد. لا يُقال هذا: فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ١١٦] فباعتبار الفرد المعين، قد ينفذ فيه الوعيد وقد يغفر الله له. لكن ليس المعنى أنه لن يدخل أحد النار من أهل التوحيد ممن وقع في كبيرة من الكبائر، لا بد من أن يدخل بعض الموحدين نار جهنم بسبب بعض الكبائر.

إذن: ما يتعلق بالوعيد فيه شيء من التفصيل. فما كان في شأن الكافرين فهو وعيد نافذ: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ﴿[سورة ق: ٢٨-٢٩]. وما كان في شأن الموحدين، فهناك من يدخل نار جهنم من عصاة الموحدين، وهناك من يغفر الله له: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

فوعيد الله **عَزَّ وَجَلَّ** في حق الكفار نافذ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء: ٤٨]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [سورة المائدة: ٧٢]. وقال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ﴿[سورة ق: ٢٨-٢٩]. مع أنه وعيد، لكنه قال: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾. وفيما يتعلق بأهل التوحيد، فيغفر الله **عَزَّ وَجَلَّ** لمن يشاء، وينفذ وعيده في حق من يشاء. ولا بد من إنفاذ الوعيد في بعض أهل التوحيد؛ لأن بهذا صحت الأحاديث وتواترت بأن هناك



من الموحدين من يدخل النار ثم يخرج منها. لكن لا ينفذ الوعيد في كل فرد من أفراد عصاة الموحدين، بل هناك من يعفو الله عَنْهُمْ عَنْهُمْ.



الإيمان بشرائع الإسلام كلها

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِالشَّرَائِعِ كُلِّهَا.

الشرح:

وهذا مما يجب، الإيمان به، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. فالإيمان بما أنزل على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو الإيمان بالشرائع: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

فالإسلام فيه شرائع متعددة، يجب الإيمان بها.

وهكذا الأخذ بها والتمسك بها، بجميع الشرائع، ما يأخذ الإنسان بعض الدين ويترك البعض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾، أي: خذوا الإسلام من جميع جوانبه، فكل هذا مما يجب.

وإن كان مقصود المؤلف شرائع من مضى من الرسل فالإيمان بها واجب وهو من الإيمان بالكتب الذي هو ركن من أركان الإيمان لكن العمل يكون بشريعة خاتم النبيين والمرسلين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.





الأصل في البيوع الحل

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ حَلَالٌ، إِذَا بُعِيَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدْخِلَهُ تَغْيِيرٌ أَوْ ظُلْمٌ أَوْ غَدْرٌ أَوْ خِلَافٌ لِلْقُرْآنِ أَوْ خِلَافٌ لِلْعِلْمِ.

الشرح:

قوله: (وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ حَلَالٌ، إِذَا بُعِيَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ): وفي هذا رد على بعض أهل البدع، وعلى بعض الغلاة من المتزهدين الذين يدعون الزهد ويُغالون في هذا الباب، ويرون أن الحلال مفقود في الأرض. فهذا من أقوال أهل البدع وزل في ذلك بعض المتزهدين.

وكان الإمام أحمد رحمة الله عليه يُنكر على هؤلاء، وهكذا أئمة الإسلام يُنكرون على هؤلاء قولهم: أطبقت الأرض بالحرام، وما يوجد شيء من الحلال.

وهو قالوا ذلك باعتبار كثرة الفساد في الناس، وكثرة المعاملات الفاسدة في أوساط الناس، وهذا القول عين الباطل. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [سورة المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢]. فلا بد للعبد إذا أراد أن يفعل الواجبات

أن يستعين بالطيبات. فالقول بأنه ما في طيبات في الأرض، ماذا يؤدي؟

يؤدي إلى ترك الواجبات. أو يقعون في المحرمات. وكل هذا عين الباطل.

والصحيح أن الحلال له وجود في الأرض.

وبعض هؤلاء الذين ينتسبون إلى الزهد دخل لهم الوسواس في هذا الباب، ودخلت هذه المسألة في قلوبهم، فصار بعضهم لا يأكل من أسواق المسلمين شيئاً، ويتجه إلى البراري ويأكل ما تنبت الأرض من الأشجار وما إلى ذلك من أنواع الثمار، ولا يأكل شيئاً من أسواق المسلمين من أجل هذه الشبهة التي دخلت عليه.

ومما يُنقل عن الإمام أحمد رحمته الله: أن ولده صالحاً لما تولى القضاء، امتنع الإمام أحمد من الأكل من منزله، وأن يأكل من خبزه ومن تنوره، وأنه أُعطي شيئاً من خبز ولده صالح فامتنع منه، فُرْمي في نهر دجلة، فحرّم أكل السمك من دجلة خشى أن تكون أكلت من ذلك الخبز.

كل هذه من الأكاذيب على الإمام أحمد.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه: أن صالحاً لم يتولّ القضاء في زمن والده، وإنما تولى القضاء بعد وفاة الإمام أحمد. وهكذا البحار والأنهار الكبار، لو أُلقي فيها سائر النجاسات والمحرمات، فهل تحرم الأسماك التي فيها؟

الجواب: ما تحرم الأسماك بذلك فكيف تحرم بخبز صالح؟!

هذا القول من الأقوال المكذوبة على الإمام أحمد رحمه الله عليه.

والإمام أحمد كان يمتنع من عطايا أو جوائز السلطان، وكان ولده صالح يترخص لنفسه بسبب فقره. فيُعطيهِ السلطان بعض المال ويقبله.

وكان الإمام أحمد رحمه الله عليه يمتنع من جوائز السلطان خشية على دينه، فيخشى منهم أنه بعد ذلك يُوجَّهونه إلى ما يريدون، فكان يخشى على دينه منهم، فلا يأخذ منهم من أجل هذا الأمر، وكان ولده صالح يترخص بذلك، وكان الإمام أحمد يمتنع من الأكل من بيت صالح من أجل أن يزجره. وقيل له: أهو حرام؟ قال: لا.



وسئل عن جوائز السلطان: أهى حرام؟

قال: لا.

وقال له ولده: أحج بهذا المال الذي يأتي من جهة السلطان؟

فأجاز له، ويبيّن أنه يجوز الحج به. لكنه يمتنع من أجل هذا الأمر.

أما هذه القصص فهي من جملة الأكاذيب على الإمام أحمد رحمة الله عليه.

وهذا الأمر لما انتشر في بعض السنين في أوساط الناس: وهو: أن الأرض ليس فيها

شيء من الحلال، انقسم الناس إلى قسمين، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله

عليه: منهم من ترك الأسواق عمومًا، واتجه إلى خارج المدن، إلى الصحاري وإلى

البراري، يأكل من الأشجار أو من الصيد. ومنهم من قال: إذا كان الكل حرامًا، ولا بد

لي في حياتي من الأكل والشرب، إذن يجوز لي أن آخذ ما شئت، من أي وجه كان.

فصار الحلال عندهم ما حلّ في اليد، فصاروا لا يفرقون بين مكاسب طيبة

ومكاسب محرمة فالكل حرام عندهم، يعني أخذ المال عن طريق السرقة، أو أخذ

المال عن طريق التجارة، الكل حرام.

المهم ما حلّ في يده على أي صورة فهو الحلال، وذلك لاضطرارهم إلى الأكل

والشرب وجميع ذلك في نظرهم سواء. فصار بعض الناس لا يتورع، إذ كان الكل في

نظره مستويًا وعلى باب واحد: فإن انشغلت بالتجارة والبيع والشراء فهذا حرام، وإن

انشغلت بالنصب والاحتيال والسرقة وما إلى ذلك فهذا حرام.

إذن: لي أن آخذ ما قدرت عليه في مطعمي وفي مشربي وفي حاجاتي، سواء كان عن

طريق المكاسب أو عن طريق السرقة أو النصب والاحتيال. فصار من الناس من

يسلك هذا المسلك.

فعلى كل: هذا القول من الأقوال المنكرة التي أنكرها أئمة الإسلام، ومنهم المؤلف في هذا الموضع. قال: **(وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ حَلَالٌ، إِذَا بُعِيَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)**

وهناك من ذهب إلى أن الإنسان إن أكل من ذلك المال يأكل أكل المضطر، ما يدفع به الضرورة، كالذي يُخشى على نفسه الموت وعنده مية، فله أن يأكل المية ليدفع عن نفسه الموت، فمنهم من ترخص بهذا المقدار، فما يأخذ إلا مقدار الضرورة، مثل ما يأكل من المية.

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: (وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ حَلَالٌ، إِذَا بُعِيَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).**

نعم، على حكم الكتاب والسنة. فما يتعلق بأمور البيع والشراء مبين أتم البيان في كتاب الله **عَزَّجَلَّ** وفي سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. والأصل في البيع والشراء الحل، هذا هو الأصل، لكن هناك أشياء محرمة مبينة في كتاب الله أو في سنة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

قال: **(إِذَا بُعِيَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدْخِلَهُ تَغْرِيرٌ):** وهذا من باب التمثيل، فما لم يكن فيه أي محذور من المحاذير الشرعية. فإن كان من الغرر، فهذا مما نهى عنه، والغرر هو مجهول العاقبة، "وقد نهى رسول الله **ﷺ** عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ" **رواه مسلم من حديث أبي هريرة**. أي: ما جهلت عاقبته. فما كان مجهول العاقبة فلا يجوز بيعه، كبيع الجمل الشارد، وبيع السمك في الماء، فإن العاقبة مجهولة: قد يتمكن من أخذ ذلك الجمل الشارد وقد لا يتمكن، قد يتمكن من أخذ تلك السمكة في الماء وقد لا يتمكن، وهكذا الطير في الهواء. فما جهلت عاقبته فهو داخل في بيع الغرر.



قال: (أَوْ ظُلْمٌ أَوْ غَدْرٌ): كذلك إن كان هناك شيء من الظلم فإنه لا يجوز.
والغدر معناه: الخيانة في موطن الائتمان. فالخيانة في موطن الائتمان هي الغدر،
والغدر محرم لا يجوز كما هو معلوم.
قال: (أَوْ خِلَافٌ لِلْقُرْآنِ أَوْ خِلَافٌ لِلْعِلْمِ): أي: فإنه لا يجوز.
والعلم يدخل فيه القرآن ويدخل فيه السنة؛ فإن المراد بالعلم علم الشريعة، وعلم
الشريعة يُؤخذ من كتاب الله عزَّ وجلَّ ومن سنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



الجمع بين الخوف والرجاء وتحريم القنوط من رحمة الله

قال الإمام البرهاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ تَصْحَبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدًا مَا صَحِبَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَذَرِي عَلَى مَا يَمُوتُ وَبِمَا يُخْتَمُ لَهُ، وَعَلَى مَا يَلْقَى اللَّهُ **عَزَّجَلَّ** وَإِنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الْخَيْرِ.

وَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْمُسْرِفِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ، وَيُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ، وَيَخَافُ ذُنُوبَهُ؛ فَإِنْ **رَحْمَةُ اللَّهِ** فَبِفَضْلٍ، وَإِنْ عَذَبَهُ فَبِذَنْبٍ.

الشَّرْحُ:

يقول رحمة الله عليه: (**وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ تَصْحَبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدًا مَا صَحِبَ الدُّنْيَا**): والمراد بالشفقة: الخوف من الله **عَزَّجَلَّ**، فيحتاج العبد إلى أن يكون خائفًا من ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ما دام في الدنيا. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٥٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٥٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّعِيرِ ٥٧ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٥٨﴾ [سورة الطور: ٢٥-٢٨]. فذكر الله **عَزَّجَلَّ** عن أصحاب الجنة أنهم كانوا في أهلهم مشفقين خائفين وجلين، هكذا كانوا في الدنيا.

وكثير من الناس في أمن، لا يخافون الله **عَزَّجَلَّ** ولا يخافون عذاب رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهم في غفلة عن الساعة وما فيها من الأهوال.

وأما هؤلاء فكانوا في خوف وشفقة، وكثير من الناس في أمن وهم في خوف وشفقة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٥٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّعِيرِ ٥٧﴾



٢٧. فخافوا من ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الدنيا فأمنهم في الآخرة، فهذا مما ينبغي أن يكون عليه العبد.

لكن ليس المعنى أن يُفرط في جانب الخوف، فإن الإفراط في جانب الخوف يُوقع العبد في اليأس من رحمة الله **عَزَّ وَجَلَّ**، في القنوط من رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا أمر عظيم، وإنما يكفي العبد من الخوف ما يردعه عن معصية الله، هذا هو الخوف النافع، الخوف الذي يردع العبد عن معصية الله ولا يبلغ بالعبد إلى القنوط من رحمة الله، فإن بلغ بالعبد إلى أن يقنط من رحمة الله فقد وقع في أمر عظيم وفي كبيرة من كبائر الذنوب.

ومع هذا أيضًا يحتاج إلى الرجاء، والسائر إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحتاج إلى محبة تقوده إلى الخير، وإلى خوف، وإلى رجاء. وذكر العلامة ابن القيم رحمة الله عليه: "أن السائر إلى ربه كالطائر".

فالمحبة كرأس الطائر، والخوف والرجاء كجناحيه. فالطائر يسير برأسه ويسير بجناحيه، وهكذا الذي يسير إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو كالطائر: إن انقطع جناح من الجناحين لم يتمكن من الطيران، وسار في الأرض سيرًا بطيئًا، وإذا انقطع الآخر كذلك، وإذا انقطع الرأس فإنه يموت ويهلك. فالعبد يحتاج إلى هذه الثلاثة الأمور.

ولهذا يُقال: من عبد الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالمحبة وحدها فهو زنديق، ومن عبد الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالخوف وحده فهو حَرُورِي، ومن عبد الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالرجاء وحده فهو مرجئ. والعبد المؤمن الموحد هو الذي يعبد ربه بالمحبة والخوف والرجاء.

فإن هناك من توسع في باب المحبة فوقع في الزندقة، كزنادقة الصوفية، يدعون المحبة ويتكلمون في المحبة والمُحِبِّ والحبيب وما إلى ذلك، يتوسعون في هذا الباب حتى يقول قائلهم: "المُحِبُّ يفعل ما يريد"، يعني: افعل ما شئت من الذنوب

والمعاصي فالله **عَزَّوَجَلَّ** يتغاضى عنك، فإن المحب يفعل ما يريد. إذا بلغت هذه المرتبة فافعل ما تريد.

فلهذا قال من قال من علماء السلف -ويذكرها كثيراً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه-: من عبد الله بالمحبة وحدها فهو زنديق، محبة من غير خوف ولا رجاء باب من أبواب الزندقة.

ومن عبد الله **عَزَّوَجَلَّ** بالخوف وحده فهو حَروري؛ فالحرورية غلبوا أدلة الخوف فوقوا فيما وقعوا فيه من الباطل. ومن عبد الله بالرجاء وحده - فغلب جانب الرجاء وأخذ بأدلة الرجاء -، فهو مرجئ، هذا مذهب المرجئة.

والصواب في ذلك: أن العبد يجمع بين هذه الأمور الثلاثة، يعبد الله **عَزَّوَجَلَّ** بالمحبة والخوف والرجاء بهذه الأمور الثلاثة، لا بمحبة مفردة ولا خوف مفرد. والخوف المفرد قد يُوقع العبد في اليأس والقنوط من رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ**. فيحتاج إلى هذه الأمور الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، وإن كان في بعض الأوقات قد يُغلب شيء على شيء، قد يغلب الخوف في بعض المواطن على الرجاء، وفي بعض المواطن يغلب الرجاء على الخوف.

فيحتاج العبد إلى أن يخاف ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حتى يبتعد عن معاصيه، ويحتاج إلى أن يكون في قلبه شيء من الرجاء حتى لا يقنط من رحمة الله. فإذا زال الرجاء من قلبه حصل القنوط من رحمة الله، فلا بد من الخوف ومن الرجاء. والخوف يكون في جانب الطاعات، حتى لو فعل العبد الطاعات، فيحتاج أيضاً إلى الخوف حتى في جانب الطاعات فيخاف أن لا يتقبلها الله **عَزَّوَجَلَّ** منه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٠]. وقلوبهم وجلة، يعملون الأعمال الصالحة من صيام



وصلاة وصدقة ويخافون أن لا تُقبل منهم، وإذا لم يكن خوف في جانب الطاعات، فإنه يدخل في الإنسان العُجب.

وفي جانب الذنوب والمعاصي يغلب جانب الخوف، فإذا راودته نفسه على ذنب من الذنوب فإنه يُغلب جانب الخوف. لكن إن وقع في الذنب وتاب إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فيحتاج إلى الخوف والرجاء. فيخاف من ذنوبه ويرجو رحمة ربه أن يغفر الله له.

فإذا انتهى من الذنب وتاب إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فهذا يحتاج إلى الخوف والرجاء؛ حتى يعظم ندمه وحتى لا يرجع إلى الذنب مرة أخرى وتصح توبته. ويحتاج إلى الرجاء حتى لا يقنط من رحمة الله ويظن في نفسه أن الله لن يغفر له، فيظن هذا الظن السيء بربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنه لن يغفر له، والله عند ظن عبده به.

قال: **(وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ تَصَحَبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدًا مَا صَحِبَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي عَلَى مَا يَمُوتُ وَبِمَا يُخْتَمُ لَهُ، وَعَلَى مَا يَلْقَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ وَإِنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الْخَيْرِ):** نعم، لئلا يُصيبه العُجب. فمهما عمل من الأعمال الصالحة فينبغي أن يكون في قلبه الخوف والوجل أن لا يُقبل الله منه.

قال: **(وَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْمُسْرِفِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ):** نعم، ليس خوفاً من غير رجاء. فإذا وقع العبد في الذنوب والمعاصي يخاف فلا بد أن يخاف من ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لكنه لا يقطع الرجاء. فإنه إذا حصل منه الخوف والرجاء حصلت منه التوبة.

وإذا كان عنده رجاء من غير خوف، فيرجو أن الله **عَزَّجَلَّ** يغفر له من غير خوف، فإنه لا يتجه إلى التوبة، بل هو عبد مغرور، فيعمل الذنوب والمعاصي وما في قلبه شيء من الخوف، ويقول: أرجو أن يغفر الله لي، فهذا غرور. فيحتاج إلى الخوف

والرجاء: خوف يجعله يتوب إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ويرجع إليه، ورجاء حتى لا يقنط من رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وفي حديث جابر في مسلم، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ**». فلا يموت الإنسان إلا وعنده حسن الظن بربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإن الله **عَزَّجَلَّ** عند ظن عبده به، كما أخبرنا بذلك نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عن ربه **عَزَّجَلَّ**: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**».

قال: **(وَيُحْسِنُ ظَنَّهُ بِاللَّهِ، وَيَخَافُ ذُنُوبَهُ)**: يجمع بين الخوف والرجاء.

قال: **(فَإِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَبِفَضْلٍ، وَإِنْ عَذَّبَهُ فَبِذَنْبٍ)**: فإن الله **عَزَّجَلَّ** لا يظلم العباد، وليس بظلام للعبيد، والله **عَزَّجَلَّ** حرم الظلم على نفسه كما دلت على ذلك الأدلة. فمن رحمه ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فذلك فضل من الله ومنة، وإن عذبه فبعدله، فإنه يعذبه بذنوبه ومعاصيه.



إخبار الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ بما يكون من بعده

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَعَ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الشرح:

فهذا من الإيمان الواجب، أن نؤمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة، كما جاءت بذلك الأخبار الصحاح في هذا الأمر.

فقد جاء في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ».

وفي حديث عمرو بن أخطب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مسلم: «قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا».

فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خطب في الناس تلك الخطبة الطويلة التي لا نظير لها، من بعد صلاة الفجر إلى أن غربت الشمس، ما انقطعت خطبة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا بالصلوات: فصلّى الصبح ثم خطب بهم إلى الظهر، ثم صلى الظهر وخطب بهم إلى العصر، ثم صلى العصر وخطب بهم إلى المغرب، وذكر لهم كل ما يكون إلى يوم القيامة، فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا كما قال الراوي. فهذا مما نؤمن به: أن الله عَزَّوَجَلَّ أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة، وأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر بذلك الأمة في تلك الخطبة الطويلة التي خطبها.

فهذا مما يدل على صحة ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ، لكن ليس المراد من مثل هذه الأحاديث أن الله عزَّ وجلَّ أطلع نبيه على كل شيء يحصل في أمته، حتى من الأمور اليسيرة التي لا يتعلق بها أمر من الأمور الهامة، كمسألة أن فلاناً يتحدث مع فلان، وفلان يمشي مع فلان، وفلان يقول كذا، وما إلى ذلك من الأمور التفصيلية. وإنما المراد بذلك الأمور الهامة من أمور الفتن، والأمور الهامة التي تحصل في هذه الأمة. فالأحاديث محمولة على هذا المعنى، على الأمور الهامة والأمور العظام من الفتن والملاحم وما إلى ذلك مما يحصل في هذه الأمة، فهي محمولة على مثل هذا المعنى.

قال: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» أي: من الأمور العظام، من أمور الفتن والشُرور وما إلى ذلك من الأمور العظام، فكلامه محمول على مثل هذا المعنى.





افتراق الأمة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي.

الشرح:

وحديث الافتراق حديث مشهور، وقد جاء عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهو حديث ثابت عن رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وفيه ما سيحصل لهذه الأمة من الافتراق الكبير، أكثر من افتراق اليهود والنصارى. وأخبر النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن تلك الفرق في النار، «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، وهي الفرقة الناجية والفرقة المنصورة، وهم أهل الحديث، وهم أهل السنة المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهم الجماعة الذين اجتمعوا على الحق.

وما جاء في بعض الأحاديث: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، فمن حيث الإسناد لا يثبت، أما من حيث المعنى فهو صحيح، فالهداية والخير في هذا الأمر فيما كان عليه النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والصحابة: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [سورة البقرة: ١٣٧]. ويدخل في هذا النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والصحابة. فالهداية فيما كان عليه النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والصحابة: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء: ١١٥]. والصحابة يدخلون دخولاً أولياً في

هذا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، دخل في هذا الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، أي: يجب متابعة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وعدم مشاققاته، وعدم الخروج عن طريق الصحابة، فهم أصل المؤمنين: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥]. فمعنى الحديث صحيح، وإن كان من حيث الإسناد فيه شيء من الضعف فيما يتعلق بهذه الجملة: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

والنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ»، فحث على سنته وسنة خلفائه الراشدين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين. وقال تعالى: ﴿وَالسَّيْقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]. والأدلة الواردة في الباب كثيرة، تدل على صحة هذا المعنى. فهذه الفرقة الناجية المنصورة، من كان على مثل ما كان عليه رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وأصحابه.

والحكم بأن جميع الفرق إلا فرقة واحدة في النار هو من الحكم العام. وأما الفرد من أفراد أهل البدع والأهواء، فإنه لا يُعَيَّن، فلا يُقال: إن فلاناً من أهل النار، حتى ولو مات على بدعته فلا يُعَيَّن، فأمره إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو العليم بعباده. وهذه أدلة وعيد عامة تجري على عمومها، ونؤمن بها كما جاءت. وأما تنزيل مثل هذه الأحاديث على فرد معين، فلا ننزل هذه الأحاديث على فرد معين من أهل البدع. كما أننا لا ننزل أيضاً هذه الأحاديث - حديث النجاة من النار - على الفرد المعين ممن هو من أهل السنة، وإنما نرجو له. فالمعین نرجو له الخير، إلا من دل الدليل بأنه من أهل الجنة، كالمبشرين بالجنة العشرة، وكغيرهم، فهؤلاء نُعَيَّن الواحد منهم لثبوت الدليل في تعيينه بأنه من أهل



الجنة. وما لا دليل عليه، فمن كان من أهل السنة، أظهر السنة والخير، فيرجى له
الخير، ولا يُجزم في حق المعين، فلا نجزم في حق المعين بجنة أو نار إلا على حسب
ما تدل عليه الأدلة الشرعية.



ظهور الدين في زمن الخلافة الراشدة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَكَذَا كَانَ الدِّينُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهَكَذَا كَانَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ.
فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَحِمَهُ اللهُ جَاءَ الْإِخْتِلَافُ وَالْبِدْعُ، وَصَارَ النَّاسُ أَحْزَابًا، وَصَارُوا
فِرْقًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَتَ عَلَى الْحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغْيِيرِ، وَقَالَ بِهِ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا
النَّاسَ إِلَيْهِ، فَكَانَ الْأَمْرُ مُسْتَقِيمًا، حَتَّى كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلَافَةِ بَنِي فُلَانٍ
انْقَلَبَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ النَّاسُ جَدًّا، وَفَشَتِ الْبِدْعُ، وَكَثُرَ الدُّعَاءُ إِلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْحَقِّ
وَالْجَمَاعَةِ، وَوَقَعَتِ الْمِحْنُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحَدُ
أَصْحَابِهِ، وَدَعَا إِلَى الْفُرْقَةِ - وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْفُرْقَةِ - وَكَفَرَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا، وَكُلُّ دَعَا إِلَى رَأْيِهِ وَإِلَى تَكْفِيرٍ مَنْ خَالَفَهُ؛ فَضَلَّ الْجَاهِلُ وَالرَّعَاعُ وَمَنْ لَا
عِلْمَ لَهُ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَخَوَّفُوهُمْ عِقَابَ الدُّنْيَا، فَاتَّبَعَهُمُ
الْخَلْقُ عَلَى خَوْفٍ فِي دُنْيَاهُمْ، وَرَغْبَةٍ فِي دُنْيَاهُمْ.

فَصَارَتِ السُّنَّةُ وَأَهْلُهَا مَكْتُومِينَ، وَظَهَرَتِ الْبِدْعُ وَفَشَتِ، وَكَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا
يَعْلَمُونَ مِنْ وُجُوهِ شَتَّى، وَوَضَعُوا الْقِيَّاسَ، وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وَآيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ
وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ عَلَى عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ، فَمَا وَافَقَ عُقُولَهُمْ قَبِلُوهُ، وَمَا لَمْ يُوَافِقْ عُقُولَهُمْ
رَدُّوهُ، فَصَارَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً، وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءُ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ.

الشرح:



يقول: (هَكَذَا كَانَ الدِّينُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ) في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث الذي سبق الكلام فيه، حديث الافتراق، وأن الفرقة الناجية هي الجماعة. فكان الناس على الجماعة، وكانوا جماعة واحدة. في زمن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان الناس -أريد بذلك أهل الإسلام- فكان المسلمون جماعة واحدة في زمن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهكذا في خلافة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهكذا في خلافة الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهكذا في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانوا جماعة واحدة، ما كان هناك الفرق والاختلاف في هذا الدين، بل كانوا جماعة واحدة. فلما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابتدأت الفرقة؛ فخرج الخوارج وثار من ثار على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتلوه ظلماً وبغيًا.

فلما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهر الاختلاف الكبير في هذه الأمة، وظهرت الأهواء بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فلما تولى الخلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرجت الخوارج، وحصل ما حصل في الأمة من فتن، كالفتنة التي حصلت بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين معاوية في بلاد الشام، وبين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين طلحة والزبير في يوم الجمل، فحصل ما حصل من الفتن والشُرور في أوساط الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

والكل بين مجتهد مصيب ومجتهد مخطئ، لا نذكرهم إلا بالجميل، وما حصل بينهم من الفتن والملاحم نعتذر لهم بما سلف ذكره، وأنهم بين مجتهد مصيب في اجتهداه له أجران، وبين من أخطأ فله أجر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

لكن بعد ذلك بدأت الأهواء تظهر، فظهرت الخوارج في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم تتابعت الأهواء بعد ذلك وحصلت الفرقة في الدين. وفي عهد صغار الصحابة كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، ظهرت القدرية وأنكر عليهم الصحابة الذين بقوا إلى ذلك الوقت إنكاراً شديداً، ثم تتابعت الأهواء، وحصلت الفرقة في هذه الأمة

وانتشرت انتشاراً كبيراً. قال: (هَكَذَا كَانَ الدِّينُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا). ما في أهواء ولا في فرقة واختلاف في الأمة.

قوله: (وَهَكَذَا فِي زَمَنِ عُثْمَانَ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ الْإِخْتِلَافُ وَالْبِدْعُ وَصَارَ النَّاسُ أَحْزَابًا وَصَارُوا فِرَقًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَّتَ عَلَى الْحَقِّ): وهؤلاء هم الفرقة الناجية المنصورة الذين ثبتوا على الحق.

قال: (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَّتَ عَلَى الْحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغْيِيرِ): أول ما حصل التغيير في الأمة ثبتوا على الحق الذي كان قبل ذلك، الذي كان في زمن رسول الله ﷺ والصلاة والسلام، وكان في زمن الصديق، وفي زمن عمر، وفي زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. فأول ما حصل التغيير وحصل الاختلاف والفرقة وظهرت البدع، هناك من ثبت على الحق، ولم يتغير مع المتغيرين.

قال: (ثَبَّتَ عَلَى الْحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغْيِيرِ وَقَالَ بِهِ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ): وهؤلاء -كما عرفنا- هم الناجون، وهؤلاء هم الفرقة الناجية المنصورة، وهؤلاء هم أهل السنة، وهؤلاء الذين سلمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من البدع والشُرور.

وهذا هو الواجب على الناس: إذا حصل شيء من التغيير فالواجب عليهم أن يرجعوا إلى ما كان عليه من ماضٍ، يرجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة النبي ﷺ والصلاة والسلام، وإلى ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ما كان عليه الخلفاء وسائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

فهذا هو الواجب عند حصول التغيير، فلا يتغير الإنسان مع المتغيرين، ولا يحدث مع المحدثين، وإنما يرجع إلى الأصل الأول، يرجع إلى ما كان عليه النبي ﷺ والصلاة والسلام والصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.



قال: (فَكَانَ الْأَمْرُ مُسْتَقِيمًا حَتَّى كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلَافَةِ بَنِي فُلَانٍ): أي: حصل التغيير (حَتَّى كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلَافَةِ بَنِي فُلَانٍ). وما الذي يريد؟ (فِي خِلَافَةِ بَنِي فُلَانٍ)؛ يريد الخلافة العباسية، فإن كثيرًا من الشرور حصلت في تلك الخلافة، فَعُرِّبَتْ كتب الفلاسفة في خلافة المأمون العباسي، وحصل ما حصل من الشر والفتنة، وقويت شوكة الجهمية، وقويت شوكة المعتزلة في الخلافة العباسية، ودخل في تلك الفتنة -كما عرفنا- المأمون، ثم أقام المحنة أيضًا بعده المعتصم، ثم بعد ذلك استمرت الفتنة إلى ثالثهم وهو الواثق. فلما جاءت خلافة المتوكل رُفِعَت المحنة، وانتشرت السنة، وقُمِعَت البدعة، وأُخْرِجَ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى من السجن، وانتشر صيته وعلا فضله وارتفعت مكانته رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قال: (فَكَانَ الْأَمْرُ مُسْتَقِيمًا حَتَّى كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلَافَةِ بَنِي فُلَانٍ، انْقَلَبَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ النَّاسُ جِدًّا، وَفَشَتِ الْبِدْعُ، وَكَثُرَ الدُّعَاةُ إِلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْجَمَاعَةِ، وَوَقَعَتِ الْمِحْنَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ).

وهي المحنة المشهورة بمحنة خلق القرآن، امتحن الناس في هذا الأمر امتحانًا بالغًا، والضرر حصل من جهة الخلفاء؛ حين وقعت هذه الفتنة في قلوبهم، ودخل هذا الشر إلى قلوبهم -وهو القول بخلق القرآن- فإن أهل البدع استغلوا الخلفاء في ذاك الزمن لفتنة الناس، وحصل ما حصل من الشر العظيم والبلاء الكبير.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَبْتَلِي الْعِبَادَ، فابْتَلَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْعِبَادَ فِي ذَاكَ الزَّمَنِ، فَثَبَتَ مِنْ ثَبَتِهِ اللهُ، كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى غَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ، وَرَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْزِلَتَهُ، وَأَعْلَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَكَانَتَهُ، فَعَرَّضَ عَلَى الْفِتْنَةِ فَخَرَجَ كَالذَّهَبِ الْمَصْفَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قال: (وَوَقَعَتِ الْمِحْنَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ): واستمرت -كما عرفنا- في عهد أولئك الخلفاء خليفة بعد خليفة، والناس

يُمْتَحَنُونَ وَيَتَلَوْنَ بِلَاءً عَظِيمًا. والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى عليه في السجن، ويُعَذَّب أشد العذاب، ويُضْرَب أشد الضرب، وهو صابر مجاهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وأبى أن ينقاد لما أرادوا، وهانت عليه نفسه في مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فصبر الصبر العظيم. وشاركه في ذلك غيره من أهل العلم، فهناك من صبر وهم قلة، وهناك من فر بدينه، وهناك من أجاب متأولاً، يتأول قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة النحل: ١٠٦].

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى عليه لم يُصَوِّب من تأول في ذلك؛ لأن الفتنة عظيمة، ولأن الضرر لا يقتصر على الإنسان نفسه، وإنما هو من الضرر المتعدي لعامة الناس. فإذا ما كُتِمَ الحق وتكلم العالم بالباطل، انتشر الباطل في أوساط الناس، فليس هو من الضرر الخاص.

والضرر إذا كان من قبيل الضرر الخاص، فللإنسان أن يدفع الضر عن نفسه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾. فهذا فيما يتعلق بالضرر الخاص. وأما ما يتعلق بالأمة وبعقيدة الناس، فلا بد من الصبر مهما حصل، ولو قُتِل الشخص؛ لأنه إن تكلم بالباطل، انتشر الباطل في أوساط الناس، واعتقد الناس الكفر والعياذ بالله. فكان المقام مقام صبر ومقام جهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. ولهذا شدد الإمام أحمد النكير على من أجاب في الفتنة، وهجر جماعة من كبار العلماء بسبب ما حصل منهم من التأول في هذا الباب، والظن فيهم أنهم اجتهدوا في ذلك وحصل لهم الخطأ، وما تعمدوا الخطأ، رحمة الله تعالى عليهم جميعاً. لكن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى رأى أن ما فعلوه ليس بصواب، وكان الواجب عليهم الصبر. ولهذا -كما عرفنا- هجر من هجر منهم من أجل هذا الأمر.

فذلك بلاء عظيم وفتنة عظيمة، ثبت فيها من ثبت، وزل فيها من زل، ثم كُشفت الفتنة، وارتفع الحق، وقوي وظهر. وهذه سنة الله **عَزَّجَلَّ** في خلقه: أن الباطل لا يستمر، بل لا بد له من زوال، وإنما يبتلي الله **عَزَّجَلَّ** العباد في وقت من الأوقات بظهور الباطل، ثم مآل الباطل بعد ذلك إلى الزوال، ولا يبقى إلا الحق. قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [سورة الأنبياء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [سورة الإسراء: ٨١].

قوله: **(فِي خِلَافَةِ بَنِي قُلَانٍ)** يريد خلافة بني العباس، الخلافة العباسية، ولم يصرح بهم، وربما خشي الضرر على نفسه كما أخشى أبو هريرة رضي الله عنه الضرر على نفس في كتم بعض أحاديث الفتن، فروى البخاري عن أبي هريرة قَالَ: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشَّتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشَّتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ".

قال: **(وَدَعَوْا إِلَى الْفِرْقَةِ)**: فإن كل من يدعو إلى البدعة فهو يدعو إلى الفرقة، فإن الفرقة مقرونة بالبدعة، فيقال: أهل الفرقة والابتداع، كما أن الجماعة مقرونة بالسنة، السنة والجماعة، فإذا وجدت البدعة وجدت الفرقة ولا بد.

وقد نهى الله **عَزَّجَلَّ** عن الفرقة في آيات كثيرة: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَأَسْتَفِئَهُمْ فِي شَتَّى﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في الباب.

قال: **(وَكَفَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)**: وهذا شأن أهل البدع والأهواء، فإنهم يكفر بعضهم بعضًا؛ لأن دينهم ليس مبنياً على هدى، فيكفرون من خالفهم فيما هم فيه من العقائد الباطلة. فالجهمية والمعتزلة والأشاعرة بينهم الخلاف الكبير، ويكفر بعضهم بعضًا في بعض المسائل، وإن كانوا في المقابل يجتمعون على أهل السنة، فأهل البدع

يجتمعون على أهل الحق، وهم في أوساطهم مختلفون، يرد بعضهم على بعض، بينهم الردود والمؤلفات، وربما يتلفظ بعضهم بتكفير بعض وتضليل بعض. وكم بين الأشاعرة وبين المعتزلة من الردود والمؤلفات، وبين الأشاعرة وبين الفلاسفة.

قال: **(وَكُلُّ دَعَا إِلَى رَأْيِهِ وَإِلَى تَكْفِيرٍ مِّنْ خَالِفِهِ، فَضَّلَ الْجُهَالُ وَالرَّعَاغُ):** وهم سفلة الناس.

قال: **(فَضَّلَ الْجُهَالُ وَالرَّعَاغُ وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ):** فصار الجاهل لا يعرف الحق مع من: فذاك يدعو إلى ما هو عليه ويكفر من خالفه، وذاك يدعو إلى ما هو عليه ويكفر من خالفه، والضحية هم الجهال. وإنما أتوا من ابتعادهم عن العلم، فالجهل فيه ما فيه من الضرر. فالجهال هم وقود الفتن على مر التاريخ، سواء ما يتعلق بفتن الدين أو فتن الدنيا؛ هم وقود الفتن، فإن هاجت الفتن في الدنيا فوقودها الجهال، وإن هاجت الفتن في الدين بالبدع والأهواء، فإن وقودها أيضًا الجهال، فهم وقود الفتن المتعلقة بالدين أو بالدنيا.

قال: **(وَأَطَمَعَ النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا):** أي: أولئك الجهمية والمعتزلة أطمعوا من وافقهم بشيء من الدنيا، بشيء من المال، بشيء من المناصب. وهذا شأن أهل البدع والأهواء، فإنهم يستعملون الترغيب والترهيب، ولا يستعملون الحجاج لضعفهم، وإنما يتقوون إما بالترغيب وإما بالترهيب. فهذا شأن أهل البدع على مر التاريخ، وشأن كل من يدعو إلى باطل، فإن الباطل ليس له قوة من حيث الحجة والبيان، فلهذا يريد أهل الباطل أن يقووا باطلهم إما بالترغيب وإما بالترهيب.

قال فرعون: ﴿قَالَ لِّئِنْ أُتِّخِذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٩]. وما الذي كان بينه وبين موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أم حاجة أم حروب؟ كانت حاجة بينه وبين موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فمبدأ الآيات، كلها محاجة: ﴿وَفَعَلْتَ



فَعَلَّتْكَ أَلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٠﴾ [سورة الشعراء: ١٩-٢٠]، ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٢]، ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة طه: ٤٩-٥٠]. كلها محاجة بينه وبين موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان موسى يُحاج فرعون بما ينقطع به باطله. وبماذا تقوى في آخر الأمر؟ باستعمال القوة: ﴿قَالَ لَئِنْ أُتِخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٣﴾﴾. فهذا شأن كل صاحب باطل، يريد أن يمرر باطله إما بالترغيب وإما بالترهيب. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [سورة إبراهيم: ١٣].

إما أن تدخلوا في ديننا وإلا أخرجناكم. ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٦٧]، ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١١٦]. فهذا شأن أصحاب الباطل، إذا أرادوا أن يُقووا باطلهم إما بجانب الترهيب وإما بجانب الترغيب، وهذا ما فعله المعتزلة في ذاك الزمن.

قال: (وَأَطَمَعَ النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَخَوَّفُوهُمْ عِقَابَ الدُّنْيَا) "جمعوا لهم بين هذا وهذا.

قال: (فَاتَّبَعَهُمُ الْخَلْقُ عَلَى خَوْفٍ فِي دِينِهِمْ وَرَغْبَةٍ فِي دُنْيَاهُمْ): وحصل بسبب ذلك ما حصل من البلاء والشر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَصَارَتِ السُّنَّةُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مَكْتُومِينَ): وهذا ابتلاء وامتحان، والله عَزَّوَجَلَّ يتلى الخلق بما يشاء: ﴿الْم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة العنكبوت: ١-٢]. هذا الشيء لا يكون، فمن أظهر الإيمان وصدق في إيمانه، فلا بد أن يُبتلى، ولا بد أن يُمتحن.

قال: (فَصَارَتِ السَّنَةُ وَأَهْلُ السَّنَةِ مَكْتُومِينَ، وَظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ وَفَشَتْ): وهكذا شأن الباطل، يكون له رواج في أول ظهوره لما فيه من الزينة والبهرجة، ثم بعد ذلك يزول الباطل ولا يبقى إلا الحق، هذه سنة الله **عَزَّجَلَّ** في هذا الأمر، في الحق والباطل. وفي البخاري وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: عَنْ خَلْفِ بْنِ حَوْشَبٍ: كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ عِنْدَ الْفِتَنِ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فِتْيَةً تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضَرَامُهَا وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ
شَمْطَاءٌ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ

قال: (وَكَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ وُجُوهِ شَتَّى): وهم الذين دعوا إلى القول بخلق القرآن.

إذن: المعتزلة كفروا من وجوه شتى؛ فإن هذه المقولة -القول بخلق القرآن- كفر بالله **عَزَّجَلَّ** من وجوه متعددة؛ لما فيها من التكذيب لله **عَزَّجَلَّ**، فإن الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٦].

فهو كلام الله **عَزَّجَلَّ**، وكلام الله منه، والقول بأن القرآن مخلوق يلزم منه أن كلام الله مخلوق، ويلزم منه أن شيئاً من الله مخلوق، وكل هذا كفر بالله **عَزَّجَلَّ**، وفيه الاستهانة بكتاب الله **عَزَّجَلَّ**. فإذا كان القرآن من جملة المخلوقات فليست له حرمة، ولهذا يرى هؤلاء أن رمي المصحف في القمامات ووضع القاذورات عليه ودوس المصحف ليس كفرًا؛ لأنه مخلوق، فدوس المصحف كدوس الأرض ودوس الحجارة ودوس الفرش، وإلقاء المصحف في القمامات كالإلقاء الأحجار في القمامات والأشجار وغير ذلك من المخلوقات. فهذا القول يؤدي إلى الاستهانة بكتاب الله **عَزَّجَلَّ**، وهذا كفر بالله **عَزَّجَلَّ**، وفيه إبطال للرسالة، فإن الرسول هو المبلغ لكلام من



أرسله، وإذا كان الله **عَزَّجَلَّ** ليس له كلام -وهو صفة من صفاته- فهذا إبطال للرسالة، وهذا كفر بالله **عَزَّجَلَّ**، إلى غير ذلك من أنواع الكفر. فهذه المقولة وهذه العقيدة الباطلة -وهي القول بخلق القرآن- قد جمعت صوراً متعددة من صور الكفر والعياذ بالله. ولهذا لما علم أئمة السلف خطورة هذه المقولة اشتد نكيرهم عليها، فاشتد نكيرهم على الجهمية وكفروهم بسببها، واشتد نكيرهم على المعتزلة وبالغوا في إنكارها، وعلى رأسهم الإمام أحمد رحمة الله عليه، فإنه حاربها من كل جهة. وقد سبق أن تكلمنا فيما مضى كيف أن أهل البدع أرادوا أن يتوصلوا لهذه المقولة بأنواع الطرق الخفية، ففضحهم الله **عَزَّجَلَّ**، وأقام لهم أئمة السنة، فكشفوا مكرهم وردوا باطلهم، سواء فيما يتعلق ببدعة اللفظية أو بدعة الواقعة، أو إطلاق القول بأن حروف المعجم مخلوقة، أو القول بأن الإيمان مخلوق، أو غير ذلك من المسائل التي تكلمنا عليها فيما مضى.

وأئمة السلف وقفوا لهؤلاء بالمرصاد، وعلموا أنهم أرادوا أن يتوصلوا بهذه الأمور إلى القول بخلق القرآن، فحاربوا هذه المسألة أشد المحاربة لما فيها من الخطورة؛ لأنها جمعت أنواعاً شتى من أنواع الكفر.

فقال **رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَوَضَعُوا الْقِيَاسَ):** وهو القياس الفاسد، القياس المنطقي الذي جاء به علماء المنطق. أما القياس الصحيح فإنه لا يُنكر، وإنما هؤلاء أحدثوا القياس المنطقي، القياس الفلسفي.

قال: **(وَوَضَعُوا الْقِيَاسَ، وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وَآيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ عَلَى عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ، فَمَا وَافَقَ عُقُولُهُمْ قَبْلُوهُ، وَمَا خَالَفَ عُقُولُهُمْ رَدُّوهُ، فَصَارَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً، وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءَ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ).**

معلوم أن أهل الباطل من الجهمية والمعتزلة حكّموا عقولهم في الأمور العظام، فيما يتعلق برب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وخاضوا في أعظم الأمور - ما يتعلق برب العالمين - وحكّموا عقولهم على ربهم، على أسمائه وصفاته وأفعاله، فنفوا ما نفوا وأثبتوا ما أثبتوا بعقولهم، فحكّموا عقولهم على شرع ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فضلوا ضلّالاً مبيناً. فصار الإسلام غريباً في زمن المحنة، والسنة غريبة، وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم، هم في ديارهم. ومعلوم أن الشخص تحصل له الغربة عادة إذا كان في غير دياره، فإذا سافر إلى موطن آخر يكون غريباً في أوساط الناس. وأما أهل السنة فكانوا غرباء وهم في ديارهم وفي أوطانهم؛ لشدة المحنة التي كانت في ذاك الزمن، ولظهور البدعة، ولقوة المبتدعة من حيث وقوف السلطان معهم. لكن مع هذا يحق الله **عَزَّوَجَلَّ** الحق ويبطل الباطل. يتلي الله **عَزَّوَجَلَّ** العباد، ثم يزيل الله **عَزَّوَجَلَّ** ذلك البلاء، ويحصل الخير، ويزول الشر، ويعود الحق أقوى مما كان عليه قبل ذلك. وهذه سنة من سنن الله **عَزَّوَجَلَّ** في خلقه.





تحريم متعة النساء



قال الإمام البرهاري رحمه الله عليه:

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُتْعَةَ؛ مُتْعَةُ النَّسَاءِ وَالِاسْتِحْلَالَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الشرح:

ذكر - رَحِمَهُ اللَّهُ عليه - أن المتعة حرام إلى يوم القيامة، وبينها بقوله: (مُتْعَةُ النَّسَاءِ). قيدها بهذا القيد من أجل إخراج متعة أخرى، وهي: متعة الحج. ومتعة الحج مذكورة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. والمراد بمتعة الحج: الجمع بين الحج والعمرة، سواء كان قارناً أو كان متمتعاً بالتمتع الخاص، وكل هذا داخل في الآية. فالتمتع المراد بذلك: الجمع بين الحج والعمرة بسفرة واحدة، بحيث لا يحتاج إلى سفرتين، فتحصل له متعة بجمعه بين نسكين في وقت واحد. وسواء كان التمتع الخاص أو القرآن، فإن المتعة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ جاءت على المعنى العام: وهو الجمع بين الحج والعمرة. والله عَزَّوَجَلَّ أوجب على المتمتع الهدي، والذي يجب عليه الهدي هو: المتمتع بالتمتع الخاص أو المتمتع بالتمتع العام، والتمتع العام يدخل فيه القرآن، فمن جمع بين الحج والعمرة فهو داخل في مسمى التمتع بالمعنى العام. فهذه المتعة مشروعة بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومشروعة بسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ولهذا من نقل من الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أجمعين - أن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كان متمتعاً، وما المراد بذلك؟

الجواب: التمتع بالمعنى العام وهو القرآن. فهناك من الصحابة من ذكر أن النبي -

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كان متمتعاً، وهناك من الصحابة من ذكر أن النبي -

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كان قارئاً، وهناك من الصحابة من ذكر أن النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - كان مُفَرِّداً، والمعنى واحد، فهو متمتع التمتع العام وهو هاهنا القرآن، وهذا هو الذي حصل منه - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - كما هو معلوم. وهو مُفَرَّدٌ بمعنى أنه جمع العمرة والحج بسفرة واحدة، فأفرد العمرة والحج بسفرة واحدة.

فمن قال إن النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - كان مُفَرِّداً، ماذا يريد؟ أنه أفرد العمرة والحج بسفرة واحدة بعمل واحد فلم يعمل عملين: عملاً للعمرة وعملاً للحج، فالإفراد باعتبار العمل، ليس باعتبار النسك.

فكل هذا جاء عن الصحابة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين -. ومن نظر إلى مثل هذه الأقوال ربما يقول: هذا اضطراب شديد واختلاف كبير، فمنهم من يقول كان متمتعاً، ومنهم من يقول كان قارئاً، ومنهم من يقول كان مفرداً، وهذه أنساك ثلاثة مختلفة، والنبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - حج مرة واحدة، فكيف يكون قارئاً ومتمتعاً ومفرداً، وما حج إلا مرة واحدة؟ أي: حجة الإسلام، حج حجة واحدة - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** -، ثم جاءه بعد ذلك الأجل.

إذن: هذا هو المراد بهذا.

وبعض الناس ربما يقف عند عبارات بعض الصحابة في حل المتعة، ويذهب الذهن إلى أن المراد بذلك متعة النساء، وهذا من الخطأ البين، فما قاله جماعة من الصحابة بحل المتعة إنما يريدون بذلك متعة الحج، إلا ما جاء عن عبد الله بن عباس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - فهو قول تراجع عنه، وذلك بعد أن حاججه عليّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - بالسنة.

وحديث علي ثابت في الصحيحين، فحاجج عبد الله بن عباس وقال له: «**نهى رسول الله - ﷺ - عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ**». لأن ابن عباس كان يتأول في المسألتين، في مسألة لحوم الحمر الأهلية وفي مسألة المتعة، فكان



يحتاجه علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بسنة رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، ولهذا يُنقل عن عبد الله بن عباس أنه تراجع عن ذلك القول الذي كان يقوله.

والمتعة كانت مشروعة في أول الإسلام، وهي عبارة عن استحلال المرأة أو نكاح المرأة بشيء من المال إلى أجل معلوم، يتفق مع المرأة على النكاح المؤقت إلى أجل معلوم بشيء من المال. فكان هذا من الأمور المشروعة في أول الإسلام، ثم جاء النهي عن ذلك في حديث سَبْرَةَ الجهنني - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذْنُتُ لَكُمْ فِي الْإِسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم. فبين النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أن هذا الأمر قد كان أذن به - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في أول الأمر، ثم إن الله عَزَّجَلَّ حرم ذلك إلى يوم القيامة".

فهو تحريم مؤبد إلى يوم القيامة، بهذا جاءت السنة الصحيحة، وبهذا جاءت الأحاديث الصحاح، فكلها تدل على هذا المعنى: وهو أن المتعة كانت من الأمور المباحة في أول الإسلام، ثم إن الله عَزَّجَلَّ حرم ذلك إلى يوم القيامة، فهي من الأنكحة الباطلة الفاسدة لتحريم الله عَزَّجَلَّ لها.



حق آل بيت النبي ﷺ

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْرِفْ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ، لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاعْرِفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ
وَالْعَرَبِ وَجَمِيعِ الْأَفْخَاذِ، فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَوْلَى الْقَوْمِ
مِنْهُمْ، وَتَعَرَّفْ لِسَائِرِ النَّاسِ حَقَّهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ جملة من الحقوق، وابتدأ بحق بني هاشم، قال: **(وَاعْرِفْ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)**. فبنو هاشم لهم فضلهم من أجل القرابة من رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وآل بيت النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من نُسب إلى هاشم. وفي حديث زيد بن أرقم في مسلم قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ

فَالْبَيْتُ: كُلُّ مَنْ نُسِبَ إِلَى هَاشِمٍ يَدْخُلُ فِي آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

فكل من انتسب إلى هاشم فهو من آل البيت. وحصل النزاع في آل أبي لهب هل يدخلون في آل البيت أو لا يدخلون؟



فجمهور من مضى من أهل العلم يدخلونهم في آل البيت، ويرون أن الصدقة محرمة عليهم؛ لأن ذرية أبي لهب ينتسبون إلى هاشم وأبو لهب وإن كان من الكافرين، لكن من كان مسلماً من ذريته فإنه ينتسب إلى هاشم فيدخل في آل البيت.

كما أن آل الحارث بن عبد المطلب من آل البيت، من ينتسب إلى الحارث بن عبد المطلب هو من آل البيت، والحارث مات في الجاهلية، فالحارث يدخلون عند أهل العلم في آل البيت وإن كان مات في الجاهلية.

وهكذا آل أبي لهب، ذرية أبي لهب من أهل الإيمان يدخلون في آل البيت وإن كان أبو لهب من الكافرين. وهذا الذي عليه جمهور العلماء. وخالفت الحنفية في آل أبي لهب، ولم يخالفوا في ذرية الحارث، مع أن الحارث كما عرفنا مات في الجاهلية، وأبو لهب مات بعد ظهور الإسلام، وحصلت منه العداوة الشديدة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، وأنزل الله عز وجل فيه آية تتلى في كتابه كما هو معلوم.

فعلى كل: الذي عليه جمهور العلماء أن من انتسب إلى هاشم وكان من أهل الإيمان فله حقوق آل البيت، سواء كان من آل العباس أو من آل علي، أو من آل جعفر، أو من آل عقيل، أو من آل الحارث، أو من آل أبي لهب، كل من رجع نسبه إلى هاشم فهو من آل البيت، وتحرم عليه الصدقة. هذا الذي عليه كما عرفنا جمهور العلماء، وهو القول الصحيح. وأبو لهب أسلم بعض أولاده عتبة ومعتب، أسلما في يوم الفتح.

فمن انتسب إلى هاشم فيدخل في آل البيت، ولا يُنظر إلى آبائهم هل هم من المسلمين أو كانوا من الكفار، فهذه قضية نسب لا ينظر فيها إلى إسلام أو كفر. وإلا فهاشم ماذا كان؟ كان من المشركين ممن مات في الجاهلية من أهل الكفر.

قال: (وَاعْرِفْ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ، لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ): والمراد كما عرفنا من كان من أهل الإيمان منهم.

وأما من كان كافراً فليس له أي حق من الحقوق، وإنما هذه الحقوق لمن كان مسلماً. فمن كان مسلماً وهو من آل البيت فله حق الإسلام، وله حق القرابة من رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيجتمع له حقان: حق الإسلام وحق القرابة من رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (وَاعْرِفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ وَجَمِيعِ الْأَفْحَادِ): وهؤلاء أفضل من غيرهم. وفي حديث واثلة بن الأسقع في صحيح الإمام مسلم قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةٍ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». فهؤلاء اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ واختارهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا النسب نسب شريف.

لكن لا ينال الإنسان شرف النسب إلا بالإسلام. ومن لم يُسلم منهم فلا ينفعه ذلك النسب ولا يستفيد منه شيئاً، فإن أبا لهب ما انتفع بنسبه وبقرباته من رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وفي حديث أبي هريرة الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه قال ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». فالعبرة هي العمل، فمن كان عمله بطيئاً فإن النسب لا يُسرعه به، ولا يرتفع الإنسان إلى الدرجات العالية في الجنة بنسبه، فالعبرة العمل، قال رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». غير أن من كان مسلماً وله هذا النسب الشريف فله حق الإسلام وحق القرابة من رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأما ما يتعلق بدخول الجنة والنجاة من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإنما يكون ذلك بالأعمال الصالحة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [سورة الحجرات: ١٣]. ليس أرفعكم



نسباً، فالكريم عند الله **عَزَّوَجَلَّ** هو التقي، سواء كان من بني هاشم، أو كان من قريش، أو كان من العرب، أو كان من العجم، أو كان من الأحرار، أو كان من العبيد، أو من الذكور أو من الإناث، فالكريم عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو العبد التقي: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾.

قال: **(وَاعْرِفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ)**: كذلك العرب أفضل من العجم. وهذا الذي عليه عامة العلماء، إلا من شذ ممن يُقال لهم "الشعوبية". فالشعوبية هؤلاء الذين يفضلون الشعوب على القبائل. الشعوب تطلق على العجم، كما أن القبائل تطلق على العرب. فيقال لهم الشعوبية؛ لأنهم فضلوا العجم على العرب، فهؤلاء أخطئوا خطأ بيناً، فالعرب أفضل من العجم.

قال: **(وَجَمِيعُ الْأَفْخَاذِ)**: الأفخاذ بمعنى: العشائر، أي: عشائر العرب. وجميع الأفخاذ فيما يتعلق بالعرب، فالأفخاذ تطلق على العشائر، كما أن الفخذ كما هو معروف يُطلق على فخذ الإنسان، ويُطلق أيضاً على العشيرة.

وقد جاء في فتيا "فقيه العرب" حين قيل له: ما تقول في رجل أم قومًا وفخذه بادية؟ فقال: صلاته وصلاتهم ماضية.

فما المراد بالفخذ؟

الفخذ يعني به العشيرة، أي: وعشيرته في البادية، فصلى وعشيرته في البادية، فقال: صلاته وصلاتهم ماضية. وليس المراد بذلك أنه صلى وقد انكشف فخذه، وإنما صلى وعشيرته في البادية.

وفقيه العرب مجهول، فليس هناك شخص يُقال له "فقيه العرب" نعم أطلق "فقيه العرب" على سفيان الثوري، على عبد الله بن المبارك.

لكن ليس هما المرادان بهذه الفتاوى؟

بل تلك تُخترع وتنسب إلى "فقيه العرب". كما فعل ابن فارس، ألف كتاباً سماه "فتاوى فقيه العرب"، اخترعها من عند نفسه وهي فتاوى يكون ظاهرها الأمر المستنكر، وإن كانت من حيث المعنى اللغوي لها وجه في لغة العرب بمعنى صحيح. كما قيل: هل يجب الغسل على من أمني؟ فقال فقيه العرب: لا ولو ثنى. ومراده بأمني أي: نزل في منى، ومن نزل في منى فما يجب عليه الغسل لذلك.

وقيل له: أرأيت من فقأ عين بلبل عامداً؟ قال: يجب عليه القود قولاً واحداً. والخفيف في السفر الخدوم يُقال له بلبل. فقال: يجب عليه القود قولاً واحداً. وسئل: ما حكم من صلى وسجد على العذرة؟ قال: يجوز وليجنب القذرة؟

والمراد بالعذرة فناء الدار، فقال: يجوز ويجتنب القذرة، أي: يجتنب النجاسات. وسئل: ما حكم من صلى على رأس كلب؟

فقال: يجوز كما يجوز في سائر الهُضْب. ويريد بالكلب: رأس التل. وهكذا يُطلق على جبل من الجبال بأنه "رأس كلب"، فهو من هذا القبيل، فيأتي بألفاظ مستغربة مستنكرة وهو يريد المعاني الصحيحة. وسئل كم في مائة مصباح؟

فقال: حِقتان يا صاح. والمصباح، يطلق على الإبل التي تنام فتستيقظ في الصباح، للمرعى.





عدم قبول قول الجهمية والمعتزلة في القول بأن القرآن مخلوق



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ لَمْ يَزَالُوا يُرَدُّونَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ، حَتَّى كَانَ فِي خِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَكَلَّمَتِ الرُّوَيْبِضَةُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَطَعَنُوا عَلَى آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخَذُوا بِالْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ، وَكَفَرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ.

الشرح:

قوله: (وَاعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ لَمْ يَزَالُوا يُرَدُّونَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ): فمنذ أن ظهرت الجهمية فما زال أهل العلم يردون قول الجهمية، ويصرحون بذلك، والسنة ظاهرة قوية. حتى كان في خلافة بني العباس -وهنا صرح بهم- وقبل ذلك. كان يقول: في خلافة بني فلان. لكن في بعض النسخ "بني فلان"، ولعله أنسب؛ وأما كونه يكني في موضع ويصرح في موضع آخر فهذا خلاف الظاهر. وذلك أنه إن كان يخشى من شيء فإنه سوف يكني في سائر المواضع، وإن كان لا يخشى من شيء فسيكون منه التصريح في سائر المواضع.

قال: (تَكَلَّمَتِ الرُّوَيْبِضَةُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَطَعَنُوا عَلَى آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخَذُوا بِالْقِيَاسِ): والروبيضة فسرہ النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بأنه الرجل السفیه الذي يتكلم في أمر العامة؛ كما جاء في حديث أبي هريرة وبنحوه عن أنس في المسند وفي غيره: «وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». قيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: «السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ». فالروبيضة مأخوذ من الربض، وهو الإقامة، والمعنى أنه أقام عن معالي الأمور،

فالشخص الذي هو مقيم عن معالي الأمور، غير متجه إلى معالي الأمور، وإنما يتجه إلى سفاسف الأمور وإلى الأمور الحقيرة فهو الروبيضة، وهو التافه وهو السفیه، ومع هذا يتكلم في أمر العامة. وقد أخبر النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في أول الحديث فقال: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيَكْذِبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». فهذه من انعكاس الأمور: الرجل الذي لا شأن له ولا قيمة له، رجل سفیه تافه حقير، وله الكلمة في أمر العامة، وكلامه هو المسموع، وله المكانة عند الولاة والخلفاء. وهذا كان الحال في ذاك الزمان: كابن أبي دؤاد وهو: أحمد بن أبي دؤاد، وكبشر المريسي وغير هؤلاء من الجهمية والمعتزلة، فكانت لهم الصولة والجولة، ولهم الكلمة، وهم يدخلون في الروبيضة، وقد كان فيهم ما فيهم من السفه والجهل بدين الله - عَزَّوَجَلَّ - الحق، وصارت الكلمة لهم، إلى أن فرج الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عن أهل السنة بخلافة المتوكل، فقمعت الجهمية وانتشرت السنة كما هو معلوم.

قال: (وَأَخْذُوا بِالْقِيَاسِ): وهي الأقيسة الفاسدة، الأقيسة المنطقية.

قال: (وَكَفَرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ): كفروا من خالفهم، ولم يكتفوا بهذا بل استباحوا الدماء، وأثاروا الخلفاء على أهل الإسلام الذين خالفوهم في كفرهم، وحصل ما حصل من الشر والبلاء والفتنة، فُقُتِلَ من قُتِلَ، وسُجِنَ من سُجِنَ، وعُذِّبَ من عُذِّبَ، وشُرِّدَ من شُرِّدَ، وحصلت فتنة عظيمة كما هو معلوم في ذاك الزمان.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

مَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ سَكَتَ فَلَمْ يَقُلْ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ. وَهَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ».

الشرح:

وهذا هو حديث العرياض بن سارية، لكن المؤلف رواه بالمعنى، فقدم وأخر، رحمة الله عليه.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (مَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ): وهذه عبارة اشتهرت عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، أعني: إنكار هذه المقولة، فكان يقول: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع". وكان الإمام أحمد يقول: اللفظية جهمية.

وأول من أحدث هذه البدعة، بدعة اللفظية: الكرابيسي.

وهناك جماعة من أهل العلم يرون أن الكرابيسي لم يقصد مذهب الجهمية، وكان من مذهبه أن القرآن كلام الله غير مخلوق. لكنه لما تلفظ بكلام مجمل، حكم عليه الإمام أحمد بالجهمية؛ لأن هذا الكلام وسيلة أو طريق موصل لبدعة الجهمية. فحكم عليه بالجهمية لما أصر على ذلك وعاند.

قال الإمام أحمد بن حنبل: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي". وذلك أن اللفظ يأتي والمراد به الملفوظ به وهو كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** غير مخلوق.

ويأتي اللفظ والمراد به: صوت العباد، وأصوات العباد مخلوقة. فالكلام يحتمل الحق والباطل، ولا يجوز للشخص أن يتكلم بالكلام المجمل الذي يستفيد منه أهل البدع في باطلهم ويصرفونه إلى باطلهم. والواجب على العبد أنه إذا تكلم بالكلام الحق أن يكون باللفظ الصريح الصحيح، ويترك الألفاظ المجملة التي تكون مدخلًا لأهل البدع والأهواء في بدعهم وضلالهم.

فهذه الكلمة تحتمل الحق والباطل: فإنه إن قصد باللفظ الصوت، فهذا معنى حق، فصوت الإنسان بالقرآن مخلوق. وإن قصد باللفظ الملفوظ به، فالملفوظ به هو كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكلام الله غير مخلوق.

وإذا كان الشخص يقصد الحق، فلا بد أن يعبر عن الحق بالكلام الصحيح الصريح الذي لا يحتمل الباطل.

وإذا قال: "لفظي بالقرآن غير مخلوق"، هذه أيضًا كلام مجمل يحتمل الحق والباطل. إن قصد باللفظ الملفوظ به وهو كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، يستقيم المعنى، وإن كان اللفظ خطأ.

وإن قصد باللفظ أصوات العباد، فالمعنى فاسد، فإن أصوات العباد مخلوقة، فلا يستقيم أن يقول قائل: إن أصوات العباد غير مخلوقة. فهذا اللفظ من الألفاظ المجملة التي فيها الحق والباطل، ولا يجوز للعبد أن يتكلم بكلام مجمل يحتمل الحق والباطل. فشنّ عليهم أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ**، على اللفظية الحرب، وحكم عليهم بالجهمية. فقال: "من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي". ومن أراد أن يحمل



كلام الإمام أحمد على غير هذا المعنى فقد أخطأ؛ لأنَّ هناك من فهم من كلام الإمام أحمد غير هذا المعنى، وهو أن اللفظ بمعنى: الحط والرمي، وأنه لا يليق في كلام الله عزَّ وجلَّ أن يوصف بالحط والرمي.

وليس هذا هو مقصود الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ.

قال: (وَمَنْ سَكَتَ فَلَمْ يَقُلْ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ): وهذه بدعة يسميها العلماء بدعة الواقعة. والواقفة جهمية عند الإمام أحمد وعند أئمة السلف. ولما وقف يعقوب بن شيبة مع سعة علمه وحفظه في هذه المسألة، ماذا صنع به الإمام أحمد؟

بدَّعه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عليه، هذا مع سعة علم يعقوب بن شيبة وتبحره في كثير من العلوم، وله المسند الذي يُعد أكبر مسند في الدنيا، فألف مسنداً عظيماً، ومع هذا، لما أحدث هذه البدعة وسكت في هذا الأمر الذي يجب التصريح به، حكم عليه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عليه بالبدعة.

فإذا قال الشخص: أنا متوقف في القرآن، لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، فهذا توقف غير صحيح. وذلك لأنَّ هذا الأمر ما هو من الأمور الخفية، هذا أمر معلوم. فالقول بأن القرآن مخلوق هو عين الكفر. فكيف يقف الإنسان في أمر هو في غاية الظهور والبيان، وفيه ما فيه من الباطل، وفيه ما فيه من الأمور الفاسدة؟! فلا يجوز التوقف في مثل هذه الأمور، لا سيما وهذه المسألة هي المسألة التي حصل فيها ما حصل من المحنة العظيمة والبلاء الشديد، مع ما فيها من المفاسد العظيمة وما فيها من أنواع الكفر والعياذ بالله. فمن توقف فيها فلا يُعذر.

فمن توقف في هذه المسألة وقال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، هذا توقف في غير موطنه.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الْجَهْمِيُّ كَافِرٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، حَلَالُ الدِّمِ، لَا يَرِثُ وَلَا يُورَثُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ لَا جُمُعَةَ وَلَا جَمَاعَةَ، وَلَا عِيدَيْنِ وَلَا صَدَقَةٍ. وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَقُلِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللهُ تعالى: (وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الْجَهْمِيُّ كَافِرٌ): القول بتكفير الجهمية هو مذهب أكثر السلف، بل هو المذهب المعروف عن أئمة السلف، فكانوا يرون أن الجهمية كفار. وقد ذكر اللالكائي رَحِمَهُ اللهُ تعالى جملة من العلماء الذين صرحوا بكفر الجهمية. وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى في نونيته: وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي ... عشر من العلماء في البلدان أي: خمسمائة عالم، ثم سرد أسماءهم، وهذا على حسب ما بلغ إليه علمه من أخبار العلماء.

وهذا كم كبير أن ينقل الشخص أقوال خمسمائة عالم صرحوا بكفر الجهمية، وهذا يدل على أن هذا هو الأمر المعروف عن أئمة السلف، وهذا هو الأمر المستفيض والمشهور عن أئمة السلف، وهو القول بكفر الجهمية. فالجهمية كفار؛ لما لهم من العقائد الكفرية الخطيرة. حتى قال بعض من مضى: "تأملت في قول الجهمية، فرأيتهم لا يرون أن فوق العرش إلهاً يُعبد". فهذا هو حقيقة قول الجهمية، وهو نفي لوجود الله عَزَّوَجَلَّ، فما في السماء إله يُعبد، وهذا أشد أنواع الكفر وأغلظ أنواع الكفر. وسائر الكفار يُقرّون بوجود الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله هو الخالق، وأنه هو الرازق والمدبر والمحيي والمميت، كما هو معلوم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ



وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿[سورة لقمان: ٢٥]، وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿[سورة الزخرف: ٨٧]. فهم يُقرون بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق والرازق والمدير، وأن الله عَزَّوَجَلَّ بيده كل شيء.

وأما حقيقة مذهب الجهمية فهو نفي لوجود الله عَزَّوَجَلَّ، فإنهم ينفون عن الله عَزَّوَجَلَّ الأسماء والصفات، والشيء الذي لا اسم له ولا صفة هو العدم المحض. ولهذا قال بعض من مضى: "إذا قيل لنا: صف العدم، لم نجد وصفاً أبلغ من وصف الجهمية لربهم". فهذا أبلغ أوصاف العدم، وهو صف الجهمية لربهم. فهم يقولون: لا فوق العالم، ولا تحت العالم، ولا يمين العالم، وليس هو عن شمال العالم، ولا متصل بالعالم، ولا منفصل عن العالم، ولا داخل العالم، ولا خارج العالم. وإيش هذا؟ هذا هو العدم. وأضف إلى هذا أنه لا أسماء له ولا صفات، فهذا هو عين العدم.

وكما هو معلوم أن الشيء إذا نُفي عنه الأسماء والصفات يكون عدماً؛ فإن الشيء الموجود لا بد له من أوصاف، ما في شيء موجود ليس له أوصاف، ومن ذلك الطول، والعرض، والعمق، واللون، فكل موجود له شيء من الصفات. أما شيء ليس له صفات وليس له أسماء، فهو العدم. وشيء لا فوق العالم ولا تحت العالم ولا يمين العالم ولا عن يسار العالم ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم ولا داخل العالم ولا خارج العالم، هذا هو العدم. فهذا حقيقة مذهب الجهمية. وأضف إلى هذا ما لهم من العقائد الكفرية الأخرى، فإنهم يرون أن كلام الله عَزَّوَجَلَّ مخلوق، ومن جملة ذلك القرآن، فالقرآن مخلوق وكلام الله عَزَّوَجَلَّ مخلوق، وهذا من الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ. ويرون أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرى في الآخرة، ولهم من العقائد الباطلة الشيء الكثير مما هو مدون ومسطور في كتب العلماء. فالمتأمل في كلام الجهمية وفي عقائدهم يجزم بأنهم

فرقة خارجة عن الإسلام. وكان بعض من مضى من أهل العلم يقول: "إننا لنحكي أقوال اليهود والنصارى، وما نستطيع أن نحكي أقوال الجهمية".

فنحكي أقوال اليهود والنصارى، فاليهود يقولون كذا، والنصارى يقولون كذا، وإذا جئنا إلى كلام الجهمية ما نستطيع أن نحكيه لما فيه من الشناعة الشديدة.

فلهذا تتابع أئمة السلف على تكفير الجهمية، وأخرجوا الجهمية من جملة الثلاث وسبعين فرقة.

قال: (وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الْجَهْمِيُّ كَافِرٌ). وهذا كما عرفنا هو مذهب جماهير أئمة السلف، وهو المعروف عنهم. "منهم الإمام أحمد بن حنبل، قال: الجهمي كافر، ليس من أهل القبلة" أي: ليس من أهل الإسلام، فإن أهل الإسلام هم الذين يستقبلون قبلة واحدة.

ويذكر عن الجهم بن صفوان أنه لما ناظر السمنية، وشككوه في وجود الله عَزَّجَلَّ، ترك الصلاة مقدار خمسين يوماً أو نحو هذا، شاكاً في ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (لِأَنَّهُ قَالَ: لَا جُمُعَةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ، وَلَا عِيدَيْنِ وَلَا صَدَقَةٍ).

فهؤلاء حكموا على أهل الإسلام بالكفر، مع وقوعهم في أغلظ الكفر، فأبطلوا الجمعة، وأبطلوا الجماعة، وأبطلوا العيدين، ورأوا أن الصدقة ما تدفع لهؤلاء أي ولاية الأمور؛ لأنهم كفار، وإنما تدفع لأئمة المسلمين. وهؤلاء عندهم ما هم من أهل الإسلام، فهم يكفرون من خالفهم. فأبطلوا شعائر الإسلام العظام، مع ما هم فيه من العقائد الكفرية المغلظة. وقالوا: من لم يقل القرآن مخلوق فهو كافر. فكفروا أهل الإسلام عموماً والعياذ بالله.

قال: (وَاسْتَحَلُّوا السَّيْفَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ): لأنهم حكموا عليهم بالكفر والردة، واستحلوا دماءهم وأموالهم.



قال: (وَخَالِفُوا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمِنَ التَّابِعِينَ وَمِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى، وَامْتَحِنُوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ): فإن هذه المسألة ما تكلم عنها رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ما قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قط إن القرآن مخلوق، وحاشاه، وما علم الناس هذه العقيدة، وحاشاه.

ولو كانت هذه العقيدة من أوجب الواجبات كما يدعيه الجهمية، لبين ذلك النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأُمَّته، ولتواترت الأدلة في تقريرها. إذ كيف شيء يكون من أوجب الواجبات وخلافه هو الكفر العظيم المخرج عن ملة الإسلام، ولا يبينه رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولا أحد من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين؟ فهذا مما يدل على ما وقعت فيه الجهمية من الضلال المبين والكفر العظيم.

قال: (وَامْتَحِنُوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ): فإن هذا إذا كان من الدين، فإما أن يبينه النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإما أن يكتمه. فإن قالوا: كتّمه النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كفروا؛ حيث ادعوا أن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كتّم شيئاً من الدين، بل من أعظم الدين. وإذا كان من الدين وتكلم به النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأين هو؟ وأين هذه الأحاديث التي فيها عن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: إن القرآن مخلوق؟ ما في حديث من الأحاديث يدل على هذا الأمر.

قال: (وَامْتَحِنُوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَرَادُوا تَعْطِيلَ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ): وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع فيما يدعون إليه من الكفر؛ فإنهم كفروا الناس وخوفوا الناس وأرعبوا الناس، فربما عطّلت المساجد خوفاً من مكرهم ومن شرهم ومن أذيتهم ومن امتحانهم، فصار الشخص يدخل إلى المساجد ليؤدي فريضة الله عزَّ وجلَّ، وإذا به يُمتحن من جهة الجهمية بمثل هذه المسائل الكفرية.

قال: **(وَأَرَادُوا تَعْطِيلَ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ)**: إما من هذه الحيثية، أو بسبب العقائد الفاسدة، حيث أنهم لا يرون جمعة ولا جماعة، كما ذكر المؤلف فيما سبق لأنهم يرون كفر الناس، فلا يرون إقامة الجمعة والجماعة خلف المسلمين؛ لأنهم كفار، فهم بذلك يدعون في الحقيقة إلى تعطيل المساجد وتنفير الناس عنها.

وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (وَأَوْهَنُوا الْإِسْلَامَ)**: بمعنى أنهم أضعفوا الإسلام، والأمر كذلك، فإن أهل البدع من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، من الذين حصل منهم الاختلاف والتنازع، والله يقول: **﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفَشُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾** [سورة الأنفال: ٤٦]، أي: قوتكم. فهم أوهنوا الإسلام، أدخلوا الضعف في الإسلام من جهات متعددة.

وقد سبق أن المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى** ذكر أنهم ضيعوا الجمعة والجماعات، وسعوا إلى تضييع الجمعة والجماعات، ونشروا العقائد الفاسدة المخالفة لدين الإسلام، وكل هذا من إدخال الوهن في الإسلام، فما نشره من العقائد الباطلة الكفرية المناقضة لدين الإسلام، كل هذا من إدخال الضعف في الإسلام. وهكذا ما دعوا إليه من ترك الجمع والجماعات من هذا القبيل، وهكذا ما سيأتي في كلام المؤلف أيضاً من هذا القبيل.

فإنه قال: **(وَأَوْهَنُوا الْإِسْلَامَ، وَعَظَّلُوا الْجِهَادَ)**: والجihad كما هو معلوم قوة للإسلام، فجهاد الكفار من اليهود ومن النصارى ومن المجوس وغيرهم، فيه قوة للإسلام. فالإسلام يقوى بجهاد المشركين، وإذا ما ترك المسلمون الجهاد ضعفوا، فإن الأعداء يتسلطون عليهم.

فقال: **(وَعَظَّلُوا الْجِهَادَ، وَعَمِلُوا فِي الْفُرْقَةِ)**: وكل من ابتدع بدعة فإنه ببدعته يفرق جماعة المسلمين، فكيف بأشد البدع وبأغلظها وأعظمها، وهي بدعة الجهمية.



قال: (وَخَالَفُوا الْأَنْزَارَ، وَتَكَلَّمُوا بِالْمُنْسُوحِ، وَاحْتَجُّوا بِالْمُتَشَابِهِ): وهذا شأن أهل البدع، فإن أهل البدع ليس عندهم حجة بالأدلة المحكمة، فيتجهون إلى ما فيه تلبيس على الناس، إما أدلة قد نُسخت يتمسكون بها لينشروا باطلهم، وإما يتجهون إلى المتشابه من القول، كما ذكر الله عَزَّجَلَّ ذلك عنهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

قال: (وَاحْتَجُّوا بِالْمُتَشَابِهِ، فَشَكَّوْا النَّاسَ فِي أَدْيَانِهِمْ): وهذا حصل لجهال الناس، حصل لهم الشك في أمر الدين.

قال: (وَاخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ): اختصموا في ربهم فيما يتعلق بأسمائه وصفاته وأفعاله، فاختصموا في ذلك، وجادلوا الناس في هذه الأمور، ونفوا ما نفوا عن الله عَزَّجَلَّ من أسمائه وصفاته وأفعاله.

قال: (وَقَالُوا: لَيْسَ هُنَاكَ عَذَابٌ قَبِيرٌ). وهذا مذهب المعتزلة من الجهمية.

قال: (وَلَا حَوْضٌ وَلَا شَفَاعَةٌ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقَا): وهذه الأمور سبق الكلام عليها فيما مضى، وعرفنا بطلان مثل هذه الأمور، وأن الأدلة دلت على خلاف ذلك.

قال: (وَأَنْكَرُوا كَثِيرًا مِمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَحَلَّ مَنْ اسْتَحَلَّ تَكْفِيرَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ). مع أنهم كفروا من أوجه كثيرة.

قال: (لِأَنَّ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ رَدَّ الْكِتَابَ كُلَّهُ): والأمر كذلك، فمن كذب بآية فهو مكذب للقرآن، فإن القرآن كله من عند الله عَزَّجَلَّ، وكله حق. كما أن من كذب رسولاً من الرسل فقد كذب جميع الرسل، فإنهم كالشيء الواحد، فهم رسل من عند الله عَزَّجَلَّ، فمن كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، ومن كذب بآية من كتاب الله فهو مكذب بالقرآن جميعاً.

قال: (لَإِنَّ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ رَدَّ الْكِتَابَ كُلَّهُ، وَمَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ رَدَّ الْأَثَرُ كُلَّهُ)؛ لأنه إذا كذب النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد اتهمه بالكذب، وإذا ما كذب النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ففي الحقيقة قد كذب كل ما جاء به النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَدَامَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ). أي: للجهمية. (فَدَامَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ). وهو شيء من الزمان، بعض السنين، دامت لهم بعض السنوات اليسيرة. وهذه من حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ يجعل الأمور دولًا: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٠]. فتارة يكون الظهور والقوة والغلبة لأهل الحق، وتارة يكون لأهل الباطل. والله عَزَّوَجَلَّ في ذلك الحكمة البالغة، سواء فيما يتعلق بالمعارك الحسية أو المعنوية، مع الكافرين بأنواعهم، ومع أهل الباطل بأنواعهم: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. فيبتلي الله عَزَّوَجَلَّ أهل الحق بأن يجعل الظهور والغلبة في وقت من الأوقات لأهل الباطل من باب الابتلاء والامتحان لأهل الحق؛ ليظهر أهل الثبات بثباتهم، ويكفر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم السيئات، ويرفع لهم الدرجات بتلك المحن والمصائب العظام، ويظهر أهل الباطل بباطلهم، وعند اشتداد الفتن يظهر أهل الباطل وينكشف أمرهم. ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، غير أن العاقبة جعلها الله عَزَّوَجَلَّ للمتقين، والغلبة لهم، والرفعة والمكانة لهم في الدنيا وفي الآخرة.

قال: (فَدَامَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ، وَوَجَدُوا مِنَ السُّلْطَانِ مُعُونَةً عَلَى ذَلِكَ): وهذا ابتداء كما عرفنا حصل من المأمون، عبد الله بن هارون الرشيد، جاءه البلاء من كتب الفلاسفة، فعَرَّبَ كتب الفلاسفة، وكان الناس قبل ذلك في عافية، وشُغِفَ بكلام الأوائل من أهل المنطق والفلسفة، وعَرَّبَ تلك الكتب وقام بدراستها وقراءتها، وحصلت له الفتنة.



وهكذا لما مات وانتقلت الخلافة لأخيه المعتصم، محمد بن هارون الرشيد، أيضاً رفع راية الفتنة والمحنة على المسلمين، فترة من الزمان حتى جاءه الأجل، وما طالت أعمارهم، وفرج الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن المسلمين بموتهم، فما طالت أعمارهم في الفتنة، لا المعتصم ولا المأمون قبله. ولما مات المعتصم جعل الخلافة لولده الواثق، واسمه هارون، وأيضاً عجل الله **عَزَّ وَجَلَّ** بزواله، وما طالت خلافته، ما طال ملكه، بل عجل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بزواله وموته، فما طالت أعمار هؤلاء في الفتنة؛ لأن الله **عَزَّ وَجَلَّ** رحيم بعباده المؤمنين، خليفة بعد خليفة بعد خليفة في فتنة واحدة، وفي وقت ليس بالطويل. وهكذا من يسعى بالفتن والشور وابتلاء المسلمين، فهذا هو حاله، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يدافع عن عباده المؤمنين. ولما هلك الواثق، صار الملك لأخيه المتوكل، واسمه جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، فرفع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به المحنة، وأظهر السنة ودعا لها، وأكرم علماء السنة، فبارك الله له في خلافته وملكه.

قال: **(وَوَضَعُوا السَّيْفَ وَالسَّوْطَ عَلَى مَنْ دُونَ ذَلِكَ، فَدَرَسَ عِلْمُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَوْهَنُوهُمَا)**

قال: **(وَصَارَتَا مَكْتُومَتَيْنِ؛ لِإِظْهَارِ الْبِدْعِ وَالْكَلامِ فِيهَا وَلِكَثْرَتِهِمْ، وَاتَّخَذُوا الْمَجَالِسَ، وَأَظْهَرُوا رَأْيَهُمْ، وَوَضَعُوا فِيهَا الْكُتُبَ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ، وَطَلَبُوا لَهُمُ الرِّيَاسَةَ):**

وعرفنا فيما مضى أنهم استعملوا معهم الترغيب والترهيب.

قال: **(فَكَانَتْ فِتْنَةً عَظِيمَةً لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَأَدْنَى مَا كَانَ يُصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ أَنْ يَشْكَّ فِي دِينِهِ):**

وهذا شيء عظيم، وهذا أقل ضرر حصل وهو الشك في الدين، مع أنه من الضرر العظيم، أن ينزل العبد من مرتبة اليقين إلى مرتبة الشك والعياذ بالله.

قال: (أَوْ يُتَابِعُهُمْ، أَوْ يَرَى رَأْيَهُمْ عَلَى الْحَقِّ): يعني: يراهم أنهم على الحق.
 قال: (وَلَا يَذِرِي أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَوْ عَلَى الْبَاطِلِ، فَصَارَ شَاكًّا، فَهَلَكَ الْخَلْقُ، حَتَّى
 كَانَ أَيَّامَ جَعْفَرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُتَوَكَّلُ): وهو جعفر هو ابن المعتصم، جعفر بن محمد
 بن هارون الرشيد.

قال: (حَتَّى كَانَ أَيَّامَ جَعْفَرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُتَوَكَّلُ، فَأُطْفِئَ اللَّهُ بِهِ الْبِدْعَ، وَأَظْهَرَ بِهِ
 الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَطَالَتِ أَلْسِنَتُهُمْ). أي: علماء السنة.
 قال: (مَعَ قَلْتِهِمْ، وَكَثْرَةِ أَهْلِ الْبِدْعِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا): فأهل البدع لهم الكثرة، لكن
 الظهور لأهل الحق، لأهل السنة، فالظهور لهم، ظهور بالحجة والبيان.
 قال: (إِلَى يَوْمِنَا هَذَا): صار الظهور لأهل السنة والمُكَنَّةَ لهم، مع قلتهم وكثرة أهل
 البدع والأهواء، وهذا فضل من الله عَزَّجَلَّ ومنه، فإن الله عَزَّجَلَّ يظهر ويعلي من أظهر
 السنة، كما قال الله عَزَّجَلَّ في شأن نبيه: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهٖ﴾ [سورة التوبة: ٣٣].
 ومن كان متمسكًا بسنة نبيه فله من الظهور على قدر تمسكه بسنة رسول الله
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (وَالرَّسْمُ وَأَعْلَامُ الضَّلَالَةِ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِهَا): ما زال الرسم
 موجودًا، أي: آثار أهل البدع، وأعلام أهل البدع لهم وجود، يدعون إلى البدعة
 ويدعون إلى الضلالة، ولم يزولوا بالكلية، وما انتهى الشر بالكلية، غير أن الشر خف
 في زمن المتوكل حين رفع المحنة وظهرت السنة. لكن مع هذا ما زال هناك من يدعو
 إلى الباطل في كل زمن، ومن يدعو إلى الشرك، ومن يدعو إلى البدع، ومن يدعو إلى
 الفسق والفجور، فالصراع ما زال بين أهل الحق وبين أهل الباطل كما هو معلوم،
 وهذه سنة من سنن رب العالمين سبحانه.



قال: (قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِهَا، وَيَدْعُونَ إِلَيْهَا، لَا مَانِعَ يَمْنَعُهُمْ، وَلَا أَحَدَ يُخْرِجُهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ): فالشر ما زال له بقية إلى هذه الأيام، ودعاة الشر ودعاة الباطل في كل زمان وفي كل مكان، إلا الزمن الذي شاءه الله **عَزَّوَجَلَّ** كزمن عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فإنه لا يكون إلا الخير، فليس فيه من يدعو إلى الشر، ومن يدعو إلى الشرك، ما فيه من يدعو إلى البدع، ما فيه من يدعو إلى الفسق. وأما سائر الأزمان فما زال الصراع بين الحق وبين الباطل.



أسباب الزندقة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ تَجِئْ بِدُعَاةٍ قَطُّ إِلَّا مِنَ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ وَاتَّبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَلَا دِينَ لَهُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ وَهُمْ عُلَمَاءُ الشُّوءِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ وَالْبِدْعِ).

الشرح:

قال: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ تَجِئْ زَنْدَقَةً قَطُّ): والزندقة في عرف الفقهاء بمعنى: النفاق، والزنديق عند الفقهاء بمعنى: المنافق. ووقع في بعض النسخ: (لَمْ تَجِئْ بِدُعَاةٍ قَطُّ إِلَّا مِنْ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ) ويصح أن يقال: لم تجئ بدعوة قط، ويصح أن يقال: لم تجئ زندقة قط، فالمعنى يستقيم. (مِنْ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ): الْهَمَجُ الرَّعَاعُ وهم جهال الناس. الهمج من حيث الأصل عبارة عن ذباب صغير يقع على وجوه الغنم والحمير وعلى أعينهم. فُسِمِي الجَهِال من الناس "همجًا" تشبيهًا بهؤلاء، تشبيهًا بالذباب الصغير الذي يقع على وجوه الحمير والغنم وعلى أعين الحمير والغنم. والرَّعَاعُ بمعنى: سفلة الناس. فالشرور تجيء من جهة هؤلاء، تجيء من جهة هؤلاء الزندقة وأهل البدع والفسق والفجور.



أما من كان تقياً لله **عَزَّوَجَلَّ**، عالماً ورعاً، فإنه لا يأتي منه إلا الخير. العالم التقى الورع الذي يخاف ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، المتمسك بكتاب ربه وسنة نبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، إنما يأتي منه الخير.

وأما هؤلاء فهم الذين تنبت فيهم الشرور، الهمج الرعاع، تنبت فيهم البدع والزندقة والفسق. وإذا ما هاجت الفتن ونظر الإنسان فيها، يجد أن الذين هم وقودها هؤلاء الناس، فهم وقود الفتن. وإن كان من يؤجج الفتن غير هؤلاء كعلماء السوء الذين ما عندهم خوف من الله **عَزَّوَجَلَّ** ولا تقوى، وهكذا من له مآرب دنيوية من كبراء الناس وإن لم يكن من علماء السوء، فهم يؤقدون الفتن في هؤلاء، وهؤلاء هم الذين تشتعل بهم نيران الفتن وتشتعل فيهم الشرور والعياذ بالله، فيأتي الشر من جهة هؤلاء.

قال: **(وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ تَحِزْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ إِلَّا مِنَ الِهِمَجِ الرَّعَاعِ، أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ):** ما عندهم عقل وتمييز، من صاح بهم تبعوه، كشأن بهيمة الأنعام التي لا تعقل. قال الله تعالى: **﴿صُمُّ بَكْرٌ عُمَى فَهْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾** [سورة البقرة: ١٧١]. فهم أتباع كل ناعق، من صاح بهم تبعوه كالأغنام، إذا صاح بها صاحبها فإنها تتبع ذلك الصوت وهي لا تفهم ما يقول، فتتبع من يصيح بها. وهكذا جهال الناس إذا سمعوا الكلام المُنْتَق والمُزَيَّن من أهل الباطل، فإنهم ينجلون وراء ذلك الكلام المُنْتَق والمُزَيَّن، سواء كان من جهة علماء السوء أو من غير هؤلاء ممن له الأطماع الدنيوية فيسعى في مصالحه وإن هلك الناس، فجهاال الناس ينجلون وراء العبارات المُنْتَقَة والمُبْهَرَجَة.

ومن صاح بهم وكان أبلغ في صياحه وفي كلامه كانوا إليه أسرع، والعياذ بالله، ولا ينظرون للأمر بمنظار الشرع، بمنظار الكتاب والسنة، وهل هذا من دين الله **عَزَّوَجَلَّ** أو ليس هو من دين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فهم أتباع لكل من ينطق بهم ويصيح بهم، والعياذ بالله.

فلا يميزون بين المحق والمبطل. هذه حال كثير من جهال الناس: فمن كان بليغاً في الكلام انجروا وراءه واستمعوا له، وإن كان من المنافقين، وإن كان من أهل البدع والأهواء، فإذا كان عنده بلاغة في الكلام يجتمعون عنده ويزدحمون عنده، فهم أتباع لكل ناعق. وإذا كان الشخص صاحب سنة وما عنده البلاغة في الكلام، ويتكلم بالحق، فإن الناس لا يتجهون إليه إلا من أراد الله له الخير. هذا حال جهال الناس، حال الهمج الرعاع.

قال: **(يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ)**. فما لهم ثبات على الحق، بل فيهم ما فيهم من الضعف، فيميلون مع كل ريح لعدم ثبات الإيمان في قلوبهم، ولعدم حصول العلم لهم، ما عندهم علم ولا يقين ولا ثبات، كالأشجار الضعيفة، كالزروع التي تميل مع الريح. وأمّا الأشجار الثابتة القوية لا تميل مع الريح لرسوخها وثباتها.

قال: **(فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَلَا دِينَ لَهُ)**: قد يريد بذلك نفي كمال الدين الواجب، كما أنه يُنفى الإيمان في حق من وقع في بعض كبائر الذنوب: **«لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةٌ لَهُ»**، **«وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ»**، ثم قال **«عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ»**، **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**. قد يريد مثل هذا المعنى، أو أنه ليس له دين يردعه عن الشرور، أي: أن ما معه من الدين غاية في غاية الضعف، فما عنده الدين القوي الذي يردعه عن الشرور، ويردعه عن الزندقة، ويردعه عن البدع والأهواء، ويثبته على الحق.

(فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، قَالَ: وَهُمْ عُلَمَاءُ الشَّوْءِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ وَالْبَدْعِ). **﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾**، وهذا هو الضلال المبين. ذم الله **عَزَّجَلَّ** من مضى من أهل الكتاب أن اختلافهم حصل بعد مجيء العلم. فالاختلاف قد يحصل بسبب الجهل، وهذا قد يحصل، ويحصل بكثرة، فيحصل



اختلاف بين الناس بسبب الجهل، فما يعرفون الحكم الشرعي في مسألة معينة، فما في أدلة ظاهرة واضحة بينة، فذاك يقول قولاً والآخر يخالفه، وذاك يأتي بقول ثالث، وتكثر الأقوال ويحصل الاختلاف بسبب الجهل، فهذا شيء معلوم. فأما أن يحصل الاختلاف مع وجود العلم، فهذا هو الضلال المبين.

فالعلم موجود واضح بين، ومع هذا يحصل الاختلاف. وما هو السبب في ذلك؟ هو البغي، فلا يقبلون الحق بسبب البغي.

فربما يكون الذي جاء بالحق ما هو من العظماء عندهم فلا يقبلونه، يعلمون أنه حق ويحصل منهم مع ذلك البغي، كما حصل لكفار قريش مع رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وكما حصل من جهة اليهود أيضاً مع رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. وكفار قريش لما لم ينزل القرآن على رجل من القريتين عظيم على حد زعمهم، ما قبلوا ذلك من رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، مع أنهم كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٣]. وهذا موجود حتى في هذه الأمة، قد يكون صاحب الحق والمتكلم به ليس له المكانة الرفيعة في أوساط بعض الناس، فيأنف من كان أعلم منه أن يتابع ذلك الشخص الذي تكلم بالحق، حتى لا يُقال إنه صار تبعاً له، وأنه ما عرف الحق إلا بعده، فربما يتمادى في الباطل ويصر على الباطل ويعاند. وما السبب في هذا؟ هو البغي.

وهذا قد يحصل حتى فيمن ينتسب إلى العلم، والعياذ بالله، يرد الحق ويرد الهدى بعد ظهوره وبعد بيانه، والسبب هو البغي، ما يريد أن يكون تبعاً لفلان، وأن يكون منقاداً لفلان. انقد للحق، والحق عظيم، ولا تنظر إلى من جاء به، فالحق عظيم؛ لأنه من عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، وما كان من عند الله **عَزَّوَجَلَّ** فهو عظيم، جاء به الصغير أو الكبير، العالم أو الجاهل.

فعلى كل: هذا هو الضلال المبين الذي حصل لمن مضى، وهو حاصل أيضًا في هذه الأمة من علماء السوء، كما قال المؤلف: **(فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، قَالَ: وَهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ وَالْبِدْعِ)**، والعياذ بالله.



لا يزال الخير في أفراد هذه الأمة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَيَهْدِي بِهِمْ غَيْرُهُمْ، وَيُحْيِي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمْ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ قَلَّتِهِمْ عِنْدَ الْإِخْتِلَافِ، فَقَالَ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾. فَاسْتَنَاهُمْ فَقَالَ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَيَهْدِي بِهِمْ غَيْرُهُمْ): وهذا من منة الله عَزَّوَجَلَّ على الناس، أن الله عَزَّوَجَلَّ أبقى بقايا من أهل الحق إلى قيام الساعة، لا يموت الحق بالكلية. وليس الأمر كما كان عليه من مضى من أهل الكتابين، بل لا بد من متكلم بالحق وناطق به، وهذا إلى قيام الساعة.

قال: (لَا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَيَهْدِي بِهِمْ غَيْرُهُمْ). وهؤلاء قاموا مقام الأنبياء فيمن مضى من الأمم، وإن كان الأنبياء منزلتهم أرفع كما هو معلوم، لكن قاموا مقامهم من حيث أنهم أحيوا في الناس السنن، وأماتوا

فيهم البدع، أحيوا دين الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، كالأنبياء الذين بعثهم الله **عَزَّوَجَلَّ** لإحياء دين الرسل. ولهذا في حديث أبي الدرداء يقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «وإنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ». فهم ورثة الأنبياء، قاموا مقام الأنبياء في الأمم السابقة، فالأنبياء في الأمم السابقة بعثهم رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لإحياء دين الرسل، والعلماء يُحيون دين الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بالسنن، ويميتون البدع، ويميتون الشرك والخرافة.

قال: (لا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَيَهْدِي بِهِمْ **غَيْرُهُمْ**). فيهديهم الله **عَزَّوَجَلَّ** ويمن عليهم بالهداية، ويحصل منهم الهداية للخلق بإذن الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قال: (وَيُحْيِي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمْ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ قَلْتِهِمْ عِنْدَ الْإِخْتِلَافِ فَقَالَ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]): هؤلاء الذين اختلفوا وذمهم الله **عَزَّوَجَلَّ**، ومنهم علماء السوء، رأوا الحق وعلموه وخالفوه واختلفوا فيه، والسبب في ذلك: البغي والعياذ بالله، على ما سبق إيضاحه.

قال: (فَاسْتَنْتَاهُمْ فَقَالَ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣]). وهؤلاء أهل الحق وعلماء الحق، إذا جاءهم العلم اهتدوا به وتمسكوا به، وسعوا في هداية الخلق.

وقال رسول الله **ﷺ**: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ». وهذا الحديث مما احتج به العلماء على حجية الإجماع، فإن الأمة إذا أجمعت على شيء، دخلت تلك الطائفة التي أخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن الحق معها، فإذا حصل إجماع لا بد من موافقة الحق؛ لأن



الطائفة تلك تدخل في الإجماع والحق معها، فكان الإجماع حجة، وهذا احتجاج صحيح.

والحديث جاء عن جماعة من الصحابة، فجاء في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة، ومن حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء في مسلم من حديث ثوبان، ومن حديث جابر بن عبد الله، ومن حديث جابر بن سمرة، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في الباب، كلها تدل على هذا المعنى، على بقاء طائفة ظاهرة بالحق إلى قيام الساعة، لهم الظهور بالحق وإن قلوا، فإن الحق له الظهور بما معه من الحجة والبيان، وله النور الذي تزول به ظلمة الباطل.



العالم من اتبع العلم والسنن

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرَّوَايَةِ وَالْكِتَابِ، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَالسُّنَنَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ، وَمَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَنَةَ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ.

الشرح:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: (وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرَّوَايَةِ وَالْكِتَابِ، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَالسُّنَنَ). العالم هو الذي انتفع بعلمه، هذا هو العالم في الحقيقة. والعالم الذي لم ينتفع بعلمه فكأنه لم يعلم، هذا مثل نفي "الإيمان لمن لا أمانة له"، وغير ذلك من أنواع النفي.

وكذلك ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن الكفار أنهم كانوا لا يسمعون ولا يُبصرون ولا يعقلون، وذلك أنهم لم ينتفعوا بهذه الآلات، فكانوا بمثابة من لا يسمع ومن لا يُبصر ومن لا يعقل؛ لأنه لم ينتفع لا بسمعه ولا ببصره ولا بعقله. والذي لم ينتفع بعلمه فهو كمن لم يعلم، شأنه كشأن الجاهلين.

فالعالم في الحقيقة هو الذي انتفع بعلمه، وليس العلم كما قال: بكثرة الرواية والكتب. العلم نور يقذفه الله عَزَّوَجَلَّ في القلب، وإذا قذف الله عَزَّوَجَلَّ النور في القلب أثمر على الجوارح، فهذا هو العلم النافع، وهؤلاء هم العلماء، وهم الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]. فالعلماء هم أهل



الخشية لله **عَزَّوَجَلَّ**. أما الإنسان يكون عنده المحفوظات الكثيرة وعنده الكتب الكثيرة ولا يعمل بذلك، فهو كما قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [سورة الجمعة: ٥].

والأسفار: هي كتب العلم، فالحمار يحمل كتب العلم على ظهره وهو لا ينتفع بها. وهكذا من حمل العلم وإن حفظه، وهو لا يعمل بعلمه، شأنه كشأن الحمار، فحفظ العلم من غير عمل ولا انتفاع، هذا هو الجهل في الحقيقة، وربما كان الجهل أنفع له من هذا العلم. وقد ذم الله **عَزَّوَجَلَّ** أهل الكتاب بهذا الذم البالغ.

وهكذا قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَخْمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَكْمَانًا﴾ [سورة البقرة: ٧٨]، أي: إلا مجرد قراءة، لا يفقهون ولا يعملون بما عندهم من التوراة والإنجيل.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعْهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ [سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

مثله كمثل الكلب، ومثله كمثل الحمار الذي يحمل أسفارًا. هذا الذي لا ينتفع بعلمه ضرب الله **عَزَّوَجَلَّ** له هذه الأمثال، كمثل الكلب وكمثل الحمار الذي يحمل كتب العلم. فالعلم هو خشية الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قال: (وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَالْكَتْبِ، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَالسُّنَنَ). هذا هو العالم في الحقيقة، هذا العالم بربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فالعالم بربه الذي يعلم ما لربه من الأسماء والصفات، وما لربه من العظمة، فإن مثل هذا العلم

يدعوه إلى خشية الله **عَزَّوَجَلَّ**. وإذا ما خشى العالم ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فهذه الخشية تدعوه إلى العمل بالعلم والاستقامة على الدين.

قال: **(وَأِنَّمَا الْعَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَالسُّنْنَ وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ)**. فهو عالم بربه لأنه يخشى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فهو العالم في الحقيقة، وإن كانت المحفوظات عنده يسيرة والكتب عنده قليلة.

قال: **(وَمَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَنَةَ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ)**: فما هو النفع الذي ينتفع به بكتبه وإن كثرت، وبمحفوظاته وإن كثرت، وهو لم ينتفع بعلمه، بل ربما تكون وبالاً عليه وحجة عليه عند ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فالذي عنده المحفوظات الكثيرة، وقد يكون آية في الحفظ وهو صاحب بدعة، وعنده الكتب الكثيرة إما في مكتبته، وإما الكتب هو الذي كتبها، كأن يكون كثير التأليف والكتابة في فنون العلم، وهو صاحب بدعة، فما هو متبع لكتاب الله ولا لسنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فليس هذا هو العالم. فالعالم هو صاحب السنة، العالم هو الذي انتفع بعلمه، العالم هو الذي يخشى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هذا هو العلم الحقيقي، وهو العلم النافع.



تحريم الكلام في الدين دون الاستناد إلى حجة من الكتاب والسنة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَقَدْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ فَهُوَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ.

الشرح:

وفي كلام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ تعالى التحذير البالغ من أن الإنسان يتكلم في دين الله عَزَّجَلَّ بغير حجة شرعية، فإن هذا من القول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم هو من الكبائر العظام. فإن الله عَزَّجَلَّ ذكر المحرمات وختمها بقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]. والله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء: ٣٦].

قال: (أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ): والمراد بذلك: الرأي المجرد كما هو معلوم، والرأي الذي لا حجة عليه، فأما الذي عليه حجة فلا يكون من الرأي. والقياس المراد بذلك: الأقيسة الفاسدة. إذا جاء ذم القياس في كلام السلف، فإنما يريدون الأقيسة الفاسدة، هذا مراد السلف في ذمهم للقياس، يريدون الأقيسة الفاسدة. أما الأقيسة الصحيحة فما زال العلماء يقيسون ويحتجون بالقياس، سواء كانوا من الصحابة أو من التابعين أو من جاء بعدهم. وإنما علم وأثر إنكار القياس عن علماء الظاهرية ومن وافقهم. وإلا فالعلماء متتابعون على الأخذ بالقياس، إذا

كان من القياس الصحيح المنضبط. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]، فالميزان: هو القياس كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**؛ لأنه تُوزن به الأمور. فالله **عَزَّ وَجَلَّ** أنزل الكتاب وأنزل الميزان. والقياس الشرعي داخل في الميزان، فما ذكر في الكتاب فهو حجة يؤخذ به، وما كان من قبيل الميزان فهو أيضًا حجة يؤخذ به؛ فإن الشرع لا يفرق بين الأمور المتماثلة. فمقتضى الميزان إلحاق الشبيه بشبيهه والنظير بنظيره، كما أن الشرع لا يجمع بين الأمور المختلفة، فإن هذا خلاف الميزان. فالأشياء المختلفة المتضادة لا يجمع بينها الشرع، والأشياء المتماثلة فإن الشرع لا يفرق بينها.

فما ذكر في الكتاب وهكذا في السنة فإنه يؤخذ به، وما كان من قبيل الميزان فهو رد المثل إلى مثيله، فإن الشرع لا يفرق بين الأمور المتماثلة، كما أنه لا يجمع بين الأمور المتضادة. فالقياس الصحيح هو داخل في الميزان، وما زال العلماء يحتجون بالقياس، عدا علماء الظاهرية ومن تابعهم.

ولما أنكروا القياس جاؤوا بأمر استنكرها العلماء غاية الاستنكار وتعجبوا منهم، كيف يتلفظون بتلك الأحكام التي هي في غاية البعد عن العلم والفقه، كقولهم في مسألة البول في الماء الراكد: فإذا بال مباشرة فإن هذا لا يجوز، وإذا بال في إناء ثم صبه في الماء الراكد فإن هذا يجوز، أو بال في أعلى الماء الراكد فسال بوله إلى الماء الراكد فإن هذا يجوز.

من لطم عبده فكفارته أن يعتقه، قالوا: اللطم بباطن الكف، فإذا كان بظهر الكف فهو صفع، فلا تلزمه الكفارة، وهذه الأشياء خلاف الميزان، وأشياء كثيرة لهم. فإنكار القياس بالكلية أوقع علماء الظاهرية في أشياء منكورة، استنكرها العلماء غاية الاستنكار. فالقياس الصحيح داخل في الميزان، وإنما الذي أنكره العلماء هو القياس



الفاسد. مثل قول الحنفية: إن مس الذكر لا ينتقض الوضوء به، بحجة أنه طويل مخروق، قالوا: فأشبهه البوق. وإذا مس الإنسان البوق هل انتقض وضوؤه؟ لا ينتقض وضوؤه. فإذا مس ذكره فلا ينتقض وضوؤه عندهم قياساً على البوق، هذا قياس مصادم للنصوص، لأدلة الشرع فهو قياس فاسد. والحنفية توسعوا في هذا الباب، في باب الأقيسة الفاسدة، واستنكر عليهم العلماء ذلك غاية الاستنكار.

قال: (أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ). والمراد بالجماعة: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهم أصل الجماعة. فما أثر عن الصحابة فهو حجة يُؤخذ به. فما جاءنا في الكتاب والسنة أخذنا به، وما لم يأت بالكتاب والسنة وجاءت به الآثار عن الصحابة فأيضاً هو حجة يُؤخذ به وهذا إذا لم يختلفوا.

قال: (فَقَدْ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ فَهُوَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ). وقد قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].



كل حق مأخوذ من الكتاب والسنة والجماعة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْحَقُّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالسُّنَّةُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْجَمَاعَةُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ.
الشرح:

يقول: (وَالْحَقُّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ): وهذا أمر معلوم مجزوم به، فإن ما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ فهو الحق، فالله هو الحق، وكلامه هو الحق، ووعدده هو الحق، والجنة حق، والنار حق، فالله هو الحق وما يأتي منه فهو الحق. فالحق ما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وما لم يأت من عند الله عَزَّوَجَلَّ فهو الباطل: فما ليس له مستند لا من كتاب الله ولا من سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ما ليس له أصل في الشريعة، فهذا هو الباطل، وهو الضلال. قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [سورة يونس: ٣٢]. فالحق ما كان من عند الله عَزَّوَجَلَّ، فما لم يكن كذلك فهو الضلال.

قال: (وَالسُّنَّةُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ). والسنة هي سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، إلى غير ذلك من الأدلة. والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حث على سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وذلك أن سنة الخلفاء الراشدين لا تخرج عن الدين. فلهذا حث على سنته وسنة الخلفاء الراشدين. وحاشا الخلفاء أن يأتوا بشيء ليس له أصل ولا أساس ولا مستند، فهم أعلم الناس



بعد رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بكتاب الله وسنة نبيه، فما جاءنا عنهم من السنة فلا بد أن يكون له شيء من المستند وإن جهلناه.

فلهذا أمر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** باتباع سنتهم. وليس المعنى أن لهم سنة ليس لها أصل في الشريعة، فإنهم لم يُشرّعوا شيئاً من عند أنفسهم، لكن قد يحصل لهم شيء من الاجتهاد فلا نعرف مأخذه، ولا بد أن يكون له مأخذ من كتاب الله أو من سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ولهم النظر الصائب في أدلة الشريعة. فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ».

قال: **(وَالْجَمَاعَةُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ)**. فإن هذا هو الإجماع الذي ينضبط، ما كان في عهد هؤلاء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين. وبعد أن قُتل عثمان تفرق الناس وتفرق الصحابة في كثير من البلدان. فالجماعة قال: **(مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ)**. لأن هذا يمكن أن يُنضبط، ما كان في خلافة هؤلاء يمكن أن يُنضبط، فنعرف أن الصحابة اجتمعوا على كذا واجتمعوا على كذا واجتمعوا على كذا. لكن بعد أن قُتل عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، حصلت الفرقة وتفرق الصحابة في كثير من البلدان.



النصر بالأخذ بطريقة رسول الله ﷺ

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالْجَمَاعَةُ فَلَجَ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ كُلِّهِمْ، وَاسْتَرَحَ بِدَنُّهُ، وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي»، وَبَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاجِيَ مِنْهَا، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، فَهَذَا هُوَ الشَّفَاءُ، وَالْبَيَانُ، وَالْأَمْرُ الْوَاضِحُ، وَالْمَنَارُ الْمُسْتَنِيرُ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمُ الْعَتِيقَ».

الشرح:

قال: (وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالْجَمَاعَةُ فَلَجَ). بمعنى أنه غلب وظهر على أهل البدع. (فَلَجَ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ كُلِّهَا) فكان له الظهور والغلبة على أهل البدع كلهم.

قال: (وَاسْتَرَحَ بِدَنُّهُ وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ): والأمر كما قال، فهذا هو السلامة: أن الإنسان لا يتعدى الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فإنهم كانوا على الدين المستقيم.

قال: (لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي". وَبَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاجِيَ مِنْهَا فَقَالَ: "مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي"): وهذا المعنى صحيح وإن كان الحديث لا يثبت، لكن المعنى صحيح تدل عليه أدلة الشريعة، وسبق الكلام على ذلك مراراً، فهو من المعاني الصحيحة المؤيدة بأدلة الكتاب والسنة.



قال: (فَهَذَا هُوَ الشِّفَاءُ وَالْبَيَانُ وَالْأَمْرُ الْوَاضِحُ وَالْمَنَارُ الْمُسْتَنِيرُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمُ الْعَتِيقِ") : وهذا لا يثبت عن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإنما رواه الدارمي وغيره موقوفاً من كلام عبد الله بن مسعود بإسناد منقطع، "إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمُ الْعَتِيقِ". فالدين القديم بمعنى: ما كان عليه رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.



مبدأ الافتراق والاختلاف

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ الْعَتِيقَ مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الْفُرْقَةِ وَأَوَّلَ الْإِخْتِلَافِ، فَتَحَارَبَتِ الْأُمَّةُ، وَتَفَرَّقَتْ، وَاتَّبَعَتِ الطَّمَعُ وَالْأَهْوَاءَ وَالْمَيْلَ إِلَى الدُّنْيَا.

الشرح:

قال: (وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ الْعَتِيقَ) - الدين العتيق بمعنى القديم - (مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ). والمعنى أنه بعد مقتل عثمان، كما عرفنا، حصلت الفرقة والاختلاف وانتشرت الشرور.

قال: (وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ الْعَتِيقَ مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الْفُرْقَةِ وَأَوَّلَ الْإِخْتِلَافِ): بعد ذلك استمرت الفرقة في الأمة بعد أن قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، استمرت الفرقة في الأمة إلى هذه الأيام.

وقبل ذلك ما كانت هنالك فرقة، لا فرقة باعتبار الدنيا، ولا باعتبار الدين، فلا فرقة باعتبار الملوك ولا باعتبار أديان الناس، فما في بدع وضلالات تفرق الناس بسببها، ولا كان هناك أكثر من ملك للمسلمين وأكثر من خليفة بل كان واحداً في زمن رسول الله ﷺ، وفي زمن أبي بكر، وفي زمن عمر، وفي زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جميعاً، إلى أن قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثم بعد ذلك كثر الاختلاف وظهرت البدع والأهواء، وكثر



الملوك في الأرض، وكثرت الشرور وانتشرت البدع، وتفرق الناس شيعاً وأحزاباً إلى هذه الأيام.

قال: (وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الْفُرْقَةِ وَأَوَّلَ الْإِخْتِلَافِ، فَتَحَارَبَتِ الْأُمَّةُ وَتَفَرَّقَتْ وَاتَّبَعَتِ الطَّمَعَ وَالْأَهْوَاءَ وَالْمَيْلَ إِلَى الدُّنْيَا): أي: إلا من رحم الله **عَزَّجَلَّ**. والمعنى أن هذا شيء حاصل في الأمة باعتبار الأمر الغالب، وإلا فقد نجا من ذلك من سلمه الله **عَزَّجَلَّ**. فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة كما أخبر بذلك نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، بل الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]. فلا تجتمع الأمة على خلاف ذلك، لا تجتمع الأمة على أمر بمنكر أو نهي عن معروف، هذا لا يكون في هذه الأمة، فلا بد من طائفة ظاهرة بالحق إلى قيام الساعة، كما دلت على ذلك الأدلة.



لارخصة في الابتداع

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَيْسَ لِأَحَدٍ رُخْصَةٌ فِي شَيْءٍ أَحَدْتَهُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
أَوْ يَكُونُ رَجُلٌ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ أَحَدْتَهُ مِنْ قَبْلِهِ أَوْ مِنْ قِبَلِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَهُوَ
كَمَنْ أَحَدْتَهُ، فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ وَخَالَفَ الْحَقَّ وَالْجَمَاعَةَ،
وَأَبَاحَ الْبِدْعَ، وَهُوَ أَضَرُّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ إِبْلِيسَ.

الشرح:

والأمر كذلك، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ». فما خرج عن
سنته وسنة أصحابه فهي المحدثات.

قال: (مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ يَكُونُ رَجُلٌ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ
أَحَدْتَهُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَهُوَ كَمَنْ أَحَدْتَهُ): فمن أحدث بدعة، أي: كان هو الذي
أنشأها، فأمره ظاهر وعمله مردود. ومن تابع غيره في البدعة فهو شريكه وعمله مردود
أيضاً. ولهذا في حديث عائشة قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ
مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

وهذا يدخل فيه من ابتكر البدعة من جهة نفسه ولم يكن متابعا لغيره.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في رواية مسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».
ويدخل في هذا من كان متابعا لغيره، يعني: يكون الغير هو الذي جاء بالبدعة، وجاء



شخص وعمل تلك البدعة، تابع غيره، فعمل ذلك الأمر المحدث متابعة لغيره، فهو شريكه، سواء أحدث البدعة من جهة نفسه أو عمل بدعة أحدثها من قبله، فعمل جميع هؤلاء مردود.

قال: (أَوْ يَكُونُ رَجُلٌ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ أَحَدَتْهُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَهُوَ كَمَنْ أَحَدَتْهُ، فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ وَخَالَفَ الْحَقَّ وَالْجَمَاعَةَ وَأَبَاحَ الْبِدْعَ، وَهُوَ أَضَرُّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ إِبْلِيسَ): فمن أباح البدع ونشرها فهو أضر على هذه الأمة من إبليس. ليس هو أكفر من إبليس، فإبليس هو أكفر الخلق، وإنما باعتبار الضرر، فضرر أهل البدع أشد من ضرر الكافرين، كما يقول ذلك أئمة السلف. وذلك باعتبار أن أهل البدع يُفسدون من الداخل، ويتظاهرون بمظهر العلم ومظهر السنة ومظهر الدين، فيغتر بهم الناس، فيعظم بهم الضرر.

والكفار إفسادهم من الخارج، وهم معروفون عند الناس بشرهم ومكرهم ومحاربتهم للدين.

والإفساد من الداخل أشد من الإفساد من الخارج. فإفساد الكافرين كإفساد الطير للحب، وإفساد أهل البدع كإفساد السوس للحب. وأيهما يمكن أن يسهل اتقاؤه، الطير أم السوس؟ الذي يمكن اتقاؤه ويسهل: الطير. فالطير يمكن أن تتقيه، بأن تجمع الحب وتحوزه، فلا يتمكن الطير منه. لكن قد تحوز الحب وتمنعه من الطير وتظن أنك قد أحرزت الحب، وإذا بالسوس تشتغل من الداخل، فتفتح الآنية وتريد أن تتفع بالحب، فإذا هي عبارة عن قشور. فإفساد أهل البدع أشد من إفساد الكافرين؛ لأنهم يُفسدون من الداخل، وباسم الدين وباسم العلم، ويغتر بهم من يغتر من الناس.

فهذا باعتبار الضرر، فضرر أهل البدع أشد من ضرر إبليس ومن الكافرين من هذه
الحيثية، وإن كان الشيطان هو أكفر الخلق. لكن باعتبار أن ضرر هؤلاء أشد، وهم من
جند إبليس، أهل البدع هم من جند إبليس. فهذا مراد المؤلف. أما باعتبار الكفر
فإبليس أكفر الخلق.





صاحب السنة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ الْبِدْعِ مِنَ السُّنَّةِ وَمَا فَارَقُوا فِيهِ، فَتَمَسَّكَ بِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَصَاحِبُ جَمَاعَةٍ، وَحَقِيقُ أَنْ يُتَّبَعَ وَأَنْ يُعَانَ، وَأَنْ يُحْفَظَ، وَهُوَ مِمَّنْ أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

الشَّرْحُ:

يقول: (وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ الْبِدْعِ مِنَ السُّنَّةِ وَمَا فَارَقُوا فِيهِ فَتَمَسَّكَ بِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ). فصاحب السنة: هو المتمسك بسنة رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، التي هي من قبيل الفيصل بين أهل السنة وبين أهل البدع، ويتمسك بالسنن التي تركها أهل البدع، فيتمسك بها ويعض عليها بالنواجذ، ولا سيما السنن التي هي من قبيل السنن الفارقة بين أهل السنة وبين أهل البدع، فيكون أشد تمسكاً بها. فإن أهل البدع لا بد أن يتركوا شيئاً من السنن. ومن وقع في بدعة، فلا بد أن يفارق سنة من السنن، هذا لا بد منه. فإن السنة مُضَادَّةٌ للبدعة، والبدعة مُضَادَّةٌ للسنة.

وسواء كانت هذه السنن من سنن العقائد -وهي الأعظم- أو من غير ذلك من السنن. وسنن العقائد أعظم، وهناك جملة من السنن خالف فيها أهل البدع والأهواء مما يتعلق بمسائل العقيدة، وهو مدون في كتب العقيدة، فيما يتعلق بمسائل الإيمان ومسائل القدر، وهكذا في مسائل الأسماء والصفات، وما يتعلق ببعض أمور الآخرة، مما يتعلق بالقبور وما يتعلق بالحوض والميزان والصراط، وغير ذلك مما جاءت به

السنة - سنة النبي ﷺ - ومما هو في كتاب الله عز وجل، فيعتقد تلك العقائد ويجزم بها، ويُظهر تلك العقائد التي هي فارقة بين أهل السنة وبين أهل البدع والأهواء على اختلاف أسمائهم ومذاهبهم.

وهكذا ما يتعلق بالسنن العملية، فإن إظهار السنن التي هي مفارقة لأهل البدع والأهواء من الأمور المطلوبة. فإذا كان شعار أهل البدع والأهواء ترك سنة معينة ولو كانت من المستحبات، فلا ينبغي أن تُترك تلك السنة، بل ينبغي أن تُظهر تلك السنة التي تركها أهل البدع والأهواء، سواء ما يتعلق بالصلاة أو ما يتعلق بغير ذلك من العبادات.

فإذا أظهر أهل البدع وكان من دينهم أن يتركوا بعض السنن، فإظهار تلك السنن والتمسك بها تمسكاً قوياً من الأمور المحموده؛ لأنه صار المتمسك بها قد أظهر المخالفة لأهل البدع والأهواء، وهذا من الأمور المطلوبة، ولو كانت من الأمور المستحبة. فكيف إذا كانت تلك السنن من الواجبات؟

فإن التمسك بها أظهر وأظهر. فهذا مما ينبغي الحرص عليه، وهو الذي نبه عليه المؤلف رحمه الله تعالى في هذه الجملة من كلامه.





أصول البدع

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ أَصُولَ الْبِدْعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، يَتَشَعَّبُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى، ثُمَّ يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبِدْعِ يَتَشَعَّبُ حَتَّى تَصِيرَ كُلُّهَا إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَمَانِمِائَةٍ، كُلُّهَا ضَلَالَةٌ، وَكُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَمَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَاعْتَقَدَهُ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ فِي قَلْبِهِ وَلَا شُكُوكٍ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَهُوَ النَّاجِي إِنْ شَاءَ اللهُ.

الشرح:

يقول رَحِمَهُ اللهُ عليه: (اعْلَمْ أَنَّ أَصُولَ الْبِدْعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ). وهذا قد قاله بعض أئمة السلف، كيوسف بن أسباط، وكعبد الله بن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فإنهما ذهبا إلى أن أصول البدع أربعة: "الرافضة، والخوارج، والمرجئة، والقدرية". هذه هي أصول البدع، وسائر البدع تشعبت من هذه الأصول الأربعة. والمؤلف مشى على قول هذين الإمامين، على قول يوسف بن أسباط وعبد الله بن المبارك رحمهما الله.

قال: (وَاعْلَمْ أَنَّ أَصُولَ الْبِدْعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، يَتَشَعَّبُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى): أي: أن سائر البدع تخرج عن هذه البدع الأربعة.

قال: (ثُمَّ يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبِدْعِ يَتَشَعَّبُ حَتَّى تَصِيرَ كُلُّهَا إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَمَانِمِائَةٍ): ومثل هذا التقدير يحتاج فيه إلى حجة شرعية، إلى دليل من كتاب الله عزَّجَلَّ أو من سنة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فمثل هذا الأمر ما يُعرف إلا بوحي، هذا أمر غيبي، وما هو من مواطن الاجتهاد.

فمثل هذا التقدير وأنها تبلغ إلى هذا المقدار يُحتاج فيه إلى حجة شرعية. على كل: "كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"، كما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، بلغت هذا المقدار أو كانت أكثر من ذلك أو كانت أقل من ذلك، فلا نتعب أذهاننا، نأخذ بعموم قول رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، ولا نبحث وننقب وإلى كم تصل البدع وإلى كم تشعب، وهل تشعب إلى هذا المقدار أو أكثر أو أقل، الله أعلم.

أخبرنا النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن هذه الأمة تفترق إلى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فهذا نؤمن به. والبدع بعد ذلك المتفرعة من هذه الفرق كم مقدارها، الله أعلم. وربما الفرقة الواحدة عندها كذا وكذا من البدع، ويتفرع منها كذا وكذا من البدع. وأما مقدار ذلك؟ فالله أعلم به، لو كان هذا مما نحتاج إلى معرفته لبينه لنا رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وقد كفانا النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بكلام جامع مانع، وكلام مختصر مفيد: "كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار". فما كان من البدع فنحكم عليه بأنه ضلالة، ونحكم بأن كل ضلالة في النار كما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

قال: **(وَكُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ)**: لو قال كما قال فيما سبق: الفرقة الناجية ما كان عليه رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وأصحابه، أو يُقال: هم الجماعة، والجماعة هم رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** والصحابة الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان، فإن هذا أصوب من قوله: **(بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ)**، فكتاب المصنفين ما هي من الكتب المعصومة، العصمة في الوحي، في كتاب الله وفي سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وفي إجماع السلف. والمؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** عليه ذكر عقيدة السلف، العقيدة التي عليها أدلة الكتاب والسنة من حيث الأمر الغالب، وإن كان ذكر بعض الأشياء المبنية على أدلة ضعيفة أو أدلة موضوعة أو أدلة لا تثبت، وذكر أشياء



فقهيّة حصل فيها النزاع بين العلماء. وقد مشى المؤلف فيها على مذهب الإمام أحمد، وهناك من يخالف الإمام أحمد في تلك المسائل الفقهيّة، فما في هذا الكتاب فيه مثل هذه الأمور.

والصواب أنّ الفرقة الناجية هي: رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والصحابة، ومن كان على نهج رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونهج الصحابة الكرام. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ [سورة البقرة: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥]. فالنّجاة في متابعة الرسول ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والسير على منهج الصحابة. ومشاقة الرسول ومخالفة الصحابة من الهلاك كما تدل عليه هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

قال: (وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَاعْتَقَدَهُ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ فِي قَلْبِهِ وَلَا شُكُوكٍ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَهُوَ النَّاجِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ): والكلام على ذلك هو ما سبق، وهذه الجملة، وهي إتمام لما سبق، وإطلاق هذا القول لا يستقيم، والصواب أن يقال: من اعتقد بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسار على نهج الصحابة فهو صاحب السنة وهو الناجي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.



البعد عن محدثات الأمور

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا عِنْدَ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوا بِشَيْءٍ، وَلَمْ يُولِدُوا كَلَامًا مِمَّا لَمْ يَجِئْ فِيهِ أَثَرٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ، لَمْ تَكُنْ بَدْعَةً.

الشرح:

والأمر كما ذكر رَحِمَهُ اللهُ تعالى، لكن هذا أمرٌ حصل في الناس، أنهم تجاوزوا الكتاب والسنة والآثار، إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، فكثرت البدع. ولو اقتصر الناس على الكتاب والسنة والآثار، لم يفعلوا شيئاً بغير حجة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، فإن البدع تموت.

من أين تأتي البدع؟ إذا كان الناس لا يحصل لهم تجاوز للكتاب والسنة والآثار، فإنه لن توجد بدعة قط، فإن البدع خارجة عن الكتاب والسنة والآثار. كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ». فما لم يكن من سنته، ولا من سنة الخلفاء الراشدين، فهذه هي محدثات الأمور. فعلى كل: الأمر لو كان على ما ذكر المؤلف، لما وجدت بدعة من البدع، لكن لم يحصل هذا الأمر لكثير من الناس، وأدخلوا عقولهم، واستحسنوا



أشياء بأهوائهم، فكثرت البدع من هذا الباب، من باب الاستحسان، استحسانات العقول. وهكذا حمل الأدلة على غير مراد الله ومراد رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فلم يتقيدوا بفهم السلف، لأن هناك من أهل البدع من يحتج على بدعته بشيء من كتاب الله، أو بشيء من سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، من غير أن ينظر إلى فهم السلف، فيأتي ببدعة ويحتج لها بالقرآن، كما يفعل جماعة التبليغ في تأويلهم لقول الله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [سورة التوبة: ٢]، قالوا: الخروج في سبيل الله أربعة أشهر. فهم ما فهمه أحد. والآية واردة في ماذا؟ في أشهر التسيير "فسيروا في الأرض". يعني: أصحاب العهود المطلقة من الكافرين قيّدت عقودهم بأربعة أشهر، ومن كان له العقد إلى وقت معين فإلى أجله. لكن المطلقة قيّدت بأربعة أشهر، بعد ذلك ما الذي يحصل؟ إما أن يدخلوا في الإسلام وإما القتال. فالآية واردة على هذا المعنى.

والعجب أن هناك من يحتج على الانتماء إلى حزب الإصلاح، بقول نبي الله شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [سورة هود: ٨٨]، بقي أن يقولوا كان شعيب عليه الصلاة والسلام من حزب الإصلاح، كما قالت اليهود والنصارى: اليهود قالوا كان إبراهيم يهوديًا، والنصارى قالوا كان نصرانيًا، وإبراهيم كان قبل موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

على كل حال: أهل الباطل يأتون إلى شيء من أدلة الكتاب والسنة ويتأولونها على غير مراد الله، وعلى غير مراد رسوله، فلا بد من فهم السلف، لا بد من فهم الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين. فلهذا من تمسك بالكتاب والسنة وآثار السلف، فإنه ينجو من البدع، من جميع البدع. ولو تمسك الناس بالكتاب والسنة وآثار السلف، فإنه لن تأتي بدعة. وإنما حصلت البدع من عدم الرضا بالوحيين وهدى السلف. وكلما جاءت

بدعة توسع أصحابها فيها، وتفرعوا فيها. وكما قيل في العلم: "العلم نطفة كثره الجاهلون".

هذا في العلم، وهكذا في باب البدع فالبدعة زلة كثرها الجاهلون، فتأتي بدعة يسيرة ثم تكثر باعتبار الجهال من الأتباع، فإن البدع منشؤها الهوى، والهوى لا يتحد فيه، فالناس لهم أهواء مختلفة، فتكثر البدع وتكثر وتكثر، والعياذ بالله.

قال: (وَاعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا عِنْدَ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوا بِشَيْءٍ، وَلَمْ يُوَلِّدُوا كَلَامًا مِمَّا لَمْ يَجِئْ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ، لَمْ تَكُنْ بِدْعَةً): ما يولدوا الكلام من عند أنفسهم، مثل الذي يأتي ويقول: لفظي بالقرآن مخلوق، وذاك يأتي ويقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق. هؤلاء ولدوا كلامًا من عند أنفسهم، ما قال هذا النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ولا قال هذا الصحابة، ولا جاء هذا في كتاب الله، وحصلت البدع من هذا الكلام المولّد، وعبارات كثيرة ولدوها من عند أنفسهم، ما جاءت في الكتاب ولا في السنة، ثم تحصل بعد ذلك البدع من تلك العبارات ومن ذلك الكلام الذي جاءوا به من عند أنفسهم.



ذكر بعض نواقض الإسلام

□ قال الإمام البهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَتَّى يَصِيرَ كَافِرًا إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، أَوْ يَزِيدَ فِي كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ يَنْقُصَ، أَوْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ شَيْئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَتَّى يَصِيرَ كَافِرًا إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ): إلى آخر ما ذكره. ولم يقصد بذلك الحصر، وإنما قصد التمثيل. وإلا فإن أمور الكفر أكثر مما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ عليه، ونواقض الإسلام كثيرة، وقد ألف العلماء في ذلك كنواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وهكذا ما يذكره العلماء في أحكام المرتدين من كتب الفقه هو داخل في ذلك، فإنهم يذكرون جملة من أسباب الردة. فأمر الردة وأمر الكفر أوسع مما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عليه، ولكنه أراد التمثيل، ولم يرد حقيقة الحصر.

قال: (إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ). فمن جحد شيئًا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وكذب آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فإنه من الكافرين.

قال: (أَوْ يَزِيدَ فِي كَلَامِ اللَّهِ). والزيادة كالنقصان فيها، من زاد شيئًا وادعى أن هذا من كلام الله عَزَّوَجَلَّ فهو كمن أنقص وكذب شيئًا من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وكل يدخل في الكفر.

قال: (أَوْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ أَوْ يَزِيدَ فِي كَلَامِ اللَّهِ أَوْ يَنْقُصَ أَوْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ). وهو شبيه بما سبق وقريب مما سبق؛ الجحود والإنكار.

وهناك من أهل العلم من يرى أن الجحود يكون بعد إقرار، وأما الإنكار فلا يلزم أن يسبقه إقرار. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [سورة النمل: ١٤]. فالجحود يكون عن سبق إقرار؛ هم قد أقرؤا بذلك في أنفسهم، ثم حصل لهم الجحود بعد سبق إقرار. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٣]، فقالوا: الجحود يكون مسبقاً بإقرار. وأما الإنكار فقد لا يكون كذلك.

وعلى كل: إن حصل هذا أو هذا فيما يتعلق بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ فهو من الكفر. قال: (أَوْ شَيْئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ). كذلك من أنكر حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصحيحة الثابتة عنه فإنه مكذب لرسول الله، ومن كذب رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو من الكافرين، وهذا وارد في الأحاديث الصحيحة. وليس وارداً في الأحاديث الموضوعة ولا الأحاديث الضعيفة، وإنما في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فمن كذبها فهو مكذب لرسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن كذب رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو من الكافرين.

والكفر قد يكون أيضاً بالترك كما هو معلوم، ترك الصلاة، فيكفر بالترك، ويكفر بالجحود والإنكار والتكذيب والإعراض والاستكبار، وأشياء كثيرة يحصل بها الكفر. وقد يكون الكفر في الأقوال وفي الأعمال، الظاهرة والباطنة، وقد يكون في عقيدة القلب. فعلى كل: يكفر العبد إذا ما وقع في أمر من أمور الردة، وفي ناقض من نواقض الإسلام المقررة عند العلماء.





التحذير من الغلو في الدين



□ قال الإمام البهاري رَحِمَهُ اللهُ:

فَاتَّقِ اللَّهَ رَحِمَكَ اللَّهُ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ.

الشرح:

قال: (فَاتَّقِ اللَّهَ، رَحِمَكَ اللَّهُ، وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغُلُوَّ): وذلك أن أصل البدع من هذا الباب، باب الغلو في الدين: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾. وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ».

وأصل الحديث في المسند والنسائي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِدَاةَ جَمْعٍ: «هَلُمُّ الْقُطْ لِي» فَلَقِطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: «نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ».

فالغلو هو مفتاح البدع.

قال: (وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ). الغلو في الدين هو طريق البدع والضلال والعياذ بالله، وليس هو من طريق الدين والخير والاستقامة.



وصية المؤلف بالأخذ بما في هذا الكتاب وتبليغه

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَجَمِيعَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَهُوَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ،
وَعَنْ أَصْحَابِهِ، وَعَنِ التَّابِعِينَ، وَعَنِ الْقُرْنِ الثَّالِثِ إِلَى الْقُرْنِ الرَّابِعِ.
فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، وَعَلَيْكَ بِالتَّصَدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالتَّفْوِضِ وَالرِّضَا لِمَا فِي هَذَا
الْكِتَابِ، وَلَا تَكْتُمْ هَذَا الْكِتَابَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَعَسَى يَرُدَّ اللَّهُ بِهِ حَيْرَانًا عَنْ
حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا عَنْ ضَلَالَتِهِ؛ فَيَنْجُو بِهِ.
فَاتَّقِ اللَّهَ، وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الْعَتِيقِ، وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ،
فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا، وَرَحِمَ وَالِدِيهِ، قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ وَبَنَّهُ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ؛
فَإِنَّهُ دِينُ اللَّهِ وَدِينُ رَسُولِهِ، وَأَنَّهُ مَنْ اسْتَحَلَّ شَيْئًا خِلَافًا لِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ
لَيْسَ يَدِينُ اللَّهَ بَدِينٍ، وَقَدْ رَدَّ كُلَّهُ، كَمَا لَوْ أَنَّ عَبْدًا آمَنَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِي حَرْفٍ فَقَدْ رَدَّ جَمِيعَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ كَافِرٌ، كَمَا أَنَّ
شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُقْبَلُ مِنْ صَاحِبِهَا إِلَّا بِصَدَقِ النِّيَّةِ، وَإِخْلَاصِ الْيَقِينِ،
وَكَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ. وَمَنْ تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ
السُّنَّةَ كُلَّهَا، فَعَلَيْكَ بِالْقَبُولِ، وَدَعْ عَنْكَ الْمَحْكَ وَاللَّجَاجَةَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ
فِي شَيْءٍ، وَزَمَانُكَ خَاصَّةً زَمَانُ سُوءٍ، فَاتَّقِ اللَّهَ.

الشرح:



يقول: (وَجَمِيعُ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ فَهُوَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ): وهذا باعتبار الأمر الغالب، فإن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في هذا الكتاب عقيدة السلف المأخوذة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن إجماع السلف من الصحابة ومن التابعين ومن جاء بعدهم، هذا هو الأمر الغالب في هذا الكتاب، إلا أشياء يسيرة سبق التنبيه عليها في ثنايا الكتاب، ونبهنا على بعض الأمور التي ذكرها المؤلف واعتمد على ما لا يثبت من الحديث عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن هذه أمور نادرة. وإلا فالغالب أن مسائل هذا الكتاب مأخوذة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو المنهج الذي سار عليه السلف من الصحابة ومن جاء بعدهم من أئمة الإسلام.

قال: (فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَعَلَيْكَ بِالتَّصَدِيقِ وَالتَّفْوِيزِ وَالرِّضَا لِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا تَكْتُمْ هَذَا الْكِتَابَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَعَسَى يَرُدُّ اللَّهُ بِهِ حَيْرَانًا عَنْ حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا عَنْ ضَلَالَتِهِ فَيَنْجُو بِهِ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الْعَيْتِيِّ، وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَرَحِمَ وَالِدَيْهِ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ وَبَنَّهُ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ وَاحْتَجَّ بِهِ، فَإِنَّهُ دَيْنُ اللَّهِ وَدِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

وهذا كما عرفنا أيضًا هو كما سبق، أنه باعتبار الأمر الغالب في هذا الكتاب. فالأمر الغالب في هذا الكتاب هو ما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه مأخوذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو المنهج الذي سار عليه السلف إلا في تلك الأمور اليسيرة التي سبق التنبيه عليها. (فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَعَلَيْكَ بِالتَّصَدِيقِ وَالتَّفْوِيزِ وَالرِّضَا لِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ). وهذا باعتبار أن ما في هذا الكتاب هو العقيدة الصحيحة المأخوذة من كتاب الله ومن سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن هدي السلف.

وهذا كما نبهنا مرارًا باعتبار الأمر الغالب، فإنه قرر المنهج الصحيح، منهج السلف الصالح في كثير من مسائل العقيدة.

قال: (وَلَا تَكْتُمُوا هَذَا الْكِتَابَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَعَسَىٰ يَرُدُّ اللَّهُ بِهِ حَيْرَانًا عَنْ حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا عَنْ ضَلَالَتِهِ فَيَنْجُو بِهِ). وكتب أئمة السلف كتب نافعة يحصل بها ما يحصل من الخير والنفع. وكم حصل من نفع بهذا الكتاب وهذا أمر ملموس! وقد اهتم العلماء به، اهتموا بتدريسه، واهتموا أيضًا بشرحه وبالتعليق عليه لما فيه من النفع، وما اهتم العلماء به إلا لما فيه من العقيدة الصحيحة، العقيدة السليمة، عقيدة السلف. وتلك الأشياء اليسيرة لا يخلو منها كتاب، فإن الكتب المصنفة يقع فيها شيء من الخطأ والزلل! والكمال لكتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، فإن كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** هو كلامه، وكلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأما ما يكتبه البشر فقد يحصل شيء من الزلل والخطأ، لكن كتب أئمة السلف النفع فيها هو الغالب والخطأ يسير. فهذا الكتاب حصل ما حصل به من النفع لمن قرأه، لمن قرأه لنفسه أو قرأه للناس.

قال: (وَلَا تَكْتُمُوا هَذَا الْكِتَابَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَعَسَىٰ أَنْ يَرُدُّ اللَّهُ بِهِ حَيْرَانًا عَنْ حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا عَنْ ضَلَالَتِهِ فَيَنْجُو بِهِ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الْعَتِيقِ). أي: الأمر القديم، وهو ما كان عليه رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وما كان عليه الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين.

قال: (وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ): فإنه قرر فيه المنهج الصحيح المأخوذ من كتاب الله ومن سنة رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ومن منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان. (فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَرَحِمَ وَالِدِيهِ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ). وهذه دعوات مباركات من هذا الإمام رحمة الله عليه. (فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَرَحِمَ وَالِدِيهِ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ، وَبَنَّهُ وَعَمِلَ



بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ وَاحْتَجَّ بِهِ، فَإِنَّهُ دِينُ اللَّهِ وَدِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وهو على ما سبق أي: باعتبار الأمر الغالب الذي في الكتاب.

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّهُ مِنْ اسْتَحْلَ شَيْئًا خِلَافَ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُدِينُ لِلَّهِ بِدِينٍ). فهذا الموطن من كلام المؤلف رحمة الله عليه، لم يرتضيه جماعة من أهل العلم فلم يرتضوا هذا القول من المؤلف رحمة الله عليه. فإن مثل هذا إنما يُقال في كتاب الله عزَّوَجَلَّ، في القرآن فهو الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]. فهو الذي كله حق، وكله من عند الله عزَّوَجَلَّ.

وأما ما سوى ذلك من الكتب المصنفة فلا تخلو من شيء من الخطأ والزلل، وإن كان الغالب فيها الصواب، وهذا إذا كانت من مؤلفات علماء السنة، ولا سيما ما كان منها في تقرير العقيدة، فالغالب فيها الصواب، لكن لا تخلو المصنفات من شيء من الخطأ والزلل. ومن المسائل التي هي من قبيل مسائل الاجتهاد، فإن المؤلف رحمة الله عليه -كما عرفنا- ذكر بعض المسائل الفقهية الاجتهادية في هذا الكتاب، وذكر أيضًا بعض الأمور التي احتج لها بأحاديث ضعيفة بل شديدة الضعف، بل أحاديث واهية، وما لا أصل له من الحديث عن رسول الله ﷺ، وهذا مر معنا في ثنايا الكتاب. فموجود شيء من الخطأ والزلل في هذا الكتاب، لكن الاعتبار بالأمر الغالب فالمؤلف نصر عقيدة السلف، العقيدة المبنية على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، هذا باعتبار الأمر الغالب. فإذا كان الأمر كذلك، فمثل هذا القول إنما يكون في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كتاب الله عزَّوَجَلَّ.

قال: (فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَحْلَ شَيْئًا خِلَافَ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لَيْسَ يُدِينُ لِلَّهِ بِدِينٍ، وَقَدْ رَدَّهُ كُلُّهُ، كَمَا لَوْ أَنَّ عَبْدًا آمَنَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ، إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِي حَرْفٍ فَقَدْ رَدَّ جَمِيعَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ كَافِرٌ). هذا لا يستقيم قوله إلا لكتاب الله عَزَّجَلَّ.

وقوله (وَهُوَ كَافِرٌ) هذا يصح في القرآن، ولا يصح قوله في كتاب المؤلف رحمة الله قال: (كَمَا أَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُقْبَلُ مِنْ صَاحِبِهَا إِلَّا بِصَدَقِ النَّيَّةِ وَخَالِصِ الْيَقِينِ، كَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ). وهذا إذا كان الترك على سبيل التكذيب والجحود. وأما إذا كان على سبيل التهاون مع الإيمان بها، فلا يدخل في هذا. فالشخص قد يأخذ شيئاً من السنة ويترك شيئاً من السنة مع إيمانه بتلك السنة، لكن يحصل له شيء من التفريط وشيء من التهاون وشيء من الكسل مع إيمانه بأن ذلك من الدين وأن ذلك من السنة، فهذا لا يُقال في حقه أنه لا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ. يُقال هذا ترك بعض السنة.

إذن: الذي لا يقبل منه ما أخذ به من السنة. هو من ترك شيئاً من السنة ترك تكذيب، فإذا كان كلام المؤلف على هذا المعنى فيستقيم. وأما مجرد الترك مع الإيمان بالمتروك، فلا يستقيم الكلام على هذا المعنى. والمؤلف يُحمل كلامه على المحمل الحسن، وأنه يريد بقوله (فِي تَرْكِ بَعْضٍ) أي: أنه ترك ذلك ترك تكذيب.

قال: (كَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ، وَمَنْ تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ كُلَّهَا). وهذا أيضاً محمول على المعنى السابق.

قال: (فَعَلَيْكَ بِالْقَبُولِ وَدَعْ عَنْكَ الْمُمَاحَلَةَ وَاللَّجَاجَةَ). أي: دع عنك الجدل والخصومة.



قال: (فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَزَمَانُكَ خَاصَّةً زَمَانُ سُوءٍ فَاتَّقِ اللَّهَ).

(وَزَمَانُكَ خَاصَّةً زَمَانُ سُوءٍ)، المؤلف ها هنا يتكلم على زمانه، فكيف بأزماننا؟

وعلى كل: الخير موجود والشر موجود، ومراد المؤلف كثرة الشر في زمانه، وليس المراد بذلك انعدام الخير بالكلية، وإنما قال ذلك على سبيل المبالغة في الكلام. (وَزَمَانُكَ خَاصَّةً زَمَانُ سُوءٍ). والكلام فيه شيء من المبالغة، وإلا فإن ذاك الزمان فيه ما فيه من الخير وهو خير من زماننا. والخير باقٍ في الأرض إلى أن تقوم الساعة، لكن كما عرفنا أنه من باب المبالغة فلكثرة انتشار الباطل وانتشار الشر، قال هذا الكلام. وقوله: (وَزَمَانُكَ خَاصَّةً زَمَانُ سُوءٍ فَاتَّقِ اللَّهَ). وليس المراد بذلك ذم الزمان، وإنما أراد بذلك بيان ما في الزمان من الشرور، وليس الغرض من ذلك عيب الزمان والقبح في الزمان، وإنما مراد المؤلف كثرة السوء في زمانه وكثرة الشر في زمانه، رحمة الله عليه.



اعتزال الفتن وترك العصبية

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ، وَفِرَّ مِنْ جَوَارِ الْفِتْنَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْعَصَبِيَّةَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الدُّنْيَا فَهُوَ فِتْنَةٌ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَخُذْهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تَخْرُجْ فِيهَا وَلَا تُقَاتِلْ فِيهَا، وَلَا تَهْوِ، وَلَا تُشَايِعِ، وَلَا تُمَائِلِ، وَلَا تُحِبِّ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِمْ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعَالٍ قَوْمٍ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَرْضَاتِهِ، وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَاصِيَهُ.

الشرح:

تكلم المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - في هذه الجملة حول الفتنة إذا وقعت في الأمة، وحصل القتل والقتال في أمر لا يُشرع فيه القتل والقتال، قال: (وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ).

فلا تخرج وتشارك الناس في الفتن، وإذا ما حصل منهم القتال في أمر لا يُشرع، فلا تخرج وتشارك الناس في القتال، بل الزم جوف بيتك. وفي حديث أبي ذر الذي جاء في المسند وفي غيره، لما قال النبي - ﷺ - لأبي ذر: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - يَعْنِي حَتَّى تَغْرُقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدَّمَاءِ - كَيْفَ تَصْنَعُ؟». قال: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ».

وهذا إشارة إلى ما حصل للمسلمين في يوم الحرّة، وحجارة الزيت: حجارة في المدينة معروفة في منطقة من المناطق يُقال لها "حجارة الزيت". فذكر النبي - ﷺ -



أنه إذا حصلت هذه الفتنة، وحصل القتال الشديد في أوساط المسلمين حتى أن حجارة الزيت غرقت من الدماء كما حصل في يوم الحرّة، فقال أبو ذر: "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ". فقال له النبي - ﷺ -: **(اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ)**، فهذا الذي ينبغي إذا ما حصلت الفتن وحصل القتال غير المشروع الذي لم يأمر الله به ولا رسوله - ﷺ -، أن يتعد الشخص عن الفتن.

(وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ وَفِرْ مِنْ جَوَارِ الْفِتْنَةِ): فيفر ما استطاع: فمن كان له غنم فليلحق بغنمه، أو إبل فليلحق بإبله، أو كان له أرض فليلحق بأرضه، كما أرشد إلى ذلك النبي - ﷺ -، وأيضاً يتبع شَعَفَ الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن.

وحدث النبي - ﷺ - على الابتعاد عن الفتنة فقال: **(سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي)** كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

وجاء في مسلم: **(النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ)**.

كلما كان الشخص أبعد عن الفتنة كان أسلم.

وهذا مجرد تمثيل للابتعاد عن الفتنة: فالقاعد لا حركة له إلى الفتنة، والقائم هو أقرب إلى الحركة منه، فالقاعد خير من القائم، والقائم خير من الماشي؛ لأن الماشي له حركة إلى جهة الفتنة، فالقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي؛ لأن الساعي شديد الحركة، فكلما كان الشخص أبعد عن الفتنة كان أسلم. و**(النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ)**؛ لما فيه من الغفلة والابتعاد، فالنائم غافل بعيد عمن حوله، فالنائم فيها خير من اليقظان.

وقال النبي ﷺ: (إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، وَلَمْ يَأْتِ الْفِتْنَةَ فَصَبَرَ فَوَاهَا) رواه أبو داود عن المقداد بن الأسود أي: فوا عجباً، فمن جُنِبَ الفتن فهو السعيد.

قال: (وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فَالْزَمِ جُوفَ بَيْتِكَ وَفِرْ مِنْ جَوَارِ الْفِتْنَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْعَصْبِيَّةَ). فلا تتعصب لا لهذا ولا لهذا، بل ابتعد عن الفتن. (وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الدُّنْيَا فَهُوَ فِتْنَةٌ)؛ إذا كان هذا هو المقصد: حظوظ الدنيا، فهو من قتال الفتنة. وكل قتال كانت فيه المفسدة أرجح من المصلحة، فهو داخل في قتال الفتنة.

فإن هذا لم يأمر به الله ولم يأمر به رسوله - ﷺ -، وإنما الذي جاء به الشرع هو ما فيه مصلحة تامة كاملة أو مصلحة راجحة. وأما ما فيه مفسدة راجحة فهو من قتال الفتنة.

قال: (فَاتَّقِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تَخْرُجْ فِيهَا وَلَا تُقَاتِلْ فِيهَا، وَلَا تَهَوَّ) أي: ابتعد حتى من هوى النفس وهو محبتها، وميلها إلى شيء من الأشياء. (وَلَا تُشَايِعْ) أي: لا تشارك. «وَلَا تُمَائِلْ» أي: لا تميل لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. (وَلَا تُحِبَّ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِمْ). وكل هذا فيه نوع اقتراب من الفتن.

قال: (فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعَالٍ قَوْمٍ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ)، وهذا المعنى صحيح، وإن كان لم يأت حديث بهذا اللفظ فيما أعلم، لكن المعنى صحيح؛ فإن من رضي شيئاً يؤاخذ به، ومن أحب شيئاً يؤاخذ به.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، أي: لا تميلوا إليهم ولا تحبوا شيئاً من أمورهم، فكل هذا من الركون للظالمين،



فيكون الشخص منهم بمحبته لهم وميله إليهم، فيكون بذلك من جملة الظالمين.
فمن أحب شيئاً ورضي به فهو كالفاعل له، والعياذ بالله.

قال: (مَنْ أَحَبَّ فِعَالٍ قَوْمٍ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ
لِمَرْضَاتِهِ، وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَاصِيَهُ).

يقول: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ» متفق عليه من حديث أنس.

هذا من حيث المعنى يدل على هذا الأمر، أن من أحب أناساً كان منهم، ومن
أحب أعمالهم كان كالمشارك لهم.



التحذير من كثرة النظر إلى النجوم

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَقْلَّ مِنَ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ، إِلَّا مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، وَالْهَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الرِّندَقَةِ.

الشرح:

فما يتعلق بأمر النجوم وبالعلم بها، فهناك ما ينفع منه وهناك ما يضر. وعلم النجوم - كما يقول العلماء - ينقسم إلى قسمين: علم تسيير وعلم تأثير.

أما علم التسيير: فالمراد به أن يستدل الإنسان بسيرها وبأماكنها على ما يحتاج إليه من معرفة الجهات، ومن أهمها جهة القبلة. والنجوم يُعرف بها الجهات عمومًا، لكن من ضمن الجهات جهة القبلة. والناس يستدلون بالنجوم على جهة السير في الليل وفي سيرهم في البحار، كما قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَّمَتْ وَيَالْجَمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، فيحصل الهداية في الطرقات بمعرفة النجوم.

وتُعرف جهة القبلة عن طريق النجوم، وهكذا يعرف الشخص ساعات الليل؛ فمن كان عنده خبرة في النجوم يستطيع أن يعرف ساعات الليل عن طريق النجوم. ويعرفون بها أيضًا أوقات الزراعة، فيعلمون أن موسم الزراعة قد حضر إذا ما طلعت بعض النجوم.

فمثل هذا العلم مما لا محذور فيه. وأما المحذور: فهو فيما يُسمى بعلم التأثير، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كما يفعل المنجمون يقولون: "سيحصل كذا، وسيحصل كذا، وسيحصل كذا"، وهكذا من يدخل فيما



يتعلق بعلم الأبراج، وهو من العلوم الفاسدة ومن ادعاء علم الغيب، وهو كفر برب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وفي حديث عبد الله بن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قال النبي - **ﷺ** - : «**مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**» **رواه أبو داود وغيره**. وعلم النجوم يدخل في السحر، والتنجيم يدخل في السحر، وهو نوع من أنواع السحر.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** - : أن من أشد السحر وأرفع السحر عند أهله ما يتعلق بسحر النجوم، بالطلاسم المتعلقة بالنجوم، وأن هذا من أرفع أنواع السحر عند أهله ومن أشد أنواع السحر. فالسحرة يستعملون النجوم في سحرهم، ولهذا دخل التنجيم في باب السحر من هذه الحيثية.

فعلى كل حال: النجوم فيها ما ينفع معرفته وفيها ما يضر. فلا استدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية هذا مما لا يجوز، ومن ادعاء علم الغيب. واستعمال النجوم والأبراج في الطلاسم والأسحار، فإن هذا أيضاً من الأمور العظام ومن الكفر برب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فاستعمال النجوم في ادعاء علم الغيب كفر، واستعمالها في السحر أيضاً كفر. وينبغي أن يستعمل الإنسان النجوم فيما خلقها الله **عَزَّجَلَّ** لها مما يحتاج هو إلى معرفته، وهو الاهتداء؛ **﴿وَعَلَّمَتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]**.

وإن كانت النجوم خلقت لأشياء أخرى فإن الله **عَزَّجَلَّ** خلقها زينة للسماء، **﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]**. فهي زينة للسماء، وجعلها الله **عَزَّجَلَّ** رجوماً للشياطين، وهذا من فعل الله **عَزَّجَلَّ**، هو الذي جعلها كذلك.

لكن ما يتعلق بالشخص: فيستعمل النجوم فيما أُذن له به، وهو ما يتعلق بالاهتداء، فيَهْتَدِي بها في الجهات، أو في معرفة القبلة، أو في معرفة ساعات الليل، أو موسم الزراعة مثلاً، فإن هذا مما يُشرع. وأما استعمال النجوم في الاستدلال على أمور الغيب، فإن هذا كفر بالله **عَزَّجَلَّ**، وكذلك ما يتعلق بالسحر والطلاسم، فهو أيضاً من الكفر بالله **عَزَّجَلَّ**.





التحذير من النظر في علم الكلام



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْكَلَامِ، وَالْجُلُوسَ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ، وَعَلَيْكَ بِالْأَثَارِ وَأَهْلِ
الْأَثَارِ، وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَسِمْ.

الشرح:

قوله: (وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْكَلَامِ)، أي: في علم الكلام.

وذلك أن علم الكلام ليس هو من علوم أهل الإسلام، وإنما هو من علوم اليونان. فعُربت كتب اليونان، وانتشر هذا العلم الباطل في أوساط كثير من الناس. والواجب هو الانشغال بما ينفع من علوم الإسلام. أما هذا العلم فلم يأت من جهة أهل الإسلام، ومنشؤه ليس من أهل الإسلام.

والله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[المائدة: ٣]، فالإسلام جاء شاملاً لكل شيء، وفيه العلوم النافعة. والعلم النافع لا يخرج عن كتاب الله وعن سنة النبي ﷺ - . فعلم الكلام لا أصل له في الكتاب والسنة، فلا خير فيه مع ما فيه من المضار الكثيرة.

فإن من دخل فيه تشكك في الأمور المتيقنة، وخرج إلى الزندقة بعد الإيمان، إلا من أراد الله له العافية فعافاه من هذا العلم وتركه، وتاب إلى الله عزَّجَلَّ منه، وإلا فإنه من أضر العلوم. فهو علم موصل إلى الزندقة، وقد ترندق كثير من علماء الكلام بسببه، ومن بالغ في هذا العلم ترندق، كما قال من قال من أئمة السلف، وحذروا من

ذلك. وكلام أئمة السلف في التحذير من هذا العلم كثير، مع ما فيه من الصعوبة، فإنه لم يدخل فيه إلا الأذكياء، فهو علم صعب والضلال من جهته كثير.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** - يقول: " مثله كمثل لحم جمل غثّ على رأس جبل وعر، لا سهل فيُرتقى ولا سمين فيُنتقل ". فهذا علم الكلام، فالوصول إليه يحتاج إلى جهد، وفهم هذا العلم يحتاج إلى مشقة وجهد، وهو لحم جمل غثّ ليس سميناً، يُتعب الإنسان نفسه بشيء رديء، ويُرهق نفسه، ويتعب ذهنه بأمر رديء لا ينتفع به، فلا يحتاجه الغبي ولا ينتفع به الذكي.

وقال شيخ الإسلام في أهل الكلام: " أعطوا فهوّمًا ولم يُعطوا علومًا، وأعطوا ذكاءً ولم يُعطوا زكاءً ".

فعندهم فهوّم، فإنما يدخل في هذا العلم أصحاب الأفهام والذكاء. " فأعطوا فهوّمًا ولم يُعطوا علومًا "؛ ما فيه علم نافع. " وأعطوا ذكاءً ولم يُعطوا زكاءً ". بل حصل لهم ما حصل من المرض في قلوبهم والزندقة، والعياذ بالله.

قال الإمام الشافعي - **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ " **رواه البيهقي وغيره.**

فهذا حكم الإمام الشافعي في علماء الكلام.

فالعلماء حذّروا من ذلك التحذير البالغ، وما من كتاب من كتب العقيدة إلا ونجد فيه الكلام الكثير لأئمة السلف في التحذير من هذا العلم؛ لأنهم وجدوا ضرره وتعبوا في الرد على علماء الكلام، وجاهدوا في الله **عَزَّ وَجَلَّ** الجهاد العظيم، ولهم الأجر من رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.



لكن حصل ما حصل من إضلال الناس من جهة الجهمية، ومن جهة المعتزلة، ومن جهة الأشاعرة والكلابية والكرامية والماتريدية، وغير هؤلاء الذين خاضوا في هذا العلم. فكم أحدثوا من البدع، وكم شككوا في الأمور المتيقنة، وكم خاضوا في أنواع الباطل، فاحتاج أئمة السنة إلى أن يردوا عليهم وأن يُزيّفوا باطلهم.

ولولا أنهم دخلوا في هذا العلم لكان الناس في عافية، ولبقي الناس على الفطر السليمة الصحيحة، يأخذون علومهم من الكتاب والسنة، فيثبتون ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله - ﷺ -، ولا يتجاوزون الكتاب والسنة. وكان الناس قبل هذا العلم في عافية، وعندهم برد اليقين في مسائل الأسماء والصفات، وفي مسائل الإيمان، وغير ذلك من المسائل الكثيرة، حتى جاء علماء الكلام وحصل ما حصل منهم من التشكيك في الأمور المتيقنة.

قال: (وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْكَلَامِ وَالْجُلُوسَ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ): لا تنظر في كتب علماء الكلام، ولا تجلس مع أهله، فإنك تتضرر بالأمرين: تتضرر بالنظر في كتب علماء الكلام، وتتضرر بمجالستهم، فإنهم يدخلون إلى قلبك الشكوك، وهم أصحاب شكوك.

ومن جالسهم أدخلوا في نفسه الشكوك، وهذا شأن كل مبطل أنه يريد أن يضل من جالسه كما ضل هو. ودَّت الزانية لو أن كل الناس زواني، وهكذا أصحاب الباطل، يودون هذا الأمر، ولهذا ينفثون سمومهم فيمن اقترب منهم.

فقال: (وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْكَلَامِ وَالْجُلُوسَ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ). وهكذا تحذير أئمة السنة من أهل البدع والأهواء ليس مختصاً بعلماء الكلام كما هو معلوم، بل حذروا من أهل البدع عموماً، وكلامهم في ذلك كثير ومسطور في كتب السنة.

وبعض الناس يأتيه الشيطان ويقول له: تعلم علم المنطق حتى تفهم بعض العبارات التي يذكرها العلماء في أصول الفقه وغيره.

والجواب: أنَّ السلامة لا يعدلها شيء، وليس شرطاً أن يفهم تلك العبارات، وإن لم يفهمها فلا يضره، تريد أن تهتدي إلى معنى لو لم تفهمه ما ضرك، وتدخل في علم يضرك وتدخل في نفسك البلاء والشر من أجل أن تفهم عبارة لو لم تفهمها ما ضرك، فهذا من الخطأ.

على أن كثيراً من العبارات يمكن للإنسان أن يفهمها مما يسطره علماء السنة في الرد والمناقشة، يفهم ما الذي يريدون بها، فإذا ما قرأ في ردود علماء السنة فإنهم يوضحون المراد ويكشفون المعنى، فيمكن الإنسان أن يفهم وإن لم يدخل في هذا العلم - علم الكلام.

وإذا لم يتمكن من فهم شيء فإن هذا لا يضره، لا يضرك كونك لم تفهم تلك العبارة من عبارات علماء المنطق.

المهم: أن يحرص العبد على سلامة عقيدته، وعلى سلامة دينه من هذه العلوم الفاسدة. وإن كان فيها شيء من النفع فضررها أكثر من نفعها، وما كان ضرره هو الغالب فإنه يحرم ولا يجوز.

وهناك من نظر في علم الكلام من باب النقد والرد، كشأن شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -، لكن ذاك إمام عنده ما عنده من البصيرة، وفعل ذلك جهاداً في سبيل الله ورداً على أهل الباطل، وعنده ما عنده من العلم الغزير ومعرفة المنقول والمعقول، وعنده ما عنده من الفطنة والذكاء، وعنده البصيرة الواسعة في أحكام الشريعة وفي بيان الحق والباطل.



وهو رحمه الله ما دخل فيه من أجل أن يستفيد منه، لكنه خاض فيه ردًا على المبطلين، وألف "نقض المنطق" وفعل هذا جهادًا في سبيل الله **عَزَّجَلَّ**، وعنده ما عنده كما عرفنا من العلم الواسع بمذهب السلف، بل بالمنقول والمعقول - **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**. وشتان ما بين شيخ الإسلام وبين غيره.

قال الإمام البرهاري **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**: **(وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَهْلِ الْآثَارِ، وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ وَمِنْهُمْ فَاقْتَبَسْ)**: فحذر من الشر ودل على الخير، حذر من علم الكلام، ودل على علم الآثار.

فالأول علم ضلال والآخر علم هداية، علم الآثار هو علم الخير والهداية، وحذر من الجلوس مع أهل الكلام وهم دعاة الضلال، وحث على دعاة الخير والسنة، وهم أهل الآثار.

فإذا حذر الشخص من الشر فإنه من الحكمة أن يُدل على الخير. فإذا قيل للشخص لا تجالس هؤلاء ولا تجالس هؤلاء واقتصر على ذلك فهو تحذير لم تكتمل فائدته، فإنه لا بد له من مجالس، فما يستطيع أن يبقى منفردًا ولا يُصاحب أحدًا من الخلق.

فإذا حذر الشخص من أهل الباطل لا بد أن يُدل على أهل الخير. فيقال له: ابتعد عن هؤلاء وجالس هؤلاء، ابتعد عن أهل البدع والأهواء وجالس أصحاب السنة، جالس أهل الآثار، جالس أهل السنة، ابتعد عن كتب أهل الباطل، وعليك بكتب أهل السنة.

قال: **(وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَهْلِ الْآثَارِ وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ وَمِنْهُمْ فَاقْتَبَسْ)**: أي: خذ منهم العلم والخير، وهذا كما هو معلوم فإن المرء يتأثر بجليسه. «المرء على



دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». والصاحب صاحب، والمجالسة تدعو إلى
المؤانسة، والمؤانسة تدعو إلى المجانسة.





الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ، وَطَرِيقِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ وَالشَّفَقَاتِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاحْذَرْ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشُّوقِ وَالْمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ، وَطَرِيقِ الْمَذْهَبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ.

الشرح:

وهذه عبادات نافعة. لكن يحتاج العبد إلى أن يعبد الله تعالى بالخوف والمحبة والرجاء والرجاء كما سبق التنبيه على ذلك، فيحتاج العبد أن يعبد الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الأمور الثلاثة: الخوف والرجاء والمحبة. فالخوف المجرد قد يدعو إلى القنوط من رحمة الله، والرجاء المجرد قد يُوقع العبد في ترك الواجبات والوقوع في المحرمات. فيحتاج إلى الخوف والرجاء. والمحبة هي القائد التي تقود العبد إلى أنواع الطاعات، فإن من أحب شيئاً أقبل عليه.

فالمحبة هي القائدة لفعل الخيرات، فمن أحب العمل الصالح دعت المحبة إليه، فالمحبة تقود العبد إلى العمل الصالح.

فيحتاج العبد إلى الخوف والرجاء وإلى المحبة، وسبق أن ذكرنا ما قاله من مضى من أهل العلم: "من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده

فهو مرجئي، ومن عبده بالمحبة وحدها فهو زنديق"، والعبد الموحد لله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يجمع بين هذه الثلاثة الأمور.

قال: (وَأَعْلَمَ أَنَّهُ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَطَرِيقِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ): والعبد في الدنيا في حزن وفي إشفاق من ذنوبه ومعاصيه، وهذا مما يُحمد عليه، لكن مع ما سبق من المحبة الرجاء. ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٣١) فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِ وَأَوْقَنَّا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ [الطور: ٢٦-٢٨]. هذا حال أهل الجنة في الدنيا، كان عندهم الشفقة والخوف من ذنوبهم ومعاصيهم.

قال: (وَالْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى): فالحياء يدعو إلى كل خير ويزجر عن كل شر. وفي حديث عمران بن حصين في الصحيحين، قال النبي - ﷺ -: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ». وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ» كما في حديث ابن عمر في الصحيحين. وقال في حديث أبي هريرة في الصحيحين، قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» فالحياء يدعو إلى كل عمل حسن جميل، وينهى عن كل عمل سيء قبيح، فالحياء يدعو إلى كل خير، فمن تحلى بهذا الخلق فقد تحلى بأصل من أصول الخير. فالحياء أصل من أصول الخير.

وهذه عبادات قلبية ذكرها المؤلف - رحمة الله عليه - وهي من أهم العبادات، ومن العبادات النافعة، من تحلى بها فإنه ينتفع بها مع غيرها كما عرفنا من عبادات القلوب كالمحبة والرجاء.

قوله: (وَاحْذَرُ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشَّوْقِ وَالْمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ، وَطَرِيقِ الْمَذْهَبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ): الإمام البرهاري - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - في هذه الجملة من كلامه يحذر من أصحاب الطرق وهم الصوفية، أصحاب الطرق،



قال: "وَطَرِيقُ الْمَذْهَبِ": هم أصحاب الطرق من الصوفية فكل طائفة لها مذهب وطريق تسير عليه، وكل فرقة تنتسب إلى شيخ معين، وهو شيخ الطريق، يأخذون عنه الأوراد والأذكار وغير ذلك من الأمور المُحدثَة، ويغالون فيه غلوًّا بالغًا.

وهذا موجود إلى هذه الأزمان، ويأتي بعض الجهال من عامة الناس ويذهب إلى بعض أرباب التصوف ممن اشتهر من أصحاب الطرق الصوفية وصار من مشايخ الطرق، يأتي إليه ويقول: أريد منك أن تجعل لي وردًا، فيجعل له وردًا، إما أن يقرأ شيئًا من القرآن في وقت كذا وكذا، فيُعَيِّن له بعض الأذكار، فيلتزم ذلك الورد، وكأنه أخذه من رسول الله - ﷺ -، ويقول: هذا الورد ما أتركه، قد أخذته من شيخي الشيخ الفلاني، قال لي: وردك كذا وكذا. فيلتزم ذلك الورد، وهو ورد محدث مبتدع، ما قاله رسول الله - ﷺ -، ولم يكن من هدي الصحابة الكرام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أجمعين.

وترى العجب العجائب: فذاك يجعل له وردًا غير ورد ذاك، وذاك ورد، وذاك ورد، وكأنه لا يذكر الله عَزَّوَجَلَّ إلا عن طريق شيخه، فلا بد أن يُعَيِّن له الورد الذي يقرؤه من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو من التسيبحات، وغير ذلك من الأذكار.

وبعضها أذكار فيها ما فيها من الأمور المُخلَة بالعقيدة، كالتفريق بين النفي والإثبات: "لا إله، لا إله، لا إله" كذا كذا مرة، ثم يأتي بالإثبات: "إلا الله، إلا الله، إلا الله"، وكل هذا من تزوين الشيطان، فيقع في الكفر بالنفي؛ لأن النفي المجرد من غير إثبات العبودية لله عَزَّوَجَلَّ هذا هو عين الكفر، كأن يقول الشخص: "لا إله، لا إله، لا إله" كذا كذا مرة، فهذا نفي لألوهية الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا قال بعد ذلك: "إلا الله، إلا الله، إلا الله"، ليس هذا بتوحيد، فلا يكون التوحيد إلا بالجمع بين النفي والإثبات: "لا إله إلا الله"، بجملة واحدة. والإثبات من غير نفي ليس بتوحيد أيضًا، فمن قال: "الله إله"، ليس هذا بتوحيد؛ فإن المشركين يقولون ذلك: وهو أن الله إله، وهُبَل عندهم إله

أيضاً، والعزى إله، ومناة إله، فليس هذا بتوحيد، التوحيد لا يكون إلا بالنفي والإثبات.

وأصحاب الطرق الصوفية عندهم المخالفات الكثيرة. فلهذا الذي حذر منهم المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - .

قال: (وَاحْذَرُ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشَّوْقِ وَالْمَحَبَّةِ): وهم أرباب التصوف توسعوا في هذا الباب، وجرهم ذلك إلى الزندقة، إلا من عافاه الله من ذلك، ولطف به ورده إلى الحق، وإلا فإنه باب موصل إلى الزندقة.

وسبق أن ذكرنا قول من قال من أهل العلم: "من عبد الله بالمحبة وحدها تزندق". فالذي يعبد الله عَزَّجَلَّ بالمحبة من غير خوف ولا رجاء يقع في الزندقة، فإن قائلهم يقول: المحب يفعل ما يشاء، كالشخص الذي بينه وبين صديقه محبة، ربما يتسامح في حقه، فإن حصل شيء من التجاوز في أمر من الأمور تسامح معه، لما بينهما المحبة وهم هكذا يقولون: المحب يفعل ما يشاء، فله أن يقع في المحرمات، وله أن يترك الواجبات، ما دام بلغ منزلة المحبة، فيفعل ما يشاء من الوقوع في المحرمات وترك الواجبات، فجرتهم المحبة إلى الزندقة - والعياذ بالله.

وعندهم مرتبة - كما هو معلوم - يسمونها "مرتبة اليقين"، يسقطون عندها التكاليف الشرعية، فإذا بلغ العبد إلى مرتبة اليقين، فإن التكاليف الشرعية ساقطة، ويرون أن التكاليف إنما هي على العوام، وما هي على خاصة الخاصة، وإنما على عامة الناس الذين لم يبلغوا مرتبة اليقين.

وعندهم "الفناء" الذي يسمونه الفناء عن وجود السَّوَى، فناء أصحاب وحدة الوجود، أي: أنه ما في الوجود إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا فناء أصحاب وحدة الوجود. إلى غير ذلك من الأمور العظيمة. وإذا بلغوا إلى تلك المرتبة وقعوا في الفواحش



والأمور المنكرة، وكم يذكر العلماء من أخبارهم الشيء العُجاب فيما يتعلق بالوقوع في الفواحش بأنواعها، وكذلك ما يتعلق بترك الواجبات.

وقد لبس عليهم الشيطان بأنهم قد بلغوا أرفع المراتب، وهم نزلوا إلى أدنى المراتب - أدنى من منزلة الحيوان - والعياذ بالله، أضلهم الشيطان بسبب بعدهم عن العلم، وبسبب اتباعهم للهوى.

قال الإمام البرهاري - رحمه الله عليه -: **(وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ)**: وهذا من شأنهم: الخلو بالنساء وبالمُردان، في مجالس السماع وفي غير ذلك، فيختلط الرجال مع النساء ومع المردان، ويحصل ما يحصل من الأمور المنكرة، وهم يتقربون إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بمثل هذه الأمور المنكرة.

ومجالس "السماع"، يدخل فيها الرجال والنساء، ويحصل فيها الصياح والبكاء، وتحصل الأمور المنكرة عند سماع أصوات الشيطان، وهي الأغاني الصوفية.

والناظر فيما ذكره العلماء في أخبارهم يجد الأمور العجيبة، كيف تلاعب بهم الشيطان في مثل هذه الأمور المنكرة، فيما يتعلق بصحبة المُردان وبالخلوة بالنساء، والنظر إلى ما لا يجوز النظر إليه، ويتقربون إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بذلك.

فيجعلون الأمور المحرمة قرابة يتقربون بها إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، من النظر إلى النساء وإلى المردان، وزين لهم الشيطان بأنهم إنما يتأملون في خلق الخالق. فينظرون إلى النساء وإلى المردان، ويزعمون أنهم يتأملون ويتفكرون في خلق الخالق، وكأن بديع خلق الله **عَزَّوَجَلَّ** ما هو موجود إلا في هؤلاء. يعني: صاحب اللحية ما فيه بديع من خلق الله **عَزَّوَجَلَّ**؟! ولا في السماوات ولا في الأرض؟! والله **عَزَّوَجَلَّ** أمرنا أن نتفكر في السماوات وفي الأرض، وأن نتفكر في أنفسنا، **﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** [الذاريات:

٢١]. **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]. ولم يأمرنا بالتفكير في صور النساء والمردان.

حتى قال قائلهم وهو من هؤلاء الضلال الذين تلاعب بهم الشيطان: "الأمرد حبيب الله، والملتحي عدو الله"، ولما كان الأمرد حبيب الله؟ قالوا: لكثرة من يتجه إليه من الناس، وأن الله عزَّوجلَّ إذا أحب عبدًا كتب له المحبة في الأرض، وصاحب اللحية بالعكس من ذلك؛ لأن الله أبغضه فكتب له البغض في الأرض، وكل هذا من تلاعبات الشيطان. فليست هذه بمحبة شرعية، وتلك ليست بعداوة شرعية، وإنما هي أهواء النفوس وأمراض القلوب، فتلاعب بهم الشيطان في هذا الباب تلاعبًا عجيبًا. والذي يقرأ فيما ذكره العلامة ابن القيم في "إغاثة اللهفان"، أو فيما ذكره ابن الجوزي في "تلبس إبليس"، يجد الأمور العجيبة في تلاعب الشيطان بمثل هؤلاء القوم، وكذلك ما سطره غير هؤلاء من العلماء في أخبار القوم، وكيف تلاعب بهم الشيطان في هذا الباب.

وصدق الإمام الشافعي حين قال: "من تصوف في أول النهار لم يأت عليه آخره إلا وهو أبله" رواه البيهقي وغيره.

والبله موجود فيهم، تعرف الشخص منهم بمجرد النظر إليه، وإن لم تكن صاحب فراسة، فتلاحظ البله والحمق من وجوههم ومن حركاتهم ومن أفعالهم. فيحمد العبد ربه على العافية، ويحمد العبد ربه على السنة.

قال: (فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ). وكل هذه من البدع ومن تلاعبات الشيطان بهؤلاء القوم، والشيطان تلاعب بهم تلاعبًا عظيمًا، والعياذ بالله.





بيان أن الخوف أفضل طريقة لعبادة الله



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمَنْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِسْلَامِ تَفَضُّلاً مِنْهُ.

الشرح:

قال: (وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَعَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ). كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. وقال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]. فالله عَزَّجَلَّ دعا جميع الخلق إلى عبادته.

قال: (وَمَنْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِسْلَامِ تَفَضُّلاً مِنْهُ): نعم، هناك من مَنْ الله عَزَّجَلَّ عليه بالإسلام وهداه هداية التوفيق، وهناك من أضله الله عَزَّجَلَّ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، الأمر له وحده لا شريك له.

فمن مَنْ عليه بالإسلام فهذا فضل الله، ومن أضله فهذا هو عدله، فيهدي من يشاء فضلاً، ويضل من يشاء عدلاً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله عَزَّجَلَّ لا يظلم العباد. ﴿يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]. فالمِنَّة من الله عَزَّجَلَّ، هو الذي هداهم للإيمان، ولولا أن الله عَزَّجَلَّ هداهم للإيمان ما دخل الإيمان إلى قلوبهم. فمن آمن بالله عَزَّجَلَّ، فله عليه المِنَّة؛ لأن الله عَزَّجَلَّ هو الذي هداه، وهو الذي أدخل الإيمان إلى قلبه.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]

ومن لم يهده الله **عَزَّوَجَلَّ**، فلا يعتب على ربه؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** ما ظلمه، وإنما عامله بعدله. يضع الله **عَزَّوَجَلَّ** فضله فيمن يشاء وهو الحكيم، فيضع الهداية في الموضع المناسب. فمن علم الله **عَزَّوَجَلَّ** منه أنه يستحق ذلك، تفضل الله عليه بالهداية. ومن علم الله **عَزَّوَجَلَّ** منه أنه لا يستحق ذلك - والله حكيم - فإنه لا يضع فيه هذا الفضل، فيضع فضله فيمن يشاء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. فله الخلق وله الاختيار، يصطفي من الملائكة من يشاء، ويصطفي من الرسل من يشاء، وهو العليم الحكيم، يعلم أحوال العباد.

إذن: الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** - كما ذكر المؤلف - دعا الخلق كلهم إلى عبادته، ومن بعد ذلك على من يشاء بالإسلام تفضلاً منه. أما هداية الإرشاد، فهي لجميع الخلق، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]، وهذه هداية الإرشاد، ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، أي: طريق الخير وطريق الشر. ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. هذه هداية الإرشاد، وبه أقام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حجته على الخلق، وأرسل من أجل ذلك الرسل، وأنزل من أجل ذلك الكتب، وقطع الله **عَزَّوَجَلَّ** عن الخلق المعاذير بهذه الهداية، هداية الإرشاد. فبين الله **عَزَّوَجَلَّ** للعباد طريق الجنة وطريق النار، وحثهم على طريق الجنة ورغبهم فيه، وحذرهم من طريق النار ورهبهم وتوعدهم إن هم سلكوه.

هناك من الناس من سلك طريق النار؛ لما في قلبه من الهوى واتباع الشهوات وتقديم اللذات الفانية على اللذة الباقية، فغلبته نفسه الأمارة بالسوء وهواه، وقدم العاجل على الآجل، فأبى إلا أن يسلك ذلك المسلك لما فيه من السهولة واللين



ولما فيه من الشهوات والأهواء، فكان من أصحاب السعير - والعياذ بالله. وهناك من أطاع ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وسار في طريق الجنة وتحمل الشدائد والمشاق، وكل ذلك بعون من الله **عَزَّوَجَلَّ**، هو الذي أعانه على ذلك، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فلا تكون عبادة إلا باستعانة، ولا يمكن للعبد أن يعبد ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إلا بعون منه. فأعانه الله **عَزَّوَجَلَّ** على سلوك ذلك الطريق وتحمل الشدائد والمحن ومحاربة النفس الأمارة بالسوء والهوى. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

فحجة الله **عَزَّوَجَلَّ** قامت على الخلق بهذه الهداية، ولهذا - كما عرفنا - أرسل من أجل ذلك الرسل وأنزل الكتب. فمن وفقه الله **عَزَّوَجَلَّ** للإسلام فهذا فضل من الله ومِنَّة، ومن أضله الله **عَزَّوَجَلَّ** فهذا عدل من الله. وأما الظلم، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد نزه نفسه عنه، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا» رواه مسلم من حديث أبي ذر.



الكف عما شجر بين الصحابة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ، وَمُعَاوِيَةَ، وَعَائِشَةَ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ، لَا تُخَاصِمُ فِيهِمْ، وَكُلٌّ أَمَرَهُمُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَذِكْرَ أَصْحَابِي، وَأَصْهَارِي، وَأَخْتَانِي». وَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

الشرح:

ما يتعلق بالفتن التي حصلت في زمن الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - فإن مما اجتمع عليه علماء السلف: عدم الخوض في تلك الفتن، وأن يُرَضَّى على الجميع، ويُعتذر للجميع. وأن تلك الفتن التي حصلت بينهم، هم مجتهدون فيها، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد. وتلك الفتن شأنها أن تطوى ولا تُروى: ﴿تِلْكَ أُمُمَةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]. فأمر العباد إلى رب العباد سبحانه، وإنما يُسأل العبد عن عمله، ولا يُسأل العبد عن عمل غيره، فعليه أن ينشغل بنفسه عن أولئك القوم الذين هم خيار الناس.

فينشغل الإنسان بعمله، فإن وقع في ذنب تاب، وإن قصر في عمل تاب إلى الله عزَّ وجلَّ ورجع إلى أداء الواجبات. فالعبد يُسأل عن نفسه وعن عمله، ولن يُسأل عن



عمل غيره، كُلُّ يُسأل على عمله. وأولئك القوم هم خير الناس، كما قال النبي ﷺ -
 -: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه البخاري ومسلم عن عبد الله
 بن مسعود. فهم خير الناس، ولهم ما لهم من الفضائل والمناقب الكثيرة. وما حصل
 لهم من ذنب ومن خطأ، فيُعتذر لهم بالاجتهاد في ذلك. وما كان من الذنوب المحققة
 التي لم يجتهدوا فيها، فهي مغمورة في بحار حسناتهم. والظن فيهم أنهم لا يُصرون
 على الذنوب - وإن كانت من الذنوب المحققة - وأنهم يتوبون إلى الله عز وجل،
 ويرجعون إليه سبحانه.

ولو افترض خلاف ذلك، وأنه هنالك من أصر على ذنب، فما لهم من الفضائل
 والمناقب، وما لهم من الحسنات الكبيرة يُرجى أن يغفر الله لهم، فإنهم قد نصرُوا
 رسول الله - ﷺ -، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في الذب عن الإسلام وعن رسول الله -
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، ونالوا الشدائد والمحن من أجل ذلك. ونقلوا لنا الدين، وهذه
 حسنة عظيمة من حسناتهم، أنهم نقلوا لنا الدين، فما نعمله من أعمال الخير فلهم
 حسنات؛ لأنهم هم الذين نقلوا لنا الدين. فمن جاء بعدهم إن عمل الأعمال
 الصالحة، فللسابقين الأجور العظيمة، فإن من دعا إلى الهدى كان له مثل أجور من
 تبعه. وأولئك القوم من أعظم من دعا إلى الهدى بعد الأنبياء والرسل - عليهم
 الصلاة والسلام. فلهم ما لهم من الحسنات الكثيرة، فما لهم من السيئات المحققة
 مغمورة في بحار حسناتهم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

فالواجب هو الكف عن تلك الفتن. فأما أن يتحيز الإنسان إلى فئة دون فئة،
 ويُبغض فئة من الفئات، فهذا خلاف ما أمر الله به: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ
 رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا
 إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. فإذا انحاز الإنسان إلى فئة، وصار يذم الفئة

الأخرى، فهذا لم يفعل ما أمره الله به. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد أخبر أنه قد رضي عنهم: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فكيف يُغض الشخص من **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؟!

ومن الكلام الحسن في هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الواسطية":
وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةُ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغَيْرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ. وَلَهُمْ مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةً مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ - حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أُحْدِ ذَهَبًا مِّمَّنْ بَعْدَهُمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتِلَا فِي الدُّنْيَا كُفْرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ. ثُمَّ إِنَّ الْقَدَرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزَرَ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ



عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنََّّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنََّّهُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ أَهـ.

كلامه رحمه الله

قال المؤلف - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (وَالْكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ، وَمُعَاوِيَةَ، وَعَائِشَةَ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ - وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ، لَا تُخَاصِمُ فِيهِمْ، وَكِلْ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: إِيَّاكُمْ وَذِكْرَ أَصْحَابِي، وَأَصْهَارِي، وَأَخْتَانِي).

وهذا الحديث لا يثبت. والأدلة الواردة في الباب الثابتة الصحيحة - أدلة كثيرة - فيها النهي عن سب الصحابة، وفيها بيان فضل الصحابة ما يُغني عن مثل هذا الحديث. «قَالَ: إِيَّاكُمْ وَذِكْرَ أَصْحَابِي، وَأَصْهَارِي، وَأَخْتَانِي». وأيش الفرق بين: الأصهار والأختان؟ الأختان: أقارب الزوجة، والأصهار: أقارب الزوج.

قال: (وَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»): وهذا حديث عليٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في الصحيحين، وفيه فضيلة لأهل بدر من الصحابة الكرام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -: «اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». بهذه الحسنة العظيمة، وكم للصحابة من حسنات عظيمة، فهم أولى الناس بمغفرة الله وبرحمته - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.



حرمة أموال المسلمين

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مَالٌ حَرَامٌ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ عَسَى أَنْ يَتُوبَ هَذَا فَيُرِيدُ أَنْ يُرَدَّهُ عَلَى أَرْبَابِهِ فَأَخَذَتْ حَرَامًا.

الشرح:

قال - رَحِمَهُ اللهُ -: (وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبَةٍ). والأمر كما ذكر - رَحِمَهُ اللهُ -، فإن النبي - ﷺ - يقول: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» رواه مسلم عن أبي هريرة. فالأصل هو تحريم مال المسلم. وما كان بطيبة نفس فإن هذا مما يحل، وإذا أخذ بغير طيبة نفس فإن هذا يحرم، وسواء أخذ عن طريق السرقة، أو عن طريق الغصب، أو عن طريق الانتهاب - النُّهْبَة - أو غير ذلك من الأمور التي لم تكن بطيب نفس.

حتى ولو كان على وجه الحياء ونفسه ما هي طيبة، لكن جاء إليه وأكثر معه من الكلام فأعطاه على وجه الحياء ونفسه لا تطيب، فإن هذا مما لا يحل، فلا يحل إلا بنفس طيبة. والأصل - كما عرفنا - حرمة أموال المسلمين، فلا تنتهك هذه الحرمة إلا بالطرق الشرعية، الطرق المأذون بها شرعاً كالبيع والشراء، وأنواع التجارات، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. فتأخذ مال أخيك عن طريق البيع والشراء، هذا أخذ شرعي. أو عن طريق الإجارة، يستأجر منك شيئاً فتأخذ مال



الإجارة، أو عن طريق الوكالة: توكلت له بشيء بأجرة معلومة، فإن هذه من الطرق الشرعية. وكذلك إذا أعطاك هدية فهذه من طيب نفس، فلك أن تأخذ ذلك. وما لم يكن من هذه الوجوه الشرعية وما أشبه ذلك، فالأصل هو حرمة أموال المسلمين.

وفي المسند من حديث عم أبي حرة عن النبي ﷺ قال: **(لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ)**، وله شاهد في المسند من حديث عمرو بن يثري الضمري، قال: **شَهِدْتُ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنَى، فَكَانَ فِيْمَا خَطَبَ بِهِ أَنْ قَالَ: (وَلَا يَحِلُّ لَامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا طَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ).**

قال: **(وَإِنْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مَالٌ حَرَامٌ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ):**

وإذا كان شخص عنده مال حرام كالمسروق والمغصوب والمنهوب، فليس لشخص أن يأخذ ذلك المال ويقول: هذا مال سارق، فيأخذه ويتصرف فيه، فإن هذا لا يحل. فإن ذلك الذي حصل منه هذا الأمر ربما يتوب إلى الله عز وجل ويريد أن يرد المال إلى صاحبه، فإذا أخذه منه كيف يرد المال إلى صاحبه وقد أخذ منه؟! فلا يؤخذ منه المال الحرام، لكن يُنصح ويُزجر ويُخوف بالله عز وجل. وإذا عُرف صاحب الحق، يمكن صاحب الحق من حقه، وهذا لمن كان له شيء من السلطة والقوة فيأخذ ذلك المال ويرده إلى صاحبه، وهذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن في حق من له القدرة على ذلك.

وإذا كان لا يُدرى من صاحب ذلك المال، فإنما يُوعظ ويُخوف بالله عز وجل ويُبين له عاقبة هذا الأمر. أما أن يأخذ الإنسان ذلك المال لنفسه ويتنفع به أو يتصرف فيه في أي أمر من الأمور فليس هذا له.

وقوله: **(إِلَّا بِإِذْنِهِ)**. وهذا إذا كان على وجه شرعي فيمكن، وإلا فإن الإذن لا معنى له. فإذا استأذن من السارق أن يأخذ المال وينتفع به لنفسه فأذن له السارق؟ فلا معنى لهذا الإذن.

لكن إذا كان بوجه شرعي، يعني: أخذ المال لرده إلى أهله مثلاً، أو قال ذلك الشخص: لا أدري من صاحب هذا المال - أخذ أموالاً لا يدري عن أصحابها - فجاء إليه الشخص وقال: أنا آخذ منك هذا المال وأضعه في الفقراء والمساكين بنية الصدقة عن أصحاب المظالم، فهذا يستقيم؛ لأنه أخذه بإذنه ووضعه في الموضع الشرعي.

أما أن يأخذ المال بإذن ذلك الظالم ليتصرف فيه لنفسه، فالإذن لا معنى له، وسواء استأذن أو لم يستأذن فلا يحل هذا، لكن إذا استأذن ووضع المال في موضعه الشرعي فهذا هو الإذن المعتبر.

قال: **(فَإِنْ عَسَى أَنْ يَتُوبَ هَذَا فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى أَرْبَابِهِ فَأَخَذَتْ حَرَامًا)**. فمن أجل هذا ذكر ما سبق، أنه لا يؤخذ المال منه بغير إذنه؛ لأنه لعله أن يتوب إلى الله عز وجل فيرد ذلك المال إلى أهله.





الأصل في المكاسب الحل



وَالْمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ، إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا يَأْخُذُ مِنَ الْفَسَادِ مُمْسِكَةً نَفْسَهُ، وَلَا تَقُلْ أَتْرُكُ الْمَكَاسِبَ وَأَخَذَ مَا أَعْطُونِي، لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الصَّحَابَةُ وَلَا الْعُلَمَاءُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَسَبٌ فِيهِ بَعْضُ الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ.

الشرح:

قال - رَحِمَهُ اللَّهُ - : (وَالْمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ، إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ) ما يتعلق بالمكاسب مر معنا فيما مضى، وعرفنا خطأ من قال بأن الحرام قد أطبق الأرض.

فهذه المسألة مرت معنا فيما مضى في شرح هذا الكتاب، وعرفنا أن الحلال مازال موجوداً في الأرض وبكثرة، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُضَيِّقُ عَلَى الْعِبَادِ هَذَا الْبَابَ.

قال: (وَالْمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ): أي: أن الأصل فيه الحل، المكاسب ما ظهر فيها الصحة الأصل أنها حلال. «إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ».

فالأصل في المكاسب: أن ما ظهر لنا فيه الصحة فهو صحيح، ولا نُكَلِّفُ أَنْ نَبْحَثَ وَنَنْقُبَ عَنْ أُمُورٍ بَاطِنَةٍ. فشخص يبيع من الطيبات، فيجوز لنا أن نتعامل معه، ولا نقول: ربما المال الذي اشترى به هذه الطيبات كان خبيثاً، وربما كان رأس المال مسروقاً أو مغصوباً أو كان من أموال الربا، فيبقى الشخص يبحث عن ذلك الرجل ويسأل عنه من أين أسس هذه التجارة. فهذا غير صحيح فلا يبحث الإنسان عن هذه

الأُمور، ويبقى على حسب الظاهر، فما ظهر فيه الصحة فهو صحيح ويحل التعامل معه.

وإذا ظهر الفساد، كأن يتعامل بأشياء محرمة، ويبيع أشياء محرمة ظاهرة، فهذا الذي يُتقى؛ لأن الفساد قد ظهر، وسواء كان يبيع أشياء محرمة أو له معاملات محرمة ظاهرة، فيتعامل بالربا وغير ذلك من المعاملات الظاهرة، فهذا قد عُرف حاله وحال ماله.

قال: (يَأْخُذُ مِنَ الْفَسَادِ مُمَسَّكَةً نَفْسِهِ): أي: ما يدفع عن نفسه الموت، ما يمسك به نفسه من الخروج، فإن الله عَزَّجَلَّ استثنى من الحرام الضرورة: ﴿فَمِنْ أَضْطَرٍّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]. فاستثنى الله عَزَّجَلَّ الضرورة، فيجوز للإنسان أن يأكل من الحرام إذا اضطر إلى ذلك الحرام، بحيث إنه يخشى على نفسه الهلاك، يخشى على نفسه الموت، ويأكل من ذلك الحرام بقدر ما يُمسك نفسه. هذا الذي مشى عليه المؤلف.

وهناك من أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية من يرى أن في مثل هذا الكلام تضييقاً، وأن الشخص له أن يأكل من الحرام إذا اضطر إليه ما يحصل له به القوة، ولا يقتصر على مقدار ما يُمسك روحه من الخروج؛ فإنه إذا أكل من الحرام مثل هذا المقدار فلا يبقى إلا ملقى في الأرض، لا يقدر على الحراك. وإن كان مسافراً فلا يستطيع أن يستمر في سفره، وكيف يستطيع أن يمشي في سفره؟ وكيف يستطيع أن يقوم بأعماله؟ وهو أخذ هذا المقدار اليسير.

والصواب: أنه له أن يأكل ما يتقوى به، ما يحصل له به المقصود ويتقوى به، وإن كان لا يصل إلى حد الشبع، فلا يكثر من الحرام، لكن يأخذ منه ما يتقوى به، بحيث



إنه إذا كان مسافراً يستطيع أن يمضي في سفره، وإذا كان غير مسافر يستطيع أن يقوم بأموره التي يحتاج إليها. أما مثل هذا المقدار ففيه من التضيق الشديد ما لا يخفى.

قال: (وَلَا تَقُلْ: اَتْرُكِ الْمَكَاسِبَ وَآخُذْ مَا أُعْطُونِي، لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الصَّحَابَةُ وَلَا الْعُلَمَاءُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: كَسَبْتُ فِيهِ بَعْضَ الدِّيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ): وهذا الأثر وإن لم يثبت عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - غير أن معناه حسن، معناه صحيح. فالكسب الدنيء خير من الحاجة إلى الناس، وخير من سؤال الناس، وخير من التعرض للناس.

ولو كان الكسب فيه ما فيه من الدناءة، فإن دناءة سؤال الناس والحاجة إلى الناس أعظم من دناءة الكسب الدنيء إذا كان ذلك الكسب من الحلال. أما إذا كان من الحرام فإنه لا يُشرع. لكن إذا كان الكسب من الحلال وفيه شيء من الدناءة فإنه أولى، فإنه خير من التعرض للناس وسؤال الناس.

والأصل في سؤال الناس الأموال هو الحرمة، إلا ما دعت إليه الضرورة. وإن دعت الضرورة، فالأحسن: السؤال أو ترك السؤال؟ الأحسن ترك السؤال حتى ولو مات الشخص، فإن من ترك سؤال الناس ومات جوعاً فإنه لا يموت عاصياً. وإذا ترك أكل الميتة ومات، أي موت عاصياً أم لا؟

الجواب: يموت عاصياً فإذا ترك أكل الميتة ومات بسبب تركه لأكلها، فإنه يموت عاصياً. أما إذا ترك سؤال الناس واشتد به الأمر ومات فإنه لا يموت عاصياً، بل هو في عمل صالح.

وهذا إذا انغلق عليه الأبواب، أبواب المكاسب، وانغلق عليه الطرق وما بقي معه إلا هذا الطريق، الذي هو إما أن يسأل الناس وإما أن يهلك، فالتعفف عن سؤال الناس هو الخير له، وإن مات لم يمت عاصياً.

وفي المسند وغيره من حديث أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال له: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «تَعَفَّفُ». يعني: إذا بلغ به الأمر إلى هذه الحال، لا يستطيع أن يقوم من فراشه إلى مسجده - إلى موضع صلاته - إلا بجهد جهيد من شدة الجوع، بلغ به إلى هذه الحال، قد قارب الهلاك بحيث أنه ما يستطيع أن ينهض من فراشه إلى موضع صلاته إلا بجهد جهيد، فهذا شخص قد قارب الهلاك، ومع هذا يقول له النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «تَعَفَّفُ يَا أَبَا ذَرٍّ». أي: لا تسأل الناس ولو بلغت إلى هذه الحال. ولهذا يقول العلماء: من ترك سؤال الناس ومات لم يمت عاصياً، وإن ترك أكل الميتة فمات فإنه يموت عاصياً. فالتعفف من الأمور المطلوبة، فعلى العبد أن يتخلق بهذا الخلق، خلق التعفف من الأمور المطلوبة. لكن - كما عرفنا - لا يترك الإنسان ما يحتاج إليه من المكاسب ويبقى يسأل الناس، فإن هذا مما يُذم. فَكَسَبٌ فِيهِ بَعْضُ الدِّينَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ.





الصلاة خلف أهل البدع

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالصَّلَاةُ الْخَمْسُ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهْمِيًّا فَإِنَّهُ مُعْطَلٌّ، وَإِنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ فَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطَانٌ فَصَلِّ خَلْفَهُ وَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ صَاحِبَ سُنَّةٍ فَصَلِّ خَلْفَهُ وَلَا تُعِدْ صَلَاتَكَ.

الشرح:

قال - رَحِمَهُ اللَّهُ عليه -: (وَالصَّلَاةُ الْخَمْسُ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ): سواء كان عدلاً أو كان فاسقاً، ما دام من أهل الإسلام، فتصح الصلاة خلف العدل والفاسق. وإن كان الذي ينبغي أن يصلي الشخص خلف العدل إن تيسر ذلك، لكن من حيث الصحة: تصح.

(إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهْمِيًّا): وذلك لأن الجهمية كفار - كفرهم أئمة السلف. (إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهْمِيًّا فَإِنَّهُ مُعْطَلٌّ): والمعنى: لا تصلي خلف الجهمي، فإن الصلاة خلفه باطلة. (فَإِنَّهُ مُعْطَلٌّ). أي: للأسماء والصفات. (وَإِنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ فَأَعِدْ صَلَاتَكَ). وذلك لفسادها، فإن الصلاة لا تصح خلف من وقع في كفر أكبر، ولا تصح خلف المرتد، ولا خلف الكافر.

قال: (وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطَانٌ): بهذا الشرط. (وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطَانٌ فَصَلِّ خَلْفَهُ): يعني: حتى تسلم من شره، فأمر

السلطان يختلف عن غيره. لكن إذا كان إمام الجمعة من الجهمية وليس هو السلطان، فيستطيع الشخص ألا يصلي خلفه، فإن وجد مسجدًا آخر صلى في ذاك المسجد الآخر، وإن لم يجد صلى ظهرًا، فما يصلي خلف الجهمي.

لكن إذا كان هو السلطان فإنه يخشى على نفسه من السلطان فيصلّي خلفه.

قال: (وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطَانٌ فَصَلِّ خَلْفَهُ وَأَعِدْ صَلَاتَكَ):

صَلِّ خَلْفَهُ مِنْ أَجْلِ السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِ، حَتَّى لَا يُصَابَ بِأَذَى وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ الضَّرَرُ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ، لَكِنَّ الصَّلَاةَ فَاسِدَةً؛ لِأَنَّهَا خَلْفَ جَهْمِي، فَقَالَ: (وَأَعِدْ صَلَاتَكَ).

(وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ صَاحِبَ سُنَّةٍ فَصَلِّ خَلْفَهُ وَلَا تُعِدْ صَلَاتَكَ):

هذا أمر ظاهر.

والمبتدع الذي بدعته لا تصل إلى حد الكفر، فإن الصلاة خلفه تصح، وإن تيسر للشخص أن يصلي في مسجد سنة فهو الذي ينبغي، وإن لم يتيسر فإن الصلاة تصح، إذا كانت البدعة ليست من قبيل البدعة الكفرية.





قبر رسول الله ﷺ وقبري أبي بكر وعمر رضي الله عنهما



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمَا - فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ دُفِنَا هُنَالِكَ مَعَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَ الْقَبْرَ فَالْتَسِلِمُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاجِبٌ.

الشرح:

قال: (وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمَا - فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ): هذا أمر معلوم مقطوع به، مجزوم به، قد علم علماً متواتراً لا شك فيه. وإنما المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - نبه على هذه المسألة مع أنها من المسائل المعلومة الظاهرة البينة، باعتبار أن هنالك من الرافضة - كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - في "منهاج السنة" - من يُنكر ذلك. وأعجب من هذا: فهناك من ينكر أن أم كلثوم، وزينب، ورقية من بنات رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، فقالوا: كيف يُزَوِّجُ النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أعداء الإسلام والكافرين ببناته؟! فأنكروا أن يَكُنَّ من بنات رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، ومثل هذه الأشياء لا يُلْتَفَتُ إليها.

فأبو بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وعمر الفاروق، صاحب رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في الحياة الدنيا، وفي الحياة البرزخية قُبُراً معه، وكذلك في الآخرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ورضي الله عن الصحابة أجمعين. وهذا من مزايا أبي بكر وعمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال: (فَإِذَا أَتَيْتَ الْقَبْرَ فَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَاجِبٌ):

وأما القول بالوجوب فيحتاج فيه إلى دليل شرعي، فالتسليم على النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وعلى صاحبيه من الأمور المستحبة، وليس ذلك من الأمور الواجبة. لكن إذا تعمد الإنسان أن يسلم على رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، ويترك السلام على صاحبيه عمداً؛ لما في قلبه من بغضهما، فهذا يُلامُّ على ذلك؛ لما في قلبه من البغض لخير الناس بعد الأنبياء والرسل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، فإن أبا بكر وعمر هما خير الناس بعد الأنبياء والرسل. فإن ترك من أجل هذا الأمر، فهذا الذي يَأْثُمُ الإثم العظيم.

أما إن لم يكن هذا هو المقصود، كان معه شيء من الاستعجال مثلاً، سلَّم على النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وانصرف بسبب الاستعجال، فلا يُقال إنه ترك واجباً. ولو ترك السلام على النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لا يُقال إنه ترك واجباً، ما في ما يدل على الوجوب السلام عند الزيارة.

والسلام على النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وعلى صاحبيه لا يكون في حق كل من دخل المسجد النبوي أو خرج منه، لم يكن هذا من هدي الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أجمعين -، بل هذا مما يُنكر. فإن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قال: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً» رواه أبو داود وغيره. فكثرة التردد على قبر الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وقبر صاحبيه، والسلام عليهما عند الدخول إلى المسجد وعند الخروج منه، من اتخاذ قبر النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عيداً؛ فإن العيد من العود وهو التكرار، فكون الشخص يذهب ويسلَّم، وإذا خرج من المسجد يسلَّم على النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، فقد اتخذ قبره عيداً فهذا مما يُنهى عنه.



وكان الصحابة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين - إذا دخلوا المسجد سلّموا على النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - وليس عند قبره وإنما عند دخول المسجد من أي باب من أبوابه، كالشأن في سائر المساجد: فإذا دخل الإنسان أي مسجد من المساجد يُسلّم على النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فكان الصحابة يسلمون عند دخول المسجد وعند الخروج منه، وليس عند القبر، ولا يذهبون إلى القبر من أجل السلام على النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - وعلى صاحبيه. وإنما المأثور عن الصحابة أنهم إذا رجعوا من سفر، أو أراد أحدهم السفر، زار قبر النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - وصاحبيه، وسلّم على رسول الله - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - وعلى صاحبيه. فهذا المأثور عن الصحابة كابن عمر - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - : فكان إذا رجع من سفر أو أراد الخروج إلى سفر سلم على النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وصاحبيه. وأما كثرة الترداد فغير صحيح. وكذلك من ذهب إلى تلك البلاد للحج أو العمرة، ثم ذهب إلى المسجد النبوي من أجل الصلاة في المسجد النبوي، فيسلم على النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وصاحبيه وهذا عند دخوله. وإذا مكث أيامًا فلا يكرر الزيارة والسلام، كأن يكون كلما دخل المسجد ذهب للزيارة، وكلما خرج ذهب للزيارة، هذا ما هو صحيح.

لكن إذا ذهب إلى المسجد ففي أول قدومه يزور ويسلم، وإذا أراد السفر والرجوع يمكن له أن يفعل هذا. فلا يتخذ الشخص قبر النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - عيدًا، فإن هذا مما نهى عنه رسول الله - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.



وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتسليم على جميع المسلمين

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ، إِلَّا مَنْ خَفَتْ سَيْفُهُ أَوْ عَصَاهُ.
وَالتَّسْلِيمُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ.

الشرح:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وهو من الواجبات الكفائية: إذا قام به البعض سقط عن الباقين. أي: إذا قاموا بإنكار ذلك المنكر وإزالته، فيسقط عن الباقين. قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري. وقال الله عَزَّجَلَّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فالوجوب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوجوب الكفائي، ما هو من الوجوب العيني، وإنما من الوجوب الكفائي.

قال: (إِلَّا مَنْ خَفَتْ سَيْفُهُ أَوْ عَصَاهُ). فهنا يسقط الوجوب: فإذا خاف سيفه وعصاه، يعني: إن أمره بمعروف أو نهاه عن منكر ربما قتله أو ضربه، وكان هذا ليس من قبيل الأوهام، وإنما يُخشى منه ذلك حقيقةً باعتبار غلبة الظن؛ لما علم من بطش ذلك الشخص ومن بغيه، كأن يكون من الملوك، أو من أمراء الملوك، أو من له سلطة



في الناس وقوة فيهم، إذا ما أنكر المنكر عليه ربما حصل منه البغي. فإذا بلغ الأمر لهذا الحد - خاف سيفه أو عصاه - ليس مجرد أوهام، فله العذر عند ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. لكن الساقط من ذلك هو: إنكار اليد واللسان، ويبقى إنكار القلب واجباً عليه. وما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأحكام، بابه واسع، والخلال - **رَحْمَةُ اللَّهِ** عليه - له رسالة طيبة وهي: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، نقل فيها وذكر فيها أحكاماً متعددة من كلام الإمام أحمد غالباً، ومن كلام غيره من أئمة السلف، فيما يتعلق بمسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأحكام ذلك كثيرة. لكن على كل حال: الأمر المختصر فيه أنه من فروض الكفايات، وأنه يسقط في حق من خاف سيفه أو عصاه.

قوله: **(وَالْتَسْلِيمُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ)**.

وهذا من حق المسلم على المسلم، والتسليم يكون - كما ذكر المؤلف - على عباد الله أجمعين. في حديث أبي هريرة في مسلم، قال النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** -: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْلكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**». فحث النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - على إفشاء السلام. ولما قال الرجل للنبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: -: «**أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»**». فما يسلم الشخص على من يعرف ويترك من لا يعرف، وإنما على من عرفت ومن لم تعرف. والسلام على المعرفة - أي: الاقتصار على السلام على المعرفة - خلاف الأدلة، أن يسلم الإنسان على من يعرف ويترك السلام على من لم يعرف، وهذا حال أكثر الناس إلا من رحم الله **عَزَّ وَجَلَّ**. فلا يسلم الواحد منهم



إلا على من يعرف، إلا من رحم الله **عَزَّجَلَّ**. والذي ينبغي أن يسلم الشخص على من يعرف ومن لا يعرف.

وجاء في المسند عن الأَسودِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْنَا نَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا رَكَعَ النَّاسُ، رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَكَعْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ نَمْشِي، فَمَرَّ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ رَاكِعٌ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، سَأَلَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لِمَ قُلْتَ حِينَ سَلَّمَ عَلَيْكَ الرَّجُلُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ**، يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، إِذَا كَانَتِ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ**». وقد اختلف في رفعه ووقفه والموقوف له حكم الرفع.

هناك أخ من الإخوة مرَّ بشخص من السودان وهو في بلاد اليمن فسَلَّم عليه، فدعاه ذاك السوداني فقال له: لِمَ سَلَّمْتَ علي؟! لا تُسَلِّم إلا على شخص تعرفه، وألقى له موعظة في الآداب - يعني: كيف تفعل هذا الفعل؟! ليس هذا من الأدب أنك تخاطب جميع الناس وتسلم على جميع الناس، وإنما تسلم على من تعرفه. فعلى كل حال: السلام على المعرفة خلاف الأدب وخلاف الشرع.

فالإنسان يسلم على من يعرف ومن لا يعرف، إلا من كان مهجورًا الهجر الشرعي، كأهل البدع والأهواء، وكأهل المعاصي - إذا كان الهجر ينفعهم، أعني: أهل المعاصي. أما أهل البدع والأهواء فالهجر فيهم مصلحة مستمرة: إما لأهل البدع، وإما للمسلمين، وإما للشخص الهاجر، فيقي نفسه من شرور أهل البدع والأهواء. فالأصل هو أن يسلم الشخص على عباد الله جميعًا، إلا من كان مهجورًا هجرًا شرعيًا.





وجوب صلاة الجماعة والجمعة



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَالْعُذْرُ كَمَرَضٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلَا عُذْرَ لَكَ.

وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ فَلَمْ يُقْتَدِ بِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ.

الشَّرْحُ:

قال: (مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ). معلوم أن صلاة الجمعة واجبة؛ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

وفي صحيح مسلم: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «لَيْسَتْ هُنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيْخَتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لِيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ». فحضور الجمعة من الواجبات، والجمعة أيضًا واجبة.

قال: (وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ). وهذا محمول على من ترك ذلك لأمر فاسد في قلبه، كأن يترك ذلك لأنه لا يرى صحة الصلاة خلف إمام المسلمين - إن كان هو الإمام الذي يقيم الجمعة والجماعة - كما عليه الخوارج والمعتزلة وغير هؤلاء، أو لتكفيره للمسلمين كما عليه غلاة الخوارج.

فإذا كان من أجل هذه الأمور فهو مبتدع، كما ذكر المؤلف، وكلامه محمول على هذا الأمر، وإلا فمن ترك الجمعة والجماعة لغير هذه الأمور فإنه عاصٍ، ترك ما أوجب الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه، شأنه كشأن من ترك سائر الواجبات، لا يكون من أهل البدع وإنما يكون من أهل المعاصي. فالذي يترك واجباً من الواجبات التي أوجبها الله **عَزَّوَجَلَّ**، أو أوجبها رسوله الكريم - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** -، فإنه يكون من أهل المعاصي، ولا يكون من أهل البدع إلا إذا فعل ذلك لمثل هذه الأمور، فإنه يكون من أهل البدع.

قال: **(وَالْعُذْرُ كَمَرَضٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلَا عُذْرَ لَكَ):** أي: مما هو دون ذلك. وإلا فإن الأعذار كثيرة، ومن الأعذار: الأمطار وفي الحديث: **«صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ»** كما جاءت بذلك السنة - وكذلك الرياح الشديدة، ونزول الثلوج، والسيول المانعة للشخص من الذهاب إلى المسجد، وأعذار كثيرة ما هي منحصرة فيما ذكره - رحمة الله عليه.

قوله: **(وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ فَلَمْ يُقْتَدِ بِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ):** فلا صلاة له، لأن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول كما في الصحيحين من حديث أنس: **«إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ»**، فمن صلى خلف الإمام ولم يقتد به فإن صلاته باطلة.

وهذه مسألة من المسائل الفقهية.





مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ بِلَا سَيْفٍ

الشَّرْحُ:

وسبق الكلام على ذلك فيما مضى، وعرفنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات. ومر معنا ما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهنا يَبَيِّنُ أن ذلك يكون باليد واللسان والقلب بلا سيف، أي: بلا خروج على أولياء أمور المسلمين. وأراد بهذا الرد على الخوارج وعلى المعتزلة. فإن الخوارج - كما هو معلوم - يستحلون دماء المسلمين ويخرجون عليهم بالسلاح، ويرون أن هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكذلك المعتزلة: من أصولهم الستة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويضمنون ذلك الخروج على أولياء أمور المسلمين بالسيف، فأراد بهذا - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - الرد على الخوارج والرد على المعتزلة.

والنبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ» رواه مسلم من حديث أبي سعيد. فليس المراد بالتغيير باليد الخروج على ولاية أمور المسلمين بالسيف؛ وذلك أن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قد حث على الصبر عليهم في أدلة متكاثرة، وإن رأى الإنسان منهم المنكر، وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس.

وقال: «فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ» رواه مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي. والأدلة في ذلك متكاثرة، فذكر النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حصول المنكرات من الأمراء، ومع هذا أمر بالصبر عليهم، وأمر أن ينكر المنكر بقلبه وأن يكره ما جاءوا به من المنكرات، وألا يخرج عليهم ولا ينزع يداً من طاعة.

فشأن أولياء أمور المسلمين ليس كشأن سائر الرعية، فلا يُنكر عليهم المنكر بالسيف. وإن كان قد يحصل إنكار المنكر بالسيف في أوساط الرعية من جهة ولي أمر المسلمين، إذا ما امتنعوا من شعيرة من شعائر الإسلام الظاهرة، فلولي أمر المسلمين أن يقاتلهم بالسيف - أي: الرعية -، كأن يمتنعوا من الصيام، أو يمتنعوا من أداء الزكاة، أو يمتنعوا من إقامة الأذان، فلولي أمر المسلمين أن يقاتلهم، وهكذا من معه من المسلمين يقاتلون أولئك الذين امتنعوا إذا كانت لهم فئة قوية، حتى يؤدوا هذه الفريضة.

لكن فرق بين الرعية والراعي؛ فالراعي يُنصح له إذا جاء بشيء من معصية الله عَزَّوَجَلَّ فيُكره ما يأتي من معصية الله، لكن لا يجوز الخروج على أولياء أمور المسلمين بالسلاح، كما تكاثرت بذلك الأدلة عن رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.





المستور من المسلمين



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمُسْتَوْرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ رِيَّةٌ.

الشَّرْحُ:

والمستور من المسلمين: من لا يظهر منه ريبة. فمن لم يظهر منه ريبة فهو مستور، فيقال في حقه: مستور. وأما قول من يقول: إن الأصل في المسلمين العدالة، فهي عبارة ليست صحيحة. وما قاله المؤلف - رحمة الله عليه - هو الصحيح: أن من لا تظهر منه ريبة فهو المستور.

والذي قال: الأصل في المسلمين العدالة، هو ابن حبان في كتاب "الثقات"، وقد أورد جملة من المجاهيل في كتابه "الثقات" بناءً على ذلك، فهذا غير صحيح. وقد انتقد هذه العبارة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه -، فبين - رحمة الله عليه - أنه لا يصح أن يقال: إن الأصل في المسلمين العدالة.

قال: الأصل في بني آدم الظلم والجهل. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فهذا هو الأصل. وقد يرتفع هذا بضد ذلك، فإذا تخلق العبد بالعدل زال عنه الظلم، وإذا تخلق وحرص على العلم زال عنه الجهل، وليس بمجرد الإسلام يزول عنه الظلم والجهل فليس بمجرد التلفظ بالشهادتين يزول عنه ذلك. بل يحتاج إلى أخلاق ترتفع بها عنه هذه الأوصاف، فيحتاج إلى أن يتحلى ويتخلق بالعدل، وأن

يحرص على العلم، فإن تخلق بالعدل وحرص على العلم زال عنه الظلم والجهل. وإلا فهذا هو الأصل في بني آدم، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ويحتج بهذه الآية: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

فمن لا يُعرف حاله، فالمؤلف هنا يقول: إنه مستور. وهذه عبارة صحيحة: فمن لم تظهر منه ريبة فهو مستور، فلا نصفه بشيء، وإنما يُبحث عن حاله. وقول من قال: الأصل في بني آدم الظلم والجهل، لا يعني أننا نصف من لا نعرف حاله بالظلم والجهل، ليس هذا هو المراد، فهذا وارد على سبيل العموم، ولا تُنزل على كل فرد. فإذا نظرنا إلى كل فرد لا يُعرف حاله، فلا ندخله في هذا العموم، لأنه قد لا يكون كذلك.

والفرد المعين الذي لا يُعرف حاله هو من جملة المجاهولين، فيحتاج أن يُنظر ويُفتش وأن يُبحث عن حاله.

ولهذا العلماء في باب الرواية وفي باب الشهادة اشتروا العدالة في الرواية وفي الشهادة. ومن أين عُرفت العدالة في باب الرواية والشهادة؟ هل بمجرد أن الأصل في المسلمين العدالة؟ أم بحثوا وسألوا من يعرف ذلك الشخص ومن يجالسه ومن يعاشره؟

الجواب ظاهر: أن العلماء الذين اشتروا العدالة في رواة الأخبار أو في باب الشهادات، تحروا في هذا الباب وسألوا من يعرف ذلك الشخص عن أمره وحاله. فهذا هو المقصود: فمن لم يُعرف حاله يبقى على الجهالة، لا نحكم عليه بالعدالة ولا بنفي العدالة، وإنما حاله مستورة، فيحتاج إلى بحث ونظر وإلى سؤال وتفتيش عن حاله، وبعد ذلك يتبين هل هو من أهل العدالة أو ليس كذلك.





ضلال من ادعى علماً باطناً مخالفاً للكتاب والسنة الصحيحة



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُلُّ عِلْمٍ ادَّعَاهُ الْعِبَادُ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ لَمْ يُوْجَدْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ بِدْعَةٌ
وَضَلَالَةٌ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ وَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ.

الشرح:

قال: (وَكُلُّ عِلْمٍ ادَّعَاهُ الْعِبَادُ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ لَمْ يُوْجَدْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ بِدْعَةٌ): أما ما وُجد في الكتاب والسنة فليس ببدعة، فما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة فليس ذلك ببدعة، وإن كان من الأمور الباطنة، سواء فيما يتعلق بالقلوب، بعلوم القلوب، وأحوال القلوب، ونحو ذلك مما جاءت به أدلة الشرع. فالشرع جاء بأمر ظاهر، وجاء الشرع أيضاً بأشياء باطنة، فيما يتعلق بالقلوب من حيث الإخلاص، من حيث النية، الخوف والرجاء والخشية، كل هذه علوم باطنة. وهناك أشياء ظاهرة كالعبادات الظاهرة: كالصلاة والحج والعمرة، والزكاة، وسائر الأعمال الظاهرة، فما دلت عليها أدلة الشرع من الأمور الظاهرة أو الباطنة فهذا من الدين. وما لم يُوجد له أصل، ويدّعي الناس أو بعض الناس أنه من علم الباطن، فهو من البدع والضلال.

وأصل ذلك جاء من جهة الباطنية. فأصل ادعاء علم الباطن جاء من جهة الباطنية، وتبعهم بعد ذلك الصوفية. وهو موجود بكثرة في كتب الصوفية فيتحدثون عن علم الباطن، وعلم الظاهر، وعلم الشريعة وعلم الحقيقة. فالعلم الظاهر يسمونه علم الشريعة، والعلم الباطن يسمونه علم الحقيقة، ويزعمون أنهم هم علماء الحقيقة،

وعلماء المسلمين هم علماء الشريعة أي: الذين يتكلمون على مسائل التوحيد، ومسائل العقيدة ومسائل الفقه، فهؤلاء هم علماء الشريعة عندهم، وهم في مرتبة نازلة دنيئة في نظر هؤلاء. وهناك علماء الباطن هم علماء الحقيقة.

والعلم الظاهر -يقولون- يتعلق بالألوهية، والعلم الباطن يتعلق بالربوبية. فلهذا فإن الصوفية يخوضون في هذا الباب فيما يتعلق بالربوبية، ويرون أن توحيد الربوبية أعظم من توحيد الألوهية، ويرون أن كمال الشخص بالفناء في توحيد الربوبية. ومنهم من يبالغ في مسألة الفناء كأصحاب وحدة الوجود، فيرون أن الخالق والمخلوق شيء واحد، العبد رب والرب عبد، وهؤلاء أصحاب وحدة الوجود. ومنهم من هو دون ذلك، يفنى عن مشاهدة ما سوى الله **عَزَّوَجَلَّ**، مع أنه يعترف بوجود الخالق والمخلوق، لكنه لا يشاهد إلا الخالق. فهذه مرتبة سار عليها الصوفية وهي دون المرتبة الأولى، المرتبة الأولى مرتبة زندقة وكفر وإلحاد، أما هذه فهي من البدع والضلال.

وأما الفناء الشرعي الذي يقرره العلماء: فهو ما يتعلق بإرادة ما سوى الله **عَزَّوَجَلَّ** - بإرادة السَّوى - كما قرر ذلك العلامة ابن القيم - **رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ** -، أي: أنك لا تريد بعملك إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، فناء في توحيد الألوهية، لا تنظر إلى المخلوقين في عملك، وكأنه لا وجود لهم، لا تلتفت في عبادتك إلى أحد من المخلوقين، تجعل عملك خالصاً لوجه الله **عَزَّوَجَلَّ**. فهذا الفناء في توحيد الألوهية: الفناء عن إرادة السَّوى.

فهناك فناء عن وجود السَّوى، وفناء عن مشاهدة السَّوى وهما عند الصوفية: والفناء عن وجود السَّوى فناء أصحاب وحدة الوجود من ملاحدة الصوفية، وفناء عن مشاهدة السَّوى دون هذا الفناء، وهو أيضاً من فناء الصوفية، وفناء عن إرادة السَّوى، وهو الفناء الصحيح في توحيد الألوهية.



فعلى كل حال: علم الباطن يدعيه هؤلاء الباطنية والصوفية، ويسمونه أيضًا العلم اللدني: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، فيقولون: الخضر كان عنده علم الباطن، وموسى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كان علمه علم الظاهر، عنده علم الشريعة، وذاك عنده علم الحقيقة، يزعمون مثل هذه المزاعم.

وكذلك يأتون إلى بعض أدلة الشرع وبعض الآيات، ويتأولونها على غير ظاهرها، ويدعون أن ذلك من علم الباطن، يفعل ذلك الباطنية ويفعل ذلك أيضًا الصوفية في كثير من الآيات، يفسرونها بأشياء على خلاف الظاهر منها، ويقولون: هذا هو علم الباطن.

وعلم الباطن يزعمون أنهم يأخذونه عن الله **عَزَّجَلَّ** مباشرة. يقولون: أنتم علمكم ميت عن ميت: حدثنا فلان قال حدثنا فلان حدثنا فلان، هؤلاء أموات، علمكم ميت عن ميت، وعلمنا نأخذه عن الحي الذي لا يموت: حدثني قلبي عن ربي مباشرة، عن الحي الذي لا يموت. على كل حال: كل هذا من البدع والضلال.



تحريم هبت المرأة نفسها بغير ولي

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَيُّمَا امْرَأَةً وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُ، يُعَاقَبَانِ إِنْ نَالَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا بِوَلِيِّيَّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ وَصَدَاقٍ.

الشرح:

وأيما امرأة وهبت نفسها لرجل فإنها لا تحل له، وهذا أمر معلوم، فإن الهبة في هذا الموضع فيما يتعلق بالنساء مما اختص به رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. فهذا أمر اختص به النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - من دون المؤمنين، وسائر الأمة لا يجوز لهم ذلك، ولا بد لهم من بذل المهر، ولا بد أن يكون النكاح عن طريق الولي: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وهو المهر، فلا بد من المهر. أما الهبة فهي مختصة برسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

قال: «وَأَيُّمَا امْرَأَةً وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُ، يُعَاقَبَانِ إِنْ نَالَا مِنْهَا شَيْئًا». أي: عقوبة الزنى، فيعاقبان إن نالا منها شيئاً عقوبة الزنى.

قال: «إِلَّا بِوَلِيِّيَّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ وَصَدَاقٍ». لقوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّيَّ» رواه أحمد أبو داود والترمذي وابن ماجه.

جاء الحديث عن جماعة من الصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين -، فلا يصح النكاح بغير ولي. وقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَيُّمَا امْرَأَةً نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا



بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عائشة.

وهذا بخلاف ما ذهب إليه علماء الحنفية، فإنهم يصححون النكاح بغير ولي، وهو قول باطل، خلاف الأدلة، خلاف أدلة الكتاب والسنة.

ومن أدلة القرآن، قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاحَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وهذا يدل على أن الأمر للولي، ولو كان الأمر للمرأة ما في هنالك إعضال، فيمكن أن تزوج نفسها بنفسها، وكذلك قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ٢٢١]. وهذا خطاب للأولياء: أن لا ينكح وليته المؤمنة للمشرك، وهذا يدل على أن الأمر للولي، ولهذا خاطب الله **عَزَّجَلَّ** الأولياء بذلك، إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في الباب.

قال: **(وَشَاهِدِي عَدْلٍ)**: أما شهادة العدول، فالحديث الوارد في ذلك حوله كلام وفيه ضعف: "لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل" - زيادة "وشاهدي عدل" - حولها ضعف.

ومذهب الإمام مالك - **رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ** - أن الاستفاضة تُغني عن الشهادة، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية - **رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ** -، فذهب إلى أنه: إما أن يشهد الشهود، وإما أن يستفيض الخبر، فلا بد من أحد أمرين: إما الشهادة وإما الاستفاضة. فالغرض من ذلك: أن يخالف النكاح السفاح، فإلشاف يُفعل خفية ويُستتر به، والنكاح لا بد أن يشتهر، فالاشتهار قد يكون عن طريق شهادة الشهود، وقد يكون الاشتهار عن طريق الاستفاضة: فينتشر الخبر في أوساط الناس بأن فلاناً تزوج بفلانة، فيستفيض الخبر وينتشر.

فعلى هذا القول: فإذا تم العقد بين الولي وبين المرأة وما في شهود، ثم نشروا الخبر فانتشر واستفاض، فالعقد صحيح وإن لم يوجد الشهود.

على كل حال: هذه المسألة من مسائل الاجتهاد، فما يتعلق بشهادة الشهود: هل لا بد من الشهادة أو أن الاستفاضة تغني عن الشهادة هذا محل اجتهاد.

قال: **(وَصَدَاقٍ)**: والصدّاق لا بد منه، لأن الصدّاق إذا ما نُفي صار النكاح شبيهاً بنكاح الهبة، ونكاح الهبة مختص برسول الله - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** -، وشبيه أيضاً بنكاح الشغار. والذي عليه جمهور العلماء في نكاح الشغار: أن العلة في تحريمه هو زوال المهر. وشَغَرَ يدل على معنى الخلو: شَغَرَ الكلب عن قدمه، إذا رفع قدمه وصارت الأرض خالية عن موضع قدمه.

والناس يقولون في هذه الأزمان: وظائف شاغرة، يعني: خالية. فإذا خلا النكاح من المهر، فعند جمهور العلماء أنه داخل في نكاح الشغار. فإذا ما نُفي المهر من النكاح أشبه نكاح الهبة وأشبه نكاح الشغار، وكل هذا مما لا يجوز، فلا بد من الصدّاق. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول: **﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾** [النساء: ٢٤]، فلا بد أن الإنسان يتغني بماله. **﴿وَعَاثُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾** [النساء: ٤]. والنبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - يقول: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»** رواه البخاري ومسلم من **حديث ابن مسعود**. وهذا يدل على أن النكاح فيه كلفة، فهناك من يستطيع وهناك من لا يستطيع، لو كان النكاح مشروعاً من غير مهر، لكان الكل مستطيعاً له.

وزواج الميسار الأظهر فيه عدم الجواز، وإن توفرت فيه شروط النكاح، حتى لو كان بالصدّاق ولو كان عن طريق الأولياء ولو توفرت مثل هذه الشروط، فالأظهر فيه عدم المشروعية، باعتبار أنه ليس من أنكحة المسلمين، فما هو معروف في أوساط



المسلمين. والنبى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يقول: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» رواه أبو داود وأحمد من حديث ابن عمر. فهذا ليس من أنكحة المسلمين.

وكان بعض العلماء يكره "نكاح النهاريات"، ومنهم الإمام أحمد.

وما هو نكاح النهاريات؟

يعني: يتزوج امرأة بشرط أن يكون عندها في النهار دون الليل، فقد الشخص ذلك مسايسة امرأته الأولى، كأن يريد أن يتزوج الثانية، وما تشعر به الأولى، فيشترط أن يكون عندها في النهار، فيُسمى هذا النكاح "النهاريات"، فكرهه جماعة من أهل العلم وقالوا: ما هو من أنكحة المسلمين. مع أنه ما فيه مثل المفسدات الموجودة في نكاح المسيار، لكن لأنه ليس معروفاً في أنكحة المسلمين مثل هذا النكاح كرهه بعض أهل العلم، فكيف بنكاح المسيار؟! الذي فيه ما فيه من المفسدات، وفيه ما فيه من الشرور، وليس فيه معاني النكاح إلا الوطء.

فهو نكاح أشبه ما يكون بالنكاح الحيواني، مجرد قضاء شهوة، لا فيه قوامه رجل على امرأة، ولا فيه سكن الرجل مع زوجته، ولا فيه نفقة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، لا فيه سكنى ولا فيه نفقة، مجرد التقاء من أجل المعاشرة، والظاهر أنهم لا يريدون ذرية. فعلى كل حال: هو شبيه بالتقاء الحيوانات، فهو أشبه ما يكون بأنكحة الحيوانات. والتشبه بالحيوان مما لا يشرع، والتشبه بالكافرين أيضاً مما لا يشرع.

وكان العلامة الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ - عليه - يقول: نكاح متعة عصرية. فعلى كل حال: هذا النكاح من الأنكحة الغير المشروعة. وبعض الناس نظر إلى توفر شروط النكاح، أركانه فيه فقال: إذن يحل.

والصواب: أنَّ ذلك لا يكفي، فإنَّ مما يحرم التشبه بالحيوان، ومما يحرم التشبه بالكفار، وإن توفرت الشروط والأركان، لكن لا يجوز التشبه بالكافرين، لا يجوز التشبه بالحيوان، وهو يشبه المتعة من بعض الوجوه، فيحرم من أجل هذه الأمور.





الطعن في الصحابة علامة الضلال



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى وَصَاحِبُ قَوْلٍ سُوءٍ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»، فَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا، وَقَوْلُهُ: «ذَرُّوا أَصْحَابِي، لَا تَقُولُوا فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا». وَلَا تُحَدِّثْ بِشَيْءٍ مِنْ زَلَلِهِمْ وَلَا حَرْبِهِمْ وَلَا مَا غَابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، وَلَا تَسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إِنْ سَمِعْتَ.

الشرح:

والمؤلف - رَحِمَهُ اللهُ عليه - يكرر بعض المسائل في هذا الكتاب في أكثر من موضع، إما لأهمية هذا الأمر - وهو الظاهر - أو على سبيل النسيان، فربما يظن أنه ما ذكر ذلك فيما مضى، فيُنْبِه على ذلك في موضع آخر.

والأحسن أن يُقال: إنه فعل ذلك من باب المبالغة والاهتمام في مثل هذه المسائل، فنوع العبارات حول هذا الأمر وهو ما يتعلق بأصحاب رسول الله - ﷺ - وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ولا عيب في ذلك ففي القرآن تكرار لبعض القصص والأحكام وليس تكرارًا محضًا لا يخلو من فائدة، بل في ذلك الفوائد الكثيرة.

قال: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعُنُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى): فيُحْكَمُ عليه بالبدعة، وهذا أقل ما يُحْكَمُ عليه به، هذا إن لم يكن من الزنادقة، فأقل ما في الأمر أنه يُحْكَمُ عليه بأنه صاحب هوى، (وَصَاحِبُ قَوْلٍ سَوْءٍ). وهذا مما يُبَدَّعُ به الشخص ويُضَلَّلُ؛ فالطعن في أصحاب رسول الله أو في رجل من أصحاب رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بأي نوع من أنواع الطعن من الهوى والضلال.

ولما ذكر للإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ - عليه - أن عبيد الله بن موسى روى حديثاً بإسناده فوصل إلى معاوية في سياق الإسناد، فلعن معاوية، قال: "لعنة الله على معاوية، ولعنة الله على من لم يلعن معاوية". فبلغ الخبر الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ - عليه - فترك الرواية عنه، ونهى أن يُروى عنه، بسبب هذا الأمر.

فترك الرواية عن عبيد الله بن موسى ونهى عن الرواية عنه، لما تكلم في معاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو من أصحاب رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ائتمنه النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - على الوحي، ولا يَأْتَمِنُ النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إلا من كان أميناً وقد ائتمنه النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - على ذلك حتى مات عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى وَصَاحِبُ قَوْلٍ سَوْءٍ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»): فالطعن في أحد من الصحابة - كما عرفنا - من البدع والأهواء، ومن ذلك الطعن في معاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فالذي يطعن في معاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُعَدُّ من أهل البدع والأهواء، والذي يقدر فيه يُعَدُّ من أهل البدع والأهواء، وكل من ثبت له الصحبة يأخذ هذا الحكم.

وقيل للإمام أحمد: تروي عن عبد الرزاق ولا تروي عن عبيد الله بن موسى العبسي؟ فقال: أما عبد الرزاق فقد رجع - أي عن تشيعه -، وأما هذا فما ثبت



رجوعه عند الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ - فكان لا يرى الرواية عنه، وينهى عن الرواية عنه. روى ذلك الخلال - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - في كتاب "السنة".

وحصل استشكل من بعض الإخوة حول رواية الإمام البخاري له. وقد اعتذر له شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "منهاج السنة"، فقال:

وَالْبُخَارِيُّ لَا يَرْوِي عَنْهُ إِلَّا مَا عُرِفَ بِهِ أَنَّهُ صَحِيحٌ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَمْ يَرْوِ عَنْهُ شَيْئًا اهـ.

قال: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى وَصَاحِبُ قَوْلٍ سُوِّءٍ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا): وهذا الحديث جاء عن جماعة من الصحابة، وأثبتته العلامة الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ - في "الصحيحة" لما له من الشواهد المتكاثرة.

قال: (فَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ - ﷺ - مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا. وَقَوْلُهُ: «ذَرُوا أَصْحَابِي لَا تَقُولُوا فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا»): هذا الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ، والمؤلف - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - ما عنده عناية في باب الحديث مع عنايته بالسنة وبالمنهج الصافي الصحيح، لكن - رَحِمَهُ اللَّهُ - ما كان عنده عناية بالحديث، فلهذا مرت معنا أحاديث لا أصل لها وأحاديث واهية أو موضوعة، من أجل هذا الأمر.

قال: (وَلَا تُحَدِّثْ بِشَيْءٍ مِنْ زَلَلِهِمْ وَلَا حَرَبِهِمْ وَلَا مَا غَابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، وَلَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إِنْ سَمِعْتَهُ): وهذه نصيحة صحيحة سديدة، وسبق التنبيه على ذلك وذكرنا أن ما حدث بين الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين - الشأن فيه أن يطوى ولا يروى.

والجاهل إذا سمع مثل تلك الأخبار، فإنه قد يدخل في قلبه شيء من بعض الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين -، وهذا خلاف ما أمر الله به، فإن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا

مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿[الحشر: ١٠].

فسماع تلك المثالب تورث الغل، فلهذا قال: **(وَلَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ).**

وكان هناك من كبار العلماء من أصحاب العلم والتقى من يأبى السماع، مع ما عنده من العلم والتقى، كالإمام أحمد - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - فيما رواه الخلال في كتاب "السنة": أنه كانت تُقرأ الأحاديث، فإذا بلغت القراءة إلى أحاديث فيها مثالب وضع أصبعيه في أذنيه، ثم رفع أصبعيه فإذا ما زال القارئ يقرأ فيها وضع أصبعيه في أذنيه مرة أخرى، حتى تنتهي تلك الأحاديث التي فيها شيء من المثالب.

وسواء كانت من قبيل الحق أو من قبيل الباطل - أعني: الأخبار التي رويت في شأن الصحابة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين -، فقد يكون منها ما هو من قبيل الشيء الثابت، لكن قاله من قاله في ساعة غضب، والشخص يقول في الغضب ما لا يقول في الرضا. وكثير من تلك الأخبار زيد فيها ونقص، وكثرت فيها الأكاذيب.

وعلى كل حال: سلامة القلب في الابتعاد عنها. فإن الذي أمر الله به هو أن نسلم قلوبنا في جانب الصحابة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين -، والله **عَزَّ وَجَلَّ** أثنى عليهم في كتابه، وأثنى عليهم النبي - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - في صحيح سنته، فهم أهل للثناء وأن يذكروا بالخير والجميل. وتلك الأشياء التي حصلت بينهم من الفتن وما حصل من كلام بعضهم في بعض في أوقات حرب أو غضب وما إلى ذلك، ف **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [البقرة: ١٣٤].

ونعتقد فيهم أن من أصاب له أجران، ومن أخطأ فله أجر، وهم مجتهدون: المصيب والمخطئ. ولهم من الحسنات أكثر من تلك السيئات - حتى ولو كانت من



قبيـل السيئات المحققة ليس لهم فيها اجتهاد - فحسناتهم كالبحار، وسيئاتهم كالنجاسة الصغيرة التي تُلقى في البحار، وإذا بلغ الماء قلتين لا يحمل الخبث. فأولئك، قوم قد سبقوا إلى الخير ووعدوا بالخير، ونحن على خطر، فإنما ينبغي لنا أن ننظر في أنفسنا ونتوب من ذنوبنا. فعلى كل حال: هذه نصائح أئمة السلف في مثل هذه الأخبار التي فيها شيء من المثالب وفيها شيء من الفتن التي حصلت بين الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.



خطررد الآثار والأحاديث

قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعُنُ عَلَى الْآثَارِ أَوْ يَرُدُّ الْآثَارَ أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الْآثَارِ فَاتَّهِمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَا تَشْكُ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى مُبْتَدِعٌ.

الشرح:

وهذه الجملة من كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ عليه مرت معنا فيما مضى، وقد عرفنا أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يكرر بعض الفقرات، وبعض الجمل في مواطن متعددة.

وهذا من هذا القبيل، قال: (إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعُنُ عَلَى الْآثَارِ أَوْ يَرُدُّ الْآثَارَ أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الْآثَارِ فَاتَّهِمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَا تَشْكُ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى مُبْتَدِعٌ).

وهذا أقل ما يُقال فيه إن لم يكن من الزنادقة الذين يتخفون ويستترون، فأقل ما يُقال فيه إنه صاحب هوى مبتدع، ويُخشى أن يكون حاله أشد من هذا، وأن يكون من الزنادقة من المارقين عن الإسلام.

فالآثار يدخل فيها دخولاً أولياً أحاديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويدخل في ذلك ما أثر أيضاً عن الصحابة وما أثر عنهم، غير أنه يدخل في ذلك دخولاً أولياً الأحاديث النبوية.

والذي لا يريد الأحاديث النبوية هو في الحقيقة أنه ما يريد الإسلام، فالإسلام هو كتاب وسنة، والكتاب تفسره السنة وتوضحه، ومن ترك الآثار لا يستطيع أن يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يؤدي الزكاة المفروضة، فإذا أراد أن يترك السنة فإنه سوف يخرج من الإسلام بالكلية.



جور السلطان لا ينقض الفرائض



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ جَوْرَ السُّلْطَانِ لَا يَنْقُضُ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، جَوْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَتَطَوُّعُكَ وَبَرُّكَ مَعَهُ تَأْمُّنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، يَعْنِي الْجَمَاعَةَ وَالْجُمُعَةَ مَعَهُمْ وَالْجِهَادَ مَعَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ فَشَارِكُهُمْ فِيهِ فَلَكَ نِيَّتُكَ.

الشرح:

ومعنى هذا الكلام أيضاً مر معنا وإن كان بعبارات أخرى.

وعلى كل: الجمعة والجماعة تقام مع السلطان وهكذا الجهاد ما داموا من أهل الإسلام، فهذه الأمور تُقام مع البر والفاجر ما دام من أهل الإسلام، تقام معه الجمعة والجماعة والجهاد.

وإنما نازع في ذلك من نازع من أهل البدع من الخوارج ومن المعتزلة، وأما الذي عليه أئمة السلف هو إقامة الجمعة والجماعة والجهاد مع الأمراء سواء كانوا من الأبرار أو كانوا من الفجار، وهذه أمور كما عرفنا مرت فيما مضى.



الدعاء للسلطان

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى. وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلْسُّلْطَانِ بِالصَّلَاحِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ.
لِقَوْلِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَّاضٍ: "لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ.

قِيلَ لَهُ: "يَا أَبَا عَلِيٍّ، فَسِّرْ لَنَا هَذَا." قَالَ: "إِذَا جَعَلْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَعُدْنِي، وَإِذَا جَعَلْتُهَا فِي السُّلْطَانِ صَلَحَ، فَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ." فَأَمَرْنَا أَنْ نَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُو عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا؛ لِأَنَّ ظُلْمَهُمْ وَجَوْرَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَصَلَاحُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ.

الشرح:

نبه المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - على ما يتعلق بالدعاء على السلطان، وأن الدعاء على السلطان من علامات أهل البدع والأهواء، والدعاء للسلطان من علامة اتباع السنة، وأن الشخص من المتبعين للسنة. وذلك أن الذين يدعون على السلطان هم الخوارج والمعتزلة، فهؤلاء يدعون على السلطان، وصار هذا من شعارهم. وصاحب السنة يدعو للسلطان، وإن حصل منه ما حصل من الظلم والجور فما دام من أهل الإسلام، فيُدعى له بالخير. فإن الله عَزَّوَجَلَّ إن استجاب دعوة ذلك الداعي حصل الخير للمسلمين، فإذا صلح السلطان، فإنه يحصل على يده الخير الكثير في المسلمين.



وإذا ما دعا الشخص على السلطان، فلا يستفيد المسلمون من هذه الدعوة، فإن الله عَزَّجَلَّ إن أهلكه ربما جاء من هو شر منه. «فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» رواه البخاري من حديث أنس.

والله يقول: ﴿وَكَذَلِكَ نُفِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فالسلطان هو كالمرآة لأعمال الرعية، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -، يعكس أعمال الرعية: إن ظلموا ظلم، وإن غشوا غش، وإن مكروا مكر بهم، فهو كالمرآة يعكس أعمال الرعية: ﴿وَكَذَلِكَ نُفِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

فإذا ما دعا الشخص عليه وهلك، هل سيتولى من كان صالحًا مع فساد الناس؟ هذا خلاف الأمر الغالب. فإن النبي - ﷺ - قال: «فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ». فالدعاء له بالخير والصالح هو المناسب في هذا المقام. فإذا كان من أهل الإسلام يُدعى له بالخير والصالح، وإن حصل له شيء من الفسق والجور والظلم، فيُدعى له بالخير والصالح وأن الله يصلحه، حتى يحصل بذلك الخير للإسلام والمسلمين. فالذي يدعو بصالح السلطان هو يريد الخير للإسلام والمسلمين، وما هي قضية مجاملة للسلطان، وإنما هو ممن إرادة الخير للسلطان والخير للإسلام والمسلمين، فهو رجل ناصح للإسلام والمسلمين. والذي يدعو على السلطان فهو على العكس من ذلك.

فلهذا قال: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى. وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلْسُّلْطَانِ بِالصَّالِحِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لِقَوْلِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ: "لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي سُلْطَانٍ):

وهكذا كان الإمام أحمد - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى -، كان على هذا المنهاج، كان يدعو للسلطان كثيرًا ويقول: "إذا هلك السلطان سوف ترون ما يحصل للإسلام والمسلمين"، إذا هلك السلطان - أي: المتوكل، الذي نصر الله عَزَّوَجَلَّ به السنة في زمنه - سوف ترون ما يحل بالإسلام والمسلمين. فكان يدعو للسلطان، حتى في الوقت الذي ظلم فيه من جهة الخلفاء الذين تأثروا بمذهب الجهمية، ما كان يدعو عليهم، وقد ظلم أشد الظلم، واعتدي عليه، فما كان يدعو عليهم، ولا يرى الخروج عليهم - رحمة الله عليه.

(قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، فَسَرَّ لَنَا هَذَا). (قَالَ: إِنْ جَعَلْتُهَا فِي نَفْسِي). أي: الدعوة، (لَمْ تَعُدْنِي): أي: لم تتجاوزني إلى غيري، فهي منفعة خاصة بي، (وَإِذَا جَعَلْتُهَا فِي السُّلْطَانِ صَلَاحٍ، فَصَلِّحْ بِصَلَاحِهِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ). قال: (فَأَمَرْنَا أَنْ نَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا؛ لِأَنَّ ظُلْمَهُمْ وَجَوْرَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَصَلَاحُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ).





مذهب أهل السنة في أمهات المؤمنين



قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ

وَلَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ.

« الشرح »:

وشأن أمهات المؤمنين في ذلك شأن بقية الصحابة.

فالواجب في جانب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين أن يُذكروا بالخير والجميل،
ولأمهات المؤمنين مزية كما هو معلوم على سائر النساء من الصحابيات ومن غيرهن
لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.
فلهن مزية على سائر النساء، وفضيلة على سائر النساء بهذا الأمر. ﴿وَأَزْوَجُهُ
أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

فلا يجوز الطعن فيهن والكلام فيهن، ولا سيما ما يتعلق بالقذف. فإن من قذف
زوجة من أزواج النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد أن نزلت الآيات المعلومات من سورة
النور فيُعد من الكافرين.

سواء قذف عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أو قذف غيرها من أزواج النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإن
هذا طعن في رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فكل هذا من الكفر.



المحافظة على الفرائض وطاعة السلطان دليل على أن صاحبها صاحب

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْفَرَائِضَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالْفَرَائِضِ فِي جَمَاعَةٍ وَإِنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى.

الشرح:

قال: (إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْفَرَائِضَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ): فهذه من الأمارات الدالة على أنه صاحب سنة، باعتبار أن الخوارج والمعتزلة لا يرون ذلك.

فإذا خالفهم الشخص فهذا دليل من الأدلة الدالة على أنه صاحب سنة، لكن كما قال إن شاء الله تعالى.

فالإنسان قد يفعل هذا ويكون صاحب بدعة، فيصلي الفرائض جماعة مع السلطان وفيه بدعة من البدع، وليس بدعة الخوارج ولا بدعة المعتزلة، عنده بدع أخرى، فليس بلازم أن يكون صاحب سنة، لكن هذه أمانة من الأمارات التي تدل على أنه صاحب سنة، ولا يجزم بذلك، فقد تكون عنده بدع أخرى.

قال: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالْفَرَائِضِ فِي جَمَاعَةٍ وَإِنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى): فإذا كان يتهاون بالفرائض في جماعة وإن كان مع السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى.



على كل: إن لم تكن هناك عقيدة في قلبه، فهذه معصية من المعاصي، ولا تصل إلى حد البدع.

إلا إذا كان هناك عقيدة في قلبه، فعل هذا الفعل لعقيدة في قلبه لهوى في نفسه، فيكون من قبيل البدع، وإن فعل ذلك تهاونًا وتكاسلاً لا لعقيدة فاسدة في قلبه فهذه معصية من المعاصي.



الحلال بيّن والحرام بيّن

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْحَلَالُ مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ وَحَلَفْتَ وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلَالٌ، وَكَذَلِكَ الْحَرَامُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَهُوَ شُبْهَةٌ.

الشرح:

(الْحَلَالُ مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ وَحَلَفْتَ وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلَالٌ): ويدل عليه: قول النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في حديث النعمان بن بشير: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ»، فالحلال هو الشيء البين الذي قامت الأدلة على حله. والحرام أيضًا الشيء البين الذي قامت الأدلة على حرمة: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ» رواه البخاري ومسلم. قال: «وَمَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَهُوَ شُبْهَةٌ»: أي: لم تعرف هل هو من الحلال أو هو من الحرام.

قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في حديث النواس بن سمعان في صحيح مسلم: «وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رواه مسلم. فما حاك في الصدر، وما اطمأنت النفس إلى حله، ولم تجزم بحرمة، فهذه شبهة. والشبهات تُتَّقَى، كما قال النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ». أي: طلب البراءة لدينه وعرضه، قال ﷺ: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ» رواه البخاري ومسلم. فالشبهة طريق إلى الحرام.

فهذا الذي ينبغي في الشبهات: أن الإنسان يتقي الأمر المشتبه، إذا لم يدر هل هو من الحلال أو من الحرام فيتقي الشبهة. فإن اتقى الشبهة، فقد طلب البراءة لدينه من



الوقوع في الحرام، وطلب البراءة لعرضه من كلام الناس فيه. فهو في خير وعافية. إذا ترك الشبهة، وأما إذا وقع في الشبهات، فهذا مما يتدرج به الأمر إلى أن يقع في الحرام - والعياذ بالله.



المستور والمهتوك

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمُسْتَوْرُ مِنْ بَانَ سِتْرُهُ، وَالْمُهْتُوكُ مِنْ بَانَ هَتْكَهُ.

الشرح:

والمستور: من بان ستره، أي: ظهر ستره، أي: ظهر أنه من أهل الستر. بمعنى: أنه من أهل السلامة، لم يظهر فيه ما يستدعي القدح، فأمره الظاهر السلامة. فيُحْمَلُ على السلامة، فمن كان أمره الظاهر السلامة فإنه يُحْمَلُ على السلامة، ويظن به الخير على حسب ما ظهر.

(وَالْمُهْتُوكُ مِنْ بَانَ هَتْكَهُ): أي: ما ظهر. إذا ظهر فيه الفسق أو ظهرت منه البدعة أو ظهر منه الشر، فهذا قد ظهر أمره، فلا يحتاج الإنسان إلى أن يتتبع العورات. بل يُعامل الناس على حسب ما ظهر: فمن ظهر ستره فهو مستور، فلا يُنْقَبُ عن باطنه ولا يُتَّبَعُ عورات المسلمين. ومن ظهر منه الفسق والفجور والبدع فقد ظهر حاله، فلا يحتاج الإنسان إلى البحث والتنقيب عن عورات الناس، إلا إذا استدعى الأمر. فإذا كان هناك شيء من الريب حول شخص، فيحتاج أن ينظر في باطنه. وكذلك إذا كان المقام مقام شهادة مثلاً، أو مقام أخذ علم، فيحتاج الإنسان أن يتحرى في هذا الباب: وقد روى مسلم عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ».



فيحتاج الإنسان أن يتحرى حتى لا يزل ويتأثر بشيخه، فقد يكون من أهل البدع والأهواء وهو لا يدري. ولا يُقال: الظاهر السلامة، ما هو بصحيح، إذا أراد الشخص أن يأخذ العلم عن شخص فلا بد أن يتحرى فيه.

وكذلك ما يتعلق بالشهادة: لا يكفي فيها الأمر الظاهر، لا بد من معرفة الباطن: هل هو من العدول أو ليس من العدول؟ وكذلك فيما يتعلق برواة الحديث، فإن هذا مما يُتشدّد فيه. فما يتعلق برواية الحديث فلا بد من معرفة الأمور الباطنة: هل الراوي من الحفاظ الضابطين؟ هل هو من العدول أو ليس من العدول؟

فبعض الأشياء يُحتاج إلى أن يُتحرى فيها. وما سوى ذلك من الأشياء، فالأصل أن الإنسان يعامل الناس على الظاهر، ولا يتتبع الناس، فإذا لم تكن هنالك حاجة إلى تتبع الأمور، فيبقي الناس على الظاهر.

فإذا مر على شخص، لا يقول: لا أسلم عليه، لأنّه ربما يكون من أهل البدع، وربما يكون من دعاة أهل البدع والضلال - فلا بد أن أبحث عنه، ثم أسلم عليه أو أرد **عَلَيْهِ السَّلَامُ** مثلاً. وقد يكون من المجاهرين بالفسق، فلا أرد **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أو لا أبدأه بالسلام من باب الزجر له. ما هو بصحيح فمن ظهر فسقه وفجوره، فهذا الذي يُعامل بما يستحق.

ومن كان مستوراً فلا يبحث الإنسان عنه إلا إذا احتاج إلى ذلك، لا يبحث الإنسان كما عرفنا في باب الرواية والشهادة. كذلك في قضية مثلاً الزواج: فإذا تقدم شخص للزواج، فيحتاج أن يُنظر فيه وأن يُبحث عنه. إذا أراد شخص أن يطلب العلم عند شخص، فلا بد أن يتحرى فيه بأن يتتبع حال ذلك الشخص، أو حصلت منه ريبة، فأراد أن ينظر وأن يستيقن من حاله.

والأصل قول الله عزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. هذا هو الأصل، إلا إذا حصلت الريب وكانت لها قرائن قوية. فهنا للإنسان أن يبحث، كأن يكون شخص يتظاهر بالسنة، وهناك قرائن تدل على بدعته - قرائن قوية - فيُخشى منه أن يمكر بالمسلمين ويحصل منه الضرر الكبير. فهنا يمكن للشخص إذا قامت القرائن التي تدعو إلى الريب أن ينظر فيه حتى يتبين له: هل هو من أهل السنة أو من أهل البدع؟





علامة أهل البدع نبزهم لأهل السنة بالألقاب



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فَلَانٌ نَاصِبِي، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ رَافِضِيٌّ. وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فَلَانٌ مُشَبَّهٌ، أَوْ فَلَانٌ يَتَكَلَّمُ بِالتَّشْبِيهِ، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: تَكَلَّمُ بِالتَّوْحِيدِ وَاشْرَحَ لِي التَّوْحِيدَ، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ، أَوْ يُقَالُ: فَلَانٌ مُجَبَّرٌ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْإِجْبَارِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْعُدْلِ، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ قَدَرِيٌّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مُحَدَّثَةٌ أَحَدُثُهَا أَهْلُ الْبِدْعِ.

الشرح:

قوله: (إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فَلَانٌ نَاصِبِي، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ رَافِضِيٌّ): فإن الروافض يرمون من لم يكن رافضياً بالنصب.

على كل حال: الروافض يلمزون من لم يكن رافضياً بالنصب، فمن لم يكن غالباً في آل البيت يرمونه بالنصب، أي: أنه نصب العداء لآل البيت، وإن لم يكن كذلك في حقيقة الأمر.

فمن أنزلهم منزلتهم التي أنزلهم إياها رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأنزلهم إياها النبي الكريم - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** -، يعدونه ناصبياً، ويزعمون أنه نصب العداء لآل البيت؛ لأنه ما غلا فيهم. وهذا ليس بسديد. فالناصبي هو الذي نصب العداء حقيقة لآل البيت من الصحابة، وهو الذي يطعن فيهم ويقدر فيهم، ويفسق آل البيت من

الصحابه الكرام - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين -، أو يكفرهم - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين -، فهذا هو الناصبي.

وأما من أنزل الناس منازلهم فلا يعد ناصبيًا.

قال: (وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: **فُلَانٌ مُّشَبَّهٌ، أَوْ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ بِالتَّشْبِيهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ**)؛ وذلك أن الجهمية ذهبوا إلى أن من أثبت الأسماء والصفات فلازم ذلك عندهم أن يكون مشبهاً للخالق بالمخلوق، على ما يفهمونه من عقولهم الفاسدة، من أن إثبات الأسماء والصفات من قبيل التشبيه، وأن التنزيه هو نفي الأسماء والصفات عن الله عزَّجَلَّ.

فإذا وجدوا السني الذي هو على منهج السلف يُثبت ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله من أسماء وصفات، قالوا: هذا مشبه.

مع أن أهل السنة يُثبتون ذلك من غير تشبيه، يثبتون ذلك على ما يليق بالله عزَّجَلَّ من غير تشبيه.

قال: (وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: **تَكَلَّمُ بِالتَّوْحِيدِ وَاشْرَحَ لِي التَّوْحِيدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُّعْتَزِلِيٌّ**)؛ وذلك أن التوحيد عند المعتزلة هو نفي الصفات.

والمؤلف يقول: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ **خَارِجِيٌّ مُّعْتَزِلِيٌّ**)، باعتبار أن المعتزلة يرون الخروج على أولياء أمور المسلمين. وليس المعنى أنه على مذهب الخوارج. فالمعتزلة غير الخوارج، لكن لعله وصف المعتزلة بالخروج باعتبار أنهم يستحلون قتال أولياء أمور المسلمين، ويرون الخروج عليهم بالسيف، فقال فيهم ما قال: (أَنَّهُ **خَارِجِيٌّ مُّعْتَزِلِيٌّ**).





البعد عن مجالسة أهل الأهواء



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَاحْذَرُهُ وَعَرِّفُهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَ مَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى.

الشرح:

وذلك أن الذي يجالس أهل البدع والأهواء خطره عظيم. وكان بعض السلف يقول: "الذي يجالس أهل الأهواء أشد علينا من أهل الأهواء"، كما قال ذلك عبد الله بن عون رحمة الله عليه.

وسبق الكلام على هذه المسألة فيما مضى، فالمجالس ناقل للعدوى. وأهل البدع كأهل الجرب، ومن سمع بأهل الجرب فإنه يتعد عنهم حتى لا يدخل عليه الضرر من جهتهم.

وأما من يجالس أهل الجرب ثم يجالس الأصحاء، فهذا قد لا يُتفطن له، فينتقل المرض من أهل الجرب إلى الأصحاء وهم لا يشعرون.

والكلام في العدوى كلام معلوم عند أهل العلم، وإنما المراد بذلك التمثيل، وإلا فالعدوى: هل هي منفية أو مثبتة؟ في ذلك نزاع بين أهل العلم.

وإنما الغرض من ذلك هو قضية التقريب والتمثيل.

والعدوى قد تنتقل بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ وقضائه وقدره، فالأمر بيده، لا أنها تنتقل حتمًا ولا بد من انتقالها، وإنما الله عَزَّوَجَلَّ يفعل ما يشاء، وهو المدبر، وهو الخالق، وهو على كل شيء قدير.

فعلى كل حال: الغرض من هذا أن الذين يجالسون أهل البدع ينقلون عدوى أهل البدع إلى أهل السنة، إلى الأصحاء، وأهل السنة لا يشعرون.

وذلك الشخص المجالس لأهل البدع يغتر به الناس ويظنونهم منهم وأنه من أهل السنة، فينبسطون معه ويتداولون معه الحديث، ويتكلمون معه بالعلوم والفوائد والمسائل وكلّ يستفيد من الآخر، وهو يأتيهم بفوائد أهل البدع. وينقل إليهم المرض، ويدخل في نفوسهم الشكوك في أمور كانوا فيها على يقين وذلك ببث الشبهات، فيتقل المرض من أهل البدع إلى أهل السنة، فيحصل ما يحصل من الشر والفساد.

فلهذا حذر أهل العلم من المجالسين لأهل البدع والأهواء، وبينوا أنهم أضّر من أهل البدع: فالذي يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع.

فالواجب هو الابتعاد عن أهل البدع وعن الذين يجالسونهم بعد أن يُبين لهم، كما قال: **(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَاحْذَرُهُ وَعَرِّفْهُ):** عرّفه أن فلاناً من أهل البدع والأهواء، فربما يكون يجهل حاله، فبين له. **(فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَ مَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ).**

حتى يمرض بمفرده، ولا ينقل المرض إلى غيره: فإذا أبى إلا أن يجلس مع أهل البدع وأن يتخذ أهل البدع جلساء وأصحاباً له يتداول معهم الحديث، فإذا أبى إلا هذا بعد النصيحة له، فيهجر ويتقى حتى يبقى المرض فيه، ولا ينقله إلى غيره.

فيتقى أهل البدع ويتقى هؤلاء الذين يجالسون أهل البدع. ويحرص الإنسان على أن يسلم، أن يسلم من شر أهل البدع والأهواء.



وقوله: (فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَ مَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى).

قال هذا أيضًا الإمام أحمد رحمه الله عليه: بَيَّنَّ له، لما سئل عن رجل يجالس أهل البدع والأهواء، قال: أَعْلِمُهُ أَوْ بَيِّنْ له، فإن جالسه فألحقه به. يعني: بعد البيان له، فإن أبى إلا المجالسة، فيُلحق به. فيتعد الإنسان عن أهل البدع والأهواء وعمن يجالسهم.

هذا الذي سار عليه أئمة السلف، وكل هذا طلبًا للسلامة، فيسلم الإنسان نفسه من الشرور، فإن البدع كما عرفنا هي من أعظم الذنوب بعد الكفر والشرك، فهي أعظم من كبائر الذنوب، وأعظم من الزنا واللواط وشرب الخمر، أعظم من هذه الكبائر. فيحذر الإنسان على نفسه غاية الحذر.



الرد على القرآنيين

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالْأَثَرِ فَلَا يُرِيدُهُ، وَيُرِيدُ الْقُرْآنَ؛ فَلَا تُشَكَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَدْ
اخْتَوَى عَلَى الزَّنْدَقَةِ، فَقُمْ مِنْ عِنْدِهِ وَدَعُهُ.

الشرح:

(وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالْأَثَرِ): أي: تأتیه بالحديث عن رسول الله
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإن الأثر يُطلق ويُراد به الحديث النبوي، ويُطلق ويراد به أيضًا غير
الحديث النبوي، لكن المراد هاهنا الأحاديث النبوية.

ف(تَأْتِيهِ بِالْأَثَرِ). أي: بسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، (فَلَا يُرِيدُهُ). يقول: ما نحتاج إلى
السنة، يكفينا القرآن، كما هي دندنة كثير من أهل الزندقة. فتأتيه بالسنة فيقول: ما
نحتاج إلى السنة، حصل فيها ما حصل، كثر فيها الكذب، زيد فيها وأنقص، ما في إلا
معنا إلا القرآن.

وكل هذا من التلبس على الجهال، فإن السنة محفوظة كما أن القرآن محفوظ.
والشيء الذي حصل فيه زيادة فُضح وكُشف، وقبض الله عَزَّوَجَلَّ علماء السنة، علماء
الحديث، فبينوا كل مكذوب على رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولم يتركوا شيئاً من
الأكاذيب.

فكل ما هو مكذوب قد بينوه، ولم تبقى إلا السنة الصافية. والأكاذيب فُضحت
وُبَيِّنَتْ، وألف العلماء المؤلفات، وذكروها في كتب الموضوعات، وفي كتب العلل،



وبينوها. فما من شيء موضوع راج على علماء الحديث، بل كل الأحاديث الموضوعية قد بُيِّنَتْ وكشفت.

وهذا من حفظ الله **عَزَّوَجَلَّ** للسنة، كما حفظ الله **عَزَّوَجَلَّ** القرآن. وهناك من أراد أن يغير ويبدل في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، فُفْضَحَ، وحفظ الله **عَزَّوَجَلَّ** القرآن من الزيادة أو النقصان.

فالمحاولة كانت على الكتاب وعلى السنة من قبل أصحاب الزندقة، وأرادوا أن يطعنوا في القرآن وفي السنة، وأن يغيروا وأن يبدلوا فيهما، فما مكنهم الله **عَزَّوَجَلَّ**، وحفظ كتابه وحفظ سنة نبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فالكل محفوظ بحفظ الله **عَزَّوَجَلَّ**: الكتاب والسنة.

فالذي تأتبه بالأثر قال: **(فَلَا يُرِيدُهُ وَيُرِيدُ الْقُرْآنَ؛ فَلَا تُشَكُّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَدْ احْتَوَى عَلَى الزَّنَدَقَةِ)**. والزنديق - في عرف الفقهاء كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** - المراد به المنافق. قال: **(فَقَمَّ مِنْ عِنْدِهِ وَدَعَهُ)**. دعه وقم من عند هؤلاء، لا تبقى معهم في نقاش وجدال، هؤلاء في قلوبهم الزندقة والعياذ بالله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مثلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

والذي يطعن في السنة يطعن في القرآن، كما هو معلوم. فإن القرآن فيه الحث البالغ على السنة. فكيف يحث الله **عَزَّوَجَلَّ** على السنة وهي مُضِيعَةٌ، وما هي محفوظة؟! وهو

يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، و﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. كيف نأخذ ما أتانا به الرسول وهو شيء غير محفوظ؟! وكيف يحثنا الله **عَزَّوَجَلَّ** على سنة نبيه وهي غير محفوظة؟!

فكل هذا طعن في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، القول بأن السنة ليست محفوظة طعن في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**. فالذي لا يأخذ بالسنة ويكذب السنة هو في الحقيقة مكذب للقرآن، وهو زنديق يريد إبطال الإسلام بالكلية، لكنه لم يجرؤ على القرآن، فجرأ على السنة، ومراده بذلك هو الطعن في الإسلام بالكلية.

وقد حذر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من هؤلاء كما في حديث المقداد وغيره: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**». فحذر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من هؤلاء، وأنه سوف يوجد في هذه الأمة من يقول هذه المقولة.

«**رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ**»: صاحب ترف وجهل، لا يعلم كوعه من بوعه. ما يدرى الأمور، وكيف العلماء دافعوا عن السنة وقعدوا القواعد المحكمة التي ما استطاع أهل البدع والباطل معها أن يدخلوا شيئاً من الأكاذيب في سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ويبقى يشكك في السنة: ما عندنا إلا القرآن، خذوا بالقرآن ودعوا السنة، السنة دخلها الزيادة والنقص، وهو لا يدرى حقيقة الأمر كيف أن العلماء طافوا الأقطار، وعرضوا أنفسهم لأنواع المهالك من أجل حفظ السنة، وسافروا الأسفار الطويلة، منهم من يسافر على قدمه ويمشي كذا وكذا من الفراسخ، وينتقل من بلد إلى بلد ربما



خمس مرات أو عشر مرات وهو يطوف كثيراً من بلدان العالم ويمشي على قدميه، ما عنده مال يركب به المركوب.

وكتبوا الأحاديث وحفظوها، وبينوا الصحيح والحسن والضعيف، وكشفوا العلل الخفية فضلاً عن الأكاذيب الظاهرة. فما تركوا العلل الخفية، بل بينوها، وبينوا خطأ الثقات وأوهام الثقات في الأحاديث. فما انطلت عليهم أوهام الثقات فضلاً عن كذب الكذابين وافتراء المفترين، فحمى الله **عَزَّجَلَّ** السنة بأولئك القوم.

وهذا رجل بعيد عن العلم: بعد بطنه بعد أكله وشربه ما يدري ما الدنيا، ويريد أن يطعن في السنة ويقول: خذوا بالقرآن، ما ندري ما في السنة.

وسبق الكلام على هذه المسألة وعرفنا أنه لا بد من السنة، فلا يستطيع الإنسان أن يصلي إلا بالسنة، ولا أن يصوم ولا أن يحج ولا أن يعتمر ولا أن يؤدي الزكاة المفروضة إلا بالسنة، فإن تفاصيل هذه الأحكام ما علمت إلا عن طريق سنة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

والذي يقول: أنا ما آخذ إلا بالمتواتر دون الآحاد، هل هو أقل ضللاً؟
الجواب: نعم، هو أقل ضللاً، والضلal يتفاوت.



بيان طريقة الرافضة والجهمية والمعتزلة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ، تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى السَّيْفِ، وَأَرَدُوها وَأَكْفَرُها
الرَّوَافِضُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّهُمْ يَرُدُّونَ النَّاسَ عَلَى التَّعْطِيلِ وَالزَّنْدَقَةِ.

الشَّرْحُ:

قال: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ): والأمر كما ذكر؛ فهي رديّة ومُرَدِيّة، تُردي بأصحابها إلى نار جهنم، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

وقال: «وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً». فالبدع رديّة قبيحة سافلة، وهي مُرَدِيّة لأصحابها في نار جهنم، والعياذ بالله. قال: (كُلُّهَا رَدِيَّةٌ تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى السَّيْفِ): فالبدع تدعو إلى السيف، أي: إلى الخروج على المسلمين، وتدعو إلى استحلال دمائهم.

وكان أيوب السختياني رَحِمَهُ اللهُ يُسمي أهل البدع "خوارج"، ويرى أن أهل البدع خوارج، وأنه وإن اختلفت أسماؤهم فقد اتفقوا على السيف.

فأهل البدع وإن تنوعت مذاهبهم؛ ذاك من المرجئة، وذاك من القدرية، وذاك من المعتزلة، وذاك من غير هؤلاء، وذاك ربما يكون أيضاً من الخوارج الذين عُرفوا بهذا الاسم الخاص. ومع هذا كان يُسمي جميع أهل البدع خوارج، ويرى أن جميع أهل البدع خوارج. باعتبار أن البدع كلها تدعو إلى السيف.



وأهل البدع يستحلون تكفير المخالف لهم؛ فإنهم يعتقدون العقائد الفاسدة، ثم يكفرون المخالف ويستحلون دمه.

فمثلاً: نفاة الصفات كالمعتزلة، يرون أن هذا هو التنزيه - تنزيه الله **عَزَّجَلَّ** - وأن من وصف الله بالصفات فقد شبه الخالق بالمخلوق، وهذا كفر.

وما مؤدى هذا القول؟ تكفير المسلمين. وإذا كفروا المسلمين، أدامهم هذا إلى أن يستحلوا دماءهم، فيستحلوا دماء الراعي والرعية، ويحكمون عليهم بالكفر بسبب أنهم خالفوا عقائدهم الفاسدة.

فهكذا البدع تجر إلى هذا الأمر: تجر إلى تكفير المسلمين، وتجر إلى استحلال دمائهم، والعياذ بالله.

فلهذا قال: **(وَاعْلَمَ أَنَّ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ، تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى السَّيْفِ، وَأَزْدُوهَا وَأَكْفَرُهَا الرَّوَافِضُ)**: والمراد بذلك: غلاة الروافض الذين كفروا الصحابة عموماً أو فسقوهم إلا النفر اليسير، أو ألهوا علياً **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أو حكموا بأن القرآن الذي بين أيدي المسلمين مُحَرَّفٌ ومُبَدَّلٌ، قد زيد فيه وأنقص.

(وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ). وظاهر هذه العبارة أن المؤلف يرى كفر المعتزلة والجهمية.

والمعتزلة مذهبهم كمذهب الجهمية في مسألة خلق القرآن، وفي غير ذلك من المسائل الكثيرة. وقد ذكر غير واحد من أئمة السلف كفر من قال بخلق القرآن؛ وتتابع على ذلك أئمة كثر، كلهم ذهبوا إلى كفر من قال بخلق القرآن.

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان أي: خمسمائة عالم، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**، نقلاً عن الإمام اللالكائي.

فالمعتزلة على هذا المذهب، بخلاف الأشاعرة والكلابية؛ فلم يصرحوا بهذا المذهب، وقد قَسَمُوا القرآن إلى ألفاظ وإلى معاني، وقالوا: كلام الله **عَزَّجَلَّ** هو المعنى الذي في نفسه، والألفاظ مخلوقة، فحصل لهم شيء من التفريق بين اللفظ والمعنى.

فلهذا ما صرح العلماء بكفر الأشاعرة ولا بكفر الكلابية.
وأما المعتزلة فمذهبهم هو مذهب الجهمية، ولهذا سُمي السلف فتنتهم فتنة الجهمية.

قال: **(وَأَكْثَرُهَا الرَّاغِبُزُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ النَّاسَ عَلَى التَّعْطِيلِ وَالزَّنْدَقَةِ):** فمؤدى كلام هؤلاء أنه ليس هناك إله يُعْبَدُ؛ هذا حقيقة كلام الجهمية. حتى قال بعض من مضى: "تأملت كلام الجهمية، فرأيت أنهم يرون أنه ليس فوق العرش إله يُعْبَدُ".

فإن النفي المحض لا يكون إلا للعدم، وهم نفوا عن الله **عَزَّجَلَّ** الصفات - أعني: المعتزلة والجهمية - والجهمية بالغوا ونفوا الأسماء. ومثل هذا النفي لا يكون إلا في حق العدم؛ فإن الذي لا صفة له هو العدم. فهذا مؤدى كلام هؤلاء: أنه ليس هناك إله يُعْبَدُ، وأن الناس إنما يعبدون العدم، والرافضة على مذهب المعتزلة.

وعباد العدم أضل من عباد الصنم.

والكل في ضلال وكفر، غير أن الكفر والضلال على مراتب. فالذي يعبد العدم هذا أردأ من الذي يعبد الصنم، والكل في ضلال وكفر وشرك وخروج عن جميع أديان الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فهذا هو مؤدى كلام هؤلاء. قال: **(فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ النَّاسَ عَلَى التَّعْطِيلِ).**





الطعن في صحابة النبي طعن في النبي ﷺ



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ تَنَاوَلَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنْ إِنْسَانٍ شَيْءٌ مِنَ الْبِدْعِ فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى عَنْكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَظْهَرَ.

الشرح:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ عليه: (وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ تَنَاوَلَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا ﷺ وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ):

سبق الكلام فيما يتعلق بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وفي حرمة أذية الصحابة، وفي حرمة سبهم والطعن فيهم، في مواضع متعددة من هذا الكتاب. والمؤلف بين في هذا الموضع أن الذي يطعن في الصحابة هو في الحقيقة يريد الطعن في محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا كلام صحيح، فإن الزنادقة أرادوا أن يطعنوا في رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتذرعوا بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فتكلموا في الصحابة حتى يطعنوا برسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وذلك أن الشخص يُعرف بجليسه، قال رسول الله ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» رواه البخاري عن عائشة، ومسلم عن أبي هريرة، ويُعرف الناس بأخذانهم.

وقال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «وَالْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة، قل لي من تجالس أقول لك من أنت.

فهذا أمر معلوم أن الشخص يجالس من يجانس، من هو من جنسه.

فإذا كان الصحابة -وحاشاهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين- من أهل النفاق، أو من أهل الردة، من أهل الكفر -وحاشاهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**- أو من أهل الفسق والفجور -وحاشاهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ومن وصفهم بذلك هو أولى بهذا الوصف- لو كانوا كذلك لكان محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** منهم وحاشاهم وحاشاهم.

فأرادوا كما قال أهل العلم في طعنهم بصحابة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن يقولوا: "رجل سوء كان له أصحاب سوء". فهم أرادوا أن يتوصلوا لهذا الأمر، فلم يواجهوا المسلمين بالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لما في قلوب المسلمين من تعظيم رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ومن محبته وتبجيله وتكريمه.

فأرادوا أن يطعنوا برسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من طرف خفي، فذكروا مثالب الصحابة ومعائبهم، ورموهم بالفسق، ورموهم بما هو أشد من ذلك من الكفر والنفاق، والعياذ بالله. وأرادوا بذلك الطعن في رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حتى يُقال: "رجل سوء كان له أصحاب سوء، لو كان من الصالحين لكان جلساؤه من الصالحين".

فلهذا قال المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَنَاولَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ).

وهذا حتى يفعله من في قلبه زيغ حتى في غير ذلك المقام الرفيع، مقام رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، حتى في أهل العلم والفضل، فبعضهم يريد أن يطعن في بعض العلماء فلا يتجرأ على الطعن في العالم مباشرة، ويطعن فيمن حوله: "وإياك أعني وافهمي يا



جارة"، فيطعن فيمن حوله وأنهم كذا وأنهم كذا، يطعن في جلسائه المقربين منه، وفي طلابه، فيريد الطعن في العالم بالطعن بمن حوله، فكل هذا من أمور المكر، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.



الحذر من أهل البدع والبعث عن مجالستهم

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنْ إِنْسَانٍ شَيْءٌ مِنَ الْبِدْعِ فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى عَنْكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَظْهَرَ.

الشرح:

وهذا كلام حسن وتنبية في موضعه. وليس هذا الأمر مختصاً بأهل البدع؛ فإن من السنن الغالبة أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يستر العبد، ولا يفضحه إلا بعد أن يتمادى في الخطأ، ويصر على الخطأ، ويعظم منه الضلال، فحينئذ ينكشف حاله. هذه هي العادة الغالبة. فمن ظهرت سرقة، فلا تظن أن هذه أول سرقة حصلت له. فإذا جئت تنقب عنه وتبحث عنه وتقرّره، فربما اعترف بعشرين سرقة أو بثلاثين أو بأكثر أو بأقل. وفي كل مرة يستره ربه ويستره ويستره إلى وقت يفضحه فيه لَمَّا عظم ضرره.

وهكذا الحال في كثير من المعاصي؛ فلا يُفضح الإنسان من أول الأمر، بل تكون له سوابق كثيرة يتمادى ويصرُّ ويصرُّ ويحصل منه الضرر، فبعد ذلك تحصل له الفضيحة.

سواء كان هذا الأمر مما يتعلق بالذنوب والمعاصي التي ليست من قبيل البدع والأهواء، أو ما كان من قبيل البدع والأهواء.

فإن الشخص الذي يظهر منه شيء من البدع والأهواء، ما هي فلتة وزلة حصلت منه في ذلك الوقت في الأمر الغالب، وإنما له سوابق كثيرة.



ولهذا من شأن العلماء أنهم ربما لا يبحثون عن الشخص وهو باقٍ على السُّتر، مستور بستر السنة، فلا يبحثون عنه ولا ينقبون عن أحواله، بل يعاملونه على حسب الظاهر ويُحسنون به الظن.

فإن ظهرت منه الأهواء، علموا أن هذا الهوى الذي ظهر ما هو عبارة عن زلة حصلت له وفَلْتة، وإنما له سوابق. فإن الشخص لا يُفصح إلا بعد سوابق متعددة. فربما نظروا بعد ذلك إلى مصنفاته، وإلى ما يكتب، وإلى ما يُدَوِّن من الفتاوى، وربما سمعوا جملة من أشرطته، فيتبين لهم أنه كان على انحراف منذ زمن قديم ومنذ سنين، لكنه مستور بستر السنة. فينتقد العلماء عليه أشياء متقدمة ربما قبل خمس سنوات، وقبل عشر سنوات.

وبعض الجهال يقول: لَمْ ما نصحتموه قبل عشر سنوات؟ لَمْ ما أنكرتم عليه ذلك قبل كذا وكذا؟ ما ظهرت هذه الأمور إلا الآن، وما أنكرتم عليه إلا الآن؟ وهذا من الجهل. فإن العلماء يعاملون الناس على الظاهر؛ من كان ظاهره السنة والعقيدة الصحيحة والمنهج السلفي، عاملوه على الظاهر، فلا يبحثون عنه وعما يسطر ويكتب. فإن ظهر شيء من الهوى، نشطوا لهذا الأمر، فإنهم يعلمون أن له سوابق دعت به إلى هذا الأمر.

وهذه - كما قلنا - سنة غالبية، سواء في أهل البدع والأهواء أو في أهل الذنوب والمعاصي.

وهذا شيء يعلمه الناس في سائر الذنوب والمخالفات: إن وقع شخص في أمر من الأمور وظهر منه أمر من الأمور، يقولون: هذا له سوابق.

حتى في قضايا الخيانات: إذا استأمن الشخص شخصاً في محل تجاري مثلاً، استأمنه على خزانته، في البيع والشراء، فإذا وجد منه خيانة مرة من المرات، ما الذي

يدخل في ذهنه؟ يدخل في ذهنه أن له سوابق متعددة، وأنه ما فُضح عندي في هذا الوقت إلا وقد حصل منه ما حصل قبل ذلك. فلهذا يبادر إلى إخراجه.

فهذا هو الأمر الغالب: أنه ما يفضح إلا بعد سوابق متعددة وأشياء كثيرة، وإلا فإن الله عزَّجَلَّ في الغالب يستر العبد ليتوب، ويرجع، ويصحح ذلك الخطأ، ويتحلل من ذلك الذنب. فيُمهله رب العالمين ويُمهله ويُمهله إلى أن يتمادى شره، فيفضحه بعد ذلك لأن شره قد تمادى وكثر.

ولهذا يقول: (وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنْ إِنْسَانٍ شَيْءٌ مِنَ الْبِدْعِ فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى عَنْكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَظْهَرَ).





صاحب هوى أشد خطراً على مسلم من صاحب معصية



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّرِيقِ وَالْمَذْهَبِ، فَاسْقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ ظَالِمًا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَاصْحَبْهُ وَاجْلِسْ مَعَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُهُ. وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، مُتَقَشِّفًا مُحْتَزًّا بِالْعِبَادَةِ، صَاحِبَ هَوًى، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُ، وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ فَتَهْلِكَ مَعَهُ.

الشرح:

أراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بهذا الكلام بيان خطورة البدعة، وخطورة أهل البدع، وأن الضرر الحاصل من أهل البدع أشد من الضرر الحاصل من أهل الذنوب والمعاصي الذين ذنوبهم ومعاصيهم ليست من قبيل البدع. فأراد أن يبين مثل هذا المعنى، وأن الشخص إذا جالس أهل البدع فإنه يتضرر الضرر العظيم بمجالستهم؛ فإنه يرى حينئذ الباطل حقاً، ويرى الحق باطلاً، ويصر على ما معه من مخالفة الشريعة؛ لأنه يرى أن ما هو عليه هو الحق.

والبدع، كما هو معلوم، هي شر الأمور، وهي أضر من الكبائر التي دون الشرك ودون الكفر؛ فهي ذنوب عظيمة.

وإذا دخل الإنسان فيها، فإنه يرى أنه على الحق، ويتمادى فيها ويكثر منها، والبدع طريق موصل إلى الزندقة وإلى الكفر - والعياذ بالله - . وأسرع الناس ردة هم أهل الأهواء.

فالبدع خطرهما عظيم، وقد سبق أن بينا ما في البدع من الخطر والضرر الكبير. فأراد المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - أن يبين هذا المعنى، وأن من جالس صاحب معصية، فإنه وإن تضرر فالضرر يسير. حتى ولو وقع في تلك المعصية، فإنه سرعان ما يؤتّب نفسه، ويعلم أنه على خطأ، ويندم ويتوب، ويجد في نفسه الألم من ذلك الذنب، ويعلم أنه مذنب.

أما صاحب البدعة، فيرى أنه متقرب إلى ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فالمؤلف يريد هذا المعنى، وإن كان في التعبير شيء من النظر. فإنه يقول: **(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّرِيقِ وَالْمَذْهَبِ، فَاسْقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ ظَالِمًا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَاصْصَبْهُ).**

فقوله: **(فاصصبه)**، مما لا يستقيم. فإن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول في حديث أبي موسى الأشعري: **«إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»**. فالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حذر من جليس السوء.

والذي ينبغي للشخص أن يتعد عن جلساء السوء، والله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** [التوبة: ١١٩].

فيكون العبد مع الصادقين، ويتعد عن الكاذبين. ويجالس الصالحين ويتعد عن جلساء السوء، ولو لم يكونوا من أهل البدع. وكون الإنسان يجالس صاحب فسق



وفجور، ربما يتأثر به ويقع في الفسق والفجور، وهذا هلاك، وإن كان الهلاك على مراتب - هناك هلاك أشد من هلاك - لكن الكل ضرر. فالإنسان يجتنب جلساء السوء ويجالس الصالحين.

لكن المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** - كما قلنا - يريد أن يبين خطورة مجالسة أهل البدع، وأن ضررهم عظيم. لكن في تعبيره شيء من النظر.

فعلى كل: لا شك أن مجالسة أهل البدع والأهواء أشد وأضر. لكن أيضًا مجالسة هؤلاء مما لا ينبغي، ولو كان صاحب سنة وفيه هذه الصفات وهي الفسق والفجور والظلم، والمجاهرة بالمعاصي فيبتعد عنه.

وفي حديث أبي سعيد الخدري في شأن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين، ما الذي أمره العالم؟ أن يعتزل تلك القرية التي فيها جلساء السوء، وأن ينتقل إلى القرية الصالحة التي فيها أناس صالحون يعبدون الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

فالإنسان إذا جالس الصالحين، حصل له الانتفاع، وابتعد عن الشر، وأقبل على الخير. وإن جالس الطالحين أصحاب الشر والفساد، فإنه يتأثر بهم.

فالإنسان يبتعد عن جلساء السوء ولو كانوا من أهل الفسق والفجور، وإن لم يكونوا من أهل البدع والأهواء، فيبتعد عن أهل البدع والأهواء ابتعادًا واسعًا، فإن ضررهم أعظم وأعظم.

قال: **(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، مُتَّقِشًّا، مُحْتَرِقًا بِالْعِبَادَةِ، صَاحِبَ هَوًى، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُ، وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ فَتَهْلِكَ مَعَهُ)**: وهكذا السلف يبالغون مبالغة شرعية في التحذير من أهل البدع والأهواء. وهذه المبالغة - كما قلنا - مبالغة شرعية؛ فإن الأمر في غاية

الخطورة عند من يعلم ما في البدعة من الضرر، فلا يتعجب من مثل هذه التحذيرات الواردة عن السلف - رحمة الله عليهم - .

(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، مُتَّقِشًا، مُحْتَرِقًا بِالْعِبَادَةِ، صَاحِبَ هَوَى):

والخوارج كانوا كذلك، وقد حذر منهم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قبل وجودهم تحذيراً بالغاً فقال: **«لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**.

وفي لفظ: **«لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»**. **«فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ»**.

وفي لفظ: **«شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتِلُوا، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ»**. وفي لفظ: **«هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»**. وفي لفظ: **«شَرَّارُ الْخَلْقِ»**. وأحاديث متعددة عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في ذم الخوارج.

وكان فيهم ما فيهم من الاجتهاد في قراءة القرآن، وفي الصلاة، وفي الصيام. يحقر الصحابة صلاتهم مع صلاتهم، كما أخبرنا بذلك نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. لكن ابتلوا بهذا البلاء الشديد، فكانوا من أهل الأهواء، والعياذ بالله.

فلا يغتر الشخص بزهد الرجل وتقشفه وكثرة عبادته إذا لم يكن على السنة. فعمل يسير مع السنة خير من عمل كثير مع البدعة.

(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، مُتَّقِشًا، مُحْتَرِقًا بِالْعِبَادَةِ، صَاحِبَ هَوَى، فَلَا تَجْلِسَ مَعَهُ) - نهى عن الجلوس معه - .

(وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَهُ) - نهى عن سماع الكلام - فلا يحضر الإنسان محاضرات من كان كذلك، ولا يسمع إلى دروسهم، ولا يسمع لهم في غير ذلك.

(وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ): وكل هذا من المبالغة، وهذا الذي ينبغي. فإن الناس يتفاوتون: هنالك من عنده قوة في قلبه يستطيع أن يبتعد عن أهل البدع والأهواء، وهنالك من فيه ضعف. والناس ما هم على حد سواء؛ فهناك من عنده



القوة والصرامة، وهناك من عنده ضعف. والناس - كما عرفنا - ما هم على حد سواء.

وما الأنسب للذي يجد في نفسه الضعف، إذا رأى مبتدعاً يمشي في طريق؟
الأنسب أن يسلك طريقاً آخر. لأن بعضهم فيه ضعف: فيمشي في طريق ذلك المبتدع، يأتي إليه ذاك المبتدع، وكما يُقال: يخرجه، ويبقى معه في الحديث، وما يستطيع أن يتعد عنه، وربما يسمع كلامه، ويأخذه الحياء - وإن كان حياءً في غير موضعه.

على كل: الناس ما هم على حد سواء من حيث القوة والصرامة. فمن وجد في نفسه ضعفاً، فهذا هو العلاج الذي ذكره علماء السلف: **(وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ)**.
بعض الناس يقول: أنا أتحرج، أنا كذا، أنا ما أستطيع. فإذا كنت تجد في نفسك ضعفاً فابتعد عن مواطن الضرر.

فلا تدخل مساجدهم وأنت تعلم أن فيك ضعفاً. فلا تدخل مساجد أهل البدع والأهواء لتصلي الصلاة المكتوبة، وبعد ذلك يأتي إليك أهل البدع والأهواء ويرونك كالصيد، وأنت مسكين - ما عندك قوة وصرامة - يأخذك الخجل، وذاك يجادلُك، وهذا يتكلم معك، وهذا كذا، وهذا كذا. فابتعد إذا كنت تجد في نفسك ضعفاً، ابتعد عن تلك الأماكن.

فالإنسان يلتمس العافية لنفسه. والناس.

قال: **(وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ فَتَهْلِكَ مَعَهُ)**.
والبدعة من أعظم الهلاك، والعياذ بالله.



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَرَأَى يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ ابْنَهُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ هَوَى، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مِنْ
أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ فُلَانٍ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، لَأَنْ أَرَاكَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ خُنْثَى،
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاكَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَلَأَنْ تَلْقَى اللَّهَ يَا بُنَيَّ زَانِيًا فَاسِقًا
سَارِقًا خَائِنًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ. أَلَا تَرَى أَنَّ يُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ قَدْ
عَلِمَ أَنَّ الْخُنْثَى لَا يُضِلُّ ابْنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ يُضِلُّهُ حَتَّى يُكْفِرَهُ.

الشرح:

ويونس بن عبيد كان من كبار المعتزلة، وكان يُوصف بالزهد في الدنيا.
والزهد الحقيقي: أن يزهد الإنسان عن معصية الله، فيزهد عن البدع والأهواء. هذا
هو الزهد الواجب: أن يتمسك بالسنة ويزهد عن البدع والأهواء.
وكان الخليفة المنصور يقول فيه مغترّاً بزهده:

كُلُّهُمْ يَمْشِي رُؤُودَ
كُلُّهُمْ يَطْلُبُ صَيْدَ
إِلَّا عَمَرَوْا بَنَ عَيْدِ

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في السير معلقاً على ذلك: اغترَّ بِزُهْدِهِ وَإِخْلَاصِهِ،
وَأَغْفَلَ بِدَعَتِهِ اهـ.

وقد ذكر العلماء له الضلالات الكبار ومنها ما هو من أعظم الكفر إن ثبت ذلك

عنه.



قال: (مِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ. قَالَ: يَا بُنَيَّ، لَأَنْ أَرَاكَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ خُنْثَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاكَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ) - أي: من أهل البدع -، (وَلَأَنْ تَلْقَى اللَّهَ يَا بُنَيَّ زَانِيًا فَاسِقًا سَارِقًا خَائِنًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ).

قال: (أَلَا تَرَى أَنَّ يُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخُنْثَى لَا يُضِلُّ ابْنَهُ؟): أي: لا يُوقعه في الأهواء - وإلا فإنه قد يوقعه في شيء من الذنوب والمعاصي.

قال: (لَا يُضِلُّ ابْنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ يُضِلُّهُ حَتَّى يُكْفِرَ).
والأمر كذلك؛ فإن البدع موصلة للكفر. وهذا مما يدل على أن هذه الذنوب وإن كانت عظيمة ولا يُستهان بها، لكنها لا تبلغ مبلغ البدع.
فالبدع والأهواء أشد من الزنا، وأشد من السرقة والخيانة، وأشد من كبائر الذنوب التي هي دون الكفر ودون الشرك.

ومعلوم أن النبي ﷺ كان يُخبر بأن البدع هي شر الأمور، ويحذر من ذلك في خطبه - في جلها أو في كلها - ويصفها بأنها شر الأمور؛ فهي شر من مثل هذه الكبائر.

قال: (لَأَنْ أَرَاكَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ خُنْثَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاكَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَلَأَنْ تَلْقَى اللَّهَ يَا بُنَيَّ زَانِيًا فَاسِقًا سَارِقًا خَائِنًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ). وهؤلاء علماء عرفوا خطورة البدع، فحذروا منها وحذروا منها.

الجاهل ربما يسمع هذا الكلام فيستغرب، ويتعجب غاية التعجب لجهله؛ لأنه ما عنده معرفة وتمييز بين الأمور، ولا يعرف مراتب الذنوب، وأن هذا الذنب أعظم من هذا الذنب.

لكن هؤلاء علماء، يعرفون خطورة البدع وضرر البدع، وأنها موصلة للكفر، والعياذ بالله.

قال: (وَلَا تَلْقَى اللَّهَ يَا بُنَيَّ زَانِيًا فَاسِقًا سَارِقًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ): فالحذر الحذر من أهل البدع والأهواء. ولا يستهين الشخص بهم، ولا يتساهل في هذا الباب، فإنه من أبواب المهالك.





التحذير من أهل البدع في كل زمان



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَاحْذَرُ ثُمَّ احْذَرُ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً، وَانْظُرْ مَنْ تُجَالِسُ، وَمِمَّنْ تَسْمَعُ، وَمَنْ تُصَاحِبُ، فَإِنَّ الْخَلْقَ كَانَتْهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ.

الشرح:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: (وَاحْذَرُ ثُمَّ احْذَرُ) - كرر التحذير لخطورة الأمر - . (وَاحْذَرُ ثُمَّ احْذَرُ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً). وذلك الزمن الذي يتحدث عنه المؤلف، بالنسبة إلى زماننا كأنه زمن عافية. «فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ» - كما أخبرنا بذلك نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما جاء في البخاري من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال -: «حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ».

فذاك الزمان فيه ما فيه من الخير، والزمان كلما قرب من زمن النبوة فإن الخير فيه أكثر.

ومع هذا فيحذر المؤلف هذا التحذير البالغ وهو في ذاك الزمان، فكيف بأزماننا التي كثرت فيها الشرور من وجوه متعددة؟

ومنها ما يتعلق بشرور أهل البدع والأهواء، فإنهم كثُروا، ولهم أنواع المكر والكيد وإضلال الناس: إما بالشهوات، وإما بالشبهات، وإما بهما - بالشهوات والشبهات معاً.

فَرُبَّ شَبْهَةٍ لَا تَتَقَوَّى إِلَّا بِشَهْوَةٍ، فيجمع بين الأمرين. فقد تكون الشبهة فيها شيء من الضعف لكن تتقوى بشهوة، فتستقر في القلوب، والعياذ بالله.

وهكذا شرور من جهة الكافرين: شرٌّ مستطير، وحرب ضروس من جهة الكفار في مجالات متعددة، وهم يكيّدون في الليل والنهار بأهل الإسلام. وكم انتشر من شرٍّ وانتشر من فساد في أوساط المسلمين من جهة أعدائهم. فشرور تحيط بالمسلمين من كل جهة. فالقابض على دينه في مثل هذه الأزمان كالقابض على الجمر. ويعيش الشخص في كثير من المجتمعات كالغريب.

فالتمسك بدينه كالشخص الغريب، وهذا البلد الخير فيه كثير مع كثرة الشر. لكن في كثير من البلدان: ربما إن أعفى الشخص لحيته، امتدت إليه الأنظار: "إيش هذا الكائن الغريب؟" وإذا رأوا امرأة متحجبة لابسة الجلباب ماشية في الشارع، نظر الناس إليها من كل جهة، وتصير حديث الناس في الطرقات؛ لأنهم ما يعرفون الستر ولا الحشمة، بل في تكشف وتعريّ. وإذا ما كانت المرأة عندهم مستقيمة، غطت شعرها، وربما لبست الألبسة الضيقة، أو القصيرة، أو البنطلونات الضيقة، ويكفيها عندهم أن تضع حجاباً على رأسها، فالغربة موجودة في أوساط الناس من جهة المتمسك بدينه في كثير من البلدان.

فعلى كل: الشرور كثيرة في مثل هذه الأزمان، والمؤلف يحذر كل الحذر من أهل زمانه، وما فيهم معشار معشار ما في أزماننا من أنواع الشرور.

فقال: **(وَاحْذَرُ ثُمَّ احْذَرُ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً، وَانْظُرْ مَنْ تُجَالِسُ)**: يعني: الأمر قد تغير، الأمر ليس على ما كان في زمن النبي ﷺ.

في زمن النبي ﷺ: جالس من شئت من المسلمين، وهم كقلب رجل واحد، أهل خير واستقامة على دين الله عزَّ وجلَّ، أمرون بالمعروف ناهون عن المنكر. فزمن خير وزمن عافية، من جالسته انتفعت به، أعني بذلك الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.



أما بعد ذلك، فحصل التغير شيئاً فشيئاً، وكلما بعد الناس عن زمن النبوة كلما كثر الشر. فلما ظهرت البدع والأهواء، احتاج الإنسان إلى الحذر، فينظر إلى من يجالس. فإن الإنسان إذا لم ينظر إلى من يجالس، فرأى شخصاً فجالسه وصاحبه، ثم تبين له أنه صاحب هوى، ربما يصعب عليه أن يفارقه، وربما تدخل إليه البدعة من حيث لا يشعر.

وعلى كل: المفارقة بعد المجالسة فيها نوع صعوبة، بخلاف اتقاء الشر من أوله، فالأمر في ذلك سهل.

فإذا اتخذت لك صاحباً وصديقاً، ثم تبين لك أنه صاحب هوى، صعب عليك بعد ذلك أن تبتعد عنه، وإن ابتعدت عنه فإنك تحتاج إلى شيء من مجاهدة النفس ومن المشقة البالغة.

فالسلامة أن تنظر إلى من تجالس قبل أن تجالس.

قال: **(وَانْظُرْ مَنْ تُجَالِسُ، وَمِمَّنْ تَسْمَعُ)**: لأن الناس تغيروا، صار هناك صاحب سنة وصاحب بدعة، من يتكلم بالحق ومن يتكلم بالباطل. فانظر أيضاً إلى من تسمع ومن تصحب. وكل هذه نصائح طيبة موفقة وفي موضعها.

من أخذ بها سلم، ومن لم يأخذ بها فإنه يخاف على نفسه الهلاك والعطب.

قال: **(فَإِنَّ الْخَلْقَ كَانَتْهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ)**: وهذه العبارة: فيها شيء من المبالغة، أن يقال: **(فَإِنَّ الْخَلْقَ كَانَتْهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ)**.

صحيح أنه استثنى فقال: **(إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ)**، لكن مع ذلك فيها شيء من المبالغة.

ففيها شيء من النظر، وفيها شيء من المبالغة. لا شك أن الشر كثير والشر منتشر. لكن أن يُقال: **(فَإِنَّ الْخَلْقَ كَانَتْهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ)**، ففي هذا التعبير شيء من النظر.

ولا شك أن الشرور كثيرة، وأن أهل الشر أكثر من أهل الخير، وأن أهل الضلال أكثر من أهل الحق.

فهذا شيء معلوم، والمتمسك بدينه أمام من هو مفرط في دينه نَفَرٌ يسير. وإذا نظر الإنسان في المجتمعات - ربما في البلد الواحد - يكون البلد الواحد أو المدينة الواحدة فيها كذا وكذا مليون، اثنان أو ثلاثة أو أربعة.

وإذا أردت أن تنظر: كم في هذه المدينة ممن هو مستقيم على دينه؟ ربما تجد عشرة في مدينة، أو مئة إن بالغنا. وهذا في البلدان التي يكثر فيها الخير، وفي المدن التي يكثر فيها الخير. وذلك العدد الكبير الهائل في إعراض عن الدين، إعراض عن تعلُّم العلم النافع وعن التمسك بالدين. لا أعني إعراضاً عن الدين بالكلية، وإنما عن كثير من أمور الدين وعن كثير من الواجبات، وغفلة عظيمة.

هذا هو الواقع في كثير من البلدان - أعني: البلدان الإسلامية، لا بلدان الكفر - هذا موجود في البلدان الإسلامية: فالذي يتمسك بدينه نَفَرٌ يسير. وإذا نظرت في هؤلاء الذين يتمسكون بدينهم ومن يحرص على العلم فيهم، فهم يسير في هؤلاء اليسير. فنحن في أزمان غربة، فالمتمسك بدينه والعاض على دينه كالعاض على الجمر.





التحذير ممن يذكر بعض أسماء أهل البدع



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ وَبِشْرًا الْمَرِيسِيَّ وَثُمَامَةَ وَأَبَا الْهَذِيلِ أَوْ هِشَامًا الْقُوطِيَّ أَوْ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَأَشْيَاعِهِمْ فَاحْذَرُهُ فَإِنَّهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى الرَّدَّةِ، وَاتْرُكْ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ وَمَنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ.

الشرح:

وفي كلام المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ما يدل على أن أئمة السلف كانوا يعرفون صاحب البدعة بذكره وإشادته برؤوس أهل البدع. فيحكمون على الشخص بالبدعة إذا حصلت منه الإشادة برؤوس أهل البدع، أو حصل منه الثناء على رؤوس أهل البدع، فإن الطيور على أشكالها تقع.

والمرء على دين خليله، كما يقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة.

فهذا مما يستدل به أئمة السنة على أن ذلك الشخص من أهل البدع. وهذا هو شأن أهل البدع وشأن من يتستر ببدعته وإن كان يتظاهر بالسنة، فإنه يفضح في هذا الموطن.

فهناك من الناس من يتظاهر بالسنة وأنه صاحب سنة ويدعو إلى السنة، ثم يفضح في هذا الباب بإشادته بأهل البدع والأهواء.

تقف على بعض مصنفات هؤلاء، فإذا هي كأنها كتب تراجم لأهل البدع والأهواء، أو كتب إعلانات لمؤلفات أهل البدع والأهواء.

يأتي بجملة من الكلام ربما يستطيع أن يعبر بأحسن منها، لكن من المكر يأتي بجملة من الكلام يجعلها بين قوسين ويعمل في الحاشية: "ظلال القرآن" لسيد قطب، وجملة أخرى وإضافة إلى شخص آخر: "انظر كتاب كذا وكذا لمحمد قطب"، و"انظر كتاب كذا وكذا لسعيد حوى"، وكتاب كذا للغوشي، أو لسلمان العودة، أو لسفر الحوالي، ويجعل كتابه كتاب إشادة بأهل البدع والأهواء ومصنفاتهم.

وقد يكون الكاتب عنده من بلاغة الكلام أحسن من هؤلاء، فيستطيع أن يعبر بأحسن من تعبيرات هؤلاء، لكن في قلبه مرض، يريد أن يوجه الناس إلى تلك الكتب، وأن يقرأ الناس لهؤلاء. فيقف الناظر على تلك الجملة وربما يستحسنها ويقول: أريد المزيد، ويقوم بشراء ذلك الكتاب، وهو في الحقيقة يريد المزيد من الضلال والانحراف.

وهذا يفعله من في قلبه مرض وإن كان يتظاهر بالسنة. كان يفعل هذا قديمًا الحلبي في بعض المصنفات مع تظاهره بالسنة.

وهكذا مؤخرًا جاء العصيمي وفعل مثل هذا الصنيع. وكل من في قلبه مرض يستتر بهذا الستر.

فإذا كان الشخص صاحب بدعة وهوى، وما يريد أن يظهر البدعة والهوى صراحة حتى لا يرد عليه ويفضح، فإنه يؤلف بعض المؤلفات، وفي الحواشي يعزو إلى هؤلاء - إلى أئمة الضلال.

ومحمد عبد الوهاب الوصابي كان يفعل هذا في كتابه "القول المفيد" - فيعزو إلى العلوان وفلان وفلان من أئمة أهل البدع، وإبراهيم القريبي، وغير هؤلاء.



وكتب السنة وأهل السنة فيها ما فيها من العلوم النافعة، وفيها ما فيها من المباحث المفيدة، وفيها ما فيها من العلم النافع ومن المسائل المحررة، وإذا بهم يعزّون إلى مثل هؤلاء الضلال ومثل هؤلاء المنحرفين في العقيدة. ويُنْبه أحدهم على ذلك، فيصر ويعاند، وكأنه لم يصنع شيئاً.

فمن في قلبه مرض وزيف فإنه يسلك مثل هذه المسالك، ويحصل ما يحصل بعد ذلك من الضلال للناس. ويبقى الجاهل يريد زيادة تفصيل في هذه المسألة، والكاتب معروف أنه من علماء السنة، فينظر كتاب العلوان، يقول: أريد التفصيل، ما أشبع الكلام المؤلف في الكتاب وأحالني إلى هذا الموضوع، فيقتني كتاب صاحب الهوى، ويخرج بعد ذلك من الخوارج أو من القطبيين والسرورين، وتدخل في قلبه ما في الكتاب من البدع والأهواء، والسبب هو ذلك العزو الخاطيء.

فعلى كل: الذي يشيد بأهل البدع والأهواء هو منهم، والذي يثني عليهم فهو منهم. فهذا برهان ودليل يدل على ذلك.

قال: **(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ)؛** وهؤلاء الذين ذكرهم أئمة المعتزلة. **(وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ وَبَشَرًا مَرِيئِيًّا وَتُؤَمِّمَةً وَأَبَا الْهَذِيلِ وَهَشَامًا الْفُوطِيَّ، أَوْ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَأَشْيَاعِهِمْ، فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ بَدْعَةٍ).**

حكم عليه بأنه صاحب بدعة. وهذا عمل بالقرائن، والعمل بالقرائن مما يُشرع. وإنما المذموم هو الظن المبني على تهمة مجردة ليس لها أساس. أما القرائن القوية فإنه يُؤخذ بها ويُعمل بها ويحكم على الشخص بها.

قال: **(فَاحْذَرُهُ فَإِنَّهُ صَاحِبُ بَدْعَةٍ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى الرَّدَّةِ):** فهؤلاء منهم من كفرهم أئمة السلف، من أئمة المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن، وقد ذهب أئمة السنة إلى كفر من قال بخلق القرآن.

قال: (وَاتْرُكْ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وَمَنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ). فابتعد عن أهل البدع، وابتعد عن هذا الذي ذكرهم بخير.

وفي هذه الأزمان تتعب إذا أردت أن تحذر من شخص يصنع مثل هذا الصنيع، وتُحذر منه وأنه يفعل كذا وكذا، وأن هذا من مكره، وهذا يدل على بدعته: كيف يشي على هؤلاء ويشي علي هؤلاء، ويترك أئمة السنة، ويشيد بهؤلاء؟ لو تكلمت وحذرت، قام عليك بعض الجاهل من أهل السنة. فينبغي التفطن لمثل هذه الأمور التي يسلكها أهل الزيغ والانحراف.





المحنة في الإسلام بدعة



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْمِحْنَةُ فِي الْإِسْلَامِ بَدْعَةٌ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَيُمْتَحَنُ بِالسُّنَّةِ؛ لِقَوْلِهِ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ. وَقَوْلِهِ: لَا تَقْبَلُوا الْحَدِيثَ إِلَّا مِمَّنْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَهُ، فَتَنْظُرُ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ سُنَّةٍ لَهُ مَعْرِفَةٌ صَدُوقًا، كَتَبَتْ عَنْهُ، وَإِلَّا تَرَكْتَهُ.

الشَّرْحُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْمِحْنَةُ فِي الْإِسْلَامِ بَدْعَةٌ).

ولعله يقصد بأنها حصلت بعد أن لم تكن، ولا يقصد بذلك البدعة المذمومة. لعله يقصد البدعة اللغوية، فإنه لو كان مراده البدعة المذمومة فإن البدعة لا تصير سنة، كما قال بعد ذلك: (وَأَمَّا الْيَوْمَ فَيُمْتَحَنُ بِالسُّنَّةِ).

وأعني بالبدعة المذمومة هي التي جاء التحذير عنها في قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، إلى غير ذلك من الأدلة.

وإما أن تُحمل عبارته على الامتحان بما لا يجوز أن يُمتحن الناس به، وهو الامتحان بالأمور المحدثه كما فعل ذلك الجهمية، فإنهم امتحنوا الناس بأمور هي على خلاف الشريعة، فامتحنوا الناس بمسألة خلق القرآن امتحاناً عظيماً، وهذا بدعة من البدع. وامتحنوا الناس في غير مسألة القرآن، كمسألة الرؤية: هل يرى الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة أو لا

يُرى؟ وهذا الامتحان بدعة من البدع، إلى غير ذلك من الأمور المحدثّة التي جعلها أهل البدع والأهواء محنة للناس، فيسألون الناس عنها ويختبرون الناس بها. فالمحنة التي فعلها أهل البدع والأهواء هي داخلة في البدعة. فيمكن أن يُحمل كلام المؤلف على هذا المعنى، وأنه أراد استنكار ما فعله أهل البدع من تلك المحن وحكم عليه بالبدعة. وأما الامتحان بأمور السنة فإن هذا مما يُشرع.

قال: **(وَالْمِحْنَةُ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَيُمْتَحَنُ بِالسَّنَةِ)**: بسبب كثرة أهل البدع والأهواء. وقبل ذلك في أول الأمر، ما كان الناس يُمتحنون حتى بالسنة، لأنه لا حاجة للامتحان بالسنة وليس هنالك بدعة - أعني: في زمن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين قبل أن تظهر البدع -.

فما كان الناس يُمتحنون بأمور السنة؛ لأن الجميع على سنة، وعلى إسلام صحيح، وعلى استقامة، فما في حاجة للامتحان. لكن لما ظهرت البدع، حصل الامتحان من أجل التمييز، يُميز الإنسان بين صاحب السنة وبين صاحب البدعة. فيُمتحن الناس ويُسألون، حتى يعرف الشخص أن ذلك صاحب سنة فيأخذ عنه الرواية أو يأخذ عنه العلم، أو أنه صاحب بدعة.

هل هو صاحب سنة فيجالسه، أو هو صاحب بدعة؟ فيمتحنه ويسأله إما عن مسائل العقيدة: ما تقول في كذا وكذا؟ ويسأله عن القرآن: هل هو كلام الله أم مخلوق؟ وما تقول في رؤية الله **عَزَّ وَجَلَّ** في الآخرة: هل يرى أو لا يرى؟ ما قولك في الحوض والميزان؟ ما قولك في الشفاعة - في شفاعة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أو في الشفاعة لأهل الكبائر من أمة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - هل تقول بها أو لا؟ وهل تثبت لله **عَزَّ وَجَلَّ** الوجه؟ هل تثبت لله **عَزَّ وَجَلَّ** اليدان؟ هل تثبت لله **عَزَّ وَجَلَّ** القدم والساق؟ هل



تثبت لله العينان؟ فيُعرف: هل هو صاحب سنة أو هو من الجهمية، أو من المعتزلة، أو من الأشاعرة، أو الكلاية، أو الماتريدية، أو الكرامية، أو من غير هؤلاء.

وهكذا يُمتحن بأئمة السنة: ما تقول في فلان من علماء السنة الذين قد ظهر أمرهم وصاروا غصة في قلوب أهل البدع والأهواء؟ فيُمتحن بهم: ما تقول في فلان؟ وما رأيك في فلان؟

فيحتاج الشخص إلى الامتحان بعد أن كثرت البدع وشاعت وفشت وانتشرت، وكثر أهل البدع في أوساط الناس.

وأما قبل ذلك - كما عرفنا - كان الناس أصحاب سنة، وأصحاب دين صحيح واستقامة - أعني: في زمن الصحابة - فما احتاجوا إلى مثل هذا الامتحان.



أسباب الاستقامة

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا أَرَدْتَ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ وَطَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَبْلَكَ، فَاحْذَرِ الْكَلَامَ، وَأَصْحَابَ الْكَلَامِ، وَالْجِدَالَ، وَالْمِرَاءَ، وَالْقِيَاسَ، وَالْمُنَظَرَةَ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ يَفْدُحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَكَفَى بِهِ قَبُولًا فَتَهْلِكَ، وَمَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ وَلَا بِدْعَةٌ وَلَا هَوَى وَلَا ضَلَالَةٌ؛ إِلَّا مِنْ الْكَلَامِ، وَالْجِدَالِ، وَالْمِرَاءِ، وَالْقِيَاسِ، وَهِيَ أَبْوَابُ الْبِدْعَةِ، وَالشُّكُوكِ، وَالزَّنْدَقَةِ.

الشرح:

وهذه العبارات التي يذكرها المؤلف - رحمة الله عليه - كثير منها قد مر معنا فيما مضى بتعابير متقاربة ومتشابهة.

والمؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - في هذا الكتاب، كما نبهنا مرارًا، كرر جملة من المباحث والعبارات والمسائل في أكثر من موطن: إما عن طريق السهو، أو عن طريق التوكيد لتلك الأمور حتى يهتم الناظر بها.

والشيء إذا ما كُرِّرَ فإنه يتأصل في النفوس.

وإذا حصل التكرار والتحذير من الشيء في أكثر من موضع، حصل تأصيل ذلك في النفوس واستقرار ذلك في القلب.



والشأن في تأليف كثير من العلماء أنهم لا يفعلون هذا؛ فما ذكروه فيما مضى لا يكررونه. هذا هو الغالب في تصانيف العلماء: فيعقدون الأبواب المختلفة، فإذا انتهوا من باب، عقدوا باباً آخر، وهكذا إلى أن ينتهي الكتاب.

فهذا هو الغالب والمشهور في تصانيف العلماء. أما المؤلف في هذا الكتاب، فحصل له شيء من التكرار في كثير من المسائل، وقد مرت معنا أو نبهنا على بعضها فيما مضى.

فهنا يحذر من الكلام - من علم المنطق والفلسفة - ويبين أن من أراد الاستقامة على الحق فعليه أن يلزم طريق أهل السنة والجماعة، ويحذر أصحاب الكلام. فإن علم الكلام مناقض لأدلة الكتاب والسنة، فإن علماء الكلام يُقدمون العقل على النقل، فهو علم مضاد لأدلة الكتاب والسنة.

فعظّموا العقل وقَدّموه على النقل، بحجة أن العقل هو الذي دل على النقل. فإذا ما تعارض العقل والنقل، قالوا: نقدم العقل على النقل؛ لأنه هو الذي دل عليه. على أنه لا تعارض بين العقل والنقل، كما بين ذلك أهل العلم، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله عليه - في كتابه المشهور "درء تعارض العقل والنقل". فلا تعارض بين العقل الصريح والنص الصحيح، وإنما التعارض قد يكون بين عقل فاسد أو بين نص ضعيف. فقد يكون العقل صريح والنقل غير صحيح، فيحصل حينئذ التعارض، وقد يكون النقل صحيحاً والعقل ما هو صحيح - فيه فساد - كعقول أهل البدع والأهواء عقول علماء الكلام، فظنوا التعارض بين العقل والنقل، وفي الحقيقة لا تعارض، وإنما أتوا من فساد أذهانهم ومن فساد عقولهم.

فعلى كل: الواجب هو اتباع أدلة الشريعة كما جاءت بذلك النصوص المتكاثرة، والعقل يُصَحِّح بالنقل، لا أن النقل يتحكم به العقل. وكون العقل دل على النقل، فلا يعني أن يكون هو الحكم على النقل؛ لأنه هو الذي دل عليه.

فلو أن شخصاً جاء إلى رجل من عوام الناس، فطرح له مسألة من مسائل العلم، فدله على عالم. أي: ذلك العامي دل السائل على عالم، فذهب السائل إلى العالم فسأله فأفتاه، فرجع إلى ذلك العامي وقال له: "ما الذي أفتى به ذلك العالم؟" فقال: "أفتى بكذا وكذا"، فقال ذلك العامي: "أخطأ العالم، الصحيح في المسألة كذا وكذا"، فقال له السائل: "كيف أقدم قولك - وأنت جاهل - على قول العالم؟! " فقال: "أنا الذي دلتك على العالم، فإذا تعارض قولي وقول العالم، فقدم قولي؛ لأنني أنا الدليل الذي دل على العالم، فإذا حصل التعارض فأنا المقدم".

فإذا قال قائل مثل هذه المقولة، ضحك عليه العقلاء، ورأوا كلامه في غاية الجهل والسفه.

وهكذا القول: بأن العقل هو الذي دل على النقل، لا يعني أنه مقدم على النقل، وأنه إذا تعارض العقل والنقل - ولا تعارض - أننا نقدم العقل؛ لأنه هو الذي دل عليه. هذا كلام فاسد، كلام غير صحيح. والله يقول: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

فما أمر الله عزَّ وجلَّ أن نتبع عقول الناس، وإنما أمرنا الله عزَّ وجلَّ بأن نتبع ما أنزل إلينا من كتابه ومن سنة نبيه ﷺ وَالسَّلَامُ.

وقد حذر المؤلف من الجدال، والجدال والمرء مذموم مطلقاً إلا في بعض المواضع فيُشرع وذلك إذا كان من قبيل إقامة الحجة على الخلق، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿قَالُوا يَنْحُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَانَا﴾ [هود: ٣٢].



فإن هذا من باب الدعوة إلى الله **عَزَّجَلَّ**، وإقامة الحجة على الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما الجدل الذي يُراد به المغالبة، فإنه من الجدال المذموم. يُريد أن ينتصر وأن تكون له الغلبة فهذا مذموم ولو لم يكن مع أهل البدع والأهواء. أما ما كان من الجدال المراد به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحجة على الخلق، وترغيب وترهيب - صاحب الخطأ فيُرهَب من الوقوع في الخطأ، ويُرغب في الخير - فإن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مأمور به، وهو الجدل الذي حصل من الأنبياء والرسل لأقوامهم عليهم الصلاة والسلام.

وأما الجدل مع أهل البدع والأهواء، فالأصل في ذلك الذم، لما فيه من المفسدات الكثيرة، إلا إذا دعت الضرورة. وقد سبق الكلام على ذلك فيما مضى، وأن من الضرورة في ذلك أن يدخل السلطان في بعض الأهواء ويُفتتن ببعض الأهواء، فيقوم علماء السنة بالجدال لأهل البدع والأهواء بين يدي السلطان، عسى الله **عَزَّجَلَّ** أن يخرج تلك البدعة من قلبه. فهذا فيه مصلحة، وقد فعلها أئمة السلف فيما مضى. وهكذا إذا كانت المصلحة راجحة، كما حصل من عبد الله بن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في جدال الخوارج، فكانت المصلحة أرجح من المفسدة. وما سوى ذلك، فالأصل في جدال أهل البدع والأهواء الابتعاد؛ لأنه من أسباب انتشار الشبهات في أوساط الناس، وهكذا من أسباب استماع الشبهة. والإنسان لا يأمن على نفسه، والشبهة قد تقع في القلب ويصعب على من وقعت في قلبه أن يخرجها. فمن أجل هذا ذم أئمة السلف جدال أهل البدع والأهواء.

قال: **(وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ وَالْقِيَاسُ)** وهو القياس الفاسد. القياس في معارضة أدلة الشرع، فكل قياس فاسد فإنه يُذم. وليس المراد بذلك الأقيسة الصحيحة، فإن الأقيسة الصحيحة من العدل، والله سبحانه أنزل الكتاب والميزان، والميزان - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - هو العدل، ومنه القياس. لكن المراد بذلك الأقيسة

الفاسدة، ومنها الأقيسة التي تعارض بها أدلة الشريعة، فهي أقيسة فاسدة. وهكذا قياس الخالق على المخلوق، أو قياس المخلوق على الخالق، هذه أقيسة فاسدة مردودة.

قوله: **(وَالْمُنَازَعَةُ فِي الدِّينِ)**: سبق الكلام فيها، وأنها لا تُشرع مع أهل البدع والأهواء، هي داخلة في الجدال والأصل في ذلك عدم المشروعية إلا لمصلحة راجحة.

قال: **(فَإِنْ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَكَفَى بِهِ قَبُولًا، فَتَهْلِكُ)**: وكما قال أبو قلابة **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**: "لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَالِسُوهُمْ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْسِنُوا عَلَيْكُمْ بَعْضُ الَّذِي كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ".

فإذا ناظر الشخص وجادل أهل البدع والأهواء، فإما أن تدخل الشبهة إلى قلبه فيحصل له اللبس، يلتبس عليه الحق بالباطل، فيبقى شاكاً بعد أن كان متيقناً في الدين الذي هو عليه، أو أنه ينغمس في ضلالتهم ويصير منهم. فلا يخلو - غالباً - المستمع لشبهاتهم من أحد هذين الأمرين: إما أن يبقى شاكاً في الأمور التي كان فيها على يقين، وإما أن يتابع أهل البدع ويدخل معهم في ضلالهم.

قال: **(فَإِنْ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَكَفَى بِهِ قَبُولًا فَتَهْلِكُ، وَمَا كَانَ زَنْدَقَةً قَطُّ وَلَا بِدْعَةً وَلَا هَوًى وَلَا ضَلَالَةً إِلَّا مِنَ الْكَلَامِ وَالْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَالْقِيَّاسِ، وَهِيَ أَبْوَابُ الْبِدْعِ وَالشُّكُوكِ وَالزَّنْدَقَةِ)**:

والأمر كما ذكر **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**. وهذه أمور يُنبه عليها مراراً، أو على عبارات يشبه بعضها بعضاً، سبق الكلام على كثير منها فيما مضى.





الأخذ بطريقة السلف



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

فَاللهُ اللهُ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَصْحَابِ الْآثَرِ وَالتَّقْلِيدِ، فَإِنَّمَا الدِّينُ هُوَ
بِالتَّقْلِيدِ يَعْنِي لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ قَبْلَنَا لَمْ يَدْعُونَا
فِي لَبْسٍ فَقَلَّدْهُمْ وَاسْتَرْخْ، وَلَا تُجَاوِزِ الْآثَرَ وَأَهْلَ الْآثَرِ.

الشَّرْح:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (فَاللهُ اللهُ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَصْحَابِ الْآثَرِ):

وهذه نصيحة في موضعها. "عليك بالآثار" أي: عليك بالتزام السنة والأخذ بها.
وعليك أيضًا بأصحاب الآثار، أي: بعلماء السنة المتمسكين بها. فكن معهم وسر
بسيرهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال: (وَالْتَّقْلِيدُ): والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ - كما مر معنا فيما مضى - يستعمل "التقليد"
على معنى "الاتباع"، وليس على الاستعمال المشهور عند العلماء من الفقهاء وعند
الأصوليين وغيرهم فإنهم يستعملون التقليد على معنى الأخذ بقول من ليس قوله
حجة بغير حجة.

وهذا التقليد مذموم كما هو معلوم، إلا فيما دعت إليه الضرورة. فالمؤلف لا يريد
هذا المعنى، بل يستعمل التقليد على معنى الاتباع.

يقول: (وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَصْحَابِ الْآثَرِ وَالتَّقْلِيدِ، فَإِنَّمَا الدِّينُ هُوَ بِالتَّقْلِيدِ).
فلا شك أن الدين ليس هو التقليد الذي هو على معنى الأخذ بقول العالم بغير حجة،

وإنما يقصد أن الدين يكون بالاتباع، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣]. فيطلق التقليد على معنى الاتباع. ولهذا يقول: **(فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، يَعْنِي لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)**.

فبين مراده بالتقليد.

فالمراد هاهنا: الاتباع - اتباع النبي **عليه الصلاة والسلام** واتباع الصحابة - كما قال النبي **عليه الصلاة والسلام**: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ». رواه أبو داود والترمذي من حديث **العرباض بن سارية**، فحث النبي **عليه الصلاة والسلام** على اتباع سنته وعلى اتباع سنة الخلفاء الراشدين.

فقال: **(فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، يَعْنِي لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)**: ولم يقل "للعلماء"، ولم يقل: "فإن الدين إنما هو بالتقليد للعلماء". ما قال هذا، وإنما وجه الناس إلى تقليد النبي **عليه الصلاة والسلام** وتقليد الصحابة. فإن ما جاء عن النبي **عليه الصلاة والسلام** مما يؤخذ به، وما جاء عن الصحابة **رضي الله عنهم** أجمعين مما لا يخالف فيه لسنة النبي **عليه الصلاة والسلام**، فإنه مما يُحتج به ويؤخذ به. فيُحتج بالسنن، ويُحتج بالآثار عن الصحابة - الآثار التي لم تكن مخالفة لأي دليل شرعي. وما زال العلماء يحتجون بالآثار عن الصحابة، ولا سيما بآثار الخلفاء الراشدين، إلا الآثار التي فيها مخالفة لشيء من سنة النبي **عليه الصلاة والسلام**، فإن سنة النبي **عليه الصلاة والسلام** هي المقدمة.

والله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]، ويقول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. ويدخل في ذلك الصحابة



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - أعني: من خالف سبيلهم يدخل في هذا الذم - ﴿وَالسَّيْقُونَ
الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فقال الله
عَزَّوَجَلَّ: ﴿اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.

فهذا هو التقليد للصحابة - بمعنى: الاتباع لهم بإحسان - وهذا هو مراد المؤلف
رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: (فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، يَعْنِي لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ، وَمَنْ قَبْلَنَا لَمْ يَدْعُونَا فِي لَبْسٍ، فَقَلَّدَهُمْ وَاسْتَرَحَّ): أي: على معنى "اتبع".
اتبع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ واتبع الصحابة، ففي ذلك الخير والهدى، والضلال في
خلاف السنة وخلاف ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. (فَقَلَّدَهُمْ وَاسْتَرَحَّ، وَلَا
تَجَاوَزِ الْأَثَرَ وَأَهْلَ الْأَثَرِ).



الأمر بالوقوف على المتشابه والنهي عن كلام أهل البدع

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَفَ عِنْدَ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَلَا تَقْسُ شَيْئًا، وَلَا تَقْسُ شَيْئًا، وَلَا تَطْلُبُ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدُّ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ؛ فَإِنَّكَ أَمَرْتَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ، فَلَا تُمَكِّنُهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ فِي فَضْلِهِ لَمْ يُحِبَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا سَمِعَ مِنْهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهَا؛ فَيَقَعَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ.

الشرح:

قوله: (وَقَفَ عِنْدَ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَلَا تَقْسُ شَيْئًا). قَفَ عند متشابه القرآن والحديث، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

فدُم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من خاض في المتشابه ابتغاء الفتنة. فالواجب في الأدلة المتشابهة هو الوقوف عندها، وألا يتكلم الإنسان بغير علم.

وهذا فيما تشابه عليه. والشيء قد يكون من المتشابه عند عالم، وغير متشابه عند آخر.

فمن اشتبه عليه أمر، رده إلى عالمه. ومن استبان له معناه بعلم، تكلم بما عنده من العلم.



فهذا هو الواجب فيما حصل فيه الاشتباه: فيتمسك الإنسان بالأدلة المحكمة، ويرد المتشابه إلى المحكم.

فيقول: "ما أدري ما المراد بكذا، لكن قد قال الله كذا، وقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كذا".

فهذه أدلة ظاهرة بيّنة ما فيها لبس، فنأخذ بالمحكم، وما تشابه علينا رددناه إلى محكمه.

فهذا هو الواجب. وأصحاب الزيغ وأصحاب الفتنة هم الذين يتمسكون بالمتشابه من أجل الفتنة ومن أجل الشر.

ومن أمثلة ما يفعله أهل البدع والأهواء في هذا الباب من التمسك بالأدلة التي قد يكون فيها تشابه عند بعض الناس - اشتباه - وإن كان العلماء يعرفون معناها ولا يلتبس عليهم الأمر. هو أن يأتي إلى قول الله **عَزَّجَلَّ: ﴿قَالَ الزَّيْنَتُ غَلْبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]**. قالوا: "إذن: يجوز بناء المساجد على القبور؛ لأن الله قال كذا وكذا".

فهذه الآية قد تشبه على السامع، ما يدري ما معناها. لكن يرجع إلى الأدلة المحكمة: قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**. رواه البخاري ومسلم.

وقوله **ﷺ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**. رواه البخاري ومسلم.

وقوله **ﷺ: «لَعَنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**. رواه البخاري ومسلم.

وأدلة كثيرة في الصحيحين فيها أن الله **عَزَّجَلَّ** لعن هؤلاء. فهذه أدلة محكمة أم متشابهة؟ هذه أدلة محكمة. فمن لم يفهم ما المراد بالآية، يقول: "عندنا أدلة محكمة، نرد المتشابه إلى المحكم، ونعتقد أن هذه الآية لا تدل على جواز بناء المساجد على القبور بناء على تلك الأدلة المحكمة الظاهرة." وإن فهم معنى الآية، فهذا من زيادة الخير.

وماذا يقول أهل العلم في هذه الآية؟

هذه الآية حكى الله **عَزَّجَلَّ** فيها عن قول أهل الغلبة والملك والسلطة، ليس عن أهل العلم. فما ذكر الله **عَزَّجَلَّ** ذلك عن العلماء، وإنما عن أصحاب الغلبة والقهر والسلطان أنهم فعلوا ذلك. وقد بين النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في سنته أن هذا الفعل لا يجوز. فهو مجرد حكاية حكاها الله **عَزَّجَلَّ** عن أهل الغلبة والقهر والسلطان، والأدلة المحكمة قد دلت على تحريم ذلك.

على كل: المتشابه يُرد إلى المحكم، ويأخذ الإنسان بالأدلة المحكمة. فإن استبان له وجه معنى ذلك الدليل، فالحمد لله. وإن لم يستبين له، فيتمسك بالأدلة المحكمة. وقوله: **(وَلَا تَطْلُبْ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدُّ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ، فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ، وَلَا تُمَكِّنُهُمْ مِنْ نَفْسِكَ)**: تقدم أن الشخص لا يطلب الحيلة ولا يبحث عنها في الرد على أهل البدع والأهواء من جهة نفسه، كما فعل ذلك أهل البدع، فردوا البدعة ببدعة. فهذا مما ذمه أئمة السلف. الذين ردوا على الفلاسفة من المعتزلة ومن الأشاعرة ومن غيرهم - ردوا على الفلاسفة القائلين بقدم العالم - كما عرفنا - بأمور مبتدعة. وأئمة السنة ردوا على الفلاسفة وعلى هؤلاء الذين ردوا على الفلاسفة بالأمور المحدثثة.



وتقدم أن الجبرية ردوا على القدرية، لكنهم ردوا بدعة القدرية ببدعة الجبرية. فهم جاءوا ببدعة الجبرية من أجل أن يردوا على القدرية، فردوا البدعة ببدعة. فالبدع لا تُرد بالبدع، وإنما ترد البدع بالسنن.

وهكذا من قال: "لفظي بالقرآن غير مخلوق". قائل هذه العبارة أراد أن يرد على الجهمية، فأراد أن يرد على الجهمية وجاء بأمر مبتدع. فلا يطلب الإنسان حيلة من عند نفسه ويبتكر أموراً يرد بها على أهل البدع والأهواء، فإن هذا مما ذمه أئمة السلف.

وهكذا الذين قالوا: "الاسم عين المسمى" - مما أنكره أئمة السلف من هذا القبيل - وأنهم أرادوا أن يردوا البدعة ببدعة. وأشياء كثيرة تكلم عليها من مضى من أهل العلم، وبيّنوا أن البدع لا تُرد بالبدع، وإنما تُرد البدع - كما عرفنا - بأدلة الكتاب والسنة والإجماع، ولا ترد بالبدع.

وهكذا - كما عرفنا - لا يجادل الشخص أهل البدع والأهواء، كما مر معنا ذلك مراراً. وإنما إذا انتشرت البدع في أوساط الناس وانتشرت الشبهات، فإن علماء السنة يفعلون ما أوجب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ** من إنكار تلك البدع بأدلة الكتاب والسنة، ويكشفون تلك الشبهات بأدلة الكتاب والسنة، ولا يفتحون باب الجدل مع أهل البدع والأهواء. فإن فتح الجدل - كما عرفنا مراراً - فيه ما فيه من المفساد والضرر.

والأحسن كما ذكر المؤلف، بل هو الذي يجب. قال: **(فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ)** - أي: عن مجادلتهم - لا عجزاً، وإنما صيانة للنفس، أو حماية للغير. فإن الشبهات خَطَافَةٌ، والقلوب ضعيفة.

وعرفنا مراراً أن الذي يناظر أهل البدع والأهواء إنما يستخرج من المبتدع ما عنده من الشبهات التي كانت كامنة في نفسه، فيستثير المبتدع ويخرج ما عنده من الشبهات،

وربما سمعها من كان حاضرًا من عامة الناس ومن غيرهم، فتمكن الشبهة في قلوبهم، وربما سمعها هذا المناظر فلم يتمكن من رد جميعها، وتتمكن بعضها في قلبه، فيتضرر ويضر غيره. وربما يبقى فترة مريضًا من تلك الشبهات إلى أن يعافيه الله **عَزَّوَجَلَّ**.

فالسلامة أن يتعد عن مناظرة أهل البدع والأهواء، يسلم نفسه ويسلم الناس. وما هو من قبيل الضعف - كما عرفنا - لكن كما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «مَنْ سَمِعَ **بِالدَّجَالِ فَلَيْتًا عَنْهُ**». **رواه أبو داود وأحمد** مع أنه من أكفر الخلق، وعنده شبهات يريد أن يدعي فيها أمرًا ظاهر النكارة - يريد أن يدعي الألوهية والربوبية بشيء من الشبهات - ومع هذا يأمر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بالابتعاد عنه. فما يسمع الإنسان شبهات الدجال. فإن الشخص يأتيه يحسب نفسه أنه مؤمن، فيتابعه من كثرة الشبهات. فيتابعه على ماذا؟ على الكفر الأكبر، يتابعه ويُسلم له بالألوهية والربوبية. ما يسلم له بدع من بدع المعتزلة أو الأشاعرة أو الكلائية أو الماتريدية، يسلم له هذا الكفر الأكبر والشرك الأكبر. وما الذي أوقعه في ذلك؟ هو أنه فتح سمعه لشبهات الدجال.

فالواجب مع المبطلين، مع أهل البدع والأهواء الابتعاد عنهم: وما يذهب إليهم ليسمع منهم الشبهات من أجل أن يحاججهم، فإن هذا سبب للهلاك.

وكما قلنا مرارًا: إذا اضطر الإنسان إلى ذلك أعانه الله. فإذا دعت الضرورة أعانه الله ووقاه الله **عَزَّوَجَلَّ** شر البدع. كأن تكون المناظرة بين يدي سلطان قد تمكنت البدعة من قلبه، فيريد العالم إخراج الشبهة من قلب السلطان، حتى يقل الشر. فإن السلطان إذا تمكنت البدعة من قلبه، امتحن الناس وابتلاهم، كما حصل في محنة خلق القرآن. وهكذا إذا كانت المصلحة راجحة، كما فعل عبد الله بن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في مناظرة الخوارج.



قال **رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا تُمْكِنُهُمْ مِنْ نَفْسِكَ)**. أي: لا تُمكن أهل البدع من نفسك، تستمع لهم كما يقول الجاهل: "نحن نسمع لكل أحد، فنأخذ الطيب وندع الخبيث". فهذا جهل، وتزيين من جهة الشيطان. فإنه في الحقيقة يقبل الطيب والخبيث، ولا يميز بين طيب ولا بين خبيث، يأخذ الخبيث وكأنه من الطيبات لجهله.

والعلماء الكبار خافوا على أنفسهم من أهل البدع والأهواء، وهذا الجاهل يأمن على نفسه، وأنه عنده المعرفة يميز بين الخبيث والطيب.

وكما قلنا فيما مضى: إن الشخص العاقل لا يقبل هذا الأمر في دنياه. فإذا قيل له: "فلان غشاش، عنده بضائع كثيرة لكنه غشاش، يبيع كذا وكذا ويخلط ويغش". فهل يقول الشخص: "أنا اشتري منه، وأخذ الطيب وأدع الخبيث"؟ فهل يخاطر بدنياه أم ما يخاطر؟ ما يخاطر بدنياه. يقول: "ربما ما ينجلي لي الغش، ربما أظن أن هذا الشيء ما هو مغشوش بخبرتي وحنكتي، فإذا به مغشوش". فيتعد، ولا يخاطر بدنياه، ويتجه إلى من معاملته معاملة صحيحة ما عنده غش.

فالناس في دنياهم يحرصون عليها ولا يخاطرون في أمر الدنيا. لكن في أمر الدين: ذاك مبتدع غشاش ينشر البدع والخرافات، وجاهل الناس: "نأخذ منه الطيب، نستمتع ونأخذ الطيب ونترك الخبيث"، فيخاطرون في أمر دينهم، ولا يخاطرون في أمر دنياهم - إلا من رحم الله **عَزَّجَلَّ** - وكل هذا من تزيين الشيطان.

قال: **(أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ فَضْلِهِ لَمْ يُحِبَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ)**: فمع إمامته وعلمه - رحمة الله عليه - ما سمع منه آية من كتاب الله. وهو ما أراد أن يتلو عليه من التوراة والإنجيل - بل آية من كتاب الله - ومع هذا أبى أن يسمع منه حتى آية من كتاب الله **عَزَّجَلَّ**.

فقليل له، فقال: (أَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهَا فَيَقَعَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ). فهؤلاء القوم خافوا لعلمهم، وأمن غيرهم لجهلهم. غيرهم آمنوا من أهل البدع والأهواء لجهلهم بخطورة الأمر، وهؤلاء خافوا على أنفسهم لسعة علمهم - رحمة الله عليهم أجمعين.



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللَّهَ إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُدْفَعَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهُوَ يَزْعُمُ
أَنَّهُ يُعَظِّمُ اللَّهَ وَيُنْزِلُهُ إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ الرُّؤْيَةِ وَحَدِيثَ النُّزُولِ وَغَيْرِهِ، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ
أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: نَحْنُ نُعَظِّمُ اللَّهَ أَنْ يَنْزَلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ؟ فَقَدْ زَعَمَ
أَنَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَاحْذَرِ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى
هَذَا الْحَالِ، وَحَذَّرِ النَّاسَ مِنْهُمْ.

الشرح:

بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في هذه الجملة من كلامه حال الجهمية، وأنهم إذا سمعوا
الآثار عن رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في إثبات الصفات - كالرؤية والنزول، كرؤية الله
عَزَّوَجَلَّ في الآخرة، والنزول إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر - أنهم يتلفظون بكلام
حق يريدون به الباطل. فتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ هذا حق وواجب على المسلم أن يُعَظِّمَ ربه
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ومن لم يعظم ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو من الكافرين - الذي ما عنده عظمة
وتعظيم لله عَزَّوَجَلَّ - فهذا من الكافرين، والعياذ بالله. أعني: من ليس في قلبه عظمة لربه
مطلقاً. وإن كان تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ يتفاوت في القلب بتفاوت الإيمان. وكلما قوي
الإيمان، قوي تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ في القلب. وكلما ضعف الإيمان، ضعف التعظيم. ولا
يزول التعظيم بالكلية من القلب إلا بالكفر، والعياذ بالله.

فالجهمية إذا سمعوا هذه الآثار عن رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يقول قائلهم:
"نحن نعظم الله".

وما الذي يريدون بهذا؟ يريدون أن هذه الآثار فيها تنقص رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لأن فيها - على حسب ما يزعمون - مشابهة الخالق بالمخلوق. إذا قلنا: إن الله **عَزَّوَجَلَّ** يرى في الآخرة، فالمرئي لا بد أن يكون في مكان، وأن يكون محدودًا - على حسب ما يزعمون - وأن هذا لا يكون إلا في حق المخلوق. فيأتون بمثل هذه الفلسفات. أو أن الذي يُرى لا بد أن يكون جسمًا، والجسم مركب من الأجزاء والأبعاد، وهذا لا يكون إلا في حق المخلوق. فيأتون بمثل هذا الكلام الباطل من أجل أن ينفوا الصفات الثابتة لله **عَزَّوَجَلَّ**. وكما هو معلوم أن إثبات الصفات لله **عَزَّوَجَلَّ** ليس فيها ما يدل على التمثيل. إثبات الصفات لله **عَزَّوَجَلَّ** لا يدل على التمثيل. وإثبات الرؤية - رؤية المؤمنين لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** - أيضًا لا يدل على التمثيل، والكلام في هذه المسائل مما يطول. لكن شاهدنا من هذا: أنهم فهموا من إثبات الصفات التمثيل، وتمثيل الخالق بالمخلوق نقص.

فذهبوا إلى أن من تعظيم الله **عَزَّوَجَلَّ** نفى الصفات عنه.

وهم في الحقيقة ما عظموا ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بهذا النفي، بل أساءوا إلى ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أعظم الإساءة، وانتقصوا ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أعظم التنقص. فإن الذي ليس له صفة هو العدم. وأيهما أرفع: المخلوق أم العدم؟ المخلوق أرفع من العدم. فهم فروا من تشبيه أو تمثيل الخالق بالمخلوق، وشبهوه بالعدم، بل جعلوه عدمًا، وهذا أشد وأشد.

ففروا من أمر، ووقعوا فيما هو أشد منه. على أن إثبات الصفات لله **عَزَّوَجَلَّ** - كما هو معلوم - لا يقتضي التمثيل؛ لقوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فنثبت لله **عَزَّوَجَلَّ** الصفات على ما يليق به، من غير مماثلة المخلوقين. وإذا كان المخلوق مع المخلوق يحصل بينهما التفاوت، فكيف بالمخلوق مع



الخالق؟

ولهذا - كما يقول العلماء - : للذرة يد، وللجمل يد، وللليل يد، مع عدم التماثل بين الأيدي، وهي أيدٍ في المخلوقات. فكيف يُفهم التماثل بين الخالق مع المخلوق عند إثبات الصفات مع عظيم التباين بينهما؟ فلا تماثل بين صفات الخالق وصفات المخلوق. وإنما هؤلاء القوم أتوا من جهلهم، وقصور علمهم، وسوء فهمهم، وأخذهم بعلم الكلام المذموم الذي ذمه أئمة السلف.

فعلى كل: الجهمية إذا سمعوا الآثار في إثبات الصفات، نادوا بهذه الكلمة التي هي حق أريد بها الباطل. فقالوا: (وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللَّهَ إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُدْفَعَهُ بِهِذِهِ الْكَلِمَةِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُعَظِّمُ اللَّهَ وَيُنَزِّهُهُ إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ الرُّوِيَّةِ وَحَدِيثَ النُّزُولِ وَغَيْرِهِمَا، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللَّهَ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ؟ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَاحْذَرُوا هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوْقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى هَذَا الْحَالِ).

وهذا في زمنه - رحمة الله عليه - . وهذا يدل على أن مذهب الجهمية انتشر انتشاراً واسعاً في ذاك الزمن.

فيقول: (فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوْقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى هَذَا الْحَالِ). ففي ذاك الزمن انتشر مذهب الجهمية انتشاراً واسعاً. وفي هذا الزمن انتشرت أنواع الشرور، وانتشر كثير من الإلحاد والكفر والزندقة ممن يتظاهر بالإسلام - والإسلام منه بريء - . ليس المعنى أن زماننا أفضل من ذاك الزمن.

الآن لو نظرنا إلى من يتكلم بالكلام الباطل - بالكفر والزندقة والإلحاد - وإذا نظرنا إلى أحوال المجتمعات المسلمة وما فيها من الأخطاء الكثيرة، نجد أن تلك

الأزمان في عافية بالنسبة إلى هذه الأزمان. وإن كان الخير ما زال موجوداً، الخير موجود، ومن يدعو إلى الخير لهم وجود. ولا تزال طائفة في هذه الأمة ظاهرة إلى قيام الساعة، كما أخبر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

لكن من حيث العموم، الشر في هذه الأزمان أعظم من الأزمان السابقة. وإن كانت في تلك الأزمان انتشر مذهب الجهمية، فقد انتشر في هذه الأزمان كثير من المذاهب الإلحادية التي هي أردأ من مذهب الجهمية، وينشرها من ينتسب إلى الإسلام، والعياذ بالله.

قال: **(فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوْقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَحَذَّرِ النَّاسَ مِنْهُمْ)؛** لأن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.





الأمر بالكف عن الجدال والمرء



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا سَأَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهُوَ مُسْتَرَشِدٌ، فَكَلِّمْهُ وَأَرِشِدْهُ، وَإِذَا جَاءَكَ يُنَازِرُكَ فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّ فِي الْمُنَازَرَةِ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ وَالْمُغَالَبَةَ وَالْخُصُومَةَ وَالْغَضَبَ، وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ جَمِيعِ هَذَا جَدًّا، وَهُوَ يُزِيلُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ فُقَهَائِنَا وَعُلَمَائِنَا أَنَّهُ نَظَرَ أَوْ جَادَلَ أَوْ خَاصَمَ.

الشرح:

وفي هذه الجملة من كلام المؤلف - رحمة الله تعالى عليه - بيان الفرق بين المسترشد وبين المجادل.

فالمسترشد: هو: الذي يريد معرفة الحق، يريد أن يعرف العقيدة الصحيحة، يريد أن يتعلم ما يجله.

والمجادل: هو: الذي يريد المغالبة ويريد المخاصمة. فالمسترشد يُبَيَّنْ له، فإن هذا من بث العلم ومن تبليغ أحكام الرسالة، وكل هذا من الأمور الواجبة. فإذا جاء الشخص مسترشدًا يريد معرفة الحق في مسائل العقيدة أو في غيرها، فُيَبَيَّنْ له.

وإن جاء مجادلًا، فلا يُلْتَفِتْ إليه، ولا يُفْتَحْ معه باب الجدال، فإنه لا فائدة من ذلك، وإنما يحصل من ذلك الضرر - إن لم تكن إلا هذه المفاسد التي ذكرها المؤلف.

حيث قال: **(فَإِنَّ فِي الْمُنَازَرَةِ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ وَالْمُغَالَبَةَ وَالْخُصُومَةَ وَالْغَضَبَ)**

لكفى: فيدخل الشيطان من كل باب، وترتفع الأصوات، وتتغير الألوان، وتتفخ الأوداج، ويحصل ما يحصل من الضيق في الصدر، ويدخل الشيطان في المناظرة والمجادلة من كل باب. فلا أنت تأخذ بكلام خصمك، ولا هو يريد أن يأخذ بكلامك، فما في فائدة من المجادلة.

فتوجد هذه المفاسد المتحققة من غير حصول مصلحة.

وقد تحصل مفاسد عظيمة في مناظرة ومجادلة أهل البدع والأهواء، وهي دخول الشبهات إلى القلب - إلى قلب المناظر أو إلى قلب المستمع إن كان هناك من يستمع هذه المناظرة من عامة الناس - ربما تدخل تلك الشبهات في قلوبهم فيضلوا. وإذا لم يوجد هناك أحد من عامة الناس، قد تدخل الشبهات في قلب المناظر فتُمرضه تلك الشبهات، وقد تزيغه عن الحق، والعياذ بالله. ولهذا المؤلف يقول: **(وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ فُقَهَائِنَا وَعُلَمَائِنَا أَنَّهُ نَازَرَ أَوْ جَادَلَ أَوْ خَاصَمَ).**

إلا في تلك المسائل المستثناة التي نبهنا عليها مراراً، وهي: إذا اضطر العلماء إليها اضطراراً: كالمناظرة بين يدي السلطان لإزالة البدعة من قلبه، وهكذا إذا كانت المصلحة راجحة ويُراد بذلك دفع مفسدة كبرى. كما فعل عبد الله بن عباس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - في مناظرته للخوارج، فحصلت المصلحة الكبرى، وتخفف الشر، وحصل أمر عظيم في مناظرته - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - وكانت بإذن الخليفة، بإذن علي بن أبي طالب - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -.

والسلف كانوا يتعدون عن هذا الأمر غاية الابتعاد.



جاء رجل من أهل الأهواء إلى الإمام مالك - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - وطلب منه أن يناظره، فقال له الإمام مالك - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -: "أنا على يقين من ديني، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه".

أي: ما أحتاج إلى مناظرتك، ما عندي أي لبس، أنا على يقين من ديني. إذا عندك شيء من الشكوك في دينك، فاذهب إلى شاك مثلك فناظره.

فهكذا كان يتعامل السلف مع أهل البدع والأهواء بهذه المعاملة الشرعية. وهكذا جاء رجل إلى الإمام مالك - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - يطلب منه المناظرة، فقال له الإمام مالك - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -: "أرأيت إن غلبتني؟ قال: "اتبعني".

قال: "أرأيت إن غلبتك؟"

قال: "أتبعك".

قال: "أرأيت إن جاء رجل ثالث فغلبنا؟"

قال: "نتبعه".

فقال: "إني أراك رجلاً كثير القلب، وإن دين محمد ﷺ واحد".

فدين محمد ما هو متلون كالحرباء، دين محمد واحد، وأراك رجلاً كثير القلب. فهذا الذي كان يقوله أئمة السلف مع علمهم ومعرفتهم وسعة اطلاعهم وفقههم في الدين، ومع هذا كانوا لا يلتفتون إلى أهل البدع والأهواء، ولا يناظرون أهل البدع والأهواء.

إذن: يُفَرِّقُ بين المسترشد وبين المجادل.

فالمسترشد الذي يريد معرفة الحق يُبين له، والمجادل يُعرض عنه.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: وَالْحَكِيمُ لَا يُمَارِي وَلَا يُدَارِي، حِكْمَتُهُ يَنْشُرُهَا،
إِنْ قُبِلَتْ حَمْدُ اللهِ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمْدُ اللهِ.
وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: أَنَا أَنَاظِرُكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: (أَنَا عَرَفْتُ
دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ فَادْهَبْ فَاطْلُبْهُ).

الشرح:

قال: (وَالْحَكِيمُ لَا يُمَارِي وَلَا يُدَارِي، حِكْمَتُهُ يَنْشُرُهَا). فهذا الذي ينبغي: أن
الإنسان ينشر الحق، ويقول الحق ويصدق به، ويرد الباطل.
فإن قُبِلَ ذلك منه، فالحمد لله. وإن لم يُقْبَلْ، فليحمد الله؛ لأنه أدى الذي عليه.
فالحمد لله على هذا وعلى هذا. فيحمد الله عَزَّجَلَّ إن قُبِلَ منه الحق، وإذا رُدَّ الحق
فيحمد الله عَزَّجَلَّ أن وفقه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأداء الواجب الذي
أوجبه الله عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما المجادلة والمناظرة فإن
هذا مما يُذَمُّ، إلا إذا كان المراد بذلك إقامة الحجة على الخلق كما فعل ذلك الأنبياء
والرسل عليهم الصلاة والسلام. ﴿قَالُوا يَنْحُوحٌ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ [هود: ٣٢].
فهذا جدال يُراد به إقامة الحجة على الخلق والإعذار. فإن الله عَزَّجَلَّ أرسل الرسل
لإقامة الحجة على الخلق، فلا بد أن يقيموا الحجة على الخلق، وأن يتكلموا مع
المخالفين، وأن يبينوا لهم الدين الحق، وأن يقوموا بتحذيرهم من الشرك والباطل.
حتى ولو حصلت مجادلة من جهة الكفار، فإن الرسل يتكلمون بالحق، ويبينون
الباطل الذي عند أولئك المشركين. فهذا من باب إقامة الحجة على الخلق، وهذا أمر
أوجبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.



قال: (وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: أَنَا أَنَاظِرُكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: (أَنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ فَادْهَبْ فَاطْلُبْهُ): وعرفنا أنه جاء هذا عن الإمام مالك - رحمة الله عليه - قال لذلك الرجل: أنا على يقين من ديني. جاءه رجل من المرجئة يريد أن يناظر الإمام مالك، فقال له الإمام مالك: "أنا على يقين من ديني، فإن كنت في شك في دينك فادْهَبْ إِلَى شَخْصٍ شَاكَ مِثْلَكَ فَخَاصِمِهِ".

قال: (وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: أَنَا أَنَاظِرُكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: (أَنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ فَادْهَبْ فَاطْلُبْهُ): وهذا الذي ينبغي: ما يفتح الإنسان سمعه لأهل البدع والأهواء، ولا يبقى في جدال مع أهل البدع والأهواء، لما في ذلك - كما عرفنا - من الضرر والمفاسد. وقد حذر من ذلك أئمة السلف، كما سبق بيان ذلك فيما مضى.



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: "أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذًا"، وَيَقُولُ الْآخَرُ: "أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذًا"، فَخَرَجَ مُغْضَبًا فَقَالَ: «أَبْهَذَا أُمِرْتُمْ، أَمْ بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ، أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بِعُضَّةٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ»، فَتَنَاهَاهُمْ عَنِ الْجِدَالِ.

الشرح:

والحديث بمعنى ما ذكره المؤلف جاء في المسند وعند ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. (فَتَنَاهَاهُمْ عَنِ الْجِدَالِ). أي: الجدل في القرآن والجدال في القدر، كما جاء في الحديث. وقد سبق الكلام على الجدل مرارًا، وعرفنا أن الجدل مذموم، وأنه يُورث العداوة والبغضاء، ويضيق الصدور. وعرفنا الفرق بين المجادل والمسترشد، وعرفنا أن أنواع الجدل ما لا يدخل في الذم، كمجادلة المشركين والكافرين لإقامة الحجة عليهم، كما فعل ذلك الرسل. ﴿قَالُوا يَنْتُحُ فَدَّ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ [هود: ٣٢].

فكان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر بكل ما يستطيع، في الليل والنهار، في السر والجهر، بالترغيب والترهيب، وصبر عليهم تلك الفترة الطويلة وهو يدعوهم إلى الله عزَّجَلَّ ويجادلهم. فهذا جدال محمود، فإنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحجة على الخلق. وأما الجدل الذي هو على معنى إظهار الغلبة يريد أن ينتصر على غيره وأن يعلو غيره فهذا الجدل المذموم، وكذلك جدال أهل البدع والأهواء؛ لما في ذلك من الشر والفساد. ولهذا - كما عرفنا - تتابع السلف في النهي عن مجادلة أهل البدع والأهواء.

□ قال الإمام البرهاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ الْمُنَظَرَةَ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمَنْ فَوْقَهُ، وَمَنْ دُونَهُ، إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الْخَلْقِ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]).

وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ فَقَالَ: مَا النَّاشِطَاتِ نَشْطًا؟ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لَا يُمَارِي، وَلَا أَشْفَعُ لِلْمُمَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَدَعُوا الْمِرَاءَ لِقَلَّةِ خَيْرِهِ».

الشرح:

وهذا الحديث لا يثبت. رواه الطبراني في المعجم الكبير، وابن حبان في المجروحين، والآجري في الشريعة، وابن بطة في الإبانة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه كثير بن مروان، وهو ضعيف جدًا.

وعلى كل حال: تكلمنا فيما مضى حول المناظرة، وحول المجادلة والمخاصمة، وعرفنا أن ذلك مما زجر عنه العلماء ونهوا عنه، وبالغوا في النهي عنه، ولا سيما فيما يتعلق بأهل البدع والأهواء، لما في ذلك من المفساد والضرر، إلا فيما دعت إليه الضرورة - على ما سبق أن نبهنا عليه مرارًا - في المناظرة بين يدي السلطان، وفيما فعله عبد الله بن عباس في مناظرة الخوارج.

وعرفنا الفرق بين المجادل وبين المسترشد، وأن المسترشد يُبين له الحق، والمناظر يُعرض عنه.

والآثار عن السلف في ذلك كثيرة، وقد تكلم حول هذه المسألة بكلام حسن الإمام الأجرى - رحمه الله عليه - في "الشرعة".
ومن أراد أن ينظر إلى حقيقة هذه المسألة، فليرجع إلى ما ذكره الأجرى - رحمه الله عليه - في كتاب "الشرعة".

فقد ذكر جملة من الآثار عن السلف في التحذير من الجدال ثم قال:
مَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ، فَمَيَّزَ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرِي لَهُ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ عِلْمٌ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لَزِمَ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ، لِيَتَنَبَّهَ عَنْ الْجَهْلِ، وَكَانَ مُرَادُهُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ، أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، وَلَا لِلدُّنْيَا، وَمَنْ كَانَ هَذَا مُرَادُهُ سَلِمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ، وَاتَّبَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوفِّقَهُ لِذَلِكَ فَإِنْ **قَالَ قَائِلٌ**: فَإِنْ كَانَ رَجُلٌ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمًا، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الدِّينِ، يُنَازِعُهُ فِيهَا وَيُخَاصِمُهُ، تَرَى لَهُ أَنْ يُنَازِرَهُ، حَتَّى تَثْبُتَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَيَرُدَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ؟

قِيلَ لَهُ: هَذَا الَّذِي نُهِنَا عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي حَذَرْنَاهُ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَاذَا نَصْنَعُ؟ قِيلَ لَهُ: إِنْ كَانَ الَّذِي يَسْأَلُكَ مَسْأَلَتَهُ مَسْأَلَةً مُسْتَرَشِدٍ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَا مُنَازَرَةً، فَأَرَشِدْهُ بِالطَّيِّبِ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ بِالْعِلْمِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ، وَقَوْلِ الصَّحَابَةِ، وَقَوْلِ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ مُنَازَرَتَكَ، وَمُجَادَلَتَكَ، فَهَذَا الَّذِي كَرِهَ لَكَ الْعُلَمَاءُ، فَلَا تُنَازِرْهُ، وَاحْذَرْهُ عَلَى دِينِكَ، كَمَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ كُنْتَ لَهُمْ مُتَّبِعًا.



فَإِنْ قَالَ: فَدَعَوْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ، وَنَسَكْتُ عَنْهُمْ؟ قِيلَ لَهُ: سَكُوتُكَ عَنْهُمْ وَهَجَرَتُكَ لِمَا تَكَلَّمُوا بِهِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مُنَاطَرَتِكَ لَهُمْ كَذَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَمْ تَسْمَعْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي قَلَابَةَ: لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبَسَ عَلَيْهِمْ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَيَّ قَوْلِ الْحَسَنِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: أَلَا تُنَاطِرُنِي فِي الدِّينِ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ أَضَلَلْتَ دِينَكَ فَالْتِمِسْهُ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَيَّ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنْقُلِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنْ اقْتَدَى بِهِؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ اضْطَرَّنِي فِي الْأَمْرِ وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى مُنَاطَرَتِهِمْ وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ أَلَا أَنُاطِرُهُمْ؟

قِيلَ لَهُ: الْإِضْطِرَارُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ إِمَامٍ لَهُ مَذْهَبٌ سُوءٌ، فَيَمْتَحِنُ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِ، كَفِعْلٍ مَنْ مَضَى فِي وَقْتِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: ثَلَاثَةُ خُلَفَاءَ امْتَحَنُوا النَّاسَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِمُ السُّوءِ، فَلَمْ يَجِدِ الْعُلَمَاءُ بُدًّا مِنَ الذَّبِّ عَنِ الدِّينِ، وَأَرَادُوا بِذَلِكَ مَعْرِفَةَ الْعَامَّةِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَنَاطَرُوهُمْ ضَرُورَةً لَا اخْتِيَارًا، فَأُثِّبَتِ اللَّهُ تَعَالَى الْحَقَّ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَأَذَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُعْتَرِلَةَ وَفَضَحَهُمْ وَعَرَفَتِ الْعَامَّةُ أَنَّ الْحَقَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ وَمَنْ تَابَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَرْجُو أَنْ يُعِيدَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ مِحْنَةٍ تَكُونُ أَبَدًا وَبَلَّغَنِي عَنِ الْمُهْتَدِي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا فَطَعَ أَبِي يَعْنِي الْوَائِقَ إِلَّا شَيْخٌ جِيءَ بِهِ مِنَ الْمَصِيصَةِ، فَمَكَثَ فِي

السَّجْنِ مُدَّةً، ثُمَّ إِنَّ أَبِي ذَكَرَهُ يَوْمًا، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالشَّيْخِ، فَأَتَيْتُ بِهِ مُقَيَّدًا، فَلَمَّا أَوْقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا اسْتَعْمَلْتَ مَعِيَ أَدَبَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا أَدَبَ رَسُولِهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَدِّ السَّلَامِ، فَقَالَ لَهُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُوَادٍ: سَلُهُ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَا مَحْبُوسٌ مُقَيَّدٌ، أَصْلِي فِي الْحَبْسِ بَنِيَّ، مُنِعْتُ الْمَاءَ فَمُرْ بِقِيُودِي تُحَلِّ، وَمُرْ لِي بِمَاءٍ أَطْهَرُ وَأَصْلِي، ثُمَّ سَلْنِي قَالَ: فَأَمَرَ، فَحَلَّ قَيْدَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ قَالَ: لِابْنِ أَبِي دُوَادٍ: سَلُهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: الْمَسْأَلَةُ لِي، تَأْمُرُهُ أَنْ يُجِيبَنِي فَقَالَ: سَلْ، فَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ، أَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَعْدَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَهُمَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَا عُمرُ وَلَا عُثْمَانُ، وَلَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، تَدْعُو أَنْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ؟ لَيْسَ يَخْلُو أَنْ تَقُولَ: عِلْمُوهُ أَوْ جَهْلُوهُ، فَإِنْ قُلْتَ: عِلْمُوهُ، وَسَكَتُوا عَنْهُ، وَسَعْنَا وَإِيَّاكَ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ مِنَ السُّكُوتِ، وَإِنْ قُلْتَ: جَهْلُوهُ وَعِلْمُهُ أَنَا، فَيَا لُكْعُ بْنُ لُكْعٍ، يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟ قَالَ الْمُهْتَدِي: فَرَأَيْتُ أَبِي وَتَبَّ قَائِمًا وَدَخَلَ الْحَبْرِي، وَجَعَلَ ثَوْبُهُ فِي فِيهِ، يَضْحَكُ؟ ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: صَدَقَ، لَيْسَ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَقُولَ: جَهْلُوهُ أَوْ عِلْمُوهُ، فَإِنْ قُلْنَا: عِلْمُوهُ وَسَكَتُوا عَنْهُ وَسَعْنَا مِنَ السُّكُوتِ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ، وَإِنْ قُلْنَا: جَهْلُوهُ وَعِلْمُهُ أَنْتَ، فَيَا لُكْعُ بْنُ لُكْعٍ يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟ ثُمَّ



قَالَ: يَا أَحْمَدُ، قُلْتُ: لَيْتَكَ، قَالَ: لَسْتُ أَعْنِيكَ، إِنَّمَا أَعْنِي ابْنَ أَبِي دُوَادٍ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَعْطِ هَذَا الشَّيْخَ نَفَقَتَهُ وَأَخْرِجْهُ عَنْ بَلَدِنَا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَبَعْدَ هَذَا نَأْمُرُ بِحِفْظِ السُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَوْلِ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنَ الْمُبَارَكِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَالشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْقَاسِمَ بْنَ سَلَامٍ، وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَةٍ هَؤُلَاءِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَيُنَبِّذُ مَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا نُنَازِرُ، وَلَا نُجَادِلُ وَلَا نُخَاصِمُ، وَإِذَا لَقِيَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ أَخَذَ فِي غَيْرِهِ أَوْ إِنِ حَضَرَ مَجْلِسًا هُوَ فِيهِ قَامَ عَنْهُ هَكَذَا أَدَبْنَا مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا.

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ وَبَيَّنْتَهُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ مُنَازِرَتُنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ الَّتِي يُنْكِرُهَا أَهْلُ الْحَقِّ، وَنُهِينَا عَنِ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ فِيهَا، فَإِنْ كَانَتْ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْفِقْهِ فِي الْأَحْكَامِ، مِثْلَ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالنِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ، وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ، هَلْ لَنَا مُبَاحٌ أَنْ نُنَازِرَ فِيهِ وَنُجَادِلَ، أَمْ هُوَ مَحْظُورٌ عَلَيْنَا، عَرَفْنَا مَا يَلْزَمُ فِيهِ كَيْفَ السَّلَامَةُ؟

قِيلَ لَهُ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ مَا أَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنَ الْمُنَازَرَةِ فِيهِ، حَتَّى لَا يَلْحَقَهُ فِيهِ فِتْنَةٌ وَلَا مَأْثَمٌ، وَلَا يَطْفُرُ فِيهِ الشَّيْطَانُ.

فَإِنْ قَالَ كَيْفَ؟

قِيلَ لَهُ: هَذَا، قَدْ كَثُرَ فِي النَّاسِ جِدًّا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ فِي كُلِّ بَلَدٍ يُنَازِرُ الرَّجُلَ الرَّجُلَ يُرِيدُ مُغَالَبَتَهُ، وَيَعْلُو صَوْتُهُ، وَالْأَسْتِظْهَارُ عَلَيْهِ بِالِاجْتِجَاجِ، فَيَحْمَرُّ لَذَلِكَ وَجْهُهُ، وَتَتَفَنِّخُ أَوْدَاجُهُ، وَيَعْلُو صَوْتُهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُحِبُّ أَنْ يُخْطِئَ صَاحِبَهُ، وَهَذَا الْمُرَادُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَطَأٌ عَظِيمٌ، لَا يُحْمَدُ عَوَاقِبُهُ وَلَا يُحْمَدُهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ

الْعُقَلَاءِ؛ لِأَنَّ مُرَادَكَ أَنْ يُخْطِئَ مُنَاطِرُكَ: خَطَأً مِنْكَ، وَمَعْصِيَةً عَظِيمَةً، وَمُرَادُهُ أَنْ تُخْطِئَ خَطَأً مِنْهُ وَمَعْصِيَةً، فَمَتَى يَسْلَمُ الْجَمِيعُ؟
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّمَا نُنَاطِرُ لِتَخْرُجَ لَنَا الْفَائِدَةُ؟
قِيلَ لَهُ: هَذَا كَلَامٌ ظَاهِرٌ، وَفِي الْبَاطِنِ غَيْرُهُ.

وَقِيلَ لَهُ: إِذَا أَرَدْتَ وَجْهَ السَّلَامَةِ فِي الْمُنَاطَرَةِ لِطَلَبِ الْفَائِدَةِ، كَمَا ذَكَرْتَ، فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ حِجَازِيًّا، وَالَّذِي يُنَاطِرُكَ عِرَاقِيًّا، وَبَيْنَكُمَا مَسْأَلَةٌ، تَقُولُ أَنْتَ: حَلَالٌ، وَيَقُولُ هُوَ: بَلْ حَرَامٌ فَإِنْ كُنْتُمَا تُرِيدَانِ السَّلَامَةَ، وَطَلَبَ الْفَائِدَةَ، فَقُلْ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ قَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الشُّيُوخِ، فَتَعَالَ حَتَّى نَتَنَاظَرَ فِيهَا مِناصِحَةً لَا مُغَالَبَةً فَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ فِيهَا مَعَكَ، أَتَبِعُكَ، وَتَرَكْتُ قَوْلِي، وَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ مَعِي، أَتَبِعْتَنِي وَتَرَكْتَ قَوْلَكَ، لَا أُرِيدُ أَنْ تُخْطِئَ وَلَا أَغَالِبُكَ، وَلَا تُرِيدُ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا تُغَالِبُنِي فَإِنْ جَرَى الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَهُوَ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَمَا أَعَزَّ هَذَا فِي النَّاسِ إِذَا قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: لَا نَطِيقُ هَذَا، وَصَدَقَا عَنْ أَنْفُسِهِمَا قِيلَ: لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، قَدْ عَرَفْتَ قَوْلَكَ وَقَوْلَ صَاحِبِكَ وَأَصْحَابِكَ وَاحْتِجَاجِهِمْ، وَأَنْتَ فَلَا تَرْجِعْ عَنْ قَوْلِكَ، وَتَرَى أَنَّ خَصْمَكَ عَلَى الْخَطَأِ وَقَالَ خَصْمُكَ كَذَلِكَ، فَمَا بِكُمْ إِلَى الْمُجَادَلَةِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ حَاجَةً إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا لَيْسَ يُرِيدُ الرُّجُوعَ عَنْ مَذْهَبِهِ وَإِنَّمَا مُرَادُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا أَنْ يُخْطِئَ صَاحِبُهُ، فَأَنْتُمَا آثِمَانِ بِهَذَا الْمُرَادِ، أَعَادَ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ الْعُقَلَاءَ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْمُرَادِ فَإِذَا لَمْ تُجَرَ الْمُنَاطَرَةُ عَلَى الْمَنَاصِحَةِ، فَالْشُّكُوتُ أَسْلَمُ، قَدْ عَرَفْتَ مَا عِنْدَكَ وَمَا عِنْدَهُ وَعَرَفَ مَا عِنْدَهُ وَمَا عِنْدَكَ، وَالسَّلَامُ ثُمَّ لَا نَأْمَنُ أَنْ يَقُولَ لَكَ فِي مُنَاطَرَتِهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَقُولُ لَهُ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، أَوْ تَقُولُ: لَمْ يَقُلْهُ النَّبِيُّ ﷺ كُلُّ ذَلِكَ، لِتَرُدَّ قَوْلَهُ، وَهَذَا عَظِيمٌ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ لَكَ أَيُّضًا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا يَرُدُّ حُجَّةَ صَاحِبِهِ بِالْمُخَارَقَةِ وَالْمُغَالَبَةِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ رَأَيْنَا يُنَاطِرُ وَيُجَادِلُ وَتَتَجَادَلُ، حَتَّى



رُبَّمَا خَرَقَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ هَذَا الَّذِي خَافَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ، وَكَرِهَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَهـ.

وهذا كلام نفيس من هذا الإمام رحمه الله، وكتب السنة طافحة في النهي عن المجادلة وعن المخاصمة، لاسيما لأهل البدع والأهواء.

قال: (وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ الْمُنَاطَرَةَ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ). وسبق أن ذكرنا بعض الآثار عن الإمام مالك فيما مضى قريباً.

قال: (وَمَنْ فَوْقَهُ، وَمَنْ دُونَهُ، إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الْخَلْقِ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا يَجِدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾). وهذا محمول على مجادلة التكذيب أو التشكيك. فإن هذا كفر بالله عَزَّجَلَّ، فإذا جادل في آيات الله يريد بذلك التكذيب - تكذيب بعض الآيات - أو أراد بذلك التشكيك في بعض الآيات. كل هذا من الكفر بالله عَزَّجَلَّ - التكذيب أو التشكيك.

وإذا لم يكن من هذا القبيل، فلا يدخل في الكفر الأكبر. ولا يدخل في قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿مَا يَجِدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله: (وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ فَقَالَ: مَا النَّاشِطَاتِ نَشْطًا؟ فَقَالَ: لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ عُقْنَكَ). وجاء الأثر في مواطن متعددة، ومن ذلك ما رواه الدارمي في سننه. وهذا الرجل هو صبيغ بن عسل. كان يسأل بعض الأسئلة فيما يتعلق بالقرآن، لا على سبيل الاسترشاد.

ولو كان مسترشداً لَبَيَّنَ له. فلما علم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لم يكن من قبيل المسترشد، وإنما له غرض آخر غير الاسترشاد، ضربه ضرباً شديداً. حتى في جاء في بعض الروايات أن دمه سال إلى قدمه أو إلى كعبه. فضربه، ثم تركه، ثم أعاده بعد أن عوفي، وضربه ضرباً شديداً.

فقال صبيغ لعمر: "إن كنت أردت قتلي فأحسن القتلة، وإن كنت أردت أن تذهب ما في رأسي، فوالله قد ذهب، ما في رأسي".

ثم احتاط عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمسلمين، فأمر بهجره إلى سنة كاملة، حتى يُنظر: هل هو صادق أم لا؟

ولهذا ذهب بعض العلماء كالإمام أحمد وغيره: إلى أن الداعية إلى البدعة إذا أظهر التوبة، يُترك مدة سنة للاختبار حتى يُعرف: هل هو صادق أو غير صادق. فإن الداعية من دعاة أهل البدع قد يتظاهر بالرجوع من قبيل المكر، ويريد أن يصطاد من جديد - يصطاد ما استطاع من أهل السنة - فيتظاهر بالتوبة وهو من الماكرين.

فذهب الإمام أحمد إلى أنه يُترك سنة كاملة، كما فعل عمر بصبيغ بن عسل. وهذا في الداعية إلى البدعة، وليس في أي مبتدع؟ إنما في الداعية إلى البدعة الذي قد دخلت البدع إلى قلبه وتمكنت منه، وصار يدعو الناس إلى تلك البدع ويزينها للناس ويحث الناس على البدع، ثم يتظاهر بالتوبة.

فهذا ذهب بعض السلف إلى أنه يُؤجل بعد التوبة إلى مدة سنة، يُنظر فيه: هل هو صادق في توبته أو ليس بصادق! ذهب إلى هذا - كما عرفنا - بعض العلماء كالإمام أحمد - رحمة الله عليه -.

وكل هذا من قبيل الاحتياط لدين المسلمين من دعاة البدع والأهواء.

بعد ذلك، لما خرج الخوارج في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاء إلى صبيغ من جاءه، وقيل له: أناس خرجوا يقرأون القرآن، ويقولون كذا وكذا، يريدون أن يهيجوه إلى بدعة الخوارج. فقال: "لقد أدبني الرجل الصالح" يعني: عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنجاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من بدعة الخوارج بذلك الأدب من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان له الشفاء والعافية.



قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ)**: ما السبب؟

السبب هو أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر في الخوارج أن سيماهم التحليق. أي: في ذلك الزمن، في أول خروجهم، سيماهم التحليق. ليس المعنى أنها صفة مستمرة في الخوارج، وإنما في أول خروجهم كانت هذه سيمة لهم. وإلا الخوارج يعرفون بعقيدتهم. حلقوا شعورهم أو كبروا شعورهم أو قصرُوا شعورهم، الخوارج يعرفون بعقيدتهم - بعقيدة التكفير - . لكن هذه سيما لهم في أول الأمر، سيما القرن الأول من قرون الخوارج، فأول ما ظهرُوا كانوا على هذه الصفة، سيماهم التحليق. **(لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ)**، أي: لتبين أنه من الخوارج الذين قال فيهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ». رواه البخاري ومسلم.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهِنَّ قَتْلَ عَادٍ». رواه البخاري ومسلم.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهِنَّ قَتْلَ نُمُودٍ». رواه البخاري ومسلم.



لا يطلق على الرجل أنه صاحب سنة حتى تجتمع السنة كلها فيه

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ فُلَانٌ صَاحِبُ سُنَّةٍ حَتَّى يَعْلَمَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصَالُ السُّنَّةِ وَلَا يُقَالُ لَهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ حَتَّى تَجْتَمَعَ فِيهِ السُّنَّةُ كُلُّهَا.

الشرح:

بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن الشخص لا يُطلق عليه صاحب سنة بمجرد تمسكه ببعض السنة وترك البعض. فصاحب السنة هو الذي تمسك بجميع السنة.

فإذا تمسك الإنسان بالسنة في بعض الأمور، ووقع في البدعة في بعض الأمور، فلا يُقال إنه صاحب سنة باعتبار ما تمسك به من أمور السنة، وأنه صاحب بدعة باعتبار ما وقع فيه من البدع - كما يقول من يقوله من الجاهلين، وهكذا يقوله من الزائغين أهل الانحراف ممن كان يتظاهر في أول الأمر بالسنة ثم صار من أهل الأهواء وظهر أمره وبان - أن الشخص قد يكون صاحب سنة في أبواب دون أبواب.

فيقال: فلان السروري مثلاً هو صاحب سنة في مسائل العقيدة - في مسائل الأسماء والصفات - وعلى العقيدة السلفية، فيقال في حقه إنه صاحب سنة وإن وقع في بدع أخرى. فيُوصف بأنه صاحب سنة باعتبار مسائل الأسماء والصفات ومسائل القدر مثلاً وغير ذلك من العقائد السلفية. فيقال إنه صاحب سنة بهذا الاعتبار، وصاحب بدعة باعتبار بدعة السرورية وما فيها من المخالفات. أو يُقال في حقه: قطبي سلفي - مبتدع من جهة، وسلفي من جهة أخرى - أو إخواني سلفي: فهو إخواني وعلى المنهج السلفي. كيف على المنهج السلفي؟ قالوا: في الأسماء والصفات يُدرس



العقيدة الواسطية، ويدرس لمعة الاعتقاد، ويقرر مذهب السلف في مسائل الأسماء والصفات، وفي مسائل القدر. فهو إخواني سلفي، وسروري سلفي، وقطبي سلفي. عجائب تصدر من بعض من يزعم الانتساب إلى العلم! فصاحب السنة لا يكون صاحب سنة حتى يترك الأهواء بالكلية، ويأخذ بالسنة ويترك البدعة.

وأما إذا تمسك بالسنة في بعض الأمور وترك السنة ووقع في بدعة في بعض الأمور، فلا يُقال في حقه إنه صاحب سنة. لا بد أن يأخذ بالسنة في جميع أموره. لا أعني أن صاحب السنة لا يحصل منه خطأ وزلل - من الذي يسلم من الخطأ والزلل؟! - لكن يتعد عن البدع والأهواء، ويأخذ بالسنة.

فهذا الذي يُطلق عليه صاحب سنة. وأما صاحب سنة من وجه ومبتدع من وجه، فهذا من الابتكارات والاختراعات في مثل هذه الأعصار وفي مثل هذه الأزمان. لم يكن هذا من الأمور المعروفة عند من مضى. بل المعروف عندهم أن من وقع في بدعة، بدعه السلف، إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

فمن وقع في بدعة ظاهرة، بدعه السلف. وإن كانت خفية، بينها له. وإن أصر وعاند، حكموا عليه بالبدعة في قضية واحدة، وإن كان على السنة في سائر الأمور. كما حصل لجمع ممن مضى من أهل العلم، حكم عليهم بالبدعة في مسألة من المسائل، مع أن سائر أمورهم على السنة. فهذا الذي سار عليه من مضى.



أصل الفرق الضالة أربع فرق

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ: أَصْلُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ هَوًى أَرْبَعَةُ أَهْوَاءٍ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَهْوَاءِ تَشَعَّبَتِ الْإِثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِيَّةُ، وَالشَّيْعَةُ، وَالْخَوَارِجُ.

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللهُ: قال عبد الله بن المبارك - وهو الإمام المشهور -: أصل اثنتين وسبعين هوى. ولم لم يقل أصل ثلاث وسبعين؟ لأنَّ منها فرقة ناجية فلهذا قال: الأصل اثنتان وسبعون هوى أربعة أهواء فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى.

يقول: هذه أصول البدع. وإلا فإن البدع كثيرة جداً، لكن يرى - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - أن هذه هي أصول البدع.

(الْقَدَرِيَّةُ): وهم أتباع مَعْبُدِ الْجَهَنِيِّ، فهو أول من ثبت عنه القول بالقدر، أخذ بدعته من سوسن النصراني، كما ذكر ذلك الإمام الأوزاعي - رحمة الله عليه -. والقدرية هم نفاة القدر. والغلاة منهم نفوا مراتب القدر الأربعة المتعلقة بأفعال العباد. وغير الغلاة أثبتوا العلم والكتابة، ونفوا مطلق المشيئة، وهكذا نفوا الخلق والكلام فيما يتعلق بأفعال العباد.

قال: (وَالْمُرْجِيَّةُ). والمرجئة: أتباع ذر بن عبد الله المرهبي.



يُقال إنه أول من قال بالإرجاء هو ذر بن عبد الله المرهبي.

وغلاة المرجئة هم الجهمية، كما هو معلوم. وأخف المرجئة هم مرجئة الفقهاء. ولهم بعد ذلك فرق متعددة، أشدها مذهب مرجئة الجهمية، وأخف ذلك إرجاء الفقهاء.

والمرجئة - كما هو معلوم - أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهذا أمر اتفقت عليه المرجئة: إخراج العمل عن مسمى الإيمان. وعندهم أن الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض.

قال: **(وَالشَّيْعَةُ)**. وأول من أظهر ذلك هو عبد الله بن سبأ.

قال: **(وَالخَوَارِجُ)**: وهم الذين خرجوا على الأمة بالسيف، وكان خروجهم بعقيدة التكفير.

وهذا يفرق بينهم وبين البغاة، فإن البغاة خرجوا لكن ليسوا بعقيدة التكفير، فما يكفرون بكبائر الذنوب. وأما الخوارج فخرجوا عن عقيدة: كفروا المسلمين بكبائر الذنوب، واستحلوا دماءهم. وأصل الخوارج يرجع إلى ذي الخويصرة - حُرْقُوص بن زهير التميمي - ويُقال له أيضًا: ذو الثُّدَيَّة، حُرْقُوص بن زهير التميمي.

فعبد الله بن المبارك - **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى** - يرى أن هذه هي أصول أهل البدع، والعياذ بالله.



ما يخرج به المسلم من ضلالات الفرق الأربع

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

فَمَنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْبَاقِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ وَدَعَا لَهُمْ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الشَّيْعِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ.

الشرح:

من قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يتكلم في الباقيين إلا بخير ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره. والأمر كما ذكر. وهذا إذا ابتدأ بالصديق، ثم ثنى بعمر، وثالث بعثمان، ورابع بعلي، وأثنى على جميع الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، ودعا لهم بالخير، فهو خارج من التشيع أوله وآخره. فإن هناك من قدم علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على عثمان - وهو من التشيع اليسير - وهنالك من قدم علياً على الشيخين - وهذا أشد من ذلك - وهنالك من طعن وقبح في الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين - وهذا أشد وأشد. فمن حصل منه ما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، فقد خرج من التشيع من أوله وآخره.

قال: (وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِرْجَاءِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ): فإن هذه العقيدة خلاف عقيدة المرجئة. فالمرجئة لا يقولون: الإيمان قول وعمل. فمنهم من يرى أن الإيمان مجرد الكلمة - كالكرامية - ومنهم من يرى أن الإيمان مجرد التصديق - كالأشاعرة - أو المعرفة - كالجهمية - ومنهم من يرى أن الإيمان قول اللسان وتصديق القلب من غير عمل الجوارح - كمرجئة الفقهاء.



فعلى كل: من قال: الإيمان قول وعمل، وأثبت الزيادة والنقصان في الإيمان، فإنه بريء من مذهب المرجئة. فإن جميع فرق المرجئة لا يرون أن الإيمان يزيد وينقص، ولا يدخلون العمل في مسمى الإيمان. فمن قال ذلك فقد خرج من إرجاء أوله وآخره.

وننبه ها هنا أن ما رُمي به العلامة الألباني - رَحِمَهُ اللهُ عليه - من هذه البدعة - بدعة الإرجاء - رمي له بما ليس فيه والشيخ - رَحِمَهُ اللهُ عليه - بريء من ذلك. وهو يقرر هذه العقيدة الصحيحة في كتبه وفي صوتياته.

فيرى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وكلامه في ذلك كثير في تقرير هذه الأمور.

فيصرح بما صرح به السلف: من أن الإيمان قول وعمل، وأن الإيمان يزيد وينقص.

ومن كان كذلك - كما قال البرهاري رَحِمَهُ اللهُ - فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره. فالمرجئة ما يقولون ذلك. والشيخ - رَحِمَهُ اللهُ عليه - يقرر هذا ويصرح به في مواطن متعددة: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. ومع هذا يرمى بهذه البدعة النكراء - بدعة الإرجاء - وهو منها بريء - رَحِمَهُ اللهُ عليه -. وما عُرف إلا بالسنة والاستقامة على المنهج السلفي، وما عُرف إلا بالعقيدة الصحيحة - رَحِمَهُ اللهُ -.

روى إسحاق بن راهويه في مسنده أن شيبان قال لعبد الله بن المبارك: "ما تقول فيمن يزني ويشرب الخمر، أهو مؤمن؟"

قال: "لا أستطيع أن أخرجه من الإيمان".

فقال له - يقول شيبان لعبد الله بن المبارك -: "صرت مرجئاً على كبر سنك".

فقال ابن المبارك: "المرجئة لا يقبلونني. أنا أقول: الإيمان يزيد وينقص، وهم ما يقولون ذلك". فيقول له: ترميني بدعة الإرجاء، والمرجئة لا يقبلونني فيهم، ما يرضون أن أكون منهم. وأنا أقول: الإيمان يزيد وينقص. ما أحوجك إلى أن تأخذ سبورة ثم تجالس العلماء".

فهذا أراد أن يرمي عبد الله بن المبارك بهذه البدعة؛ لأنه لم يخرج أصحاب الكبراء من الإيمان مطلقاً.

ومراد عبد الله بن المبارك: أن من حصل منه زنى أو سرقة لا يخرج من أصل الإيمان كما تقول الخوارج فيصير من الكافرين.

وليس المعنى أن إيمانه كامل كما تقوله المرجئة: لا يضر مع الإيمان معصية. وهذا ظن أن ابن المبارك يذهب هذا المذهب - مذهب المرجئة - وأنه لا يضر مع الإيمان معصية، والإنسان مهما عصى الله **عَزَّوَجَلَّ** فهو كامل الإيمان، إيمانه كإيمان جبريل. وليس هذا مراد عبد الله بن المبارك. مراده: أنه لا يخرج من الإيمان بالكلية كما تقوله الخوارج، فيصير من الكافرين.

فلما سمع هذه الفتوى من عبد الله بن المبارك، رماه بدعة الإرجاء: "صرت مرجئاً على كبر سنك". فقال: إن المرجئة لا يقبلونني. أنا أقول: الإيمان يزيد وينقص، والمرجئة لا يقولون ذلك. ما أحوجك إلى أن تأخذ سبورة وتجالس العلماء.

والشيخ الألباني - **رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ** - يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ويرى الاستثناء في الإيمان، ويرى أن الخلاف بين مرجئة الفقهاء وبين السلف من الخلاف الحقيقي، ما هو من الخلاف اللفظي. ويصرح بأن العمل داخل في مسمى الإيمان، وأنه لا يتصور إيمان من غير عمل - هذا شيء من الخيال - أنه يكون شخص عنده



إيمان وما عنده عمل. يرى أن هذا أمر من أمور الخيال. ويصرح بهذه التصريحات الصحيحة السليمة المناقضة لمذهب المرجئة مناقضة جذرية، ثم يُرمى بعد ذلك ببدعة الإرجاء - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

روى الخلال في كتابه "السنة" أن رجلاً سأل الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ عليه - فقال له: "الذي يقول: إن الإيمان يزيد وينقص" - قال: "قد برئ من الإرجاء". فإذا كان يقول: الإيمان يزيد وينقص، المرجئة ما يقولون هذا. هذا بريء من الإرجاء. فكيف بمن يصرح بما هو أوسع من هذا؟! مما هو مناقض جذرياً لبدعة المرجئة.

فهو أولى بأولى أن يخرج من هذه البدعة، كالشيخ - رحمة الله عليه -.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَنْ قَالَ الصَّلَاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَلَمْ يَرَ الْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ بِالسَّيْفِ، وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ.

الشرح:

والأمر كذلك، فليس هنالك من فرق الخوارج من ترى هذا الرأي. وكل فرق الخوارج لا بد أن تخالف - إما في جميع هذه الأمور أو في بعضها. أما من جمع هذه الأمور التي ذكرها المؤلف، فقد خرج من مذهب الخوارج. فمن ذلك: الصلاة خلف كل بر وفاجر - والخوارج لا يرون هذا، الخوارج يكفرون بكبائر الذنوب، ولا يرون الصلاة خلف الفجار من أهل الإسلام.

وهكذا الجهاد مع كل خليفة - كذلك الخوارج يرون جهاد الخليفة لفسقه، ولا يرون الجهاد مع الخليفة إن ظهر منه الفسق.

قوله: **(وَلَمْ يَرِ الْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ بِالسَّيْفِ)**: وهذا خلاف مذهب الخوارج، فإنهم يرون الخروج على السلطان بالسيف. وهكذا المعتزلة وافقوا الخوارج في ذلك.

قوله: **(وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ)**: كذلك الخوارج ما يدعون لأولياء أمور المسلمين بالصلاح، بل يدعون عليهم بالدمار والهلاك؛ لأنهم يعتقدون كفرهم. **(وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ)**. قال: **(وَمَنْ قَالَ: الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ)**: أي: الخير والشر. وَقَدْ قَالَ بَعْدَهَا: **(خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ)**.

والأمر كذلك، فإن القدرية لا يرون هذه الأمور، ولا يعتقدون أن المقادير كلها من الله عَزَّجَلَّ.

فالقدرية لا يرون هذا: وهو أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وإنما العبد هو الذي يهدي نفسه وهو الذي يضل نفسه، قال: **(فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ، وَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ)**.





عقيدة الرافضة في الرجعة والعصمة



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَبِدْعَةٌ ظَهَرَتْ هِيَ كُفْرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ: مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ، وَيَقُولُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيٌّ وَسِيرَجٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُحَمَّدٌ بْنُ عَلِيٍّ وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، وَيَتَكَلَّمُونَ فِي الْإِمَامَةِ وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؛ فَاحْذَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ.

الشرح:

حذر المؤلف - رحمة الله عليه - عن هذا المذهب، وهو ما يُسمى بالرجعة، وهو أن هنالك من يرجع إلى الحياة الدنيا قبل يوم القيامة. وهذا القول - كما ذكر المؤلف رحمة الله عليه - كفر بالله العظيم، لما فيه من تكذيب الله عزَّ وجلَّ. فإن الله عزَّ وجلَّ قد حكم أنهم إليها لا يرجعون، كما جاء في حديث جابر في قصة والده بعد أن مات وطلب من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يعيده من أجل أن يرجع إلى الدنيا فيقاتل ويُقتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ، فأخبره الله عزَّ وجلَّ أنه قد قضى وكتب أنهم إليها لا يرجعون - أي: إلى الدنيا -.

وقد رواه أحمد في "مسنده" عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا جَابِرُ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيَا أَبَاكَ، فَقَالَ لَهُ: تَمَنَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: أُرِدُّ إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ، أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ".

فهذا حكم قد حكم الله به، وقال الله تعالى: ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكْنَهَا أَتَهُمَّ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

فلا يرجع الناس قبل يوم القيامة، وإنما يبقى الناس في قبورهم إلى أن يأتي البعث والنشور، فقد قضى **عَزَّجَلَّ** وكتب ذلك.

وهناك من يرى أن ممن يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ويتأولون قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

وتأولوا المعاد: أنه الرجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة. وهذا التأويل من التأويل الباطل. فإن العلماء من أئمة السلف اختلفوا في المعاد في هذه المسألة ولم يذكروا هذا القول. وإنما أكثرهم ذهب إلى أن المراد بالمعاد: هو الرجوع إلى مكة بعد أن أخرج منها - أي: سوف يرجع ظاهراً منتصراً على أهل مكة بعد أن أخرج منها - ومنهم من ذهب إلى أن المراد بالمعاد هو يوم المعاد: البعث والنشور. ومنهم من قال: المراد بذلك: الجنة، فإن آدم أبا البشر أخرج منها، ثم يحصل العود إليها هو ومن آمن من ذريته.

أما هذا القول فإنه من الأقوال الباطلة المخالفة للأدلة.

قال: (وَبِدْعَةٍ ظَهَرَتْ هِيَ كُفْرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ، مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ وَيَقُولُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَيٌّ): فهو لاء ذهاباً إلى أن علي بن أبي طالب حي. ومنهم من يقول: فوق السحاب، وأنه ما قُتل وإنما شُبه - قُتل الشبه - أما علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فرفعه الله كما رفع عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وقتل القاتل - وهو عبد الرحمن بن ملجم - فقتل شبيهه، وما قُتل علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، بل هو حي فوق السحاب. وأن الرعد الذي يُسمع هو صوت علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



وكل هذا من الأقوال الباطلة.

قال: (وَسِيرْ جُعْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ): أي: كل هؤلاء سيرجعون - (وَيَتَكَلَّمُونَ فِي الْإِمَامَةِ وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ). ولا يعلم الغيب - كما هو معلوم - إلا رب العالمين سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

فالله هو الذي اختص بعلم الغيب، فلا يعلم الغيب لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا أحد من خلق الله عز وجل. فهو علم اختص الله به، قال: (فَاَحْذَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ).



تحقيق القول في تقديم علي على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ طُعْمَةُ بْنُ عَمْرٍو وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: مَنْ وَقَفَ عِنْدَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَهُوَ شِيعِيٌّ لَا يُعَدَّلُ وَلَا يُكَلَّمُ وَلَا يُجَالَسُ، وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُوَ رَافِضِيٌّ، قَدْ رَفَضَ آثَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمَنْ قَدَّمَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى جَمِيعِهِمْ وَتَرَحَّمَ عَلَى الْبَاقِينَ وَكَفَّ عَنْ زَلْلِهِمْ، فَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْهُدَى فِي هَذَا الْبَابِ.

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ طُعْمَةُ بْنُ عَمْرٍو وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: مَنْ وَقَفَ عِنْدَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَهُوَ شِيعِيٌّ): الذي يظهر أن مراده بذلك: وقف فلم يفضل أحدهما على الآخر، بل توقف في هذه المسألة فقال: "لا أقدم عثمان على علي، ولا أقدم علياً على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا". قال: (فَهُوَ شِيعِيٌّ). بمجرد التوقف في هذه القضية. قال: (لَا يُعَدَّلُ وَلَا يُكَلَّمُ وَلَا يُجَالَسُ).

(وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ) أي: صرح بالتقديم، ففضل علياً على عثمان. قال: (فَهُوَ رَافِضِيٌّ): وهذا القول فيه نظر. فإن مسألة التفضيل بين علي وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليست من المسائل التي يُبدع فيها المخالف ويُضلل، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله عليه - في العقيدة الواسطية وفي غيرها. وبين - رحمه الله عليه - أن المسألة التي يُبدع فيها الشخص ويُضلل ما يتعلق بأمر الخلافة.



فمن قال: إن علياً كان أولى بالخلافة من عثمان، فهذا الذي يُضلل ويُبدع، باعتبار أن الصحابة أجمعوا على تقديم عثمان على علي في أمر الخلافة، ولا يجمعون على خطأ.

فأمر الخلافة قد حصل فيه الإجماع، فيُضلل في مسألة الخلافة.

وهكذا من قال: إن خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما هي خلافة راشدة، فإنه يُضلل ويُبدع. ومن قال: إن خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما هي خلافة راشدة، فيُبدع ويُضلل. أما قضية التفضيل، فليست من المسائل التي يُبدع فيها الشخص ويُضلل، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه - والمؤلف هاهنا يقول: **(فَهُوَ رَافِضِيٌّ)**. فهذا القول فيه نظر.

قال: **(قَدْ رَفَضَ آثَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)**.

قال: **(وَمَنْ قَدَّمَ الْأَرْبَعَةَ) - أي: الخلفاء الأربعة - (عَلَى جَمِيعِهِمْ) - أي: على جميع الصحابة - (وَتَرَحَّمَ عَلَى الْبَاقِينَ)** بهذا الشرط.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال: **(وَتَرَحَّمَ عَلَى الْبَاقِينَ، وَكَفَّ عَنْ زَلَّتْ لَهُمْ)**: فلم يتكلم في معانيهم، ولم يتنقص فيهم، ولم يتتبع زلاتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال: **(فَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْهُدَى فِي هَذَا الْبَابِ)** أي: في باب الصحابة.

وبعد ذلك يُنظر في سائر الأبواب. والشخص قد يستقيم حاله في باب من أبواب الدين وينحرف في غيره. فقد يستقيم حاله في هذا الباب ويزل في باب القدر، وقد يستقيم حاله في باب القدر ويزل في مسائل الإيمان، وقد يستقيم حاله في مسائل الإيمان ويزل في باب الأسماء والصفات.

فعلى كل: من حصل منه هذا الأمر - فقدم الخلفاء الأربعة على جميع الصحابة، وترحم على سائر الصحابة، وكف عن زلهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب، فيما يتعلق بأصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين.





الشهادة بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ بذلك



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَالسُّنَّةُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا شَكَّ فِيهِ.

الشرح:

فإن هذا من الإيمان برسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فمن الإيمان برسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يُصدق في خبره، فما أخبر النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عنهم أنهم من أهل الجنة، فنصدق النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في خبره.

فإن تكذيب النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما صح من خبره يُعتبر كفراً والعياذ بالله. والعشرة قد بشرهم النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وجمعهم في حديث واحد ولهذا قيل لهم العشرة بهذا الاعتبار وإلا الذين بُشروا بالجنة أكثر من ذلك، وهم الخلفاء الأربعة وسعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر بن فهر، والزبير بن العوام، فهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.



لا تفرد الصلاة إلا على رسول الله ﷺ

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا تُفَرِّدُ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ فَقَطْ.

الشرح:

أما ما يتعلق برسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فالأمر ظاهر. وأما ما يتعلق بآله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فإن كان على سبيل الاستقلال، فلا أعلم حجة تدل على ما قال. وإن كانت على سبيل التبع، فلا يختص الأمر بآل رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل يجوز الصلاة على رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعلى آله، وعلى أصحابه، وعلى التابعين لهم بإحسان.

فما قاله المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فيه نظر. والصلاة من حيث الأصل هي مشروعة في حق غير الأنبياء والرسل، لكن بشرط: ألا تتخذ شعاراً لأحد.

فإن الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فالله عَزَّوَجَلَّ يصلي على المؤمنين، وهكذا الملائكة عليهم الصلاة والسلام.

ويقول الله ﷻ عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاةَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة:

[١٠٣].

وقد استجاب النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأمر ربه. ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: كان الرجل إذا جاء بصدقته إلى رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، صلى عليه



رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. فجاء أبي بصدقته، فقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى». رواه البخاري ومسلم.

وفي سنن أبي داود من حديث جابر - وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" للشيخ مقبل - **رَحِمَهُ اللَّهُ** عليه - أن امرأة جاءت إلى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلِّ عَلَيَّ وَعَلَى زَوْجِي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ. فَقَالَ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى زَوْجِكَ».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة في الحديث المشهور في قول الملائكة عند خروج روح المؤمن: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتَ تَعْمُرُ بِهِ». فالصلاة على غير الأنبياء والرسل مما يُشرع، كما دلت عليه الأدلة، لكن بهذا الشرط الذي ذكرناه: ألا يتخذ الإنسان ذلك شعاراً لأحد. وهذا الذي حرره العلامة ابن القيم - **رَحِمَهُ اللَّهُ** عليه - في آخر كتابه "جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام". وهو الذي تدل عليه الأدلة: فلا تتخذ شعاراً لأحد من غير الأنبياء والرسل. فأما إذا اتخذت شعاراً لشخص معين، فإن هذا لا يُشرع.

فقول المؤلف: (وَلَا تُفَرِّدُ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**). هذا يستقيم بهذا الشرط: أي: لا تتخذ ذلك شعاراً لأحد إلا لرسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وتُشرع الصلاة على غير الأنبياء والرسل بشرط ألا تتخذ - كما عرفنا - شعاراً لأحد.

والصلاة على الآل كالصلاة على غير الآل، الأمر في ذلك مستوٍ. إن كان من قبيل التبع - كما عرفنا - فهذا يُشرع في حقهم وفي حق غيرهم. وإن كان على سبيل الاستقلال، فيُشرع في حقهم وفي حق غيرهم بشرط: ألا يتخذ شعاراً. فالقيد يعم الجميع، وهو ألا يتخذ ذلك شعاراً، سواء في حق الآل أو في حق غيرهم من الصحابة الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين.

قوله: **(وَلَا تُفَرِّدُ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ)**، وكذلك سائر الأنبياء يُصلى عليهم من باب أولى. أعني: إذا شرعت الصلاة لغير الأنبياء كما في الأدلة السابقة، فسائر الأنبياء أيضًا يُصلى عليهم من باب أولى.

وقوله: **(وَعَلَى آلِهِ فَقَطُّ)**: قلنا: هذا مشروع للآل ولغير الآل. فيصح أن يقول إنسان: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَاتَّبَاعِهِ عَلَى دِينِهِ".

فهذا مما يُشرع في قول أكثر من مضى من أهل العلم. وهذا إذا كانت الصلاة من قبيل التبع، فهذا أمر مشروع. وإنما النزاع الكبير في الأفراد.

وقوله: **(وَلَا تُفَرِّدُ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ فَقَطُّ)** - فظاهر الكلام أنه يُشرع إفراد الآل بالصلاة. وهذا خلاف الأدلة فالأدلة لا تدل على أن الآل يُفردون بالصلاة.





عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ مَظْلُومًا

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَتَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ مَظْلُومًا وَمَنْ قَتَلَهُ كَانَ ظَالِمًا.

الشرح:

وهذا كلام صحيح وكلام حق، وفي الحديث الذي في البخاري لما طلع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو والصدّيق وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا على جبل أحد، اهتز الجبل فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أُثْبِتْ أَحَدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صَدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ».

وكون عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الشهداء هذا ثابت بشهادة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا على ماذا يدل، أنه قتل بحق أو قتل مظلومًا؟ يدل على أنه قتل مظلومًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومن قتل مظلومًا فهو من جملة الشهداء.



مبالغته في وصف كتابه رَحْمَةُ اللَّهِ

□ قال الإمام البرهاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

فَمَنْ أَقْرَبَ بِنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ إِمَامًا وَلَمْ يَشْكُ فِي حَرْفٍ مِنْهُ وَلَمْ
يَجْحَدْ حَرْفًا وَاحِدًا فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ كَامِلٌ قَدْ اكْتَمَلَتْ فِيهِ الْجَمَاعَةُ، وَمَنْ
جَحَدَ حَرْفًا مِمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ أَوْ شَكَّ وَوَقَفَ فَهُوَ صَاحِبُ
هَوًى، وَمَنْ جَحَدَ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ فِي شَيْءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى مُكَذِّبًا، فَاتَّقِ اللَّهَ وَاحْذَرْ وَتَعَاهَدْ إِيْمَانَكَ.

الشرح:

سبق التعليق على ما يشبه هذه العبارات من كلام المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ عليه، وعرفنا أن
مثل هذا الكلام مما فيه نظر، فإن أحق ما يُوصف به هذا الكلام هو كتاب الله عزَّ وجلَّ.
ولا شك أن كتاب المؤلف من الكتب السلفية النافعة التي بين فيها عقيدة السلف
بيانا جلياً ظاهراً، لكن شأنه كشأن غيره من الكتب لا يخلو من شيء من الخطأ والزلل
في بعض الأمور، فقد يحتج ببعض الأحاديث الواهية وما لا أصل له، وقد يذكر بعض
المسائل التي هي من قبيل المسائل الاجتهادية التي حصل فيها النزاع من مسائل الفقه
كما مر معنا، فمثل هذا الكلام الأنسب أن يكون في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وأما الكتاب
الذي هو مما يكتبه البشر، فإنه لا يخلو من شيء من الخطأ والزلل، فلا يناسب مثل
هذا الكلام.





النهي عن الإعانة على معصية



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ السُّنَّةِ أَلَّا تُطِيعَ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا الْوَالِدَيْنِ وَلَا الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا تُحِبَّ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَآكُرُهُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الشرح:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنَ السُّنَّةِ أَلَّا تُطِيعَ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ).

وهذا أمر معلوم من سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فقد جاء في حديث علي في الصحيحين، قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ». وجاء في المسند أيضًا من حديثه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ».

فلا يُطاع أحد في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، مهما كان ذلك الشخص. فلا يجوز للشخص أن يطيع والديه في معصية الله. ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ﴾ [لقمان: ١٥].

فنهى الله عَزَّوَجَلَّ عن طاعة الوالدين إذا أمرا بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ. وهكذا لا طاعة لأولياء الأمور في معصية الله. لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ». وقوله: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

وحديث علي، وارد في طاعة الأمراء. فإن القصة واردة في شأن بعض الأمراء الذين أمرهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في بعض السرايا، ومما حصل من ذلك الأمير أنه حين غاضبه بعض أصحابه. أمرهم أن يجمعوا الحطب، فجمعوا الحطب، وأمرهم أن

يشعلوا نارًا، فأشعلوها، ثم أمرهم أن يدخلوها. فأمسك بعضهم بعضًا وقالوا: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ. فبلغ بعد ذلك الخبر للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». ثم قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ». فلا يُطَاع أولياء الأمور في معصية الله، ولا يطاع أحد من الخلق في معصية الله.

قال: (وَمِنَ السُّنَّةِ أَلَّا تُطِيعَ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا الْوَالِدَيْنِ، وَلَا الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ. لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا) (وَلَا يُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا). وفي بعض النسخ: (لَا تُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا). (وَاكْرَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

العبارة فيها بعض الضعف من حيث تركيب الكلام. فإن كان المعنى أن تلك المعاصي لا تُحب وتُكره - لقوله بعد ذلك: (وَاكْرَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ) - فقوله: (وَاكْرَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ) يدل على أن قضية المحبة تتعلق بتلك الأمور التي هي من معصية الله عَزَّوَجَلَّ. فتلك المعاصي لا تُحب وتُكره لله تبارك وتعالى؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ نهى عنها. فالكلام يدور على هذا المعنى أو ما يقرب منه، وإن كان تركيب الكلام فيه شيء من الضعف. (وَلَا يُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا) (وَلَا تُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا، وََاكْرَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى). أو على معنى: (وَلَا تُحِبُّ عَلَيْهِ) أي: عائد على الله عَزَّوَجَلَّ، بمعنى: لا تُقدم محبة غير الله عَزَّوَجَلَّ على الله عَزَّوَجَلَّ، فتطيع غير الله عَزَّوَجَلَّ في معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. (وَاكْرَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ) من معصية الله عَزَّوَجَلَّ لله تبارك وتعالى. فقد يحمل الكلام على هذا المعنى.

(وَلَا يُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا). أي: لا تُحب أحدًا على الله عَزَّوَجَلَّ. فإن محبة الخلق تابعة لمحبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فإذا أمرت من تُحبه بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ، فلا تُقدم محبة غير الله عَزَّوَجَلَّ على محبة الله. بل أطع ربك، واعص من أمرت بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ. فقد يُحمل الكلام على هذا المعنى ويستقيم حينئذ. والله تعالى أعلم.





الآثار الواردة في لزوم السنة والتحذير من البدع



□ قال الإمام البرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ، وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَاتَ، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ تَقْصِيرٌ فِي الْعَمَلِ.

وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "السُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ السُّنَّةُ".

وَقَالَ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ".

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "الْعَجَبُ مَنْ يَدْعُو الْيَوْمَ إِلَى السُّنَّةِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ الْمُجِيبُ إِلَى السُّنَّةِ".

وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ يَقُولُ عِنْدَ الْمَوْتِ: السُّنَّةُ السُّنَّةُ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ، حَتَّى مَاتَ.

الشرح:

وهذه العبارات من كلام هؤلاء الأئمة فيها الترغيب في لزوم السنة. فذكر عن الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ** أنه قال: (مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ) - أي تمسك بها ظاهراً وباطناً في العقيدة وفي العمل - (وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

وهذا أمر لا بد منه، ونص عليه الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ** لأهميته. وإلا فإن من لزوم السنة الكف عن أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإن هذا مما جاءت به السنة، فقد نهى النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن سب الصحابة: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي». رواه البخاري ومسلم.

فمن لزم السنة، فلا بد أن يكف عن أصحاب رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. (ثُمَّ مَاتَ) - أي على ذلك - (كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) - أي: مع من أنعم الله عليهم -.

فإن لزوم السنة هو أصل الهداية. والله يقول - أمرًا عباده أن يدعوه بأوجب دعاء - : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

فلزوم السنة أصل الهداية. فإن من لزم السنة نجا من الغواية، وكان على الصراط المستقيم. ومن كان على الصراط المستقيم، كان مع المنعم عليهم. ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

والمنعم عليهم، بينهم الله في كتابه: ﴿قُلُوبُكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. فمن لزم السنة كان مع هؤلاء.

قال رحمه الله: (مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ، وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَاتَ) - أي على ذلك، ولم يغير ولم يبدل - . فمن وفقه الله عزَّجَلَّ على التمسك بالسنة والموت على السنة فقد أفلح.

ونحن في أزمان كثرت فيها الفتن، وفي أزمان كثرت فيها التقلبات. والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

كم من شخص لزم السنة فترة من الزمن، ثم انتكس إلى البدع والأهواء، والعياذ بالله. فتن: إما بالشبهات المضلة، وإما بالشهوات، وإما بهما - وهذا أشد ما يكون: أن يُفْتَنَ الشخص بالشبهات والشهوات معًا.



والشهوة إذا تمكنت، قويت الشبهة وتمكنت في القلب، والعياذ بالله. ونسمع من حين لآخر من الأمور المؤلمة: ممن كان على خير واستقامة وعلى سنة وثبات على المنهج السلفي، فما تأتي الفتن إلا وذاك يتكس، وذاك ينحرف، وصار ينكر ما كان يعرف، ويعرف ما كان ينكر. فكان ينكر على أهل البدع والأهواء، ويحذر من كذا وكذا - يحذر من الإخوان والجمعيات، يحذر من أبي الحسن، يحذر من كذا وكذا غاية التحذير - وتأتي فتنة، فإذا به ينقلب إلى هؤلاء، فيعرف ما كان ينكر، وينكر ما كان يعرف، والعياذ بالله، ويبتعد عن السنة شيئاً فشيئاً، ويتجه إلى الشهوات، وتتمكن من قلبه الشبهات، والعياذ بالله.

وأناس كان لهم المكانة والشأن، ويوصفون بالعلم والثبات، وحصلت لهم مثل هذه الأمور. وفي ذلك عظة وعبرة: أن الهداية بيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، والثبات بيد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فليس الثبات بكثرة العلم، وإنما العلم وسيلة وسبب من أسباب الثبات، لكن لا يتكل الإنسان على علمه فيُخذل، ولا يتكل على فهمه فيُخذل، وإنما يتوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ** ويعتمد عليه.

كان نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يكثر من الدعاء بالثبات: **«اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»**. رواه الترمذي وأحمد، وقد عصمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من الزيغ والضلال، فنحن أولى بمثل هذه الأدعية، ونخاف على أنفسنا. ومن خاف على نفسه وتوكل على ربه، فلن يخذله ربه. فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يجازي الصادقين بصدقهم. وإنما يُؤتى الشخص من جهة نفسه: إما من جهة ذنوبه - تكثر عليه الذنوب فتسقطه - أو من اعتماده على نفسه - على علمه وفهمه وعلى فطنته وذكائه - فيُخذل. وإلا من كان صادقاً مع الله **عَزَّوَجَلَّ** في ظاهره وباطنه، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** يزيده توفيقاً ويزيده ثباتاً.

قال: (مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ، وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَاتَ، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ تَقْصِيرٌ فِي الْعَمَلِ).

نعم. فصاحب السنة ينال الأجر العظيم بلزومه للسنة وإن قل عمله. وصاحب البدعة وإن أكثر من العمل، فإن تلك الأعمال الكثيرة مع البدعة لا تُقبل منه. أعني: إذا كان العمل على خلاف السنة، فإذا أكثر من العمل على خلاف السنة، فإن العمل لا يُقبل منه مهما اجتهد ومهما أكثر، فإن من شروط قبول العمل: الإخلاص والمتابعة. وصاحب السنة وإن أتى بالعمل اليسير الموافق لسنة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو في خير، ويُرجى له النجاة من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يكون مع المُنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وقوله: (وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "السُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ السُّنَّةُ").

سبق الكلام على هذه الجملة فيما مضى، وعرفنا أن السنة تُطلق على الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومعلوم أن الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والسبيل الذي كان عليه النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هو الإسلام.

فإن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أرسله الله عَزَّوَجَلَّ بالإسلام، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، والحكمة: هي السنة.

فالسنة تُطلق على معنى عام، وتُطلق على معنى خاص، وعلى معنى أخص. فالمعنى العام: هو الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فتشمل جميع الدين.

وتطلق السنة وتكون قسيمة للقرآن، فيقال: الكتاب والسنة.



وتُطلق السنة على معنى أخص، وهو الإطلاق الاصطلاحي، فيطلقون السنة على الأمر المستحب، فيقولون: هذا سنة وهذا واجب.

والمراد بالسنة في هذا الموضوع: المعنى العام.

فكل ما كان عليه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هو السنة.

فالإسلام لا يخرج عن السنة، والسنة هي الإسلام. فالسنة: هي جميع الإسلام، والإسلام لا يخرج عن السنة.

قال: **(إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ**

ﷺ)؛ باعتبار أن أصحاب السنة اقتدوا بالصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين.

﴿وَالسَّيْقُونِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة:

١٠٠]، فأهل السنة اتبعوا الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بإحسان، فاهتدوا بهديهم، واقتفوا

آثارهم، فكانوا أشبه الناس بأصحاب رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فلهذا قال: إذا رأيت رجلاً من أهل السنة فكأنما أرى رجلاً من أصحاب رسول الله

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنهم أشبه الناس بالصحابة. وليس المعنى المماثلة التامة من كل

وجه، وإنما هم أشبه الناس بالصحابة باعتبار أنهم ساروا بسيرهم واقتفوا آثارهم.

قال: **(وَإِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ، فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ).**

وذلك لأن أهل البدع هم أقرب الناس إلى النفاق، وأشبه الناس بالمنافقين، وإن لم

يمثلوا المنافقين من كل وجه، لكنهم أشبه الناس بهم.

وكان محمد بن سيرين **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى يرى أن أهل البدع أسرع الناس ردة.

والأمر كذلك، فإن البدع هي بريد الكفر.

والمتمثل في أحوال أهل البدع والأهواء يجد مصداق ذلك: كيف أن البدع تدنت

بهم وتسفلت بهم إلى الزندقة، والعياذ بالله.

ومن يتأمل في أحوال أهل البدع يجد ذلك، وأنهم أقرب الناس إلى الردة، وأسرع الناس في قبول الباطل، والعياذ بالله.

فلهذا يقول: **(وَإِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ، فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ).** وإذا حصل التمكن والظهور والقوة للمنافقين أو لأهل الكفر، يجد الشخص العجب العجائب من أهل البدع والأهواء، فيسيرون مع أهل الكفر كسير المنافقين مع أهل الإسلام.

قوله: **(وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَجَبُ مِمَّنْ يَدْعُو الْيَوْمَ إِلَى السُّنَّةِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ الْمُجِيبُ إِلَى السُّنَّةِ):** العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة. و

يونس بن عبيد يقول هذا الكلام في زمنه، وذاك الزمن بالنسبة لزماننا زمن عافية. فيرى أن المتمسكين بالسنة في قلة، وأن دعاة الأهواء والباطل قد كثروا، فيتعجب ممن يدعو إلى السنة في زمنه، ومن يستجيب إلى السنة من الناس؛ لقلّة المستجيبين ولكثرة المعرضين، لقلّة من يدعو إلى السنة وكثرة من يدعو إلى البدعة. فإذا كان هذا كلام يونس بن عبيد في زمنه، فكيف بأزماننا؟! فالأمر أعجب وأعجب. والنبى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول: **«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».** كما جاء في مسلم عن أبي هريرة، وجاء بنحوه من حديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، والأحاديث في الباب متعددة.

وقد ذكر العلامة ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أن العلماء غرباء باعتبار الجاهلين، وأن المتمسك بالسنة غريب باعتبار المتمسكين بالبدعة، وأن من يدعو إلى السنة ويصبر عليها غريب باعتبار غيره، وأهل العلم غرباء باعتبار الجاهلين، وأهل الإسلام غرباء باعتبار الكافرين، وأهل الإيمان غرباء حتى باعتبار المسلمين - لقلّتهم - فإن أهل



الإيمان أقل من أهل الإسلام. فلو نظرنا إلى أهل الإسلام وإلى أهل الإيمان، وجدناهم كالغرباء، حتى في أوساط المسلمين.

والذي يدعو إلى السنة، ويدعو إلى الخير، فهو من أغرب الغرباء. "فطوبى للغرباء"، كما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فأهل الغربة لهم الفضل ولهم الشرف ولهم الثواب الكبير. فإن حالهم كحال الناس في أول الإسلام. والإسلام كان غريباً في أوله؛ لانتشار الشرك والكفر. ثم حصلت القوة للإسلام والمسلمين، وانتشر الإسلام في بقاع الأرض. ثم يرجع الإسلام إلى الغربة في آخر الأزمان. **«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»**.

والتمسك بالسنة هو غريب باعتبار الناس وباعتبار أهل البدع والأهواء ودعاة الشر، وإلا فليس بغريب عند ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، بل هو القوي بربه، وهو المعروف والمشهور عند ربه، وله المكانة والرفعة والعلو بقدر تمسكه بالحق.

فليس المعنى أنه مهان ذليل لا شأن له ولا قيمة له، بل هو الكريم عند ربه، وهو من أولياء الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والله يؤيده وينصره في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وله العاقبة في الدنيا وفي الآخرة. **﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]**.

لكن الغربة التي هي حاصلة له باعتبار الخلق، باعتبار أهل البدع والأهواء ودعاة الشر ودعاة الباطل. وكلما كثر الشر، ينبغي على العبد أن يتجه إلى الخير. وكلما كثرت البدع، ينبغي للعبد أن يزداد تمسكاً بالسنة، فإن له الرفعة والمكانة عند ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال: **(الْعَجَبُ مِمَّنْ يَدْعُو الْيَوْمَ إِلَى السُّنَّةِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ الْمُجِيبُ إِلَى السُّنَّةِ)**.
هكذا تعجب **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى فيمن يستجيب إلى السنة، لكثرة دعاة الباطل، ولأن دعاة

الباطل يدعون الناس بالشهوات والشبهات، ولا يكاد يسلم من ذلك إلا من سلمه الله عزَّجَلَّ.

ولما قال حذيفة بن اليمان للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ - أَيِ: الَّذِي فِيهِ دَخَنٌ - مِنْ شَرٍّ؟" فقال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: "نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا".

وعن عبد الله بن مسعود، قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فالسبل كثيرة، وعلى كل سبيل شيطان من شياطين الجن، ومن شياطين الإنس. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى الْآخَرِ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. شياطين الإنس مع شياطين الجن يدعون الناس إلى تلك السبل. فقطاع الطرق كثر، والسبل كثيرة، ودعاة الشر كثر، ودعاة الخير قلة. ودعاة الشر يدعون الناس بالشبهات المضلة والشهوات المضلة، فتتنجذب النفوس، فإن النفوس ميالة إلى الهوى إلا من رحم الله عزَّجَلَّ.

فلهذا يتساقط أكثر الخلق في الشر، ولا ينجو إلا من أراد الله له الخير، وهم القلة في الناس. وهذا هو واقع الناس: فإن الناس يستجيبون لدعاة الضلال، لدعاة الكفر والزندقة، ولدعاة النفاق، ولدعاة الرذيلة، ولدعاة البدع والأهواء، أكثر من استجابتهم لدعاة الحق. وذلك أن الجنة حُفَّتْ بالمكاره، فلا يصبر عليها إلا الصابرون الذين قد تمكن الإيمان في قلوبهم، وأما النار فإنها حُفَّتْ بالشهوات، فينجذب إليها أكثر الخلق إلا من رحم الله عزَّجَلَّ.



قوله: (وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ عِنْدَ الْمَوْتِ: السُّنَّةُ السُّنَّةُ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ حَتَّى مَاتَ): بمعنى: الزموا السنة وتمسكوا بها. (وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ حَتَّى مَاتَ).

فكان يقول: "السُّنَّةُ السُّنَّةُ" في مرض موته، ويقول: "وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ".

وهذا مما يدل على ما كان عليه السلف رحمهم الله من تعظيم السنة، ومن محبة السنة، ومن التحذير من البدع والهوى. ولم يمنعه ما هو فيه من شدة الموت أن يوصي الناس بهذه الوصية العظيمة، ويحذر الناس من هذا الشر العظيم - وهو شر أهل البدع والأهواء - . والذي يقرأ في آثار السلف في اهتمامهم البالغ بالسنة والدعوة إلى السنة والتحذير من البدع والأهواء، يعلم أن أولئك القوم ما رفعهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا لصدقهم مع ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولشدة تمسكهم بالسنة وابتعادهم عن أهل البدع والأهواء.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فُرِّيَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: عَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَنِ السُّنَّةِ.

الشرح:

وهذه رؤية منامية قصها الإمام أحمد رحمه الله عليه. والرؤية المنامية يُستأنس بها إذا لم تخالف أدلة الشرع. ومعلوم أن السنة لها شأن عظيم، والسنة هي الإسلام، والإسلام هو السنة - على ما سبق - .

فلا يبعد أن تكون هذه الرؤية رؤية صالحة.



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ مُسْتَوْرًا فَهُوَ صِدِّيقٌ، الْإِعْتَصَامُ
بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ.

الشرح:

قال: (مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ مُسْتَوْرًا) أي: لم يظهر منه الفسق والفجور، بل كان في ستر من الله عَزَّوَجَلَّ. والمستور الذي لم يظهر منه الفسق والفجور، ولم يكن مُعلنًا للذنوب والمعاصي، تُرجى له العافية وإن حصل منه شيء من الذنوب والمعاصي. يقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ». رواه البخاري ومسلم. فُتُرجى له العافية.

فيقول الله عَزَّوَجَلَّ له في الآخرة: «سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ». وهكذا الذي يتستر بمعصيته ولا يجاهر بها، فما زال في قلبه شيء من الحياء، والحياء خير، قد يدعوه ذلك إلى التوبة وعدم الإصرار على ذلك الذنب. فإذا كان العبد متمسكًا بالسنة بعيدًا عن البدع، وهو مستور لم يظهر منه شيء من الفسق والفجور، فيقول أبو العالية رَحِمَهُ اللهُ: (فَهُوَ صِدِّيقٌ) أي: مرتبته بعد مرتبة النبوة. قال: (مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ مُسْتَوْرًا فَهُوَ صِدِّيقٌ).

وعلى كل: من مات على السنة فلا شك أنه مات على الخير كله، لكن قد يكون في منزلة الصديقين، وقد يكون في منزلة الشهداء، وقد يكون في منزلة الصالحين، فهو من المنعم عليهم.

قال: (الْإِعْتَصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ). والأمر كذلك، فالمعتصم بالسنة ينجو من الكفر، وينجو من الشرك، وينجو من البدع والأهواء، وينجو من سائر الذنوب والمعاصي.



وإن زل في شيء من ذلك، فينجيه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إما بالتوبة، أو يتفضل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه بالمغفرة بسبب تلك الحسنات العظام التي جاء بها.

فالاغتصام بالسنة من أعظم الحسنات، فيرجى له العفو والمغفرة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فقال: **(الْإِعْتَصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ)**. والله يقول: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

فالاغتصام بالكتاب والسنة نجاة من الكفر، ونجاة من الشرك، وهكذا نجاة - كما عرفنا - من البدع والأهواء.



خطر الإصغاء إلى أصحاب البدع والنهي عن مجالستهم والأمر بهجرهم

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ أَصْغَى بِأُذُنِهِ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ، خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللهِ، وَوُكِّلَ إِلَيْهَا.

الشرح:

قوله: (مَنْ أَصْغَى بِأُذُنِهِ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ، خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللهِ، وَوُكِّلَ إِلَيْهَا): يعني إلى البدع.

وفي هذا ما فيه من التحذير البالغ من السماع لأهل البدع والأهواء. فالذي يسمع لأهل البدع والأهواء ولا يبالي بتحذير النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من البدع ومن أهلها، ولا يبالي بتحذير أئمة السنة من البدع ومن أهلها، ويقول: "أنا أسمع، وأخذ المفيد، وأترك ما ليس بمفيد" - فهذا كما ذكر، يكله الله عَزَّوَجَلَّ إلى نفسه؛ لأنه اغتر بنفسه.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «مَنْ سَمِعَ بِالْذَّجَالِ فَلَيْنًا عَنْهُ». رواه أبو داود وأحمد. وهو دجال يدعي الألوهية والربوبية، وكذبه ظاهر، مكتوب بين عينيه "كافر"، ما فيه لبس، يقرأ ذلك كل مؤمن - قارئ وغير قارئ - ويدعي هذه الدعوى التي ادعاها فرعون - يدعي الألوهية ويدعي الربوبية -.

ومع هذا يحذر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من السماع له، وأنه يأتيه الرجل يظن أنه مؤمن، فيتابعه مما يلقيه إليه من الشبهات.



فكيف بمن لا يدعي هذه الدعاوى، يدعي أنه صاحب سنة، وأنه صاحب علم، وأنه صاحب توحيد، وأنه يدعو إلى كتاب الله وإلى سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وإلى منهج السلف، وهو من أهل البدع والأهواء لكنه من الماكرين.

فكيف تأمن على نفسك حين أن تسمع له؟!

فالواجب هو الابتعاد عن ذلك، فهناك من الناس من يترك الدروس النافعة - دروس السلفيين الصافية النافعة - ويذهب إلى أهل البدع والأهواء: إلى دروس العصيمي، ودروس الخضير، ودروس الحازمي، ودروس فلان وفلان، والشنقيطي، ويترك دروس العلامة ابن باز والعلامة العثيمين، ودروس أئمة السنة الكبار، ومن عُلِمَ بالصفاء والنقاء ممن مات منهم ومن الأحياء - وهم كثر - وينفخ في مثل هؤلاء وأنهم أهل التأصيل وأنهم وأنهم، وهم أهل بدع وأهواء.

فكل هذا من الخذلان: أن يترك المرء الخير الصافي ويتجه إلى الغبش، كالذي يترك العسل المصفي ويذهب إلى العسل المغشوش.

فهذا من الخذلان ومن أسباب الزيغ والانحراف عن الصراط المستقيم، والوقوع في البدع. وهذا هو الطريق الموصل إلى البدع: الإصغاء لأهل البدع ومجالسة أهل البدع، وهو الطريق الموصل إلى الانحراف عن السنة والزيغ والضلال. فالواجب هو الابتعاد عن السماع لأهل البدع والأهواء.

في دروس علماء السنة الخير والبركة، وهي دروس نافعة، ما فيها شيء من المكر والخداع، ولا فيها شيء من التلبيس، ولا فيها شيء من البدع والأهواء.

فالواجب الاستماع لدروس أهل السنة وحضور مجالس أهل السنة، والابتعاد عن أهل البدع والأهواء.

والشنقيطي الذي أقصده هو المعاصر وليس صاحب "أضواء البيان" - فصاحب "أضواء البيان" من علماء السنة الأفاضل رحمة الله عليه، من كبار علماء السنة. وإنما وكتبه كتب مفيدة، وله صوتيات نادرة تدل على سعة علمه وقوة حفظه رحمة الله عليه. كان الشيخ مقبل رحمة الله عليه يقول: يقرأ من ولا يتتعتع. ولو قرأ أحدنا من كتاب لتتعتع.

كنا نسمع هذا من الشيخ مقبل رحمة الله عليه ونتعجب. ثم وقفنا على بعض الصوتيات للعلامة الشنقيطي صاحب "أضواء البيان"، ورأينا فيها العجب: كيف يسرد الأدلة ويتكلم بالكلام الموزون المرتب، ويسرد الكلام سرّداً من غير تتعتع - رحمة الله عليه -.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاظٍ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ لَمْ يُعْطَ الْحِكْمَةَ.

الشَّرْح:

والأمر كما قال؛ فإن الحكمة هي إصابة الحق، ولا يكون العبد مصيباً للحق إلا باتباع الكتاب والسنة.

أما البدع فإنها من الأهواء ومن الضلال ومن الزيغ، فلا يكون العبد حكيماً وقد خالف الحكمة. والحكمة تأتي والمراد بها السنة، فإذا قرنت مع الكتاب، فالمراد بها السنة.

فالمبتدع بعيد عن السنة، بعيد عن الحكمة، فأني يؤتى الحكمة؟! وهكذا من جالس صاحب البدعة فإنه يتأثر ويقع في البدع، فلا يؤتى الحكمة.



□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

قال: وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ.

الشرح:

وذلك لأن البدع ملعونة، ومن وقع في البدع فهو أولى بالوقوع في اللعنة من شارب الخمر ومن أكل الربا ومن كاتبيه وشاهديه.

وقد لعن النبي ﷺ جملة من العصاة على سبيل العموم الذين وقعوا في بعض كبائر الذنوب.

وهو - كما قلنا - لعن على سبيل العموم. فإذا كان شارب الخمر ملعوناً، وأكل الربا، وكذلك من يشهد في عقد الربا ومن يكتب عقود الربا، والزاني، وغير هؤلاء ممن وقع في كبائر الذنوب ملعونين، فمن باب أولى من وقع في البدع فإنه واقع في اللعنة من باب أولى. فلهذا قال الفضيل بن عياض: (لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ) - أي: كما تنزل على أصحاب البدع، فيخشى أن تعمك اللعنة، فإن الشر إذا نزل عم -.

ومن جالس أهل البدع يُخشى عليه أن تناله اللعنة كما نالت أهل البدع والأهواء.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ وَأَخْرَجَ نُورَ
الْإِسْلَامِ مِنْ قَلْبِهِ.

الشرح:

قوله: (مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ).

على كل: البدع أمرها خطير وشأنها كبير، وقضية إحباط العمل علم ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ.

لكن لا يستهين العبد بالبدع والأهواء، فالبدع تجر إلى الكفر والعياذ بالله.
قال: (مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ وَأَخْرَجَ نُورَ الْإِسْلَامِ مِنْ قَلْبِهِ): ولا
شك أن نور الإسلام يضعف بالبدع والأهواء. أما أن نور الإسلام يزول بالكلية من
القلب، فليس على إطلاقه لكن يُخشى من ذلك إذا تمادى الإنسان في البدع؛ فإن
البدع تجر إلى أختها وإلى أخواتها إلى أن تصل بالعبد إلى الكفر والعياذ بالله.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ،
وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ اسْتَحَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ -،
وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيْمَتَهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا، وَمَنْ تَبَعَ جَنَازَةَ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَزَلْ فِي
سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ.

الشرح:

وهذا الكلام الذي نقله المؤلف من كلام الفضيل بن عياض مما يدل على خطورة
البدعة، وخطورة أهل البدع والأهواء، وأن الشخص لا يستهين بأهل البدع والأهواء،



فإن خطرهم جسيم وضررهم كبير. فلهذا قال: **(مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ)**. وذلك أن أهل البدع يهدمون الإسلام. فإن البدعة إذا أقبلت، ولت السنة. والشخص كلما ابتدع بدعة، فإنه يترك من السنة نظير ذلك. وإذا أكثر من البدع، أكثر من تضييع السنن، إلى أن يصل به الحال إلى أن يهدم الإسلام بالكلية، وأن يترك الإسلام بالكلية، فيحصل له التفريط في الإسلام شيئاً فشيئاً. وهذا هو الأمر الملاحظ في أهل البدع: قبل أن يقعوا في البدعة، فيهم الاهتمام البالغ بأمور الشريعة، كالحفاظ على أركان الإسلام وعلى الواجبات، بل وعلى المستحبات.

وإذا ما زل أحدهم في البدعة، إذا به يستهين بكثير من الواجبات، ويُفِرط في كثير من الطاعات، ويحصل له التفلت في دينه شيئاً فشيئاً. وإذا استمر في باطله، فإن الباطل يجره إلى ما هو أشد منه، وربما يخرج من الإسلام بالكلية - والعياذ بالله -.

فالذي يعظم أصحاب البدع - كما قال الفضيل بن عياض - **(فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ)**؛ لأن أهل البدع هم هدمة الإسلام.

فإذا ما أظهرت تعظيمهم، فأنت تعظم من يسعى في هدم الإسلام، وربما أغررت غيرك بذلك المبتدع بإظهارك التعظيم له، فتكون عوناً على هدم الإسلام، ومشاركاً لذلك المبتدع في هدم الإسلام.

وهذا أمر يستهين به كثير من الناس: فربما يغتر ببعض أهل البدع لما عنده من العلم في بعض المسائل أو في بعض العلوم، فينبهر ذلك الجاهل ويبقى يتكلم على ذلك المبتدع بعبارات فيها الثناء والتعظيم والوصف بالعلم، وأنه كذا وكذا، وله الدروس العلمية النافعة.

فَيُعْظَمُ أَهْلُ الْبِدْعِ. وربما يسمع بعض الجهال مثل هذا الكلام ويتجه إلى ذلك المبتدع، فيبقى تلميذًا بين يديه، أو تلميذًا على صوتياته أو على كتبه، فيتأثر فيه ويصير من أهل البدع، وأنت السبب في ذلك - والعياذ بالله -.

فلا خير في أهل البدع، وفي الدراسة عندهم، وفي الاستماع لهم. والبركة في دروس علماء السنة.

(وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ -).

فإن المبتدع واقع في أمر عظيم، واقع في شر الأمور.

المبتدع يطعن في رب العالمين - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** - ويطعن في رسوله الكريم، وإن لم يصرح بذلك، وإن لم يعتقد أيضًا ذلك بقلبه، لكن هذا هو حقيقة الحال.

فإن المبتدع - كما هو معلوم - كأنه يقول بلسان حاله: "يا رب، ما أكملت الدين؟ كيف تقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، وهناك من الدين ما لم يُكْمَلْ - وهو الأمر الفلاني والأمر الفلاني والأمر الفلاني مما أحدثه؟!"

أو يقول: "يا رب، أكملت الدين، لكن رسولك - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - ما بلغ البلاغ المبين، فالبدعة الفلانية من دينك ما بلغها رسول الله - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** -، والأمر الفلاني من دينك وما بلغه رسول الله". فهو إما طاعن في ربه أو في نبيه - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

والمبتدع جعل نفسه ربًّا، وإن لم يعتقد ذلك، وإن لم يصرح بذلك. فإن الله يقول:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، فالمبتدع جعل نفسه شريكًا مع ربه، فيشرع ما لم يأذن به الله **عَزَّجَلَّ**، ما لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسول الله - **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** -.



فالناظر في أمر أهل البدع والأهواء يجد أنهم وقعوا في أمر عظيم، فكيف يتبسم الشخص في وجوههم؟!

فالتبسم في وجوههم يدل على أنهم في أمر هين، ما عندهم أمور عظيمة تستحق الزجر والهجر والغلظة والابتعاد.

فلهذا قال: **(وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ -)**.

وليس المعنى أن كل من تبسم في مبتدع هذا حاله، لكن هذا حقيقة الأمر. وإن لم يكن المتبسم في قلبه الاستخفاف بما أنزل الله **عَزَّجَلَّ**، فإنه إن قصد الاستخفاف بما أنزل الله **عَزَّجَلَّ** فإنه من الكافرين. لكن المسألة خطيرة، الأمر خطير، فلا يتبسم في وجوههم وهو يعلم أنهم وقعوا في أمر عظيم.

فالتبسم يدل على جهله بحال أولئك القوم، وكأنهم ما وقعوا في أمر عظيم. وأما من تبسم وهو مستخف بما أنزل الله على رسوله - فالاستخفاف بشرع الله **عَزَّجَلَّ** أو بشيء من شرع الله - كفر - والعياذ بالله -.

قال: **(وَمَنْ رَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا)**.
والأمر كذلك فإنه أضر بها أعظم الضرر، أضر بها في دينها. والإضرار في الدين أعظم الإضرار في الدنيا.

وإذا كان الشخص إذا أضر برحمه في الدنيا يُقال له: قاطع رحم، فكيف إذا أضر برحمه في دينها؟! فإن هذا من أعظم قطيعة الرحم.

قال: **(وَمَنْ تَبَعَ جَنَازَةَ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ)**:
وهذا يدل على أن أهل البدع يُجتنبون في جنائزهم، فلا يتبع الإنسان جنازة أهل البدع والأهواء، ويتعد عن ذلك.

وكل هذا من باب الزجر والردع للناس حتى لا يقعوا في تلك البدع. وإلا الميت ما ينزجر - وقد مات - لكن ينزجر الناس حتى لا يقعوا في تلك البدع.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ: "مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ وَرِثَهُ الْعَمَى".

الشرح:

وهذا من جملة الآثار التي ذكرها المؤلف وفيها التحذير البالغ من مجالسة أهل البدع والأهواء، فإن الشخص - كما هو معلوم - يتأثر بجليسه، ويُعرف الشخص بجليسه. فمن كان جلساؤه الصالحون، هذا دل على خيره وصلاحه. ومن كان جلساؤه أصحاب الشر والفساد، يدل على فساده.

والطعن في أصحاب الرجل طعن في الرجل، كما أن المدح والثناء لهم ثناء ومدح لمن يجالسهم.

ولهذا لما تكلم من تكلم من الزنادقة في الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، علم العلماء أنهم أرادوا بذلك رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام، فأرادوا أن يُقال: رجل سوء كان له جلساء سوء.

فالشخص يُعرف بجلسائه.

وقل لي من تجالس، أقول لك من أنت. فإن قلت لي: أنا أجالس الصالحين، فأنت منهم. وإن قلت: أنا أجالس أهل البدع والأهواء، فأنت منهم.

قال: (مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ وَرِثَهُ الْعَمَى)؛ وذلك أن صاحب البدعة أعمى، ولو كان من المبصرين لأبصر شناعة البدعة فابتعد عنها

لكن لما كان صاحب عمى، زُين له سوء عمله فرآه حسناً، وقع في تلك البدع واستمر عليها ولم يتب منها. فمن جالسه انتقل إليه مرضه وانتقلت إليه العدوى.



فأهل البدع مجالستهم مضرة، وما هم فيه من البدع أشد من الجرب وأحرق من اللهب، فلا يسلم من جالسهم.

فإما أن تدخل البدعة في قلبه، وإما أن يجد منهم الكلام القبيح. وإن أظهر لهم المخالفة، فيسمع منهم الكلام القبيح، فلا خير في مجالستهم.

□ قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الفضيل بن عياض: (أَكُلْ مَعَ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَلَا أَكُلْ مَعَ مُبْتَدِعٍ، وَأُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ).

الشرح:

الجاهل الذي ما يعرف حقيقة الأمر يقول: هذا الكلام فيه مبالغة، كيف يأكل مع يهودي ونصراني، ولا يأكل مع مسلم مبتدع؟! وهل المبتدع أكفر من اليهودي والنصارى؟! فالجاهل قد تأتته هذه التساؤلات.

وأما العلماء فإنهم يدركون صحة مثل هذه العبارة، باعتبار أن اليهودي والنصراني قد ظهر أمرهما، فلا يلتبس أمرهما على المسلم، ولا يغتر المسلم بهما.

وأما صاحب البدعة فخطره عظيم، فإنه يتظاهر بالعلم وبالصلاح والتقوى، وبغير ذلك من الأمور التي تجذب نفوس الجاهلين.

فمن جلس إلى المبتدع تضرر؛ لعظم ما عنده من الشبهات. فإنه لا يتكلم بالتوراة والإنجيل، وإنما يتكلم بكلام الله، ويتكلم بأحاديث رسول الله ﷺ، ويتأول ذلك على غير مراد الله، وعلى غير مراد رسوله. وإذا سمع الشخص آية، وسمع ذلك التأويل، ربما يقع في الفتنة، وأن ذلك المبتدع يتكلم بحق، فإنه يحتاج بآية

من كلام الله، أو يحتج بحديث من أحاديث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فتقع الفتنة في قلب المستمع.

أما اليهودي لا يتكلم بالقرآن ولا يتكلم بالسنة، وما عنده من التلبس ما عند أهل البدع والأهواء.

فضرر اليهود والنصارى أخف من ضرر أهل البدع، وإن كان اليهودي أضل من المبتدع، وهكذا النصراني أضل من المبتدع.

قال: **(وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ)**؛ حتى لا يصل إليه شيء من شرهم، فلا يرى أشخاصهم ولا يسمع كلامهم، فينجو من أهوائهم.

□ قال الإمام البرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: إِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ، غَفَرَ لَهُ وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ، وَلَا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِي صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا نِفَاقًا، وَمَنْ أَعْرَضَ بَوَجهِهِ عَنِ صَاحِبِ بِدْعَةٍ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا، وَمَنْ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ آمَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ رَفَعَهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، فَلَا تَكُنْ تُحِبُّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي اللَّهِ أَبَدًا).

الشرح:

ختم المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** هذا الكتاب المبارك بهذا الأثر عن الفضيل بن عياض: **(إِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ)**. فالتمسك بالسنة والابتعاد عن أهل البدع، وبغض أهل البدع والأهواء من أعظم القربات، ومن أعظم الأعمال الصالحة، ويُرجى للعبد أن يغفر الله له وأن يرحمه بتمسكه بالسنة، وبعده وبغضه لأهل البدع والأهواء، وإن قل عمله. فإن هذه حسنة عظيمة. التمسك بالسنة



ومعاداة أهل البدع والأهواء من الحسنات العظيمة، فيرجى للعبد المغفرة من الله عزَّ وجلَّ، وفضل الله واسع.

قال: (وَلَا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يَمَالِي صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا نِفَاقًا).

أي: هذا لا يحصل من صاحب السنة إلا على وجه النفاق. والمراد بالنفاق العملي: النفاق الأصغر، بمعنى: أنه يُظهر خلاف ما يبطن، فيُظهر الموافقة لذلك المبتدع ويُبطن المخالفة له. وهذا نوع نفاق - لكون الباطن خلاف الظاهر والظاهر خلاف الباطن - وليس هذا من النفاق الأكبر. والمؤلف ذكر ذلك من باب الذم، فإن هذا مما لا ينبغي لصاحب السنة. بل ينبغي أن يُظهر السنة ويُظهر معاداة أهل البدع والأهواء، ما لم يكن عليه في ذلك ضرر. وإلا فالأصل هو أن الإنسان يُعلن السنة ويُظهر معاداة أهل البدع والأهواء.

قال: (وَلَا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يَمَالِي صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا نِفَاقًا، وَمَنْ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا): ولا شك أن الإعراض والابتعاد عن أهل البدع من العمل الصالح، ويؤجر عليه العبد.

ولعل الفضيل بن عياض في مثل هذه الجملة والتي قبلها أخذ بذلك الحديث المشهور، حديث ابن عمر، فإن فيه هذا المعنى وقد جاء مرفوعاً، غير أن الحديث يذكره العلماء في كتب الموضوعات، وقد ذكره غير واحد من أهل العلم في كتب الموضوعات.

ولفظه عند ابن الجوزي عن ابنِ عمرَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ أَعْرَضَ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ بِوَجْهِهِ بُغْضًا لَهُ فِي اللَّهِ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا، وَمَنْ أَنْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَمَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَلَقِيَهُ بِالْبُشْرَى وَاسْتَقْبَلَهُ بِمَا يَسُرُّ فَقَدْ اسْتَحَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ".

فعلى كل حال: لا شك أن معاداة أهل البدع عمل صالح، والإعراض عنهم والإغلاظ عليهم كل ذلك من العمل الصالح الذي يُثاب عليه العبد ويؤجر، ويُرجى له المغفرة من الله **عَزَّوَجَلَّ** بسبب ذلك - بسبب تمسكه بالسنة وابتعاده عن أهل البدع والأهواء، وبسبب بغضه لهم - فإن هذا من البغض في الله، أن يُبغض أهل البدع ويُحب أهل السنة، ويكون هذا من الحب في الله **عَزَّوَجَلَّ**. والحب في الله والبغض في الله من الإيمان.

(وَمَنْ ائْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ آمَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ): كل هذا مأخوذ من حديث ابن عمر الذي سبق أن ذكرناه، والحديث - كما عرفنا - معدود في الموضوعات، ويذكره العلماء في كتب الموضوعات.

قوله: (وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ رَفَعَهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ):

فعلى كل: مثل هذه الأمور ومثل هذا الثواب المُعين لا بد فيه من دليل صحيح ثابت عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ ما يتعلق بالأمن من الفرع الأكبر، وما يتعلق بقوله: ملأ الله قلبه إيماناً، وما يتعلق برفع الدرجات **(رَفَعَهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ)**. فمثل هذه الأجور يُحتاج فيها إلى دليل صحيح، وأما حديث ابن عمر، كما عرفنا، فهو حديث واهٍ، لا يصح ولا يثبت عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وهذا الفضل مذكور في بعض ألفاظ حديث ابن عمر الموضوع كما في رواية الهروي في "ذم الكلام"، وأبي نعيم في "الحلية" وغيرهما.

ولا شك أن معاداة أهل البدع والأهواء من الأعمال الصالحة ومن أعظم القربات، والأخذ بالسنة والتمسك بها من أعظم القربات. لكن مثل هذا الثواب المُعين الذي ذكرناه هنا، يُحتاج في إثباته إلى دليل صحيح عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.



قال: (فَلَا تَكُنْ تُحِبُّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي اللَّهِ أَبَدًا): فأهل البدع يُغضون، ويعادون، ويُهجرون، ويتعدى الشخص عنهم، ولا يُظهر الشخص لهم المحبة والمودة.



خاتمة

وبهذا نكون قد انتهينا من هذا الكتاب المبارك، كتاب "شرح السنة"، الذي جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** فيه البركة والخير. الذي قرر فيه المؤلف عقيدة السلف فيما يتعلق بالأسماء والصفات، وفي الإيمان، وفي القدر، وما يتعلق بالصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين، وغير ذلك من المسائل المتنوعة. فنسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يرحمه برحمته، وأن يغفر لنا وله أجمعين.

وكان الانتهاء من ذلك في ليلة الأربعاء في الثاني عشر من شهر محرم لعام أربع وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية.
وابتدأناه في الخامس عشر من ذي الحجة عام ألف وأربعمائة وثلاثة وأربعين.



الفهرس

المقدمة..... ٥

مقدمة المؤلف..... ٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ عَلَيْنَا بِهِ، وَأَخْرَجَنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ، فَسَأَلَهُ التَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَالْحِفْظَ مِمَّا يَكْرَهُ وَيَسْخِطُ..... ٧

السنة والإسلام..... ١٢

اعْلَمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَلَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ..... ١٢

وجوب لزوم طريقة الجماعة..... ١٤

فَمِنْ السُّنَّةِ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ غَيْرَ الْجَمَاعَةِ وَفَارَقَهَا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، وَكَانَ ضَالًّا مُضِلًّا..... ١٤

أساس الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ..... ١٧

وَالْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ..... ١٧

العدر بالجهل..... ٢١

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسْبَهَا هُدًى، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهَ حَسْبَهُ ضَلَالَةٌ، فَقَدْ بَيَّنَّتِ الْأُمُورُ، وَتَبَيَّنَتِ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَ الْعُذْرُ..... ٢١

بيان النبي ﷺ الدين للناس وطرق ذلك ووجوب الاتباع..... ٢٤



وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلَّهُ وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَى النَّاسِ الْإِتِّبَاعُ. ٢٤.

مجيء الدين من عند الله عزَّ وجلَّ وبيان فساد الرأي..... ٢٧

أَعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَمْ يُوَضَّعْ عَلَى عُقُولِ الرُّجَالِ وَآرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ..... ٢٧

النهي عن اتباع الهوى..... ٣٠

فَلَا تَتَّبِعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ فَتَمُرُقَ مِنَ الدِّينِ فَتَخْرُجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ، فَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ الْجَمَاعَةُ، وَهُمْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ الْحَقُّ وَأَهْلُهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ ٣٠

ترك السنة ظهور للبدعة..... ٣٥

وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَّبِعُوا بِدْعَةً قَطُّ حَتَّى تَرَكُوا مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَهَا؛ فَاحْذَرِ الْمُحَدَّثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ..... ٣٥

الحذر من صغار المحدثات..... ٣٨

وَاحْذَرِ صِغَارَ الْمُحَدَّثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ صَغِيرَ الْبِدَعِ يَعُودُ حَتَّى يَصِيرَ كَبِيرًا، وَكَذَلِكَ كُلُّ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشَبِّهُ الْحَقَّ، فَاعْتَرَبَ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَخْرَجَ مِنْهَا فَعَظُمَتْ وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهَا فَخَالَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَخَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ..... ٣٨

عرض الأمور على طريقة الصحابة رضوان الله عليهم..... ٤٤

فَانْظُرْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً، فَلَا تَعْجَلَنَّ وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ هَلْ تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَحَدٌ مِنْ

الْعُلَمَاءِ، فَإِنْ وَجَدَتْ فِيهِ أَثْرًا عَنْهُمْ فَتَمَسَّكَ بِهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ لِشَيْءٍ وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ..... ٤٤

٤٧.....أنواع الخروج عن الطريق

وَاعْلَمْ أَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الطَّرِيقِ عَلَى وَجْهَيْنِ:..... ٤٧

أَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَجُلٌ قَدْ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ، فَلَا يُقْتَدَى بِزَلِّهِ؛ فَإِنَّهُ هَالِكٌ.

..... ٤٧

وَأَخْرَ عَانَدَ الْحَقِّ وَخَالَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، حَقِيقٌ عَلَى مَنْ يَعْرِفُهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ قِصَّتَهُ لئَلَّا يَقَعَ فِي بِدْعَتِهِ أَحَدٌ فَيَهْلِكَ..... ٤٧

٥١.....وجوب الاستسلام والانقياد

وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدِّقًا مُسْلِمًا..... ٥١

٥٢.....تبليغ السلف لجميع الدين

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكْفُونَاهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ كَذَّبَهُمْ، وَكَفَى بِهِ فُرْقَةً وَطَعْنًا عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُحْدِثٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ فِيهِ..... ٥٢

٥٤.....القول في القياس

وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا يُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ، وَلَا تُتَّبَعُ فِيهَا الْأَهْوَاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ بِأَثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِأَكَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ؟ وَلَا كَيْفَ؟..... ٥٤

٥٧.....بدعة علم الكلام والخصومة والجدال



وَالْكَلَامَ وَالْخُصُومَةَ وَالْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ مُحَدَّثٌ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَإِنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الْحَقَّ وَالسُّنَّةَ..... ٥٧

الإيمان بصفات الله سبحانه وأفعاله بدون تكييف ولا تمثيل..... ٦١

وَأَعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ تَعَالَى مُحَدَّثٌ، وَهُوَ بَدْعٌ وَصَلَاةٌ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ..... ٦١

وَهُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَاحِدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾..... ٦٨

رَبُّنَا أَوَّلُ بِلَا مَتَى، وَآخِرُ بِلَا مُتَتَهَى..... ٦٨

يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى..... ٦٩

وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ..... ٦٩

وَلَا يَقُولُ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى كَيْفَ وَلِمَ إِلَّا شَاكَ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٧٠

القرآن كلام الله غير مخلوق..... ٧١

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَتَنْزِيلُهُ وَنُورُهُ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهَكَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْفُقَهَاءُ قَبْلَهُمَا وَبَعْدَهُمَا، وَالْمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ..... ٧١

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الآخرة حق..... ٧٧

وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بِأَبْصَارِ رُءُوسِهِمْ، وَهُوَ يُحَاسِبُهُمْ بِلَا حِجَابٍ، وَلَا تَرْجُمَانٍ..... ٧٧

الإيمان بالميزان يوم القيامة والأدلة على ذلك..... ٨٥

وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُورَنُ فِيهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، لَهُ كِفَتَانِ، وَلَهُ لِسَانٌ..... ٨٥

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير..... ٨٩

وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ..... ٨٩

الإيمان بحوض النبي ﷺ يوم القيامة..... ٩٥

وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ إِلَّا صَالِحَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ حَوْضَهُ صَرَعُ نَاقَتِهِ..... ٩٥

الإيمان بالشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ..... ٩٩

وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَلَى الصِّرَاطِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهَنَّمَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ شَفَاعَةٌ، وَكَذَلِكَ الصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلِلَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ تَفْضُلٌ كَثِيرٌ فَيَمْنُ يَسَاءُ، وَالْخُرُوجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا..... ٩٩

الإيمان بالصراط وما جاء فيه..... ١٠٧

وَالْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ عَلَى جَهَنَّمَ، يَأْخُذُ الصِّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِمْ..... ١٠٧

الإيمان بالصراط المنصوب على متن جهنم..... ١١١

وَالْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ عَلَى جَهَنَّمَ، يَأْخُذُ الصِّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِمْ..... ١١١

وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ..... ١١٨

وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ..... ١١٨

الإيمان بالجنة والنار وأنها مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبديدان..... ١٢٥



وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنْهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ، وَالنَّارُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، قَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى عَدَدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، وَعَدَدَ أَهْلِ النَّارِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، لَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا، بَقَاؤُهُمَا مَعَ بَقَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَبَدَ الْأَبْدِينَ، فِي دَهْرِ الدَّاهِرِينَ، وَآدَمَ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَمَا عَصَى اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ..... ١٢٥

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في جنة الخلد ثم اهبط منها بمعصيته..... ١٤١

وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَمَا عَصَى اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ. ١٤١

الإيمان بالمسيح الدجال..... ١٤٨

وَالْإِيمَانُ بِالْمَسِيحِ الدَّجَالِ..... ١٤٨

الإيمان بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ١٥٥

وَالْإِيمَانُ بِنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ، وَيَتَزَوَّجُ، وَيُصَلِّي خَلْفَ الْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَمُوتُ وَيُدْفَنُهُ الْمُسْلِمُونَ). ١٥٥

تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة..... ١٦٣

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَقَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَإِصَابَةٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ. ١٦٣

فضائل الصحابة رضوان الله عليهم..... ١٧٨

وَحَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ. هَكَذَا رَوَى لَنَا عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَيَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَلَا يُنْكِرُهُ. ١٧٨

ثُمَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ. وَكُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ)..... ١٨٢

ثُمَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَرْنُ الْأَوَّلُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ: الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَهُمْ مَنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ..... ١٨٣

ثُمَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ..... ١٨٤

ثُمَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ..... ١٨٤

تَرَحَّمْ عَلَيْهِ، وَنَذْكُرْ فَضْلَهُ، وَنَكْفُ عَنْ زَلَّتِهِ، وَلَا نَذْكُرْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»..... ١٨٥

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ نَطَقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ فَهُوَ صَاحِبُ هَوَى. ١٨٥

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بَأْيِهِمْ اقْتَدَيْتَ اهْتَدَيْتَ»..... ١٨٥

السمع والطاعة لأئمة المسلمين..... ١٨٨

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَئِمَّةِ فِيمَا يُحِبُّ اللَّهُ وَيَرْضَى، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَرِضَاهُمْ بِهِ فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَةً وَلَا يَرَى أَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا..... ١٨٨

الصلاة والحج خلف الأئمة وإن جاروا..... ١٩٣

وَالْحَجُّ وَالْغَزْوُ مَعَ الْإِمَامِ مَاضٍ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ، وَيُصَلِّي بَعْدَهَا سِتُّ رَكَعَاتٍ يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ..... ١٩٣



الخليفة في المسلم من قريش ١٩٧

وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٩٧

تحريم الخروج على الحاكم المسلم ٢٠٠

وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَارِجِيٌّ، وَقَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْأَثَارَ، وَمِثَّتْهُ مِثَّةُ جَاهِلِيَّةٍ ٢٠٠

النبي عن قتال السلطان المسلم والخروج عليه ٢٠٤

وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ، وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا؛ وَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ: «اصْبِرْ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَشِيًّا»، وَقَوْلُهُ لِلْأَنْصَارِ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» ٢٠٤

وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ؛ فَإِنْ فِيهِ فَسَادُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ٢٠٤

قتال الخوارج البغاة وطرق التعامل معهم ٢٠٧

وَيَحِلُّ قِتَالُ الْخَوَارِجِ إِذَا عَرَضُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَنْ يَطْلُبُهُمْ، وَلَا يُجْهَزَ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَلَا يَأْخُذَ فَيَتَّهِمُهُمْ، وَلَا يَقْتُلَ أَسِيرَهُمْ، وَلَا يَتَّبِعَ مُدْبِرَهُمْ ٢٠٧

لا طاعة في معصية الله ٢١١

وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ٢١١

عدم الشهادة في عواقب العباد ٢١٤

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تَشْهَدُ لَهُ بِعَمَلٍ خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا يُحْتَمُّ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ وَتَخَافُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ، لَا تَدْرِي مَا يَسْبِقُ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَى اللَّهِ مِنَ

النَّدَم، وَمَا أَحْدَثَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِذَا مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ، وَتَخَافُ عَلَيْهِ
ذُنُوبَهُ..... ٢١٤

التوبة إلى الله وشروطها وأنواعها..... ٢١٧

وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَلِلْعَبْدِ مِنْهُ تَوْبَةٌ..... ٢١٧

مشروعية رجم الزاني المحصن..... ٢١٩

وَالرَّجْمُ حَقٌّ..... ٢١٩

المسح على الخفين..... ٢٢٠

وَالْمَسْحُ عَلَى الْخَفَيْنِ سُنَّةٌ..... ٢٢٠

قصر الصلاة في السفر..... ٢٢١

وَتَقْصِيرُ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ سُنَّةٌ..... ٢٢١

الصوم في السفر..... ٢٢٥

وَالصَّوْمُ فِي السَّفَرِ، مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ..... ٢٢٥

وَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ فِي السَّرَاوِيلِ..... ٢٢٨

وَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ فِي السَّرَاوِيلِ..... ٢٢٨

النفاق وخطره..... ٢٣٣

وَالنِّفَاقُ أَنْ تُظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِاللِّسَانِ وَتُخْفَى الْكُفْرُ بِالْضَّمِيرِ..... ٢٣٣

دار الدنيا هي دار الإسلام..... ٢٣٤

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ إِيْمَانٍ وَإِسْلَامٍ..... ٢٣٤

أحكام أهل الملة..... ٢٣٧



وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ فِيهَا مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ ٢٣٧

وَلَا تَشْهَدُ لِأَحَدٍ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى يَأْتِيَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ قَصَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَانَ نَاقِصَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتُوبَ، وَاعْلَمْ أَنَّ إِيْمَانَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، تَامُ الْإِيمَانِ، أَوْ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، إِلَّا مَا ظَهَرَ لَكَ مِنْ تَضْيِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ٢٣٧

الصلاة على من مات من أهل القبلة ٢٣٩

وَالصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ، وَالْمَرْجُومُ، وَالزَّانِي، وَالزَّانِيَةُ، وَالَّذِي يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالسَّكَرَانُ، وَغَيْرُهُ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ سُنَّةٌ ٢٣٩

الخروج من الإسلام ٢٤٠

وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَرُدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، أَوْ يَرُدَّ شَيْئًا مِنْ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَإِذَا فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمُسْلِمٌ بِالْإِسْمِ لَا بِالْحَقِيقَةِ ٢٤٠

إثبات صفة الأصابع والنزول والقدم والهرولة لله عَزَّجَلَّ بما يليق به سبحانه من

غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ٢٤٤

وَكُلُّ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْآثَارِ شَيْئًا مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُكَ، نَحْوُ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّجَلَّ» ٢٤٤

وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا». وَ«يَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ». وَ«يَنْزِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَ«أَنَّ جَهَنَّمَ لَا يَزَالُ يُطْرَحُ فِيهَا حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ» ٢٤٤

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: «إِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرَوْتُ إِلَيْكَ». وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ»..... ٢٤٤

خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٢٦٢

وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»..... ٢٦٢

التسليم لما صح من الأحاديث وعدم الرد لها..... ٢٧٢

وَأَشْبَاهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ. فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّضَدِيقِ وَالتَّفْوِضِ وَالرِّضَا وَلَا تُفَسِّرْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ بَهْوَاكَ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهِذَا وَاجِبٌ؛ فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا بِهَوَاهُ أَوْ رَدَّهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ..... ٢٧٢

كفر من زعم أنه يرى الله في الدنيا بعينه..... ٢٧٣

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ..... ٢٧٣

النبي عن التفكير في ذات الله عَزَّجَلَّ..... ٢٧٧

وَالْفِكْرَةُ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِدْعَةٌ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ»؛ فَإِنَّ الْفِكْرَةَ فِي الرَّبِّ تَقْدُحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ..... ٢٧٧

الخلق كله مأمور من الله أمر كوني..... ٢٨٠

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْهُوَامَ وَالسَّبَاعَ وَالِدَوَابَّ كُلَّهَا - نَحْوُ الذَّرِّ، وَالذُّبَابِ، وَالنَّمْلِ - كُلُّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٢٨٠

بيان علم الله عَزَّجَلَّ الأزلي الأبدي المحيط بكل شيء..... ٢٨٢

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ وَمَا لَمْ يَكُنْ، مِمَّا هُوَ كَائِنٌ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَعَدَّهُ عَدًّا، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ..... ٢٨٢

لا نكاح إلا بولي وبعض أحكام النكاح..... ٢٨٧



وَلَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ وَشَاهِدَي عَدْلٍ وَصَدَاقٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ
مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ..... ٢٨٧

بعض أحكام الطلاق..... ٢٩٣

وَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ، لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ. ٢٩٣

تحريم قتل النفس المعصومة..... ٢٩٧

وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا
بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: زَانٍ بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ مُرْتَدٌّ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ قَتَلَ نَفْسٍ مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ حَقٍّ فَيُقْتَلُ بِهِ، وَمَا
سِوَى ذَلِكَ فَدَمُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ أَبَدًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ..... ٢٩٧

ما لا يفنى من المخلوقات..... ٣٠٤

وَكُلُّ شَيْءٍ مِمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ يَفْنَى، إِلَّا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَالْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ، وَالصُّورَ،
وَالْقَلَمَ، وَاللَّوْحَ، لَيْسَ يَفْنَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا أَبَدًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى مَا أَمَاتَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَيَحَاسِبُهُ بِمَا شَاءَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، وَيَقُولُ لِسَائِرِ الْخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ
يُخْلَقْ لِلْبَقَاءِ: كُونُوا تُرَابًا..... ٣٠٤

الإيمان بالبعث والنشور..... ٣٠٨

ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى مَا أَمَاتَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَحَاسِبُهُمْ بِمَا شَاءَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ
وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ..... ٣٠٨

وَيَقُولُ لِسَائِرِ الْخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلْبَقَاءِ: كُونُوا تُرَابًا..... ٣٠٨

الإيمان بالقصاص يوم القيامة..... ٣١٠

وَالْإِيمَانُ بِالْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ: بَنِي آدَمَ، وَالسَّبَّاعُ، وَالْهَوَامُّ حَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ، حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلِأَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ..... ٣١٠

وجوب إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ والرضا بالقضاء..... ٣١٣

وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ..... ٣١٣

الصبر على حكم الله..... ٣١٦

وَالصَّبْرُ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ..... ٣١٦

وجوب الإيمان بالقدر..... ٣١٨

وَالْإِيمَانُ بِأَقْدَارِ اللَّهِ كُلِّهَا، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، حُلُومُهَا وَمُرُّهَا..... ٣١٨

وَالْإِيمَانُ بِمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا هُمْ فَاعِلُونَ، وَإِلَى مَا هُمْ صَائِرُونَ؛ لَا يُخْرِجُونَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَلَا يَكُونُ فِي الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ إِلَّا مَا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ..... ٣١٩
وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَا خَالِقَ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ..... ٣١٩

التكبير على الجنازة..... ٣٢٤

وَالْتَكْبِيرُ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعٌ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَالْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْفُقَهَاءَ، وَهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ..... ٣٢٤

ملائكة القطر..... ٣٢٧

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ مَعَ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى يَضَعَهَا حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ... ٣٢٧

الإيمان بسماع أهل قليب بدر لكلام رسول الله ﷺ..... ٣٢٨



وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَلَّمَ أَهْلَ الْقَلْبِ يَوْمَ بَدْرٍ - أَيِ الْمُشْرِكِينَ - كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ..... ٣٢٨

الأجر على المرض وأجر الشهيد..... ٣٣٠

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَرَضَ يَأْجُرُهُ اللَّهُ عَلَى مَرَضِهِ. وَالشَّهِيدُ يَأْجُرُهُ اللَّهُ عَلَى الْقَتْلِ..... ٣٣٠

الإيمان بتألم الأطفال..... ٣٣٢

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْأَطْفَالَ إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَأْلُمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَكَرَ ابْنَ أُخْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ قَالَ: لَا يَأْلُمُونَ، وَكَذَّبَ..... ٣٣٢

دخول الجنة برحمة الله عز وجل..... ٣٣٤

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ..... ٣٣٤

وما ربك بظلام للعبيد..... ٣٣٦

وَلَا يُعَذِّبُ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا بِذُنُوبِهِ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ وَلَوْ عَذَّبَ اللَّهُ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِينَ بَرَّهُمْ وَفَاجَرَهُمْ عَذَابُهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّهُ يَظْلِمُ، وَإِنَّمَا يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَاللَّهُ جَلَّ تَنَازُهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالْدَّارُ دَارُهُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ وَلَا يُقَالُ: لِمَ وَكَيْفَ؟ وَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ..... ٣٣٦

ضعف إسلام من طعن في الآثار عن الرسول والصحابة..... ٣٤٦

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعُنُ عَلَى الْآثَارِ وَلَا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَحْبَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّهِمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ الْمَذْهَبِ وَالْقَوْلِ..... ٣٤٦

وَإِنَّمَا طَعَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ؛ لِأَنَّا إِنَّمَا عَرَفْنَا اللَّهَ، وَعَرَفْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَعَرَفْنَا الْقُرْآنَ، وَعَرَفْنَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِالْآثَارِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ إِلَى السُّنَّةِ أَحْوَجُ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْقُرْآنِ..... ٣٤٦

٣٥٠ النبي عن الكلام والخصومة في القدر

وَالْكَلَامُ وَالْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ فِي الْقَدْرِ خَاصَّةٌ مِنْهُي عَنْهُ عِنْدَ جَمِيعِ الْفِرَقِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ
اللَّهِ، وَنَهَى الرَّبُّ جَلَّ وَتَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدْرِ، وَنَهَى النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخُصُومَةِ فِي
الْقَدْرِ، وَكَرِهَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضَايَا اللَّهِ عَنْهُمْ، وَكَرِهَهُ التَّابِعُونَ، وَكَرِهَهُ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ
الْوَرَعِ، وَنَهَوْا عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقَدْرِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانِ وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ فِي جُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ، وَاسْكُتْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ. ٣٥٠.....

٣٥٦ الإيمان بالإسراء والمعراج

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَصَارَ إِلَى الْعَرْشِ، وَكَلَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَاطَّلَعَ إِلَى النَّارِ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَنُشِرَتْ لَهُ
الْأَنْبِيَاءُ، وَرَأَى سُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِينَ، فِي
الْيَقَظَةِ، حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَى الْبُرَاقِ حَتَّى أَذَارَهُ فِي السَّمَاوَاتِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ
فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ لَيْلَتَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ. ٣٥٦.....

٣٦٤ مستقر أرواح الأموات

وَاعْلَمْ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضِرٍ، تَسْرُحُ فِي الْجَنَّةِ وَتَأْوِي إِلَى فَنَادِيلِ تَحْتَ
الْعَرْشِ، وَأَرْوَاحَ الْفُجَّارِ وَالْكَفَّارِ فِي بئرٍ بَرَهُوتٍ، وَهِيَ فِي سَجِّينَ. ٣٦٤.....

٣٦٦ بعض أحوال البرزخ

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمَيِّتَ يُقْعَدُ فِي قَبْرِهِ، وَيُرْسَلُ اللَّهُ فِيهِ الرُّوحَ حَتَّى يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَنِ
الْإِيمَانِ وَشِرَائِعِهِ، ثُمَّ تُسَلُّ رُوحَهُ بِلَا أَلَمٍ، وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الرَّائِرَ إِذَا آتَاهُ، وَيُنْعَمُ فِي الْقَبْرِ الْمُؤْمِنُ،
وَيُعَذَّبُ الْفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ. ٣٦٦.....

٣٧٧ الموت بأجل

وَاعْلَمْ أَنَّ الرُّوحَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ. ٣٧٧.....



إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه يتكلم بحرفٍ وصوت..... ٣٧٩

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ يَوْمَ الطُّورِ، وَمُوسَى يَسْمَعُ مِنَ اللَّهِ الْكَلَامَ بِصَوْتٍ وَقَعَ فِي مَسَامِعِهِ مِنْهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

..... ٣٧٩

تفاوت الناس في العقول..... ٣٨١

وَالْعَقْلُ مَوْلُودٌ، أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَ الْعَقْلِ مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، يَتَفَاوَتُونَ فِي الْعُقُولِ مِثْلَ الذَّرَّةِ فِي السَّمَاوَاتِ، وَيُطَلَّبُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ الْعَمَلِ عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلاَ يَسْتَوِي الْعَقْلُ بِاِكْتِسَابٍ، إِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ..... ٣٨١

تفضيل الله للعباد..... ٣٨٥

وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ الْعِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَدْلًا مِنْهُ، لَا يُقَالُ جَارٌ وَلَا حَابِي، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ سَوَاءٌ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، بَلْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْكَافِرِ وَالطَّائِعَ عَلَى الْعَاصِي وَالْمَعْصُومَ عَلَى الْمَخْذُولِ عَدْلًا مِنْهُ، هُوَ فَضْلُهُ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُهُ مَنْ يَشَاءُ..... ٣٨٥

وجوب بذل النصيحة للمسلمين برهم وفاجرهم..... ٣٨٩

وَلَا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرَّهْمُ وَفَاجِرُهُمْ، فِي أَمْرِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ غَشَّ الدِّينَ، وَمَنْ غَشَّ الدِّينَ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ..... ٣٨٩

الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء..... ٣٩٣

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فِيهِمْ أَنْ هَدَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَمًا وَجُودًا وَتَفَضُّلاً، فَلَهُ الْحَمْدُ..... ٣٩٣

البشارات عند الموت..... ٤٠٢

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبِشَارَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ثَلَاثُ بَشَارَاتٍ: يُقَالُ: أَبَشِّرْ يَا حَبِيبَ اللَّهِ بِرِضَا اللَّهِ وَالْجَنَّةِ، وَيُقَالُ: أَبَشِّرْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ بِغَضَبِ اللَّهِ وَالنَّارِ، وَيُقَالُ: أَبَشِّرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..... ٤٠٢

النظر إلى الله تعالى في الجنة..... ٤٠٤

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ الْأَصْرَاءُ، ثُمَّ الرِّجَالُ، ثُمَّ النِّسَاءُ بِأَعْيُنِ رُءُوسِهِمْ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤُوسِهِ"، وَالْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ، وَإِنْكَارُهُ كُفْرٌ..... ٤٠٤

خطر علم الكلام على الناس في أديانهم..... ٤٠٦

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ زَنْدَقَةٌ وَلَا كُفْرٌ وَلَا شُكُوكٌ وَلَا بِدْعَةٌ وَلَا ضَلَالَةٌ وَلَا حَيْرَةٌ فِي الدِّينِ إِلَّا مِنَ الْكَلَامِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْعُجْبِ، وَكَيْفَ يُشْتَرَى الرَّجُلُ عَلَى الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ؟ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا بِالْأَنْثَارِ وَالْكَفِّ وَالشُّكُوتِ..... ٤٠٦

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الْخَلْقَ فِي النَّارِ فِي الْأَغْلَالِ وَالْأَنْكَالِ وَالسَّلَاسِلِ، وَالنَّارِ فِي أَجْوَافِهِمْ، وَفَوْقَهُمْ، وَتَحْتَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهَنَّمَ مِنْهُمْ هِشَامُ الْفُوطِيِّ قَالَ: "إِنَّمَا يُعَذِّبُ اللَّهُ عِنْدَ النَّارِ؛ رَدًّا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ..... ٤٠٨

الالتزام بالصلوات وأوقاتها بدون زيادة ولا نقصان..... ٤١٤

وَأَعْلَمُ أَنَّ صَلَاةَ الْفَرِيضَةِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، لَا يَزَادُ فِيهِنَّ وَلَا يُنْقَصُ فِي مَوَاقِيتِهَا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ إِلَّا الْمَغْرِبَ. فَمَنْ قَالَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسٍ فَقَدْ ابْتَدَعَ، وَمَنْ قَالَ أَقَلَّ مِنْ خَمْسٍ فَقَدْ ابْتَدَعَ. لَا



يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا لَوْفَتَهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَسِيَانًا فَإِنَّهُ مُعْذُورٌ، يَأْتِي بِهَا إِذَا ذَكَرَهَا، أَوْ يَكُونَ مُسَافِرًا فَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ إِنْ شَاءَ. ٤١٤

جواز أن يخرج الرجل زكاة ماله بنفسه أو أن يدفعها للسلطان..... ٤١٨

وَالزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالتَّمْرِ وَالْحُبُوبِ وَالِدَّوَابِّ، عَلَى مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِنْ قَسَمَهَا فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الْإِمَامِ فَجَائِزٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ٤١٨

الشهادتان مفتاح الإسلام..... ٤٢١

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ٤٢١

الإيمان بشرائع الإسلام كلها..... ٤٢٥

وَالْإِيمَانُ بِالشَّرَائِعِ كُلِّهَا. ٤٢٥

الأصل في البيوع الحل..... ٤٢٦

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ حَلَالٌ، إِذَا بُيعَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدْخِلَهُ تَغْرِيرٌ أَوْ ظُلْمٌ أَوْ غَدْرٌ أَوْ خِلَافٌ لِلْقُرْآنِ أَوْ خِلَافٌ لِلْعِلْمِ. ٤٢٦

الجمع بين الخوف والرجاء وتحريم القنوط من رحمة الله..... ٤٣١

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ تَصْحَبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدًا مَا صَحِبَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي عَلَى مَا يَمُوتُ وَبِمَا يُخْتَمُ لَهُ، وَعَلَى مَا يَلْقَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَإِنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الْخَيْرِ. ٤٣١
وَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْمُسْرِفِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ، وَيُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ، وَيَخَافَ ذُنُوبَهُ؛ فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ فَبَفْضِلٍ، وَإِنْ عَذَبَهُ فَبِذَنْبٍ. ٤٣١

إخبار الله عز وجل لنبيه ﷺ بما يكون من بعده..... ٤٣٦

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَعَ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ٤٣٦

افتراق الأمة..... ٤٣٨

وَاعْلَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَتَفْتَرُقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي ٤٣٨

ظهور الدين في زمن الخلافة الراشدة..... ٤٤١

وَهَكَذَا كَانَ الدِّينُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهَكَذَا كَانَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ ٤٤١
فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ جَاءَ الْإِخْتِلَافُ وَالْبِدْعُ، وَصَارَ النَّاسُ أَحْزَابًا، وَصَارُوا فِرْقًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَتَ عَلَى الْحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغْيِيرِ، وَقَالَ بِهِ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ، فَكَانَ الْأَمْرُ مُسْتَقِيمًا، حَتَّى كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلَافَةِ بَنِي فُلَانٍ انْقَلَبَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ النَّاسُ جِدًّا، وَفَشَتِ الْبِدْعُ، وَكَثُرَ الدُّعَاءُ إِلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْجَمَاعَةِ، وَوَقَعَتِ الْمِخْنُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحَدُ أَصْحَابِهِ، وَدَعَوْا إِلَى الْفُرْقَةِ - وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنِ الْفُرْقَةِ - وَكَفَرُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَكُلُّ دَعَا إِلَى رَأْيِهِ وَإِلَى تَكْفِيرٍ مَنْ خَالَفَهُ؛ فَضَلَّ الْجَاهِلُ وَالرَّعَاغُ وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَأَطَاعُوا النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَخَوَّفُوهُمْ عِقَابَ الدُّنْيَا، فَاتَّبَعَهُمُ الْخَلْقُ عَلَى خَوْفٍ فِي دُنْيَاهُمْ، وَرَغْبَةٍ فِي دُنْيَاهُمْ..... ٤٤١

فَصَارَتِ السُّنَّةُ وَأَهْلُهَا مَكْتُومِينَ، وَظَهَرَتِ الْبِدْعُ وَفَشَتِ، وَكَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ وُجُوهِ شَتَّى، وَوَضَعُوا الْقِيَاسَ، وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وَآيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ عَلَى عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ، فَمَا وَافَقَ عُقُولَهُمْ قَبْلُوهُ، وَمَا لَمْ يُوَافِقْ عُقُولَهُمْ رَدُّوهُ، فَصَارَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً، وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءُ فِي جُوفِ دِيَارِهِمْ..... ٤٤١

تحريم متعة النساء..... ٤٥٢

وَاعْلَمَ أَنَّ الْمُتَعَةَ؛ مُتْعَةُ النِّسَاءِ وَالِاسْتِحْلَالَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٤٥٢

حق آل بيت النبي ﷺ..... ٤٥٥



وَأَعْرِفَ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ، لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْرِفَ فَضْلَ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ وَجَمِيعِ الْأَفْخَادِ، فَأَعْرِفَ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ، وَنَعْرِفَ لِسَائِرِ النَّاسِ حَقَّهُمْ فِي الْإِسْلَامِ..... ٤٥٥

عدم قبول قول الجهمية والمعتزلة في القول بأن القرآن مخلوق..... ٤٦٠

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ لَمْ يَزَالُوا يُرَدُّونَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ، حَتَّى كَانَ فِي خِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَكَلَّمَتِ الرُّوَيْضَةُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَطَعَنُوا عَلَى آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخَذُوا بِالْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ، وَكَفَرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ..... ٤٦٠

مَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ سَكَتَ فَلَمْ يَقُلْ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ. وَهَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ..... ٤٦٢

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَإِنَّا كُنَّا وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّدِينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»..... ٤٦٢

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الْجَهْمِيُّ كَافِرٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، حَلَالُ الدِّمِ، لَا يَرِثُ وَلَا يُورَثُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ لَا جُمُعَةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ، وَلَا عِيدَيْنِ وَلَا صَدَقَةٍ. وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَقُلْ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ..... ٤٦٥

أسباب الزندقة..... ٤٧٥

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ تَجِئْ بِدَعَاةٍ قَطُّ إِلَّا مِنْ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ وَأَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَلَا دِينَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ وَهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ وَالْبِدْعِ..... ٤٧٥

لا يزال الخير في أفراد هذه الأمة..... ٤٨٠

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَيَهْدِي بِهِمْ غَيْرُهُمْ، وَيُحْيِي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمْ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ قَلْتِهِمْ عِنْدَ الْإِخْتِلَافِ، فَقَالَ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾. فَاسْتَنَاهُمْ فَقَالَ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ». ٤٨٠

العالم من اتبع العلم والسنن..... ٤٨٣

وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَالْكِتَابِ، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَالسُّنَنَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ، وَمَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَنَةَ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ..... ٤٨٣

تحريم الكلام في الدين دون الاستناد إلى حجة من الكتاب والسنة..... ٤٨٦

وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَقَدْ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ فَهُوَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ. ٤٨٦

كل حق مأخوذ من الكتاب والسنة والجماعة..... ٤٨٩

وَالْحَقُّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسُّنَّةُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْجَمَاعَةُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ..... ٤٨٩

النصر بالأخذ بطريقة رسول الله ﷺ..... ٤٩١

وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالْجَمَاعَةُ فَلَجَّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ كُلِّهِمْ، وَاسْتَرَاحَ بَدَنُهُ، وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَتَفْتَرُقُ أُمَّتِي»،



وَبَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاجِي مِنْهَا، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، فَهَذَا هُوَ الشُّفَاءُ، وَالْيَبَانُ، وَالْأَمْرُ الْوَاضِحُ، وَالْمَنَارُ الْمُسْتَنِيرُ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقُ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعُ، وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمْ الْعَتِيقُ»..... ٤٩١

مبدأ الافتراق والاختلاف..... ٤٩٣

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ الْعَتِيقَ مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الْفُرْقَةِ وَأَوَّلَ الْإِخْتِلَافِ، فَتَحَارَبَتِ الْأُمَّةُ، وَتَفَرَّقَتْ، وَاتَّبَعَتِ الطَّمَعُ وَالْأَهْوَاءَ وَالْمَيْلَ إِلَى الدُّنْيَا..... ٤٩٣

لا رخصة في الابتداع..... ٤٩٥

فَلَيْسَ لِأَحَدٍ رُخْصَةٌ فِي شَيْءٍ أَحَدَثَهُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ يَكُونُ رَجُلٌ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ أَحَدَثَهُ مِنْ قَبْلِهِ أَوْ مِنْ قَبْلِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَهُوَ كَمَنْ أَحَدَثَهُ، فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ وَخَالَفَ الْحَقَّ وَالْجَمَاعَةَ، وَأَبَاحَ الْبِدْعَ، وَهُوَ أَضَرُّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ إِبْلِيسَ..... ٤٩٥

صاحب السنة..... ٤٩٨

وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ الْبِدْعِ مِنَ السُّنَّةِ وَمَا فَارَقُوا فِيهِ، فَتَمَسَّكَ بِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَصَاحِبُ جَمَاعَةٍ، وَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّبَعَ وَأَنْ يُعَانَ، وَأَنْ يُحْفَظَ، وَهُوَ مِمَّنْ أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ..... ٤٩٨

أصول البدع..... ٥٠٠

وَاعْلَمْ أَنَّ أَصُولَ الْبِدْعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، يَتَشَعَّبُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى، ثُمَّ يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبِدْعِ يَتَشَعَّبُ حَتَّى تَصِيرَ كُلُّهَا إِلَى أَلْفَيْنِ وَتَمَانِمِائَةٍ، كُلُّهَا ضَلَالَةٌ، وَكُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَمَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَاعْتَقَدَهُ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ فِي قَلْبِهِ وَلَا شُكُوكٍ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَهُوَ النَّاجِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ..... ٥٠٠

٥٠٣.....البعد عن محدثات الأمور.....

وَاعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا عِنْدَ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوا بِشَيْءٍ، وَلَمْ يُولِدُوا كَلَامًا مِمَّا لَمْ يَجِئْ فِيهِ أَثَرٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ، لَمْ تَكُنْ بِدْعَةً..... ٥٠٣

٥٠٦.....ذكر بعض نواقض الإسلام.....

وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَتَّى يَصِيرَ كَافِرًا إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ، أَوْ يَزِيدَ فِي كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ يَنْقُصَ، أَوْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ شَيْئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ..... ٥٠٦

٥٠٨.....التحذير من الغلو في الدين.....

فَاتَّقِ اللَّهَ رَحِمَكَ اللَّهُ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ..... ٥٠٨

٥٠٩.....وصية المؤلف بالأخذ بما في هذا الكتاب وتبليغه.....

وَجَمِيعَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَهُوَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَنِ رَسُولِهِ ﷺ، وَعَنِ أَصْحَابِهِ، وَعَنِ التَّابِعِينَ، وَعَنِ الْقُرْنِ الثَّالِثِ إِلَى الْقُرْنِ الرَّابِعِ..... ٥٠٩

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، وَعَلَيْكَ بِالتَّصَدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالتَّقْوِيضِ وَالرِّضَا لِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا تَكْتُمْ هَذَا الْكِتَابَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَعَسَى يُرَدَّ اللَّهُ بِهِ حَيْرَانًا عَنْ حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا عَنْ ضَلَالَتِهِ؛ فَيَنْجُو بِهِ..... ٥٠٩

فَاتَّقِ اللَّهَ، وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الْعَتِيقِ، وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَارْحَمَ اللَّهُ عَبْدًا، وَرَحِمَ وَالِدَيْهِ، قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ وَبَتَّه وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ؛ فَإِنَّهُ دِينُ اللَّهِ وَدِينُ رَسُولِهِ، وَأَنَّهُ مَنِ اسْتَحَلَّ شَيْئًا خِلَافًا لِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَدِينُ اللَّهَ بَدِينٍ، وَقَدْ رَدَّه كُفْلُهُ، كَمَا لَوْ أَنَّ عَبْدًا آمَنَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِي حَرْفٍ فَقَدْ رَدَّ جَمِيعَ مَا



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ كَافِرٌ، كَمَا أَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُقْبَلُ مِنْ صَاحِبِهَا إِلَّا بِصَدَقِ النَّبِيِّ، وَإِخْلَاصِ الْيَقِينِ، وَكَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ. وَمَنْ تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ كُلَّهَا، فَعَلَيْكَ بِالْقَبُولِ، وَدَعْ عَنْكَ الْمَحْكَ وَاللَّجَاجَةَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَزَمَانُكَ خَاصَّةٌ زَمَانُ سُوءٍ، فَاتَّقِ اللَّهَ. ٥٠٩

اعتزال الفتن وترك العصبية..... ٥١٥

وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فَالْزِمِ جَوْفَ بَيْتِكَ، وَفِرْ مِنْ جَوَارِ الْفِتْنَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْعَصْبِيَّةَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الدُّنْيَا فَهُوَ فِتْنَةٌ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تَخْرُجْ فِيهَا وَلَا تُقَاتِلْ فِيهَا، وَلَا تَهَوَّ، وَلَا تُشَايِعَ، وَلَا تُمَآيِلَ، وَلَا تُحِبَّ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِمْ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعَالٍ قَوْمٍ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَرْضَاتِهِ، وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَاصِيَهُ. ٥١٥

التحذير من كثرة النظر إلى النجوم..... ٥١٩

وَأَقَلُّ مِنَ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ، إِلَّا مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، وَالْهَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الزُّنْدَقَةِ. ٥١٩

التحذير من النظر في علم الكلام..... ٥٢٢

وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْكَلَامِ، وَالْجُلُوسَ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ، وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَهْلِ الْآثَارِ، وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبَسْ. ٥٢٢

الخوف من الله عَزَّجَلَّ..... ٥٢٨

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَطَرِيقِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ وَالشَّفَقَاتِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاحْذَرِ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشُّوقِ وَالْمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ، وَطَرِيقِ الْمَذْهَبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ. ٥٢٨

بيان أن الخوف أفضل طريقة لعبادة الله..... ٥٣٤

وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمَنْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِسْلَامِ تَفَضُّلاً مِنْهُ..... ٥٣٤

الكف عما شجر بين الصحابة..... ٥٣٧

وَالْكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ، وَمُعَاوِيَةَ، وَعَائِشَةَ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ، لَا تُخَاصِمُ فِيهِمْ، وَكِلَ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَاكُمْ وَذَكَرَ أَصْحَابِي، وَأَصْهَارِي، وَأَخْتَانِي»..... ٥٣٧

وَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَإِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ»..... ٥٣٧

حرمة أموال المسلمين..... ٥٤١

وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيِّبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مَالٌ حَرَامٌ فَقَدْ ضَمِنَتْهُ، لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ عَسَى أَنْ يَتُوبَ هَذَا فَيُرِيدَ أَنْ يُرَدَّهُ عَلَى أَرْبَابِهِ فَأَخَذَتْ حَرَامًا..... ٥٤١

الأصل في المكاسب الحل..... ٥٤٤

وَالْمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ، إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا يَأْخُذُ مِنَ الْفَسَادِ مُمْسِكَةً نَفْسَهُ، وَلَا تَقُلْ أَتْرُكُ الْمَكَاسِبَ وَأَخَذَ مَا أَعْطُونِي، لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الصَّحَابَةُ وَلَا الْعُلَمَاءُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَسَبُ فِيهِ بَعْضُ الدِّينَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ..... ٥٤٤

الصلاة خلف أهل البدع..... ٥٤٨



وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهْمِيًّا فَإِنَّهُ مُعْطَلٌ، وَإِنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ فَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطَانٌ فَصَلِّ خَلْفَهُ وَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ صَاحِبَ سُنَّةٍ فَصَلِّ خَلْفَهُ وَلَا تُعِدْ صَلَاتَكَ... ٥٤٨

قبر رسول الله ﷺ وقبري أبي بكر وعمر رضي الله عنهما..... ٥٥٠

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ -رحمة الله عليهما- فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ دُفِنَا هُنَالِكَ مَعَهُ، فَإِذَا أُتِيَتِ الْقَبْرُ فَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاجِبٌ..... ٥٥٠

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتسليم على جميع المسلمين..... ٥٥٣

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ، إِلَّا مَنْ خِفَتْ سَيْفُهُ أَوْ عَصَاهُ..... ٥٥٣

وَالتَّسْلِيمُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ..... ٥٥٣

وجوب صلاة الجماعة والجمعة..... ٥٥٦

وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَالْعُذْرُ كَمَرَضٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلَا عُذْرَ لَكَ..... ٥٥٦

وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ فَلَمْ يُقْتَدِ بِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ..... ٥٥٦

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٥٥٨

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ بِلا سَيْفٍ..... ٥٥٨

المستور من المسلمين..... ٥٦٠

وَالْمُسْتَوْرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ رِيْبَةٌ..... ٥٦٠

ضلال من ادعى علماً باطنًا مخالفًا للكتاب والسنة الصحيحة..... ٥٦٢

وَكُلُّ عِلْمٍ ادَّعَاهُ الْعِبَادُ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ لَمْ يُوَجَدْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ بَدْعٌ وَضَلَالَةٌ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ وَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ..... ٥٦٢

٥٦٥ تحريم هبت المرأة نفسها بغير ولي

وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُ، يُعَاقَبَانِ إِنْ نَالَا مِنْهَا سَيِّئًا إِلَّا بِوَلِيِّ وَشَاهِدَي عَدْلٍ وَصَدَاقٍ..... ٥٦٥

٥٧٠ الطعن في الصحابة علامة الضلال

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعُنُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضَايَ اللَّهِ عَنْهُمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى وَصَاحِبُ قَوْلٍ سُوءٍ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»، فَقَدْ عِلِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا، وَقَوْلُهُ: «ذَرُّوا أَصْحَابِي، لَا تَقُولُوا فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا». وَلَا تُحَدِّثْ بِشَيْءٍ مِنْ زَلَلِهِمْ وَلَا حَرَبِهِمْ وَلَا مَا غَابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، وَلَا تَسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إِنْ سَمِعْتَ..... ٥٧٠

٥٧٥ خطر رد الآثار والأحاديث

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعُنُ عَلَى الْآثَارِ أَوْ يُرَدُّ الْآثَارُ أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الْآثَارِ فَاتَّهِمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَلَا تَشْكُ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى مُبْتَدِعٌ..... ٥٧٥

٥٧٦ جور السلطان لا ينقض الفرائض

وَاعْلَمْ أَنَّ جَوْرَ السُّلْطَانِ لَا يَنْقُضُ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، جَوْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَتَطَوُّعُكَ وَبُرْكَ مَعَهُ تَأْمٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، يَعْنِي الْجَمَاعَةُ وَالْجُمُعَةُ مَعَهُمُ وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ فَشَارِكُهُمْ فِيهِ فَلَكَ نِيَّتُكَ..... ٥٧٦

٥٧٧ الدعاء للسلطان



وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوَى. وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو
لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلَاحِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ٥٧٧

لِقَوْلِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ: "لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ. ... ٥٧٧
قِيلَ لَهُ: "يَا أَبَا عَلِيٍّ، فَسِّرْ لَنَا هَذَا." قَالَ: "إِذَا جَعَلْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تُعْذِنِي، وَإِذَا جَعَلْتُهَا فِي
السُّلْطَانِ صَلَحَ، فَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ." فَأَمَرْنَا أَنْ نَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ
نَدْعُو عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا؛ لِأَنَّ ظُلْمَهُمْ وَجَوْرَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَصَلَاحُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ
وَلِلْمُسْلِمِينَ. ٥٧٧

مذهب أهل السنة في أمهات المؤمنين. ٥٨٠

وَلَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ. ٥٨٠

المحافظة على الفرائض وطاعة السلطان دليل على أن صاحبها صاحب سنة... ٥٨١

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْفَرَائِضَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالْفَرَائِضِ فِي جَمَاعَةٍ وَإِنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ
صَاحِبُ هَوَى. ٥٨١

الحلال بَيْنَ والحرام بَيْنَ. ٥٨٣

وَالْحَلَالُ مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ وَحَلَفْتَ وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلَالٌ، وَكَذَلِكَ الْحَرَامُ مَا حَاكَ فِي
صَدْرِكَ فَهُوَ شُبْهَةٌ. ٥٨٣

المستور والمهتوك. ٥٨٥

وَالْمُسْتَوْرُ مِنْ بَانَ سِتْرُهُ، وَالْمُهْتَوْكُ مِنْ بَانَ هَتْكُهُ. ٥٨٥

علامة أهل البدع نبيهم لأهل السنة بالألقاب. ٥٨٨

إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فَلَانَ نَاصِيٍّ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ رَافِضِيٌّ. وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فَلَانَ مُشَبَّهً، أَوْ فَلَانَ يَتَكَلَّمُ بِالتَّشْبِيهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: تَكَلَّمُ بِالتَّوْحِيدِ وَاشْرَحَ لِي التَّوْحِيدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ، أَوْ يُقَالُ: فَلَانٌ مُجَبِّرٌ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالإِجْبَارِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْعَدْلِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدَرِيٌّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مُحَدَّثَةٌ أَحَدُهَا أَهْلُ الْبِدْعِ ٥٨٨

البعد عن مجالسة أهل الأهواء ٥٩٠

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَاحْذَرُهُ وَعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَ مَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى ٥٩٠

الرد على القرآنيين ٥٩٣

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالْأَثَرِ فَلَا يُرِيدُهُ، وَيُرِيدُ الْقُرْآنَ؛ فَلَا تَشْكُ أَنَّهُ رَجُلٌ قَدْ احْتَوَى عَلَى الزُّنْدَقَةِ، فَقُمْ مِنْ عِنْدِهِ وَدَعُهُ ٥٩٣

بيان طريقة الرافضة والجهمية والمعتزلة ٥٩٧

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ، تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى السَّيْفِ، وَأَزْدُودُهَا وَأَكْفَرُهَا الرَّوَافِضُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّهُمْ يَرُدُّونَ النَّاسَ عَلَى التَّعْطِيلِ وَالزُّنْدَقَةِ ٥٩٧

الطعن في صحابة النبي طعن في النبي ﷺ ٦٠٠

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَنَاوَلَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنْ إِنْسَانٍ شَيْءٌ مِنَ الْبِدْعِ فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى عَنْكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَظْهَرَ ٦٠٠

الحذر من أهل البدع والبعد عن مجالستهم ٦٠٣

وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنْ إِنْسَانٍ شَيْءٌ مِنَ الْبِدْعِ فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى عَنْكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَظْهَرَ. ٦٠٣

صاحب هوى أشد خطراً على مسلم من صاحب معصية ٦٠٦



وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّرِيقِ وَالْمَذْهَبِ، فَاسْقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ ظَالِمًا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَاصْحَبْهُ وَاجْلِسْ مَعَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُهُ..... ٦٠٦

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، مُتَقَشِّفًا مُحْتَرِفًا بِالْعِبَادَةِ، صَاحِبَ هَوَى، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُ، وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ فَتَهْلِكَ مَعَهُ..... ٦٠٦

وَرَأَى يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ ابْنَهُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ هَوَى، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ فُلَانٍ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، لَأَنْ أَرَاكَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ خُنْثَى، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاكَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَلَأَنْ تَلْقَى اللَّهَ يَا بُنَيَّ زَانِيًا فَاسِقًا سَارِقًا خَائِنًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ يَقُولُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ. أَلَا تَرَى أَنَّ يُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخُنْثَى لَا يُضِلُّ ابْنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ يُضِلُّهُ حَتَّى يُكْفِّرَهُ..... ٦١١

التحذير من أهل البدع في كل زمان..... ٦١٤

وَاحْذَرُ ثُمَّ احْذَرُ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً، وَانْظُرْ مَنْ تُجَالِسُ، وَمِمَّنْ تَسْمَعُ، وَمَنْ تُصَاحِبُ، فَإِنَّ الْخَلْقَ كَأَنَّهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ..... ٦١٤

التحذير ممن يذكر بعض أسماء أهل البدع..... ٦١٨

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ وَبِشْرًا الْمَرِيْسِيَّ وَثُمَامَةَ وَأَبَا الْهَدَيْلِ أَوْ هِشَامًا الْفُوطِيَّ أَوْ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَأَشْيَاعِهِمْ فَاحْذَرُهُ فَإِنَّهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى الرَّدَّةِ، وَاتْرُكْ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ وَمَنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ..... ٦١٨

المحنة في الإسلام بدعة..... ٦٢٢

وَالْمِحْنَةُ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَيُمْتَحَنُ بِالسُّنَّةِ؛ لِقَوْلِهِ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ. وَقَوْلِهِ: لَا تَقْبَلُوا الْحَدِيثَ إِلَّا مِمَّنْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَهُ، فَتَنْظُرُوا، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُ سُنَّةٍ لَهُ مَعْرِفَةٌ صَدُوقًا، كَتَبَتْ عَنْهُ، وَإِلَّا تَرَكْتَهُ..... ٦٢٢

أسباب الاستقامة..... ٦٢٥

وَإِذَا أَرَدْتَ الْإِسْقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ وَطَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَبْلَكَ، فَاحْذَرِ الْكَلَامَ، وَأَصْحَابَ الْكَلَامِ، وَالْجِدَالَ، وَالْمِرَاءَ، وَالْقِيَاسَ، وَالْمُنَاطَرَةَ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَكَفَى بِهِ قُبُولًا فَتَهْلِكَ، وَمَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ وَلَا بِدْعَةٌ وَلَا هَوًى وَلَا ضَلَالَةٌ؛ إِلَّا مِنْ الْكَلَامِ، وَالْجِدَالَ، وَالْمِرَاءَ، وَالْقِيَاسِ، وَهِيَ أَبْوَابُ الْبِدْعَةِ، وَالشُّكُوكِ، وَالزَّنْدَقَةِ..... ٦٢٥

الأخذ بطريقة السلف..... ٦٣٠

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالْأَثَرِ وَأَصْحَابِ الْأَثَرِ وَالتَّقْلِيدِ، فَإِنَّمَا الدِّينُ هُوَ بِالتَّقْلِيدِ يَعْنِي لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ قَبَلْنَا لَمْ يَدْعُونَا فِي لَبْسٍ فَقَلَّدَهُمْ وَاسْتَرَحَّ، وَلَا تَجَاوَزِ الْأَثَرَ وَأَهْلَ الْأَثَرِ..... ٦٣٠

الأمر بالوقوف على المتشابه والنهي عن كلام أهل البدع..... ٦٣٣

وَقِفْ عِنْدَ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَلَا تَقَسَّ شَيْئًا، وَلَا تَقَسَّ شَيْئًا، وَلَا تَطْلُبْ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدُّ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ؛ فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ، فَلَا تُمَكِّنُهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ فِي فَضْلِهِ لَمْ يُجِبْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا سَمِعَ مِنْهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهَا؛ فَيَقَعَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ..... ٦٣٣

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللَّهَ إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاعْلَمْ أَنَّه جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ آثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُدْفَعَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُعَظِّمُ اللَّهَ وَيُزَيِّدُهُ إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ الرُّؤْيَةِ وَحَدِيثَ التَّزْوِلِ وَغَيْرِهِ، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ آثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: نَحْنُ نُعَظِّمُ اللَّهَ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ؟ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَاحْذَرِ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوْقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَحَذَرِ النَّاسِ مِنْهُمْ..... ٦٤٠

الأمر بالكف عن الجدال والمراء..... ٦٤٤



وَإِذَا سَأَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهُوَ مُسْتَرْشِدٌ، فَكَلِّمَهُ وَأَرْشِدْهُ، وَإِذَا جَاءَكَ يُنَاطِرُكَ فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّ فِي الْمُنَاطَرَةِ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ وَالْمُغَالَبَةَ وَالْخُصُومَةَ وَالْغَضَبَ، وَقَدْ نَهَيْتُ عَنْ جَمِيعِ هَذَا جَدًّا، وَهُوَ يُزِيلُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ فَقَهَائِنَا وَعُلَمَائِنَا أَنَّهُ نَاطَرَ أَوْ جَادَلَ أَوْ خَاصَمَ..... ٦٤٤

قال الحسن البصري رحمه الله: وَالْحَكِيمُ لَا يُمَارِي وَلَا يُدَارِي، حِكْمَتُهُ يَنْشُرُهَا، إِنْ قُبِلَتْ حَمْدُ اللَّهِ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمْدُ اللَّهِ..... ٦٤٧

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: أَنَا أَنُاطِرُكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: (أَنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ فَادْهَبْ فَاطْلُبْهُ..... ٦٤٧

وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذًا"، وَيَقُولُ الْآخَرُ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذًا"، فَخَرَجَ مُغَضَّبًا فَقَالَ: «أَبْهَذَا أُمِرْتُمْ، أَمْ بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ، أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ»، فَنَهَاهُمْ عَنِ الْجِدَالِ..... ٦٤٩

(وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ الْمُنَاطَرَةَ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمَنْ فَوْقَهُ، وَمَنْ دُونَهُ، إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الْخَلْقِ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]..... ٦٥٠

وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ فَقَالَ: مَا النَّاشِطَاتِ نَشْطًا؟ فَقَالَ: لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ عُقْنَكَ... ٦٥٠
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لَا يُمَارِي، وَلَا أَشْفَعُ لِلْمُؤْمَرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَدَعُوا الْمِرَاءَ لِقَلَّةِ خَيْرِهِ»..... ٦٥٠

لا يطلق على الرجل أنه صاحب سنة حتى تجتمع السنة كلها فيه..... ٦٥٩

وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ فُلَانٌ صَاحِبُ سُنَّةٍ حَتَّى يَعْلَمَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصَالُ السُّنَّةِ وَلَا يُقَالُ لَهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ حَتَّى تَجْتَمِعَ فِيهِ السُّنَّةُ كُلُّهَا..... ٦٥٩

أصل الفرق الضالة أربع فرق..... ٦٦١

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَصْلُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ هَوَى أَرْبَعَةُ أَهْوَاءٍ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَهْوَاءِ تَشَعَّبَتِ الْإِثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوَى: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِيَّةُ، وَالشَّيْعَةُ، وَالْخَوَارِجُ..... ٦٦١

ما يخرج به المسلم من ضلالات الفرق الأربع..... ٦٦٣

فَمَنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْبَاقِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ وَدَعَا لَهُمْ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ التَّشْيِعِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ..... ٦٦٣

وَمَنْ قَالَ الصَّلَاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَلَمْ يَرِ الْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ بِالسَّيْفِ، وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ..... ٦٦٦

عقيدة الرافضة في الرجعة والعصمة..... ٦٦٨

وَبِدْعَةُ ظَهَرَتْ هِيَ كُفْرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ: مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ، وَيَقُولُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيٌّ وَسَيَرْجِعُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، وَيَتَكَلَّمُونَ فِي الْإِمَامَةِ وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؛ فَاحْذَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ..... ٦٦٨

تحقيق القول في تقديم علي على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..... ٦٧١

قَالَ طُعْمَةُ بْنُ عَمْرِو وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: مَنْ وَقَفَ عِنْدَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَهُوَ شِيعِيٌّ لَا يُعَدُّ وَلَا يُكَلَّمُ وَلَا يُجَالَسُ، وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُوَ رَافِضِيٌّ، قَدْ رَفَضَ آثَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَمَنْ قَدَّمَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى جَمِيعِهِمْ وَتَرَاحَمَ عَلَى الْبَاقِينَ وَكَفَّ عَنْ رَأْيِهِمْ، فَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْهُدَى فِي هَذَا الْبَابِ..... ٦٧١

الشهادة بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ بذلك..... ٦٧٤



وَالسُّنَّةُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا شَكَّ فِيهِ..... ٦٧٤

لا تفرد الصلاة إلا على رسول الله ﷺ..... ٦٧٥

وَلَا تُفَرِّدْ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ فَقَطْ..... ٦٧٥

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ مَظْلُومًا..... ٦٧٨

وَتَعْلَمُ أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ مَظْلُومًا وَمَنْ قَتَلَهُ كَانَ ظَالِمًا..... ٦٧٨

مبالغته في وصف كتابه رَحِمَهُ اللَّهُ..... ٦٧٩

فَمَنْ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ إِمَامًا وَلَمْ يَشْكُ فِي حَرْفٍ مِنْهُ وَلَمْ يَجْحَدْ حَرْفًا وَاحِدًا فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ كَامِلَةٍ قَدْ اكْتَمَلَتْ فِيهِ الْجَمَاعَةُ، وَمَنْ جَحَدَ حَرْفًا مِمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ أَوْ شَكَّ وَوَقَفَ فَهُوَ صَاحِبُ هَوًى، وَمَنْ جَحَدَ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ فِي شَيْءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى مُكَذِّبًا، فَاتَّقِ اللَّهَ وَاحْذَرِ وَتَعَاهَدْ إِيْمَانَكَ..... ٦٧٩

النهي عن الإعانة على معصية..... ٦٨٠

وَمِنَ السُّنَّةِ أَلَّا تُطِيعَ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا الْوَالِدَيْنِ وَلَا الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا تُحِبَّ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَآكْرَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٦٨٠

الآثار الواردة في لزوم السنة والتحذير من البدع..... ٦٨٢

مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ، وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَاتَ، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ تَقْصِيرٌ فِي الْعَمَلِ..... ٦٨٢

وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "السُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ السُّنَّةُ"..... ٦٨٢

وَقَالَ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ".

٦٨٢

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْعَجَبُ مَنْ يَدْعُو الْيَوْمَ إِلَى السُّنَّةِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ الْمُجِيبُ إِلَى السُّنَّةِ".

٦٨٢

وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ يَقُولُ عِنْدَ الْمَوْتِ: السُّنَّةُ السُّنَّةُ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ، حَتَّى مَاتَ. ٦٨٢
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فُرِّي فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: عَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي رَبِّي عَزَّجَلَّ عَنِ السُّنَّةِ. ٦٩٠

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ مُسْتَوْرًا فَهُوَ صَدِيقٌ، الْإِعْتَصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ. ٦٩١

خطر الإصغاء إلى أصحاب البدع والنهي عن مجالستهم والأمر بهجرهم..... ٦٩٣

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أَصْغَى بِأُذُنِهِ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ، خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللَّهِ، وَوُكِّلَ إِلَيْهَا. ٦٩٣

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ لَمْ يُعْطَ الْحِكْمَةَ. ٦٩٥
قَالَ: وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ. ٦٩٦

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ وَأَخْرَجَ نُورَ الْإِسْلَامِ مِنْ قَلْبِهِ. ٦٩٧



وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بَدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَذِمِ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ -، وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا، وَمَنْ تَبَعَ جَنَازَةَ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ. ٦٩٧

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بَدْعَةٍ وَرِثَةُ الْعَمَى". ٧٠١

وقال الفضيل بن عياض: (أَكُلْ مَعَ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَلَا أَكُلْ مَعَ مُبْتَدِعٍ، وَأُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بَدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ). ٧٠٢

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: إِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بَدْعَةٍ، غَفَرَ لَهُ وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ، وَلَا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِئُ صَاحِبَ بَدْعَةٍ إِلَّا نِفَاقًا، وَمَنْ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِ بَدْعَةٍ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا، وَمَنْ انْتَهَرَ صَاحِبَ بَدْعَةٍ آمَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بَدْعَةٍ رَفَعَهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مِثَّةَ دَرَجَةٍ، فَلَا تُكُنْ تُحِبُّ صَاحِبَ بَدْعَةٍ فِي اللَّهِ أَبَدًا). ٧٠٣

خاتمة..... ٧٠٧

الفهرس..... ٧٠٩